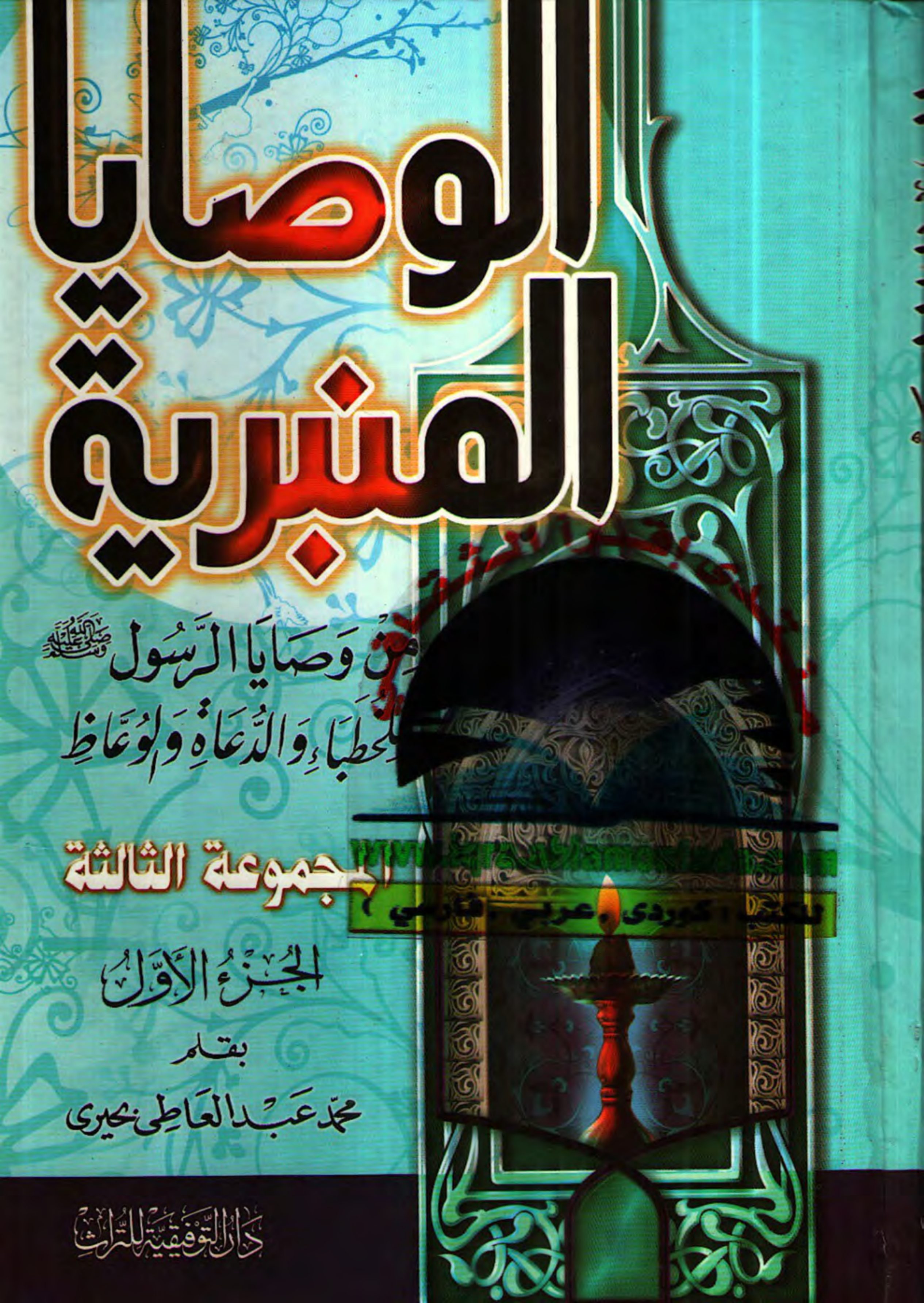

الوصايا المنبرية
من وصايا الرسول ﷺ
للخطباء والدعاة والوعاظ
المجموعة الثالثة
الجزء الأول
بقلم
محمد عبد العاطي بحيري
دار التوفيقية للتراث

الوصايا المنبرية

من وصايا الرسول ﷺ

للخطباء والدعاة والوعاظ

كتبه

محمد عبد العاطي بحيري

المجموعة الثالثة

الجزء الأول

دار التوفيقية للتراث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

الكـــــتاب: الوصايا المنبرية في وصايا الرسول- مجموعة٣ ج١
تألـــــيف: محمد عبد العاطي بحيري
الناشـــــر: دار التوفيقية للتراث - القاهرة
رقـم الإيـداع: ٢٠١٠/٤٤٦٨

دار التوفيقية للتراث

١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر - القاهرة

تليفون: ٢٥١٠٥٦٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله..

الذي أعطى عباده الأسماع والأبصار، والأفئدة لعلهم يشكرون، وأسدى عليهم أصناف النعم وسيحاسبهم عليها، وعنها يُسألون، فمن استعان بها على طاعته فأولئك هم المفلحون.. ومن صرفها في معاصيه فأولئك الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين. نحمده فهو أحق من حمد.. وهو أحق من عبد.. وأولى من ذكر.. ونشكره فهو أولى من شكر.. وأرأف من ملك.. وأعدل من انتقم..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. لا راد لقضائه.. ولا معقب لحكمه.. ولا مانع لما أعطى.. ولا معطي لما منع.. يؤتي الملك من يشاء.. وينزع الملك ممن يشاء.. يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب.. ولا يعطي الدين إلا لمن أحب.. العزة له.. والجبروت له.. والعظمة له.. والكبرياء له.. والسلطان له.. والملك له.. والقوة له.. والتسبيح والتقديس له.. ما أعظم شأنه.. وما أقربه من خلقه.. وما ألطفه بعباده.. أشرقت لنوره السموات والأرض.. وأنار بوجهه الظلمات.. لا تراه العيون.. ولا تخالطه الأوهام والظنون.. لا تغيره الحوادث.. يعلم مثاقيل الجبال.. ومكاييل البحار.. وعدد قطر الأمطار والأشجار.. وعدد ما أظلم عليه الليل، وأشرق عليه النهار..

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا سيد الأخيار.. وإمام الأتقياء الأبرار.. خلقه عظيم.. ونهجه قويم.. ما ضل وما ذل وما غل وما مل، وما كلّ، فما ضل لأن الله هاديه.. وجبريل يكلمه ويناديه.. وما ذل لأن العصمة ترعاه.. والله أيده وهداه.. وما زل لأن النصر حليفه.. والفوز رديفه.. وما غلّ لأنه صاحب أمانة وصيانة وديانة.. وما مل لأن الله أعطاه الصبر.. وشرح له الصدر.. وما كلّ لأن له عزيمة.. وهمة كريمة.. ونفسًا طاهرة مستقيمة..

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين.. وعلى من اهتدى بهديه.. وسلك طريقه.. ونهج نهجه.. وسار على دربه إلى يوم الدين.. **أما بعد:**

أحبتي في الله..

ها أنا بفضل الله وعونه ومدده، وتوفيقه وعلمه.. أضع بين أيديكم المجموعة الثالثة من الوصايا المنبرية، وقد بذلت فيها الجهد الكبير.. ونسأل الله ﷻ أن يجعل ذلك في ميزان حسناتنا.. فالدنيا كلها لا تساوي عند الله جناح بعوضة..

فإن أكن قد وفقت فمن الله وحده التوفيق.. وإليه يرجع الأمر كله.. وله الفضل الجزيل.. وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان، وأسأل الله الرحيم الرحمن أن ينفع به الإسلام والمسلمين.. كما نسأله سبحانه وهو أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين أن يغفر لنا الزلل.. ويمحوه.. ويثبتنا وإياكم على طريق الحق والعدل.. وأن يلهمنا رشدنا.. فهو أوسع من أعطى.. وأكرم من قصد.. وأعز من التجئ إليه.. وهو على كل شيء قدير.. وهو نعم المولى ونعم النصير..

الوصية رقم (١)

إذا ضاقت بك الدنيا، فقل: يا الله!

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **إنَّ الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء** »[١].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

هذه الوصية من أنفع الوصايا وأعظمها لكل مسلم.. لكل من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله.. لكل من عرف ربه ومولاه.. لكل من وقع في ضيق.. لكل من وقع في شدة أو محنة.. لكل من ضاقت به الدنيا.. إننا في زمان الحضارة والتقدم، وفي كل يوم يسمع العالم باختراع جديد أو اكتشاف فريد في عالم الأسلحة.. سلاح يمشي على تراب الأرض، أو في فضاء السماء الرحب، أو وسط أمواج البحر.. وإن السلاح هو عتاد الأمم، الذي تقاتل به أعداءها، فمقياس القوة والضعف في عرف العالم اليوم بما تملك تلك الأمة أو الدولة من أسلحة أو عتاد..

ولكن هناك سلاح لا تصنعه مصانع الغرب أو الشرق، ليس مصنوعًا في أمريكا ولا روسيا، ولا اليابان.. وهذا السلاح أقوى من القنابل النووية، والغواصات الذرية.. هو أقوى من كل سلاح مهما بلغت دقته وقوته.. إنه يبطل مفعول الغازات الكيماوية، ويسقط الصواريخ الذكية.. سلاح له مفاعلات خاصة، ومعامل سرية..

هذا السلاح العظيم يستخدم في حال الحروب، ويستعمل إذا ادلهمت الخطوب، وعظمت الكروب.. ويستخدم في حالتي الحرب والسلم..

ومن مزايا هذا السلاح أنه ليس له أعراض جانبية.. ولا تكتشفه أجهزة التفتيش في المطارات.. ومن مزاياه أنه لا يشترى بالجنيهات ولا بالدولارات..

---

(١) حسن: رواه الترمذي والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٦٣٤)، و« صحيح الجامع » برقم (٣٤٠٩).

من الذي يملك هذا السلاح؟

لا يملكه إلا صنف واحد من الناس.. لا يملكه إلا المؤمنون الموحدون.. لا يملكه إلا من آمن بفاطر السموات والأرض.. لا يملكه إلا من آمن بالله ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا..

إنه سلاح رباني.. سلاح الأنبياء والأتقياء على مر العصور والأزمان.. إنه سلاح الدعاء والتضرع إلى من بيده الأمر كله.. وإليه يرجع الأمر كله.. سلاح نجى الله ﷻ به نوحًا عليه السلام.. فأغرق قومه بالطوفان.. ونجى به موسى عليه السلام من الطاغية فرعون.. ونجى الله به نبيه صالحًا عليه السلام، وأهلك ثمود، وأذل عادًا، وأظهر هودًا عليه السلام، وأعز به محمدًا ﷺ في مواطن كثيرة..

سلاح خاف منه المشركون حين علموا شدة فتكه، وقوة بطشه.. فها هو عتبة بن ربيعة، يأتي إلى الحبيب محمد ﷺ فيعرض عليه الملك، وأمورًا أخرى، ليغريه بترك ما هو عليه من دعوته إلى الله ﷻ..

قال له: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً، جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالاً.. وإن كنت تريد به شرفًا سودناك علينا، حتى لا نقطع أمرًا دونك.. وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه، لا نستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه.. حتى فرغ عتبة، ورسول الله يسمع.. ثم قال: «**أفرغت يا أبا الوليد؟**»، قال: نعم..

قال: «**فاسمع مني**»، قال: أفعل.

فقال رسول الله ﷺ: «**بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ ...﴾ [فصلت: ١-٥] حتى بلغ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]».

قال عتبة: حسبك. حسبك.. ووضع يده على فم الحبيب ﷺ وناشده بالرحم أن يكف..

وها هو الحبيب ﷺ يصلي عند البيت الحرام وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض - أي المشركين -: أيكم يجيء بسلا جزور بني فلان، فيضعه على ظهر محمد، إذا سجد، فانبعث أشقى القوم، وهو عقبة بن أبي معيط فجاء به، فنظر، حتى إذا سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره، بين كتفيه، وابن مسعود ينظر، لا يغني عنه شيئًا، فجعلوا يضحكون، ويميل بعضهم على بعض - أي يتمايلون بطرًا ومرحًا - ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة - رضي الله عنها - فطرحته عن ظهره، فرفع رأسه ثم قال: «**اللهمَّ عليك بقريش**» ثلاث مرات.. فشق ذلك عليهم..

قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة.. ثم سمى رسول الله ﷺ فقال: «**اللهمَّ عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية ابن خلف، وعقبة بن أبي معيط ..**» وعدَّ رسول الله ﷺ السابع، فلم نحفظه..

قال ابن مسعود ﷺ: فوالذي نفسي بيده، لقد رأيت الذين عدَّ رسول الله ﷺ صرعى في القليب، قليب بدر[١]..

إذا ضاقت في وجهك الدنيا.. فقل: يا الله.. يا الله..

إذا سُدت في وجهك الأبواب، وقطعت أمامك الأسباب، فتوجه إلى رب الأسباب والمسببات، وقل: يا الله.. يا الله..

إذا غدر بك الصديق، وخانك الحبيب، وسد في طريقك كل سبيل، فقل: يا الله.. يا الله..

إذا انقطع عنك الرزق.. وقلَّ في يدك المال.. وتكاثرت الديون والهموم.. وزادت عليك الأحزان.. فقل: يا الله.. يا الله..

فلن يضيع نداؤك.. ولن يخيب رجاؤك.. لأنك تلجأ إلى الرب الرحيم اللطيف الخبير.. الذي رحمته وسعت كل شيء..

يقول أنس بن مالك ﷺ كان رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار يُكنى (أبا مِعْلَق) وكان تاجرًا يتجر بماله، وكان ناسكًا ورعًا، فخرج مرة فلقيه لص مقنع في السلاح، فقال له: ضع ما معك، فإني قاتلك..

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم.

قال: ما تريد إلى دمي.. شأنك بالمال.. قال: أما المال فلي، ولست أريد إلا دمك.. قال: أما إذا أبيت فذرني أصلي أربع ركعات أختم بها عملي..

قال: صلِّ ما بدا لك..

قال: فتوضأ، ثم صلى أربع ركعات، فكان من دعائه في آخر سجدة، أن قال: « يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعَّال لما تريد، أسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام.. وبنورك الذي ملأ أركان عرشك، أن تكفيني شر هذا اللص.. يا مغيث أغثني.. يا مغيث أغثني.. يا مغيث أغثني.. ثلاث مرات.. فإذا هو بفارس، أقبل بيده حربة، واضعها بين أذني فرسه، فأقبل على اللص فطعنه وقتله، ثم أقبل إليه، فقال: قم..

قال: من أنت بأبي وأمي، فقد أغاثني الله بك اليوم؟!

قال: أنا ملك من ملائكة السماء الرابعة، دعوت بدعائك الأول.. فسمعت لأبواب السماء قعقعة، ثم دعوت المرة الثانية، فسمعت لأهل السماء ضجة، ثم دعوت الثالثة، فقيل: دعاء مكروب، فسألت أن يوليني قتل هذا اللص[1]..

الله أكبر.. ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢].

هذا السلاح مأمور ومباح استخدامه في كل الأوقات، في الشدائد والملمات وغيرها من الأوقات.. قال ﷺ: « **من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد، فليكثر من الدعاء في الرخاء** »[2].

وهو عبادة من العبادات، المقربة لرب الأرض والسموات، قال سيد الكائنات « **الدعاء هو العبادة** » ثم قرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠][3].

---

(١) ذكره ابن أبي الدنيا في « مجابي الدعوة » (٢٣)، وذكره ابن حجر في « الإصابة » (٤/ ١٨٢)، و« أسد الغابة » (٦/ ١٩٥).

(٢) حسن: رواه الترمذي والحاكم، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٦٢٨).

(٣) صحيح: رواه أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٦٢٧)، و« صحيح الجامع » (٣٤٠٧).

وأمر الله به، فقال: ﴿ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [النساء: ٣٢]، وقال لحبيبه ومصطفاه ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] فأية رقة؟ وأي انعطاف؟ وأية شفافية؟ وأي إيناس؟ وأين تقع تكاليف الحياة في ظل هذا الود.. وظل هذا القرب، وظل هذا الإيناس؟ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ... ﴾ أضاف العباد إليه، والرد المباشر عليهم منه، ولم يقل: فقل لهم: إني قريب.. إنما تولى بنفسه الجواب على عباده بمجرد السؤال فقط! قريب.. ولم يقل أسمع الدعاء، إنما أعجل بإجابة الدعاء..

إنها آية عجيبة.. آية تسكب في قلب المؤمن النداوة والحلاوة، والود المؤنس، والرضا المطمئن، والثقة واليقين.. فهو وحده سبحانه إليه الملجأ.. وإليه يتضرع العباد.. يتضرعون إذا حل الهم، وخيم الغم، واشتد الكرب، وعظم الخطب، وضاقت السبل، وبارت الحيل، ونادى المنادي: يا الله.. يا الله (لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم) فيُفَرِّج الهم، ويُنَفِّس الكرب، ويُذلل الصعب ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣].

إليه يتضرعون، وإليه يبتهلون.. ويرفعون أكف الضراعة..

إذا أجدبت الأرض، ومات الزرع، وجف الضرع، وذبلت الأزهار وذوت الأشجار، وغار الماء، وقل الغذاء، واشتد البلاء، خرج المستغيثون بالشيوخ الرُّكَّع والأطفال الرضع، والبهائم الرُّتَّع، فنادوا: يا الله، واستغاثوا: يا الله، فينزل المطر، وينهمر الغيث، ويذهب الظمأ، وترتوي الأرض ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: ٥]، وإذا بالماء يروي من العطش، ويُنَقِّي من الدنس..

إليه يبتهلون.. وإليه وحده يتضرعون.. إذا اشتد المرض بالمريض، وضعف جسمه، وشحب لونه، وقلت حيلته، وضعفت وسيلته، وعجز الطبيب، وحار المداوي، وجزعت النفس ورجفت اليد، ووجف القلب، انطرح المريض، واتجه العليل إلى العلي الجليل، ونادى: يا الله.. يا الله، فزال الداء، ودب الشفاء وسُمع الدعاء ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى

مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

إذا انطلقت السفينة بعيدًا بعيدًا في البحر اللجي، وهبت الزوابع، وتسابقت الرياح، وتلبَّد الفضاء بالسحاب، واكفهر وجه السماء، وأبرق البرق، وأرعد الرعد، وكانت ظلمات بعضها فوق بعض، ولعبت الأمواج بالسفينة، وبلغت القلوب الحناجر، وأشرفت على الغرق، وتربص الموت بالركاب، اتجهت الأفئدة، وجأرت الأصوات: يا الله.. يا الله، فجاء عطفه، وأشرق ضياؤه في الظلام الحالك، فأزال المهالك: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يونس: ٢٢، ٢٣]، ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤].

إذا حلقت الطائرة في الأفق البعيد، وكانت معلقة بين السماء والأرض فأشر مؤشر الخلل، وظهرت دلائل العطل، فذعر القائد، وارتبك الركاب، وضجت الأصوات، فبكى الرجال، وصاحت النساء، وفجع الأطفال، وعم الرعب، وخيم الهلع، وعظم الفزع، وألحُّو في النداء، وعظم الدعاء: يا الله.. يا الله.. يا الله، فأتى لطفه، وتنزلت رحمته، وعظمت مِنَّته، فهدأت القلوب، وسكنت النفوس، وهبطت الطائرة بسلام.

إذا اعترض الجنين في بطن أمه، وعسرت ولادته، وصعبت وفادته، وأوشكت الأم على الهلاك، وأيقنت بالممات، لجأت إلى منفس الكربات وقاضي الحاجات، ونادت: يا الله.. يا الله، فزال أنينها، وخرج جنينها..

إذا حلت بالعالم معضلة، وأشكلت عليه مسألة، فتاه عنه الصواب، وعز عليه الجواب، مرغ أنفه بالتراب، ونادى يا الله.. يا الله، يا معلم إبراهيم علمني، يا مفهم سليمان فهمني، اللهمَّ رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم

الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، فيأتي التوفيق وتُحل المغاليق.

فهو تعالى الملاذ في الشدة، والأنيس في الوحشة، والنصير في القلة. يتجه إليه المريض الذي استعصى مرضه على الأطباء، ويدعوه آملاً في الشفاء.

ويتجه إليه المظلوم آملاً يومًا قريبًا ينتصر فيه على ظالمه، فليس بين دعوة المظلوم وبين الله حجاب ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر: ١٠].

ويتجه إليه المحروم من الأولاد سائلاً أن يرزقه ذرية طيبة ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝ ﴾ [مريم: ٤-٧].

وكل واحد من هؤلاء آمل في أن يُجاب إلى ما طلب، ويحقق له ما ارتجى، فما ذلك على قدرة الله ببعيد، وما ذلك على الله بعزيز.

أي سكينة يشعر بها المؤمن حين يلجأ إلى ربه في ساعة العسرة ويوم الشدة، فيدعوه بما دعا به محمد ﷺ من قبل: (اللهمَّ رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوي، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، أنت الأول، فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين، واغنني من الفقر).

فهو سلوة الطائعين، وملاذ الهاربين، وملجأ الخائفين، قال أبو بكر الكتاني: «جرت مسألة بمكة أيام الموسم في المحبة، فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد - رحمه الله - أصغرهم سنًّا. فقالوا له: هات ما عندك يا عراقي، فأطرق ساعة، ودمعت عيناه، ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرق قلبه أنوار هيبته، وصفا شربه من كأس وده، وانكشف له الجبار من أستار غيبه فإن تكلم:

فبالله، وإن نطق: فعن الله، وإن عمل: فبأمر الله، وإن سكن: فمع الله. فهو لله، وبالله، ومع الله، فبكى الشيوخ، وقالوا: ما على هذا مزيد. جبرك الله يا تاج العارفين»[1].

إليه وإلا لا تُشدُّ الركائبُ	ومنه وإلا فالمؤمِّلُ خائبُ
وفيه وإلا فالغرامُ مُضيَّعٌ	وعنه وإلا فالمحدِّثُ كاذبُ

من علق نفسه بمعرفة غير معروف الله فرجاؤه خائب، ومن حدَّث نفسه بكفاية غير كفاية الله فحديثه كاذب، ولا يغيب عن علمه غائب، ولا يعزب عن نظره عازب ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١].

أحبتي في الله..

من لم يسأل الله، يغضب عليه.. كما قال ﷺ .. واحذر أن تسأل الذي يسد دونك بابه، ويظهر لك فقره، ويخفى عنك غناه، وتترك من يفتح لك بابه، ويظهر لك غناه..

لا تسألن بني آدم حاجة	وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله	وإذا سألت بني آدم يغضب

احذر أن تترك الذي ينادي عليك.. ويقول: «**يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، وقفوا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل واحد منكم مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ..**»[2].

احذر أن تترك باب الذي ينادي عليك.. ويقول: «**يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي**»[3].

لا تترك بابه إلى باب غيره.. وأحسن الظن به، يستجب لك دعوتك.. فهو الذي يقول: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني**»[4].

---

(١) «الرسالة القشيرية» (ص١٤٧) للإمام القشيري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) حسن: رواه الترمذي، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٦٣٠).

(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة.

توجه إليه وحده، وأشهر سلاحك، فإنه يستحي أن يردك منهزمًا.. « **إن الله حييٌّ كريم، يستحي إذا رفع الرجل يديه أن يردهما صفر اليدين** »[١].

إذا همك أمر.. إذا خيم الخوف على قلبك.. وسيطر الحزن عليك، فأشهر سلاحك.. فهو أكرم شيء عليه.. قال ﷺ: « **ليس شيء أكرم على الله من الدعاء** »[٢].

ومن يكثر قرع الباب، يوشك أن يفتح له، ومن يكثر من الدعاء، يوشك أن يستجاب له، فألحوا في الدعاء.. قال ﷺ موجهًا أمته إلى أدب من آداب الدعاء: « **يستجيب الله لأحدكم ما لم يدع بإثم، أو قطيعة رحم، أو يستعجل** » قالوا: وما الاستعجال يا رسول الله؟

قال: « **يقول: قد دعوتك يا رب.. قد دعوتك يا رب.. فلا أراك تستجيب لي، فيتحسر عند ذلك، فيدع الدعاء** »[٣].

وإذا توجهت إلى مولاك بالدعاء، فاعزم المسألة، ولا تقل، اشفني إن شئت، أو اغفر لي إن شئت.. قال ﷺ: « **لا يقل أحدكم: اللهمَّ اغفر لي إن شئت، اللهمَّ ارزقني إن شئت، ليعزم مسألته، فإنه يفعل ما يشاء، لا مكره له** »[٤].

أحبتي في الله..

اجتهدوا في الدعاء، وأكثروا من الثناء، وعظموا الرجاء، وتحلوا بآداب الدعاء فإن خزائن الله ملأى، ويديه سحاء الليل والنهار، لا تغيضها نفقة، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض..

قال ابن عيينة - رحمه الله -: لا يمنعن أحدكم الدعاء ما يعلم من نفسه - يعني التقصير - فإن الله ﷻ قد أجاب شر خلقه، وهو إبليس، حين قال: أنظرني إلى يوم يبعثون..

---

(١) صحيح: رواه أبو داود وابن حبان والحاكم والترمذي، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٦٣٥).

(٢) حسن: رواه الترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وحسنه الألباني في « الترغيب » (١٦٢٩).

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود.

تضرعوا إلى ربكم، ولو كنتم مذنبين.. فقد تضرع أبوكم آدم عليه السلام هو وأمنا حواء بعد أن وقعوا في الذنب، وبدت لهما سوآتهما، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة.. وإذ بهما يرفعان أكف الضراعة له جل في علاه، بهذا الدعاء العجيب: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

ونبي الله نوح عليه السلام يستخدم هذا السلاح العجيب بعدما يئس من قومه، وقيل له: ﴿ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ... ﴾ [هود: ٣٦]، فقال: ﴿ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر: ١٠]، فكانت النتيجة: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝ ﴾ [القمر: ١١-١٣]، وحمل المؤمنين الصادقين معه على السفينة، وطلب من ولده أن يلحق بركب المؤمنين لكنه رفض، فكان من المغرقين، فيقول لربه ومولاه: ﴿ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴾ [هود: ٤٥]، فيقال له: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ﴾ [هود: ٤٦] وينهى عن السؤال عما ليس له به علم، وينهى أن يكون من الجاهلين، فيعلم أنه سيهلك إلا أن يتداركه الله بعفوه، فيشهر السلاح المنجي من الهلكة.. ﴿ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [هود: ٤٧].

لقد تواطأت دعوة الأبوين آدم عليه السلام ونوح عليه السلام أن الخسران في عدم الرحمة والغفران، من الكريم المنان..

وها هو الخليل إبراهيم عليه السلام يناجي ربه بعد أن نفذ أمره، وجاء بزوجه وابنه وتركهما بين الجبال وحيدين، بلا أنيس ولا جليس، يناجي ربه بتلك الدعوات ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وقال: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ۝ ﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١].

أحبتي في الله..

إنَّ الدعاء هو العبادة، لأن فيه إظهار الافتقار إلى الله تعالى، والتبري من الحول والقوة، إلا به، وهو سمة العبودية، وإقرار بذل البشرية، وفيه ثناء على المولى وإقرار

بفضله وكرمه، وإقرار بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، فالداعي له، يعلم أنه سميع قريب، قدير مجيب، وغير ذلك من صفات كماله، وهو ما استشعره صفوة الخلق عليهم السلام، فرموا حبالهم، وأنشبوا في أرضه مرساتهم، قال زكريا عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴾ [مريم: ٤]، إلى قوله: ﴿ فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦ ﴾ [مريم: ٥-٦] ونبي الله أيوب عليه السلام، يدعوه قائلاً: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣] بعدها قال الرب عز وجل: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

وتأملوا كيف امتدح الله هؤلاء الصفوة من خلقه، فقال: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

قال سفيان الثوري - رحمه الله -: رغبًا بما عندنا، ورهبًا مما عندنا..

أحبتي الكرام..

لعل سائلاً يقول: لماذا لا يستجيب الله منا الدعاء؟

إنَّ المتأمل في أوضاع الأمة وحالها، يلحظ أنها في كثير من مواطنها وأوضاعها اختارت غير ما اختار الله عز وجل.. ودانت بمناهج على غير منهج رسولنا وحبيبنا ﷺ اختلطت عليها السبل، تغيرت أحوال الكثير منهم، وفرطوا في دينهم.. أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، وأكلوا الربا، وفشا فيهم الفحش، تركوا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واتبعوا خطوات الشيطان وتمادوا في معصية الرحمن، وأحبوا طريق الشيطان..

هذه أكثر الأمور التي تتسبب في عدم إجابة الدعاء، لأن الذنوب والمعاصي قد تكون حائلة من إجابة الدعاء، خاصة أكل الحرام..

ذكر عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد لأبيه: «أن بني إسرائيل أصابهم بلاء، فخرجوا مخرجًا، فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى الصعيد بأبدان نجسة، وترفعون أكفًا قد سفكتم بها الدماء، وملأتم بها بيوتكم من الحرام، الآن حين اشتد غضبي عليكم، لن تزدادوا مني إلا بُعدًا»[1].

---

(١) «الزهد» للإمام أحمد.

ورسول الله ﷺ يقول: «**أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يقول: يا رب.. يا رب.. ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك**»[١].

إنَّ من المصيبة كل المصيبة، والرزية كل الرزية، أن يحال بين المرء وبين الدعاء، عندما تنزل به الملمات، وتشتد به الكربات، فلا يضرع إلى الله، ولا يلجأ إليه، بأن يكشف الله ضره، ويفرج همه..

اللهمَّ يا كاشف الضر والبلوى.. ويا سامع كل نجوى.. ويا مغيث المستغيثين ومفرج هم المهمومين.. يا حنان يا منان.. نسألك المعروف بالإحسان.. أن لا تردنا خائبين، ولا من عطاياك مفلسين.. ولا عن بابك مطرودين.. وأمنًا من فزع يوم الدين..

اللهمَّ اعصمنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.. وعافنا في الدارين من المحن.. نحن نرفع أكف الضراعة إليك.. نرجو رحمتك.. ونخشى عذابك.. فعاملنا بعفوك.. وألحقنا بالصالحين.. يا عزيز يا غفار.. نجنا من النار.. وأيقظنا لنتدارك بقايا الأعمار.. وهب لنا ما وهبته لعبادك الأخيار.. واغفر لنا يا رب العالمين..



(١) رواه مسلم.

الوصية رقم (٢)

تذوقوا طعم الإيمان

عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**»[١].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

لا يخفى على مسلم أن للإيمان أركان وثمرات، ومن تلك الثمرات ما قد يجده البعض من أهل الإيمان من إحساس داخلي، فيتلذذ به، وهو ما يعبر عنه بحلاوة الإيمان.. لكن ما هي الوسائل التي توصل المسلم إلى هذه الثمرة، أو هذه النتيجة؟

يدلنا طبيب القلوب ﷺ في هذا القبس النبوي على ما يتمكن به المسلم من الحصول على أسباب تذوق حلاوة الإيمان.. يرويه لنا الصحابي الجليل خادم النبي ﷺ وكان من أقرب الناس إليه.. يقول عنه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء:

صحب أنس بن مالك ﷺ النبي ﷺ أتم الصحبة، ولازمه أكمل الملازمة منذ أن هاجر، وإلى أن مات وغزا معه أكثر من مرة، وبايع تحت الشجرة.. روى الترمذي وغيره أنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما ضربني، ولا سبني، ولا عبس في وجهي.. دعا له النبي ﷺ بكثرة المال والولد، فاستجيب دعاؤه ﷺ فبلغ أولاده قبيل موته أكثر من مائة..

هذا الصحابي الكريم يأتينا من أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية بالأسباب التي تجعل المسلم يتذوق طعم الإيمان..

فهل للإيمان طعم ومذاق؟ هل له حلاوة؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي.

نعم.. للإيمان طعم يفوق كل الطعوم، وله مذاق يعلو على كل مذاق، ونشوة دونها نشوة..

وكما أن البدن بحاجة إلى غذاء لمواصلة الحياة.. فالروح كذلك بحاجة إلى غذاء روحي لمواصلة طريق الإيمان.. وهذا الغذاء، له مذاق، وطعم خاص، لا يشعر به الكثير من الناس، فكما أن للعسل طعم حلو، لا يتذوقه إلا من كان ليس به سقم، ولا مرض.. فهكذا حال المؤمن، الذي يطيع الله ورسوله.. فهو يتذوق طعم الإيمان وحلاوته..

وقد عبر النبي ﷺ بالحلاوة، لأن الله ﷻ شبه الإيمان بالشجرة في قوله ﷻ: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ... ﴾ [إبراهيم: ٢٤] فالكلمة هي كلمة الإخلاص والشجرة أصل الإيمان، وأغصانها اتباع الأوامر، واجتناب النواهي، وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير، وثمرها عمل الطاعات، وحلاوة الثمر، جني الثمرة، وغاية كماله تناهى نضج الثمرة، وبه تظهر حلاوتها.

حلاوة الإيمان: استلذاذ الطاعات، وتحمل المشقات في رضا الله ﷻ.. وهي انشراح الصدر، ولذة القلب..

للإيمان طعم وحلاوة لا يتذوقها إلا من كان لذلك أهلاً.. لأن الإيمان إذا باشر القلب، وخالطته بشاشته له من الحلاوة في القلب، واللذة والسرور والبهجة، ما لا يمكن لأحد أن يعبر عنه لمن لم يذقه.. كما ذكره الصالحون.. وهذا فضل الله ﷻ.. ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١] ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

من ذاق طعم الإيمان، فمن الصعب أن يتركه، حتى إنه ليتفانى في سبيله ويضحي بكل شيء من أجله..

ذاق هذه الحلاوة، وذاق هذا الطعم اللذيذ أمثال بلال بن رباح رضي الله عنه وأرضاه.. يقول عبد الله بن مسعود ﷺ: أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد ﷺ.. فأما رسول الله ﷺ

فمنعه الله بعمه وأما أبو بكر منعه الله بقومه، وأما سائرهم، فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدرع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد أتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأخذوه، فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحدٌ أحدٌ[1].

كان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة، فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحدٌ أحدٌ[2].

وهكذا يستعلي بلال ﷺ بإيمانه، فكان يستعذب العذاب في سبيل رضا الله، لأنه وجد في قلبه حلاوة الإيمان.. لأن قلبه قد خالط بشاشة الإيمان.. كان بلال يستعذب العذاب في سبيل رضا ربه ومولاه مع أنه سبحانه قد رخص للمؤمنين وقتها أن ينطقوا بكلمة الكفر، طالما أن قلوبهم مطمئنة بالإيمان، لكي ينجو كل واحد منهم من بطش هؤلاء المجرمين، ولكن بلالًا كره أن يشمت أعداء الإسلام بالإسلام وأهله، وأراد أن يلقن الكون كله درسًا، وهو أن المؤمن لو اجتمعت عليه الدنيا بأسرها، فلن تستطيع أن تحرك ذرة واحدة من جبال الإيمان الراسخة في قلبه..

أحبتي الكرام..

ذاق حلاوة الإيمان رجل عظيم كسيدنا عبد الله بن حذافة - رضي الله عنه وأرضاه - إنه يسطر على جبين التاريخ صفحة مضيئة لا ينساها الموحدون مادامت أرواحهم في أجسادهم..

عن أبي رافع، قال: وجه عمر بن الخطاب جيشًا إلى الروم، فأسروا عبد الله بن حذافة فذهبوا به إلى ملكهم، فقالوا له: إنَّ هذا من أصحاب محمد..

فقال: هل لك أن تتنصر، وأعطيك نصف ملكي؟

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٨٤)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٤٩).

(٢) «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٦٢).

قال: لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما تملك العجم، وما تملك العرب، ما رجعت عن دين محمد ﷺ طرفة عين.

قال: إذن أقتلك.. قال: أنت وذاك، فأمر به فصلب، وقال للرماة: ارموا قريبًا منه - أي من جسده - وهو يعرض عليه ويأبى، فأنزله، ودعا بقدر فصب فيها ماء حتى احترقت، ودعا بأسيرين من المسلمين، فأمر بأحدهما، فألقي فيها، وهو يعرض عليه النصرانية، فيأبى، ثم بكى، فقيل للملك: إنه بكى، فظن أنه قد جزع..

فقال: ردوه.. ما ابكاك؟

قال: قلت: هي نفس واحدة، تلقى الساعة، فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفس تلقى في النار في الله - أي في سبيل رضاه سبحانه -.

فقال الطاغية: هل لك أن تقبل رأسي، وأخليّ عنك؟

فقال له عبد الله: وعن جميع الأسارى؟ قال: نعم.. فقبّل رأسه..

فأطلقه هو ومن معه من أسرى المؤمنين.. فقدم بهم على عمر بن الخطاب ﷺ فأخبره خبره.. فقال عمر: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ، فقبَّل رأسه[1].

وفي رواية أنه لما أسروه، أمر به ملكهم، فجرب في أشياء صبر عليها، ثم جعلوه في بيت وفيه الخمر، ولحم الخنزير، فظل ثلاثًا لا يأكل، فاطلعوا عليه، فقالوا للملك: قد انثنى عنقه، فإن أخرجته وإلا مات، فأخرجه..

فقال له: ما منعك أن تأكل وتشرب؟

قال: أمَّا للضرورة فقد أحلها الله لي، ولكني كرهت أن أشمتك بالإسلام..

قال: فقبِّل رأسي، وأخلي لك مائة أسير.. قال: أمَّا هذه فنعم..

وجد حلاوة الإيمان رجلاً مثل هذا الذي نفذ الرمح في صدره حتى وصل إلى ظهره، فما كان إلا أن قال: فزت وربّ الكعبة.. إنه حرام بن ملحان..

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٣/ ٢١٢).

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل ما فوق التراب تراب

ذاق حلاوة الإيمان رجل مثل «عمير بن الحمام» ﷺ في غزوة بدر، لما دنا العدو، قام رسول الله في أصحابه فوعظم، وذكرهم بما لهم في الصبر والثبات.. فقام عمير، فقال: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم».

قال: بخٍ بخٍ يا رسول الله..

قال: «ما يحملك على قولك: بخ بخٍ؟»، قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها.. قال: «فإنك من أهلها»..

فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، وقاتل في سبيل الله، حتى قتل[1].. فكان أول قتيل من الأنصار..

إنه استعذب الجهاد في سبيل الله، وشعر بحلاوة الإيمان، حتى روي أنه كان وهو داخل في معركة القتال ينشد قائلاً:

ركضًا إلى الله بغير زاد ... إلا التقى وعمل المعاد

والصبر في الله على الجهاد ... إن التقى من أعظم السداد

وخير ما قاد إلى الرشاد ... وكل حيٍّ فإلى نفاد

وجد حلاوة الإيمان خبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، وعاصم بن ثابت ﷺ لما أسروا خبيب بن عدي في مكة ليقتلوه، فلما خرجوا به قال لهم: دعوني أصلي ركعتين، فتركوه، فركع ركعتين، فقال: والله لولا أنكم تحسبوا أن ما بي جزع، لزدت، ثم قال: اللهمَّ احصهم عددًا، واقتلهم بددا، ولا تبق منهم أحدًا، ثم أنشأ يقول:

فلست أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أي جنب كان في الله مصرعي

---

(١) رواه مسلم.

وذلــــك في ذات الإلـــه وإن يــشأ يــبارك عــلى أوصــال شـلو ممـزع

وجد حلاوة الإيمان، واستعذب الجهاد، والقتل في سبيل أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.. وفي سبيل كراهة الرجوع إلى الكفر.. هذا الصحابي الجليل: «عبد الله بن جحش» ﷺ وهو من السابقين الأولين في الإسلام.. فعن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص قال: حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد: ألا ندعوا الله؟ فخلوا في ناحية، فدعا عبد الله بن جحش، فقال: يا رب، إذا لقيت العدو فلقني رجلاً شديدًا بأسه، شديدًا حرده، أقاتله فيك، ويقاتلني، ثم يأخذني، فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدًا، قلت: يا عبد الله، من جدع أنفك وأذنك؟ فأقول فيك، وفي رسولك فتقول: صدقت..

قال سعد: فقد لقيته آخر النهار، وإن أذنه وأنفه لمعلقتان في خيط[1]..

الله أكبر..

أحبتي الكرام..

أعيد عليكم وأكرر هذه العبارة (من ذاق طعم الإيمان فمن الصعب أن يتركه، وإنه ليتفانى في سبيله، ويضحي بكل شيء من أجله..) في كل وقت وحين.. في حركات العبد وسكناته.. في ليله ونهاره.. لذلك أمرنا رسول الله ﷺ أن نقول دائمًا: «**رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا**»، ولذلك قال: «**ذاق طعم الإيمان ..**» من هذا الذي يذوق طعم الإيمان، ويشعر بحلاوته ولذته؟ يقول: «**من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً**»[2].

حلاوة الإيمان لها ثمن باهظ.. حلاوة الإيمان، لها آثار مباركة.. وأول منافذها للوصول إلى حلاوة الإيمان، وطعم السعادة: الرضا بالله ﷻ ربًا مدبرًا، فهو القائم على كل نفس بما كسبت.. خالق الموت والحياة والأكوان.. يسبغ النعم.. مجيب المضطر إذا دعاه.. وكاشف السوء.. من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، من سوى الإنسان ونفخ فيه من روحه.. وأطعمه من جوع.. وكساه من عرى.. وآمنه من خوف.. وهداه من

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ١٩٩)، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وأبو داود.

الضلالة.. وعلمه بعد الجهالة.. إيمان بالله.. تستسلم معه النفس لربها، وتنزع إلى مرضاته، تتجرد عن أهوائها ورغباتها.. تعبده سبحانه وترجوه، تخافه وتبتهل إليه.. بيده الأمر كله.. إليه يرجع الأمر كله.. رضى بالله ويقين يدفع العبد إلى أن يمد يديه متضرعًا مخلصًا: « **اللهمَّ إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك** »(١).

ثمن حلاوة الإيمان: [أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما].

قال العلماء في شرحها: أن يكون الله في قرآنه، والرسول في سنته، أحبّ إلى المؤمن مما سواهما..

حين تتعارض مصلحتك مع الشرع، قدم الشرع، ورضا الله، واختار طاعة الله ورسوله على هوى النفس وغيرها، فيكون الله تعالى عندهم هو المحبوب بالكلية.. فلا يخافون في الله لومة لائم..

محبة الرسول لا يعلو عليها محبة، بل هي مقدمة على محبة النفس والوالد والولد والناس أجمعين.. لما جاء عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: « **لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك** »، فقال عمر: فإنه الآن والله، لأنت أحب إليَّ من نفسي..

فقال له النبي ﷺ: « **الآن يا عمر** »(٢).

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده، والناس أجمعين** »(٣).

وهذه المحبة يلزمها الاستجابة لأمر الله ﷻ، وأمر رسوله ﷺ والانتهاء عما نهى الله عنه، ورسوله، مع الرضا والتسليم التام. قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ...** ﴾ [آل عمران: ٣١].

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

(٢) رواه البخاري (٦٦٣٢).

(٣) متفقٌ عليه.

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

أحبتي في الله..

وثمن حلاوة الإيمان: [أن يحب المرء لا يحبه إلا لله] وهذا يعني أن يبني المؤمن علاقاته على أساس الإيمان، يوالي المؤمنين، ولو كانوا ضعافًا وفقراء.. ويبغض العصاة والفسقة، ولو كانوا أغنياء..

وحقيقة الحب في الله: أن لا يزيد بالبر، ولا ينقص بالجفاء..

هذا الحب الإيماني الصادق.. هذه الحلاوة الإيمانية تذوقها الصحابي الجليل سعد بن الربيع الأنصاري عندما عرض على أخيه المهاجري عبد الرحمن بن عوف قائلاً له: إني أكثر الأنصار مالاً، فاقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك، فسمّها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها، فتزوجها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع..

تذوق هذه الإخوة، وهذه الحلاوة الإيمانية الصادقة، هذا الرجل الأنصاري عندما جاء رجل إلى الصادق المصدوق ﷺ يسأله أن يضيفه.. وإذا بالحبيب ﷺ يرسل إلى نسائه، فيقلن: والله يا رسول الله ما عندنا إلا الماء، فيقول رسول الله ﷺ: «من يضيف هذا؟»، فقام هذا الرجل، وأخذه، وانطلق به على امرأته، قائلاً لها: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال لها: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك، إذا أرادوا عشاءً، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت وكأنها تصلح السراج، فأطفأته.. فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، وأكل الضيف وشبع، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال له: «ضحك الله الليلة - أو عجب - من فعلكما - أو من صنيعكما»[1]. فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩]. هذا الحب لا لصنيعة سبقت من المهاجرين إلى الأنصار، أو ليد كانت عليهم.. إنما هو الحب في الله..

---

(١) رواه مسلم.

ذاق حلاوة الإيمان، في الأخوة الصادقة (إبراهيم بن أدهم) - رحمه الله - عندما خرج في سفر، ومعه ثلاثة نفر، فدخلوا مسجدًا في بعض المفاوز، والبرد شديد، وليس للمسجد باب، فلما ناموا، قام إبراهيم، فوقف على الباب إلى الصباح، فقيل له: لِمَ لم تنم؟ فقال: خشيت أن يصيبكم البرد، فقمت مقام الباب»[١].

ذاق حلاوة الإيمان.. وحلاوة الأخوة الإيمانية الصادقة أبو بكر القرظي وأبو عمرو الآدمي، وكانا متآخيين في الله تعالى - لما خرجا من بغداد يريدان الكوفة، فلما سارا في بعض الطريق، إذا بسبعين رابضين على الطريق، فقال أبو بكر لأبي عمرو: أنا أكبر منك سنًّا، فدعني أتقدمك، فإن كان حادثة - أي إن اعتدى عليَّ السبعين - اشتغلا بي عنك، وجزت أنت..

فقال له أبو عمرو: نفسي لا تسامحني بهذا، ولكن نكون جميعًا في مكان واحد فإن كانت حادثة، كنا جميعًا.. فجازا جميعًا بين السبعين ولم يتحركا ومرا سالمين[٢].

إذا أحب المرء أخاه في الله، ذاق حلاوة الإيمان، وأظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. قال أفضل الخلق ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**»[٣]. ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه.. إذا أحببت أخاك في الله، ولله، أحبك الله ﷻ.. قال الله ﷻ في الحديث القدسي الجليل: «**حقت محبتي للمتحابين فيَّ**»[٤].

وقال: «**المتحابون فيَّ على منابر من نور يغبطهم عليها الأنبياء والشهداء يوم القيامة**»[٥].

---

(١) «التبصرة» لابن الجوزي (٢/ ٣٠١).

(٢) «التبصرة» (٢/ ٣٠٢، ٣٠٣) لابن الجوزي.

(٣) متفقٌ عليه.

(٤) صحيح: رواه أحمد بإسناد صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٠٢٠)، و«صحيح الجامع» (٤٣٢١).

(٥) صحيح: رواه الترمذي وصححه، وذكره الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣١٢).

أحبتي الكرام..

وثمن حلاوة الإيمان: أن يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يقذف في النار.. فهناك أناس يعبدون الله ﷻ على حرف، فإن أصابه خير، اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، خسر الدنيا والآخرة.. إذا أقبلت إليه الدنيا آمن، وإذا أدبرت، تبرأ من الإيمان، وعاد إلى ما كان عليه.. لكن المؤمن الحق، لا يتأثر بإقبال الدنيا، ولا بإدبارها.. بل إنه ثابت الجنان.. صاحب عطاء في المنشط والمكره.. في الفقر والغنى.. في الصحة والمرض..

ذاق حلاوة الإيمان امرأة مثل ماشطة بنت فرعون، التي كرهت أن تعود في الكفر، وفضلت أن تقذف في النار، ولا تعود إليه..

عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «لما كانت الليلة التي أسري بيِّ فيها، أتت عليَّ رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل، ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها.. قال: قلت: وما شأنها؟ قال: بينما هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقط المدرى من يدها، فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك الله.. قالت: أخبره بذلك؟ قالت: نعم، فأخبرته فدعاها، فقال: يا فلانة، وهل لك ربٌّ غيري؟ قالت: نعم، ربي وربك الله، فأمر ببقرة من نحاس، فأحميت، ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها.. قالت: إن لي إليك حاجة.. قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد، وتدفننا.

قال: ذلك لك علينا من الحق.

قال: فأمر بأولادها، فألقوا بين يديها واحدًا واحدًا، إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضع، وكأنها تقاعست من أجله.. قال: يا أمه، اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فاقتحمت[1].

---

(١) حسن: رواه أحمد في مسنده (٣/ ٣٠٩)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٦٥): رواه أحمد والبزار والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وفيه عطاء بن السائب، وهو ثقة ولكنه اختلط.

وأصحاب الأخدود وقبلهم الغلام، ذاقوا حلاوة الإيمان.. لأنهم كرهوا أن يعودوا إلى الكفر كما يكره الإنسان أن يقذف في النار..

وعن خباب ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: ألا تدعو الله؟ فقعد وهو محمر الوجه، فقال: « **قد كان من قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون** »[1].

اللهمَّ يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك.. ثبت قلوبنا على طاعتك..

اللهمَّ أعنا ولا تعن علينا.. وانصرنا ولا تنصر علينا، وامكر لنا ولا تمكر بنا، وانصرنا على من بغى علينا..

اللهمَّ اجعلنا شاكرين لك.. تقبل توبتنا.. واغسل حوبتنا.. وأجب دعوتنا.. وثبت حجتنا، واهد قلوبنا، وسدد ألسنتنا.. واسلل سخيمة قلوبنا، يا من تسمع كلامنا وترى مكاننا وتعلم سرنا وعلانيتنا، ولا يخفى عليك شيء من أمرنا يا من أظهر الجميل وستر القبيح.. اغفر لنا وتب علينا.. إنك أنت التواب الرحيم..



(١) رواه البخاري وأحمد وأبو داود والنسائي.

الوصية رقم (٣)

آخر وصية للحبيب محمد ﷺ

عن أم سلمة – رضي الله عنها – أنها قالت: كان من آخر وصية لرسول الله ﷺ: «**الصلاة.. الصلاة.. وما ملكت أيمانكم**»[١] حتى جعل النبي ﷺ **يلجلجها في صدره،** وما يفيض بها لسانه..

وفي السلسلة الصحيحة: «**اتقوا الله في الصلاة، وما ملكت أيمانكم**»[٢].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

هذه الوصية المباركة خرجت من أطهر **فم عرفه العالم كله، فم سيد الأولين** والآخرين، وإمام النبيين، وقائد الغرِّ المحجلين ﷺ خرجت **من فم من لا ينطق عن** الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى.. ومتى خرجت؟ **خرجت هذه الوصية من أعظم أستاذ** للبشرية عرفته الدنيا يوم أن فاضت روحه إلى الرفيق الأعلى، **وهو يجود بها ويجود** بأنفاسه الطاهرة إلى ربه ومولاه.. كانت آخر وصية منه للأمة، **كانت آخر كلمات تكلم** بها لسانه، قال أنس ﷺ كان عامة وصية رسول الله **حين حضرته الوفاة، وهو يغرغر** بنفسه: «**الصلاة، وما ملكت أيمانكم**»[٣].

وقال عليٌّ ﷺ كان آخر كلام النبي ﷺ: «**الصلاة وما ملكت أيمانكم**»[٤].

وهذا يدل على مكانة الصلاة في الإسلام، وعند سيد الأنام.. **فهي قرة عيون** الموحدين.. ولذة أرواح المحبين.. وهي بستان العارفين.. **وثمرة الخاشعين.. لما أراد**

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده والبيهقي في «الشعب»، وابن ماجة، **وصححه الألباني في «صحيح الجامع»** (١٠٥)، و«صحيح الترغيب» برقم (٢٢٨٦)، و«**صحيح سنن ابن ماجة**» (١٦٢٥).

(٢) صحيح: «صحيح الجامع» و«الصحيحة» (٨٦٨).

(٣) صحيح: رواه أبو داود وابن ماجة، وصححه الألباني في «**صحيح الترغيب**» (٢٢٨٥).

(٤) انظر ما قبله.

ربنا أن يفرضها على حبيبه فرضها عليه وهو في أعلى منزلة، وأسمى مقام، في مقام قال له الأمين جبريل: تقدم يا محمد، فإنك إن تقدمت اخترقت أنوار الجمال، وإن تقدمت أنا احترقت بأنوار الجلال، وما منا إلا له مقام معلوم.. رفعه إلى هذا المقام العظيم، ثم خاطبه بفرضها، ووعده بعظيم أجرها.. جاء في الصحيحين أنه ﷺ قال في قصة الإسراء والمعراج:

«فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد.. قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم.. قيل: مرحبًا به، فنعم المجيء جاء.. قال: ففتح، ثم مازال ﷺ يصعد في السموات، حتى وصل إلى السماء السابعة.. قال: ثم صعد بي إلى السماء السابعة، فاستفتح جبرائيل.. قيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد.. قيل: أوبعث إليه؟ قال: نعم.. فقيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء.. فلما خلصت إذا بإبراهيم عليه السلام.. قال: هذا أبوك إبراهيم، فسلم عليه، فسلمت عليه، فردَّ السلام، ثم قال: مرحبًا بالابن الصالح، والنبي الصالح، ثم رفعت إلى سدرة المنتهى.. ثم فرض عليَّ الصلوات خمسون صلاة كل يوم.. فرجعت فمررت على موسى عليه السلام، فقال: بما أمرت؟ فقلت: أمرت بخمسين صلاة كل يوم.. قال: إنَّ أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم.. وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة.. فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك.. فرجعت فوضع عني عشرًا.. فرجعت إلى موسى، فقال مثله.. فرجعت حتى أمرت بعشر صلوات كل يوم.. فقال مثله.. فرجعت، فأمرت بخمس صلوات كل يوم.. فرجعت إلى موسى، فقال: بم أمرت؟ فقلت: بخمس صلوات كل يوم.. قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم.. وإني قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك.. فقال: إني سألت ربي، حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلم.. قال ﷺ: فلما جاوزت ناداني مناد.. أمضيت فريضتي.. وخففت عن عبادي»[1].

فلنحمد الله ﷻ الذي أذن لنا بالوقوف بين يديه.. والإقبال بالقلوب عليه.. وشكاية الحاجات إليه..

---

(١) رواه البخاري.

الصلاة صلة بين العبد وربه سبحانه.. إنك إذا أردت أن تقابل ملكًا أو عظيمًا، تلمست الوسائط، وانتظرت الوقوف الطويل، وربما تحظى بلحظة أو لحظات، ربما تحظى بقليل من الوقت.. وليس النظر إليك متوجه.. وليس الحديث إليك منصرف.. كل ذلك لتقابل عبدًا من العبيد ربما كانت منزلته عند الله ﷻ حقيرة دنيئة، حتى من كثير من الناس.. ثم أنت يتاح لك الأمر، وتفتح لك الأبواب، ويهيئ لك اللقاء، ليس مرة، ولا اثنتين، ولا ثلاثًا، ولا أربعًا، بل خمس مرات، بل إن شئت زيادة فالباب مفتوح..

فهذه صلة بينك وبين ربك ومولاك، فهل ترى أحدًا يُهيئ له مواعيد مفتوحة دائمة مع الملك أو الأمير أو الوزير، ثم يتأخر، ولا يقبل..

والصلاة بعد ذلك لذة، كان النبي ﷺ يقول عنها: «**أرحنا بها يا بلال**»(١).

وكان يقول: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»(٢).

لأنه كان يجد فيها أنس نفسه، وطمأنينة قلبه، وانشراح صدره.. كان يجد فيها حلاوة لا تعادلها حلاوة.. بل كان إذا حزبه أمر من الأمور، فزع إلى الصلاة.. لأن بها تستنزل الرحمات.. ففي غزوة الأحزاب.. لما بلغت القلوب الحناجر.. وهرب كل منافق وفاجر.. وقد حفر المسلمون بينهم وبين عدوهم خندقًا، وأظلم الليل، واشتد البرد فأراد النبي ﷺ أن يعرف حال الكفار، فأقبل على أصحابه، ثم قال لهم: «**من رجل منكم يذهب وينظر لي خبر القوم، ويكون رفيقي في الجنة؟**».

فما تحرك أحد.. فمر عليهم، ثم قال: «**قم يا حذيفة**».. قال حذيفة: فما كان لي بدٌّ إذ أمرني رسول الله ﷺ أن أقوم إلا أن أقوم، فقمت، فقلت: لبيك يا رسول الله؟ قال: «**فادخل في القوم، فانظر ما يفعلون، ولا تحدثن شيئًا حتى تأتينا**».

قال حذيفة: فنزلت في الخندق، ثم صعدت، فإذا المشركون كثير، وإذا من بينهم رجل يُصْلي يديه على نار، ثم يلصقهما بجانبيه..

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٩٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد والنسائي والطبراني، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٩٨)، و«الصحيحة» (٣٢٩١).

فنظرت فإذا هو قائد الجيش أبو سفيان.. فقلت في نفسي: إن أنا قتلته.. اضطرب أمرهم وانهزموا، فأخذت سهمًا من كنانتي أبيض الريش، فوضعته في كبد القوس، فلما شددته، تذكرت قول الرسول الأعظم: «لا تحدثن شيئًا حتى تأتيني ..» فأرجعت السهم في كنانتي.. ونظرت في حالهم.. فإذا الريح قد اشتدت عليهم، فما تقر لهم قدرًا، ولا نارًا، ولا بناء.. فدخلت في إحدى الخيام.. فجلست بينهم في الظلمة.. فلما شعر أبو سفيان أن رجلاً قد دخل في القوم، صاح بهم قائلاً: يا معشر قريش، لينظر كل امرئ منكم، من جليسه؟

قال حذيفة: فخفت أن يسألني الذي بجانبي، فيفتضح أمري، فبادرت وصحت به: من أنت؟ قال: أنا فلان بن فلان.. فسكت عنه، فلما رأى مني ذلك، هاب أن يسألني فنجوت، وخرجت من بينهم، وعدت إلى رسول الله ﷺ فإذا هو قائم يصلي ويدعو الله ﷻ.. فلما رآني أدخلني إلى رحله، وطرح عليَّ طرف المرط، ثم ركع وسجد.. فلما سلم، أخبرته بخبر القوم.. ففرح وكبر[1]..

نعم.. هزم الله الأعداء.. ونصر الأولياء.. بصلاة ودعاء..

وهم كما قال مولانا ﷻ: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

فانظروا كيف فزع النبي ﷺ إلى الصلوات، فانكشفت عنه الهموم والكربات.. ومن قبل خير البريات، وسيد الكائنات، وحبيب خالق الأرض والسموات.. سيدنا زكريا عليه وعلى نبيِّنا أفضل الصلوات.. إنه النبي العابد القانت الزاهد.. الذي جاوز عمره السبعين.. ضعف جسمه، ووهن عظمه، واقتربت منيته.. فاشتهى أن يكون له ولد.. فلمن يتضرع؟ وممن يطلب؟ لقد رفع يديه إلى الذي خلقه فسواه.. وكان كما قال الله ﷻ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ [مريم: ٣-٦]. فقرعت دعواته أبواب السماء.. فنظر مولانا ﷻ إلى عبده الذي يدعوه

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٣٢)، و«السيرة» لابن كثير (٣/ ٢١٨).

ويتضرع إليه، فإذا هو عابد في محرابه، يترقب إحسان ربه ومولاه.. ويخاف عذابه وغضبه.. فإذا بالبشائر تتنزل عليه، وهو في صلاته.. في محرابه.. ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٩، ٤٠].

أحبتي في الله..

الصلاة.. بها يفتح الباب.. ويرفع الحجاب.. إنها مفتاح السعادة.. إذا أجدبت الأرض وانقطع القطر.. وهلك المال.. وجاع العيال، فإن الصلاة هي المفتاح. نصلي صلاة الاستسقاء..

إذا هم العبد بشيء من أمور دنياه.. أو احتار في فعل أمر أو تركه.. فإن الصلاة هي المفتاح.. فيصلي العبد صلاة الاستخارة..

إذا أذنب العبد أو عصى مولاه.. شرعت له الصلاة.. صلاة التوبة..

إذا ضاق به الصدر.. وتعسر عليه الأمر.. شرعت له الصلاة..

إذا كسفت الشمس أو القمر.. شرعت الصلاة.. فهي رأس القربات، وغرة الطاعات..

فالصلاة دائمة.. لا تنقطع في إقامة، ولا سفر.. لا في صحة ولا في مرض.. لا في سلم ولا في حرب.. لماذا؟ لأنك لا تستغني عنها.. لا تستغني عن استمداد نصر الله ﷻ.. واستمداد العون منه وحده.. ولذلك لا تجد في العبادات مثلها تكرارًا.. ولا تجد في العبادات مثلها استدامة.. لا تنقطع ولو إيماء.. وإن لم تصل قائمًا فصل جالسًا، فإن لم تستطع جالسًا، فصل على جنب.. على كل حال.. ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ... ﴾ [آل عمران: ١٩١].

خرج محمد بن واسع في جيش قتيبة بن مسلم، فلما التقى الصفان.. التفت قتيبة فلم ير ابن واسع، فأرسل بعض من عنده يطلبونه.. فلما عادوا إليه، قالوا: وجدناه ساجدًا يحرك أصبعه ويدعو..

فقال قتيبة: والله لأصبع محمد بن واسع في الجيش أحب إليَّ من ألف شاب طرير وسيف شهير.. فلما أتاه محمد بن واسع، قال قتيبة: أين كنت؟ فقال محمد: كنت أهز لك أبواب السماء..

الصلاة.. حياة وطهارة، ألم يقل إمام النبيين، وقائد الغرِّ المحجلين ﷺ **«أرأيتم لو أنَّ نهرًا بباب أحدكم، يغتسل منه خمس مرات كل يوم، هل يبقى من درنه شيء؟»**. قالوا: لا يا رسول الله.. قال: **«فذلك مثلُ الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا ويرفع الدرجات»**[1].

الصلاة مفتاح الرزق، ألم يقل مولانا سبحانه: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٣١ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝١٣٢ ﴾ [طه: ١٣١، ١٣٢].

أقبل رجل على التابعي الجليل ثابت البناني - رحمه الله - يستعين به على حاجة يريدها من بعض الكبراء، فمضى معه ثابت، فجعل لا يمر بمسجد إلا نزل، فصلى ركعتين، حتى وصل إلى الرجل فكلمه في الحاجة، فقضيت من فوره.

فالتفت ثابت إلى صاحبه، فقال له: لعله قد شق عليك وقوفي عند كل مسجد وصلاتي، قال: نعم.. قال: فما صليت صلاة إلا طلبت من الله حاجتك أن يقضيها، وها هي قد قضيت..

الصلاة مفتاح الجنان.. وطريق السلام.. ومجاورة الملك العلام.. قال النبي عليه الصلاة والسلام لبلال بن رباح ﷺ: **«يا بلال، حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام.. فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة؟»**، قال: يا رسول الله، ما عملت عملاً أرجى عندي، غير أني لم أتطهر طهورًا في ساعة من ليل أو نهار، إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي[2]..

وهذا ربيعة بن كعب ﷺ قال: كنت أخدم النبي ﷺ نهاري، فإذا كان الليل، آويت إلى باب رسول الله ﷺ فبت عنده، فقال لي يومًا: **«يا ربيعة، سلني، فأعطيك»** يقول

---

(١) رواه البخاري وغيره.

(٢) رواه مسلم.

ربيعة: فقلت: أنظرني حتى أنظر، فتذكرت أنَّ الدنيا فانية منقطعة.. فقلت: يا رسول الله، أسألك مرافقتك في الجنة..

وفي رواية قال: أسألك أن تدعو الله أن ينجيني من النار، ويدخلني الجنة.. فسكت رسول الله، ثم قال: «من أمرك بهذا؟»، قلت: ما أمرني بهذا أحد، ولكني علمت أن الدنيا منقطعة فانية، وأنت من الله بمكان، فأحببت أن تدعو الله لي.. قال: إني فاعل.. «وأعني على نفسك بكثرة السجود»[1].

وفي رواية في صحيح مسلم من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه قال له: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة.. فقال: «عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة، إلا رفعك الله بها درجة، وحطّ عنك بها خطيئة»[2].

اسجد لله.. ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩] فبقدر سجودك لله، بقدر رفعتك عند الله.. السجود لغيره ذلة.. والسجود له عزة وارتفاع.. «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»[3]. إذا سجد العبد، صرف هذا الشيطان الذي نكل عن السجود لمولاه، ولذلك يكون في هذا الوقت أدحر وأحقر وأحزن ما يكون عندما يرى العُبَّاد يسجدون لله ﷻ الذين مرغوا الجباه، وذرفوا الدموع، وأنطقوا الألسن بتسبيح ربهم الأعلى، وهم في الموضع الأدنى.. ثم تجدون هذا السجود بكل الأعضاء: بالجبهة، والأنف، واليدين والركبتين والرجلين.. لتعلم أنه لا حول ولا قوة إلا بطلب العون منه سبحانه وتعالى. وليعلم المصلي أنه ينبغي له أن يخضع لله ﷻ بكل جوارحه.. بصره إلى الأرض.. وجبهته في الأرض.. ويديه على الأرض.. وركبتيه في الأرض.. ورجليه كذلك.. وكله منكفئ نحو الأرض.. ليتذكر أنه منها خلق، وإليها يعود.. فإليه المنقلب والمصير..

أحبتي في الله..

لما علم الصالحون ذلك، اشتاقوا إلى الصلاة بأرواحهم.. وأقبلت عليها أجسادهم..

---

(١) صحيح لغيره: رواه الطبراني في «الكبير» وغيره، وذكره الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٨٨).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

كانت الصلاة لأحدهم ربيع قلبه.. وحياة نفسه.. وقرة عينه.. ولذة روحه وجسده.. بل هي ذهاب همه وغمه.. وجلاء حزنه..

كانوا يفزعون إليها عند النوائب.. ويلوذون بها في النوازل.. يتعرف بها أحدهم إلى الله ﷻ في الرخاء، فيعرفه في الشدة..

رحم الله عبادًا نصبوا أبدانهم لخدمة مولاهم.. وكابدوا العبادة حتى استمتعوا بها.. يقول ثابت البناني وعتبة الغلام - رحمهما الله تعالى -: كابدت الصلاة عشرين سنة، واستمتعت بها عشرين سنة.

كانوا إذا أقبل وقت الطاعة، اشتاقوا إليها.. وحنت أرواحهم للقيام بها، ورأوا الفوائد تأتي فيها، كما قال السري: «رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل»..

انظروا هؤلاء الأطهار، وتأملوا كيف كان حبهم للصلاة..

(١) الصحابي الجليل (الحارث بن حسان):

تزوج في ليلة من الليالي، فحضر صلاة الفجر مع الجماعة.. روى الطبراني عن عنبسة بن الأزهر قال: تزوج الحارث بن حسان، وكان له صحبة، فقيل له: أتخرج، وإنما بنيت بأهلك في هذه الليلة؟

فقال: إن امرأة تمنعني من صلاة الغداة لامرأة سوء[١].

(٢) وهذا (أبو عبد الرحمن السلمي):

إنه كان يحمل وهو مريض إلى المسجد، فقد أخرج ابن المبارك في الزهد عن سعد ابن عبيدة أن أبا عبد الرحمن السلمي، أنه كان يأمرهم أن يحملوه في الطين والمطر إلى المسجد، وهو مريض[٢].

وتأملوا حرص أبي عبد الرحمن السلمي أن يأتيه الموت، وهو في انتظار الصلاة في المسجد، ولذلك رفض الانتقال من المسجد إلى فراشه، لما حضرته المنية..

---

(١) إسناده جيد: قال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٤١)، رواه الطبراني بإسناد جيد.

(٢) «الزهد» لابن المبارك (ص ١٤١)، و«الطبقات» لابن سعد (٦/ ١٧٢).

فعن عطاء بن السائب قال: دخلنا على أبي عبد الرحمن السلمي، وهو يُقضى - أي ينزع - في المسجد، فقلنا له: لو تحولت إلى الفراش، فإنه أوثر، فقال - رحمه الله -: حدثني فلان أن النبي ﷺ قال: « **لا يزال أحدكم في صلاة مادام في مصلاه ينتظر الصلاة** »[1]. وفي رواية عند ابن سعد: « **والملائكة تقول: اللهمَّ اغفر له، اللهمَّ ارحمه** »[2]. قال أبو عبد الرحمن السلمي: فأريد أن أموت وأنا في مسجدي.

(٣) وهذا هو (سفيان الثوري) - رحمه الله -:

يقول ابن وهب: رأيت سفيان الثوري في الحرم بعدما صلى المغرب، قام ليصلي النافلة، فسجد سجدة، فلم يرفع رأسه حتى نودي بالعشاء. وقال علي بن الفضيل: أتيت أريد الطواف بالكعبة، فإذا سفيان ساجد يصلي، فطفت شوطًا، فإذا هو على سجوده.. فطفت الثاني، فإذا هو على سجوده، فلقد طفت تسعة وأربعين شوطًا، وهو لم يرفع رأسه.

وقال عنه عبد الرزاق - أحد تلاميذه -: لما قدم سفيان علينا، طبخت له سكباج - أي لحم مع الخل - فأكل ثم أتيته بزبيب الطائف، فأكل، ثم أتيته بالموز فأكل.. فلما انتهى من طعامه قام، ثم شد على وسطه إزاره، ثم قال: يا عبد الرزاق، يقولون: اعلف الحمار وكده، ثم قام يصلي حتى الصباح.

(٤) وهذا هو العابد الأواب (عبد العزيز بن سلمان) - رحمه الله -:

هذا الذي كانت السيدة رابعة العدوية تسميه: [سيد العابدين] كان يقول: ما للعابدين وما للنوم، لا نوم والله في دار الدنيا إلا نوم الغالب.

كان ابنه محمد يقول عنه: كان أبي إذا قام من الليل ليتهجد، سمعت في الدار جلبة شديدة واستقاء للماء الكثير، قال: فنرى أنَّ الجن كانوا يستيقظون للتهجد فيصلون معه[3]..

---

(١) رواه مسلم وأبو داود، و« الزهد » لابن المبارك (ص١٤١).

(٢) « طبقات ابن سعد » (٦/ ١٧٤).

(٣) « حلية الأولياء » (٦/ ٢٤٥) لأبي نعيم.

(٥) وهذا هو المرابط الصبَّار، والمجاهد الكرار (علي بن بكار):

بكى من خشية الله ﷻ حتى عمي.. وكانت له جارية تفرش فراشه، فيلتمسه بيده ويقول: والله إنك لطيب، والله إنك لبارد، والله ما علوتك ليلتي، ويظل يصلي حتى يطلع الفجر[1].

وهذا قليل من كثير، نسأل الله ﷻ أن يوفقنا للاقتداء بهم إنه ولي ذلك والقادر عليه.. فيا تاركًا للصلاة أنت خاسر.. أنت هالك..

خسر الذي ترك الصلاة وخابا ... وأبى معادًا صالحًا ومآبا

إن كان يجحدها فحسبك أنه ... أضحى بربك كافرًا مرتابا

أو كان يتركها لنوع تكاسل ... غطى على وجه الصواب حجابا

فالشافعي ومالك رأيا له ... إن لم يتب حد الحسام عقابا

والرأي عندي للإمام عذابه ... بجميع تأديب يراه صوابا

وآخر يقول:

يا تاركًا لصلاته ... إن الصلاة لتشتكي

وتقول في أوقاتها ... الله يلعن تاركي

اللهمَّ اجعلنا أغنى خلقك بك، وأفقر عبادك إليك..

اللهمَّ أغننا عمن أغنيته عنا..

اللهمَّ لا تجعل بيننا وبينك في رزقنا أحدًا سواك يا ذا الجلال والإكرام..

اللهمَّ ارحم هذه الأمة رحمة عامة تعز فيها أولياءك، وتذل فيها أعداءك..

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا.. ربنا إنك رؤوف رحيم..

---

(١) «الحلية» (٩/ ٣١٨).

الوصية رقم (٤)
صلِّ صلاة مودع

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**صلِّ صلاة مودع كأنك تراه، فإن كنت لا تراه، فإنه يراك**»(١).

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

هذه الوصية الموجزة من إمام النبيين ﷺ جاءت تلبية لرجل من الصحب الكرام طلب الوصية قائلاً له: يا رسول الله، حدثني بحديث، واجعله موجزًا، فكانت هذه الوصية.. وهي وصية لكل مسلم يصلي، ينبغي أن يقبل على الله ﷻ، ويخشع بقلبه وجوارحه، فالخشوع هو روح الصلاة، ومن أيقن أنه مقبل على عظيم شديد الانتقام، ذي القدرة والكمال، فجدير بأن يلازم غاية الأدب..

والصلاة صلة العبد بربه، فمن تحقق بالصلة، لمعت له طوالع التجلي، فيخشع ويصلي صلاة مودع، وقد شهد القرآن الكريم بفلاح الخاشعين في صلاتهم لرب العالمين، فقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١، ٢] أي خائفون من الله متذللون يلزمون أبصارهم مساجدهم، وعلامة ذلك أن لا يلتفت ببصره يمينًا ولا شمالاً، ولا يجاوز بصره محل سجوده، وقد صلى بعضهم في جامع، فسقطت ناحية منه، فاجتمع الناس عليها، ولم يشعر هو.. فليقبل العبد على ربه، ويستحضر بين يدي من يقف؟ وقد كان مكتوبًا في محراب داود عليه السلام: أيها المصلي، من أنت؟

ولمن أنت؟ وبين يدي من أنت؟ ومن تناجي؟ ومن يسمع كلامك؟ ومن ينظر إليك؟!

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٥٨٠) (جـ١٠/ ١٣٤)، وابن النجار، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٧٧٦)، و«صحيح الترغيب» (٣٣٥٠).

وقد جاءت هذه الوصية بلفظ آخر يقول فيه سيد النبيين ﷺ: « **إذا قمت في صلاتك، فصلِّ صلاة مودع، ولا تكلم بكلام تعتذر منه، واجمع الإياس مما في أيدي الناس** »[1].

وقال ﷺ: « **اذكر الموت في صلاتك، فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته، لحريٌّ أن يحسن صلاته، فصلِّ صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها، وإياك وكل أمر يعتذر منه** »[2].

وقال النبي المصطفى، والرسول المجتبى ﷺ: « **إنَّ أحدكم إذا قام يصلي، إنما يناجي ربه، فلينظر كيف يناجيه؟** »[3].

إنَّ العبد إذا وقف بين يدي مولاه، وخشع بقلبه وجوارحه، وصلى صلاة مودع كأنه يرى مولاه، فإن لم يكن يراه، فليستشعر العبد أن مولاه مطلع عليه ويراه وتلك أعظم المنازل وأسماها وأرفعها، منزلة الإحسان.. التي سأل عنها جبريل الأمين، سيد الأولين والآخرين، قائلاً له: وما الإحسان؟

قال: « **أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك** »[4].

ومنزلة الإحسان هي لب الإيمان، وروحه وكماله، وهي تجمع جميع المنازل، فجميعها منطوية فيها.. والعبد إذا وقف بين يدي مولاه، واستحضر بأنه مطلع عليه ويراه.. يسهل عليه الانتقال إلى ذلك المقام الأكمل، الذي هو مقام الشهود الأكبر.

أحبتي الكرام..

إن كنتم من مريدي الآخرة، فلا تغفلوا عن الدقائق - الدقائق الفقهية - ومتابعة سنة حبيبكم ﷺ في شروط الصلاة وأركانها.. استحضروا شروط الصلاة من الأذان، والطهارة، وستر العورة، واستقبال القبلة، والانتصاب قائمًا، والنية..

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد وغيره، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٧٤٢).

(٢) **حسن**: « صحيح الجامع » (٨٤٩).

(٣) **صحيح**: رواه الحاكم في المستدرك، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١٥٣٨).

(٤) رواه مسلم.

أخـي..

إن علت همتك صوت بك حادي الخاشعين، فسرت معهم، وإن رمت جوارهم حملوك إلى ديارهم..

عند سماع الأذان: إذا سمعت نداء المؤذِّن، فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة، وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر، فاعرض قلبك على هذا النداء، فإن وجدته مملوءًا بالفرح والاستبشار، مشحونًا بالرغبة إلى الابتدار، فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء؛ ولذلك قال ﷺ: «**أرحنا بها يا بلال**».

قال أحد العباد: ما سمعت النداء، إلا تذكرت هول النداء بالعرض على الله يوم القيامة.. ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

وأما الطهارة: فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك الأبعد، ثم في ثيابك وهي غلافك الأقرب، ثم في بشرتك وهي قشرك الأدنى، فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك، فاجتهد له تطهيرًا بالتوبة والندم على ما فرطت، وتصميم العزم على الترك في المستقبل، فطهر بها باطنك، فإنها موضع نظر معبودك.

وأمَّا ستْر العورة: فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق، فإن ظاهر بدنك موقعٌ لنظر الخلق، فما بالك في عورات باطنك وفضائح سرائرك، التي لا يطلع عليها إلا ربك ﷻ؟! فأحضر تلك القبائح ببالك، وطالب نفسك بسترها، وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر، وإنما يغفرها الندم والحياء والخوف، فتستفيد - بإحضارها في قلبك - انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما، فتذل بها بنفسك، ويستكين تحت الخجلة قلبك، وتقوم بين يدي الله ﷻ قيام العبد المجرم المسيء الآبق، الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكسًا رأسه من الحياء والخوف.

وأمَّا استقبال القبلة: فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى، أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى الله ﷻ، ليس مطلوبًا منك؟! هيهات فلا مطلوب سواه. وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن، وضبط للجوارح، وتسكينٌ لها بالإثبات في جهةٍ واحدة، حتى لا تبغي على القلب، فإنها إذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها إلى جهاتها، استتبعت القلب، وانقلبت به عن وجه الله ﷻ، فليكن

وجه قلبك مع وجه بدنك، فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت، إلا بالانصراف عن غيرها، فلا ينصرف القلب إلى الله ﷻ، إلا بالتفرغ عما سواه.

سُئل النبي ﷺ عن التفات الرجل في صلاته؟ فقال: «**هو اختلاسٌ يختلسه الشيطان من صلاة العبد**». فإذا كان هذا التفات طرفه أو لحظه، فكيف التفات قلبه إلى ما سوى الله؟ هذا أعظم نصيب الشيطان من العبودية.

وقال ابن مسعود: «لا يجعل أحدكم للشيطان حظًّا من صلاته، يرى أن حقًّا عليه: أن لا ينصرف إلا عن يمينه». فجعل هذا القدر اليسير النزر حظًّا ونصيبًا للشيطان من صلاة العبد. فما الظن بما فوقه؟[1].

وأمَّا الاعتدال قائمًا: فإنما هو مُثُولٌ بالشخص والقلب بين يدي الله ﷻ، فليكن رأسك - الذي هو أرفع أعضائك - مطرقًا مطأطئًا متنكِّسًا، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه، تنبيهًا على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترؤس والتكبر، وليكن على ذكرك هاهنا، خطر القيام بين يدي الله ﷻ في هول المطلع عند العرض للسؤال، واعلم في الحال أنك قائمٌ بين يدي الله ﷻ وهو مطلعٌ عليك، فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله، بل قدر في دوام قيامك في صلاتك، أنك ملحوظٌ ومرقوبٌ بعينٍ كالئةٍ من رجلٍ صالح من أهلك، أو ممن ترغب أن يعرفك بالصلاح، فإنه تهدأ وتخشع أطرافك عند ذلك، خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع، وإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبدٍ مسكينٍ فعاتب نفسك وقل لها: إنك تدعين معرفة الله وحبه، أفلا تستحين من استجرائك عليه، مع توقيرك عبدًا من عباده؟! أو تخشين الناس ولا تخشينه، وهو أحق أن يخشى؟! فلم جعلته أهون الناظرين إليك؟ أفكان الله ﷻ أهون عليك من بعض خلقه؟!.

قال رسول الله ﷺ للرجل الذي استوصاه: «**أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي من الرجل الصالح من قومك**»[2].

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٩٤).

(٢) إسناده جيد: رواه أحمد في الزهد، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» من حديث سعيد بن يزيد بن الأزور، وقال الألباني: إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات. انظر: «الصحيحة» رقم (٧٤١).

وأمّا النية: فاعزم على إجابة الله ﷻ في امتثال أمره بالصلاة، وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها، وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه، رجاءً لثوابه وخوفًا من عقابه وطلبًا للقربة منه، متقلدًا للمنة منه؛ بإذنه إياك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك، وعظم في نفسك قدر مناجاته، وانظر من تناجي، وكيف تناجي، وبماذا تناجي، وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجل، وترتعد فرائصك من الهيبة، ويصفر وجهك من الخوف، كما قال ذو النون المصري - رحمه الله - في ذكره لأعلام الإيمان: « وارتعاش القلب عند الفرائض حتى يؤديها » . « لو رأيت أحدهم وقد قام إلى صلاته، فلما وقف في محرابه واستفتح كلام سيده، خطر على قلبه أن ذلك المقام هو الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين، فانخلع قلبه وذهل عقله » .

وأما التكبير: فإذا نطق به لسانك، فينبغي أن لا يكذبه قلبك، فإن كان في قلبك شيءٌ هو أكبر من الله سبحانه، فالله يشهد إنك لكاذبٌ وإن كان الكلام صدقًا، فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله ﷻ، فأنت أطوع له منك لله تعالى، فقد اتخذته إلهك وكبرته، فيوشك أن يكون قولك: « الله أكبر » كلامًا باللسان المجرد، وما أعظم الخطر في ذلك، لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه.

وأما دعاء الاستفتاح: فأول كلماته قولك: « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض » .

فتوجه بقلبك إلى فاطر السموات، ولا تتوجه به إلى أمانيك وهمك في البيت والسوق ولا تتبع الشهوات. وإياك أن تكون أول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق، فاجتهد - في الحال - في صرف القلب إلى الله، وإن عجزت عنه على الدوام، فليكن قولك في الحال صادقًا.

وإذا قلت: « محياي ومماتي لله » فاعلم أن هذا حال عبدٍ مفقود لنفسه، موجود لسيده.

وإذا تعوذت بالله من الشيطان الرجيم، فاعلم أنه عدوك ومترصدٌ لصرف قلبك عن الله ﷻ، حسدًا لك على مناجاتك مع الله ﷻ، وسجودك له، مع أنه لعن بسبب سجدةٍ واحدةٍ تركها، وأن استعاذتك بالله سبحانه: بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله ﷻ، لا بمجرد قولك، فإن من قصده سبعٌ ليفترسه، فقال: أعوذ منك بذلك الحصن

الحصين، وهو ثابتٌ على مكانه، فإن ذلك لا ينفعه، بل لا يعيذه إلَّا تبديل المكان؛ فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن، فلا يغنيه مجرد القول، فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله ﷻ عن شر الشيطان.

فإذا قرأ الفاتحة، فليتدبر أنها كما قال رسول الله ﷺ: « **أُم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم** »[1]. و« **السبع المثاني فاتحة الكتاب** »[2]. وأن « ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ **أُمُّ القرآن، وأُمُّ الكتاب، والسبع المثاني** »[3]. وأن « **أفضل القرآن:** ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ »[4]. وأنها أخير سورة في القرآن الكريم؛ قال ﷺ: « **والذي نفسي بيده، ما أُنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها** - يعني أم القرآن - **وإنها لسَبْعٌ من المثاني والقرآن العظيم الذي أُعطيته** »[5]. وقال ﷺ: « **ما أنزل الله في التوراة، ولا في الإنجيل، مثل أُمِّ القرآن، وهي السبع المثاني، قال الله تعالى: وهي مقسومةٌ بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل** »[6].

وأي فخر للعبد فوق هذا إذا تدبره، وتدبر أن هذه السورة نزل بها بفضلها ملكٌ لم ينزل إلى الأرض قبلها قطُّ، وقال لرسولنا ﷺ: « **أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة** ».

لو لم يكن لك من صلاتك حظٌّ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته، فناهيك بذلك غنيمة، فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله؟! وكيف بالتأمين الذي تحسدنا عليه اليهود.

انظر إلى الزاهد في السراري، النابذ للجواري، العابد في القفار والبراري: أبي الحسن أحمد بن أبي الحواري:

---

(١) رواه البخاري عن أبي بكر.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد وأبو داود والترمذي والطحاوي عن أبي هريرة، وصححه الألباني.

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة، وصححه الألباني في « صحيح الجامع ».

(٤) **صحيح**: رواه الحاكم والبيهقي في الشعب عن أنس، وصححه الألباني.

(٥) **صحيح**: رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني.

(٦) **صحيح**: رواه الترمذي والنسائي عن أُبي، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٥٦٠).

« يقول محمد بن عوف الحمصي: رأيت أحمد بن أبي الحواري عندنا بأنطرسوس[١]، فلما صلى العتمة قام يصلي، فاستفتح بـ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ إلى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فطفت الحائط كله، ثم رجعت، فإذا هو لا يجاوزها، ثم نمت، ومررت في السحر، وهو يقرأ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ فلم يزل يرددها إلى الصبح »[٢].

وينبغي أن تحرص على تدبر ما تقرؤه من السور، فهذا زرارة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ [المدثر: ٨] خرَّ ميتًا وكان يصلي الصبح، وكان إبراهيم النخعي إذا سمع قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ [الانشقاق: ١] اضطرب حتى تضطرب أوصاله، وحق له أن يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده، فإنه عبد ذليل بين يدي جبَّارٍ قاهر، وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم، ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب، ودرجات ذلك لا تنحصر، والصلاة مفتاح القلوب، فيها تنكشف أسرار الكلمات، فهذا حق القراءة، وهو حق الأذكار والتسبيحات.

والناس في القراءة ثلاثة: رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل، ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان، فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره، ورجل يسبق قلبه على المعاني أولاً، ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه، ففرْقٌ بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب، والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب.

وأما دوام القيام، فإنه تنبيهٌ على إقامة القلب مع الله ﷻ على نعتٍ واحد من الحضور، فإن الله يقبل على المصلي ما لم يلتفت، وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات، فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة، فإذا التفت إلى غيره، فذكِّره باطلاع الله عليه، وبقبح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجي؛ ليعود إليه، وخشوع القلب يثمر خشوع الجوارح فإن الرعية بحكم الراعي.

قال عكرمة في قوله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩]: يرى قيامه وركوعه وسجوده، في الصلاة يراك وحدك ويراك في الجمع.

---

(١) أنطرسوس: بلدة من سواحل بحر الشام.

(٢) « سير أعلام النبلاء » (١٢/ ٨٥-٩٤).

وأمَّا الركوع والسجود: فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه، وترفع يديك مستجيرًا بعفو الله ﷻ من عقابه، بتجديد نِيَّةٍ، متبعًا سنة نبيه ﷺ، ثم تستأنف له ذُلاً وتواضُعًا بركوعك، وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك، وتستشعر ذلك، وعزَّ مولاك واتضاعك وعلوَّ ربِّك، وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك، فتسبِّح ربَّك وتشهد له بالعظمة، وأنه أعظم من كل عظيم، وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار، ثم ترتفع من ركوعك راجيًا أنه راحم لك، ومؤكِّدًا للرجاء في نفسك بقولك: «سمع الله لمن حمده»، ثم تُردِف ذلك الشكر المتقاضي للمزيد فتقول: «ربنا لك الحمد»، وتكثر الحمد بقولك: «ملء السموات وملء الأرض». ثم تهوي إلى السجود، وهو أعلى درجات الاستكانة، فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه، من أذل الأشياء وهو التراب، وإن أمكنك ألا تجعل بينهما حائلاً فتسجد على الأرض، فافعل؛ فإنه أجلب للخشوع وأدل على الذل. وإذا وضعت نفسك موضع الذل، فاعلم أنك وضعتها موضعها، ورددت الفرع إلى أصله، فإنك من التراب خلقت وإليه تعود، فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل: «سبحان ربي الأعلى»، وأكده بالتكرار، فإن الكرَّة الواحدة ضعيفة الأثر، فإذا رق قلبك وظهر ذلك، فلتصدق رجاءك في رحمة الله، فإن رحمته تتسارع إلى الضعف والذل، فارفع رأسك مكبِّرًا وسائلاً حاجتك، وقائلاً: «ربِّ اغفر وارحم، وتجاوز عمَّا تعلم». ثم أكد التواضع بالتكرار فعد إلى السجود ثانيًا.

وأمَّا التَّشهُّد: فإذا جلست له، فاجلس متأدِّبًا، وصرِّح بأن جميع ما تدلي به من الصلوات الطيبات، أي من الصفات الطاهرة لله، وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات، وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم، وقل: «السلام على النبي ورحمة الله وبركاته»، وليصدق أملك في أنه يبلغه، ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين، ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلامًا وافيًا بعدد عباده الصالحين، ثم تشهد له تعالى بالوحدانية، ولمحمد نبيه ﷺ بالرسالة، مجدِّدًا عهد الله سبحانه بإعادة كلمتي الشهادة، ومستأنفًا للتحصن بها، ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور، مع التواضع والخشوع، والضراعة والابتهال، وصدق الرجاء بالإجابة، وأشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين، واقصد - عند التسليم - السلام على الملائكة والحاضرين، وانو ختم الصلاة به، ونِعِمَّا به من ختم تحسدنا عليه اليهود.

واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة، وتوهم أنك مودِّع بصلاتك هذه، وأنك ربما لا تعيش لمثلها، وقال ﷺ للذي أوصاه: «**صلِّ صلاةَ مودِّع**».

أحبتي الكرام..

وها هم الصفوة من الصالحين، الذين كانوا في صلاتهم خاشعين..

(١) كان مسروق - رحمه الله - يقوم فيصلي، كأنَّه راهب، وكان يقول لأهله: هاتوا كل حاجة، فاذكروها لي قبل أن أقوم إلى الصلاة[١].

وكان يرخي الستر بينه وبين أهله، ويقبل على صلاته، ويخليهم ودنياهم.

(٢) وهذا هو العابد الخاشع المتبتل الربيع بن خثيم - رحمه الله -: كان إذا سَجَد، كأنه ثوب مطروح، فتجيء العصافير، فتقع عليه[٢].

(٣) وهذا خاشع آخر إنه مسلم بن يسار - رحمه الله - لقد كان في يوم من الأيام قائمًا يصلي، فوقع حريق إلى جنبه، فما شعر به، حتى طفئت النار.

وكان - رحمه الله - يقول لأهله: إذا كانت لكم حاجة، فتكلموا وأنا أصلي[٣].

وعن عبد الله بن مسلم بن يسار أنه قال: ما رأيته قط، إلا ظننت أنه مريض.

وعن عبد الله بن عوف - رحمه الله - قال: رأيت مسلم بن يسار يصلي، كأنه وتد، لا يميل على قدم مرة، ولا على قدم مرة، ولا يتحرك له ثوب.

(٤) وعن الأعمش قال: كان إبراهيم التيمي - رحمه الله - إذا سجد، تجيء العصافير تستقر على ظهره، كأنه جذم حائط[٤].

(٥) وعن أبي قطن قال: ما رأيت شعبة ركع قط، إلا ظننت أنه قد نسي، ولا قعد بين السجدتين، إلا ظننت أنه قد نسي[٥].

---

(١) «حلية الأولياء» (٢/ ٩٦) لأبي نعيم.
(٢) المرجع السابق (٢/ ١١٤).
(٣) المرجع السابق (٢/ ٢٩٠).
(٤) المرجع السابق (٤/ ٢١٢).
(٥) المرجع السابق (٧/ ١٤٥).

(٦) وهذا شقيق بن سلمة - أبو وائل - يقول وهو ساجد: ربِّ اغفر لي، ربِّ اغفر لي، رب اعف عني، إن تعف عني فطولاً من فضلك، وإن تعذبني غير ظالم لي، ولا مسبوق ثم يبكي حتى أسمع نحيبه من وراء المسجد[١].

(٧) وهذا هو الخاشع المتبتل إلى ربه (منصور بن المعتز) عن أبي بكر بن الثوري قال: لو رأيت منصورًا يصلي، لقلت: يموت الساعة.

وقال: لو رأيت منصور بن المعتز، وعاصمًا والربيع بن أبي راشد في الصلاة، قد وضعوا لحاهم على صدورهم، عرفت أنهم من أبرار الصلاة[٢].

(٨) وهذا هو أحد الرجال الأعلام في العبادة والتخشع لله ﷻ في الصلاة: إنه داود الطائي - رحمه الله - يقول أبو خالد الطائي: ذهبت أنا وأبي إلى داود الطائي، نسلم عليه، فرأيته يصلي، فوقعت شرفة من المسجد، وبالقرب منه، فما رأيت داود تأهب لها، ولا فزع، بل أقبل على صلاته[٣].

وسُئل خلف بن أيوب - رحمه الله -: ألا يؤذيك الذباب في صلاتك فتطرده؟

قال: لا أعود نفسي شيئًا يفسد عليَّ صلاتي.

قيل له: وكيف تصبر على ذلك؟ قال: بلغني أن الفساق يصبرون تحت سياط السلطان، فيقال له: فلان صبور، ويفتخرون بذلك، وأنا قائم بين يدي ربي أفأتحرك لذبابة؟!

فرحم الله عبادًا نصبوا أقدامهم لطاعة مولاهم، فرضي ربهم بأعمالهم، وعجل بُشراهم..

لكن تأملوا أيها الأحبة الكرام واقعنا نحن مع الصلاة إلا من رحم الله..

كان النبي ﷺ جالسًا في المسجد يومًا مع أصحابه الكرام، فدخل رجل فصلى فجعل النبي ﷺ يرمقه وهو يصلي، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام، ثم قال له: «**ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ**».

---

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٤/ ١٠٢).

(٢) المرجع السابق (٥/ ٤٠).

(٣) المرجع السابق (٧/ ٣٥٨).

فرجع الرجل فصلى.. كصلاته الأولى.. ثم جاء إلى النبي ﷺ فسلم عليه. **فقال له: « وعليك السلام.. ارجع فصلِّ.. فإنك لم تُصلِّ »**.

فرجع الرجل فصلى.. ثم جاء إلى النبي ﷺ فسلم عليه.. **فقال له: « وعليك السلام.. ارجع فصلِّ.. فإنك لم تُصلِّ »**.

فقال الرجل: والذي بعثك بالحق.. ما أحسن غير هذا.. فعلمني.. **فقال ﷺ: « إذا قمت إلى الصلاة فكبر.. ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن.. ثم اركع حتى تطمئن راكعًا.. ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا.. ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا.. ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا.. ثم افعل ذلك في صلاتك كلها »**[١].

أحبتي الكرام..

فما أحوج كثير من الناس اليوم أن يُقال له بعد صلاته: **ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ**.. ينقر أحدهم سجوده كنقر الغراب.. ويركع مستعجلاً كالمرتاب، **لا يناجي ربه في السجود**.. ولا يخشع للرحيم الودود.. وربما تدخل المسجد فترى بعض المصلين تدور عينيه يمنة ويسرة، يعبث بالفراش أو الحصى، ويُقلب عينيه في الزخارف والنقوش.. ينظر في الساعة مرة.. ويصلح من ثوبه أخرى.. يسابق الإمام في الركوع والسجود، كأنه في سباق.. ناهيك عن الشرود الذهني، الذي ابتلي به كثير من الناس.. **نسأل الله** ﷻ السلامة..

الخشوع من العبادات المفقودة في حياة الكثير منا للأسف الشديد.. نرى بعض الناس يحافظون على أداء الصلوات فقط لإسقاط الواجب من أعناقهم لكنهم لم يتلذذوا كما كان سلفنا الصالح بالصلاة..

الخشوع في الصلاة يجعل لها لذة ونعيمًا، حتى أن المصلي الخاشع يشتاق لها كما كان النبي ﷺ يشتاق.. حتى قال فيها: « **وجعلت قرة عيني في الصلاة** .. »[٢].

إدراك اللذة التي يجدها المصلي في صلاته، هي التي عبر عنها الإمام ابن تيمية - رحمه الله - بقوله: « إنَّ في الدنيا جنة، من لم يدخلها، لم يدخل جنة الآخرة ».

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) تخرج في موضع آخر.

ولا يظن أحد أن المصلي المسلم، إذا وجد هذه اللذة، وذاق طعمها، ثم يفرط فيها أو يتساهل في طلبها..

هذه اللذة قال عنها ابن القيم - رحمه الله -: تقوى بقوة المحبة، وتضعف بضعفها..

ورضي الله عن حذيفة بن اليمان، حين قال: أول ما تفقدون من دينكم: الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، وربَّ مصلٍّ لا خير له، ويوشك أن ندخل المسجد فلا نجد فيه خاشعًا.

أخي المصلي..

اعلم رعاك الله أنك ما وقفت بين يدي الله ﷻ إلا طاعة لله، وامتثالاً لأمره، فلماذا تضيع ذلك بكثرة الحركة والغفلة في الصلاة؟ ألم تعلم أن الخشوع هو روح الصلاة، ومادة حياتها، وهو ثمرة الإيمان، وطمأنينة النفس، وأنك ربما تنصرف ولم يكتب لك من صلاتك إلا الشيء اليسير.

قال ﷺ: « **إنَّ الرجل لينصرف، وما كتب له إلا عشر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها ..** »[1].

ونهى رسول الله ﷺ عن نقرة الغراب، وافتراش السبع، وأن يوطن الرجل المكان في المسجد، كما يوطن البعير.

وثبت عنه ﷺ أنه قال: « **أسوأ سرقة، الذي يسرق من صلاته** »، قالوا: يا رسول الله، وكيف يسرق من صلاته؟ قال: « **لا يتم ركوعها ولا سجودها** »[2].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **لا ينظر الله إلى رجل لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده** »[3].

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود والنسائي وابن حبان، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (١٦٢٦).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده، وصححه الألباني في « المشكاة » (٨٨٥)، و« صحيح الترغيب » (٥٢٤).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده والطبراني في الكبير، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٥٢٧)، و« الصحيحة » (٢٥٣٦).

ويقول حذيفة بن اليمان ﷺ: إياكم وخشوع النفاق.

قالوا: وما خشوع النفاق؟

قال: أن ترى الجسد خاشعًا، والقلب ليس بخاشع.

أحبتي الكرام..

لكن ما هي الأسباب التي تجعل المسلم خاشعًا في صلاته؟

هناك أسباب تجعل المسلم يخشع في صلاته، وهي باختصار شديد:

أولاً: الإيمان الصادق، والاعتقاد الجازم بما يترتب على الخشوع من فضل عظيم في الدنيا والآخرة، من الإحساس بالسكون والطمأنينة، وراحة لا مثيل لها، وطيب نفس يفوق الوصف..

قال أفضل الخلق ﷺ: «**ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله**»[1]. والآيات والأحاديث الدالة على فضل الخشوع كثيرة.

ثانيًا: الإكثار من قراءة القرآن والذكر والاستغفار، وعدم الإكثار من الكلام بغير ذكر الله، كما في الحديث: «**لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإنَّ أبعد الناس من الله، القلب القاسي**»[2].

وقد قال الله ﷻ عن قراءة القرآن: ﴿ **ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ** ﴾ [الزمر: ٢٣].

ثالثًا: التضرع إلى الله ﷻ أن يجعلك من الخاشعين: فهذا نبيك محمد ﷺ يدعو بهذه الكلمات المعطرة بعطر النبوة المحمدية، فيقول: «**اللهمَّ إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**»[3]. فأي دعوة

---

(١) رواه مسلم.

(٢) ضعيف: رواه الترمذي.

(٣) رواه مسلم والترمذي والنسائي.

تستجاب خرجت من قلب لاهٍ ساهٍ، ما عرف طعم الخشوع؟ وأي علم ينفع في قلب ما عرف الخشوع؟

يقول ابن القيم - رحمه الله -: في القلب شعث (أي تمزق) لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفي القلب وحشة، لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفي القلب خوف وقلق لا يذهبه إلا الفرار إلى الله ﷻ..

فهل أحسست أيها المسلم مرة من المرات بهذه المعاني؟

هل شعرت أنك تريد أن تفر إلى الله ﷻ، وتقول بلسان حالك: أنا محتاج إليك يا رب، محتاج إلى أنسك؟ هل أحسست أن في قلبك شوقًا وتطلعًا لا يطفئه، ولا يشبعه إلا الرضا بالله ﷻ؟

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -: إذا استغنى الناس بالدنيا، فاستغني أنت بالله.. وإذا فرح الناس بالدنيا، فافرح أنت بالله، وإذا أنس الناس بأحبابهم فأنس أنت بالله، وإذا ذهب الناس إلى ملوكهم وكبرائهم، يسألونهم الرزق ويتوددون إليهم، فتودد أنت إلى الله..

أخي الحبيب..

لا تسأم الوقوف على باب مولاك.. حتى ولو طُردت.. بل ابك كثيرًا، وداوم الطرق فإنه ولا شك سيفتح لك..

قال ﷺ: «**إنَّ الله يُقبل على العبد في الصلاة ما لم يلتفت، فإذا صرف العبد وجهه، انصرف الله عنه**»[1]. فإذا صُرفت نفسك وقلبك قال الله لك: أوجد عبدي خيرًا مني يلتفت إليه ويتركني؟!

اللهمَّ رب السموات السبع، ورب الأرض، ورب العرش العظيم.. فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والفرقان.. اغفر لنا خطايانا.. عمده وخطأه.. وهزله وجده..

اللهمَّ اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا.. أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيءٍ قدير..

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي والدارمي.

ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار.. ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار..

ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد..

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار..

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب..

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.. ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا.. ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين..



الوصية رقم (٥)

حافظوا على صلاتكم في جماعة

عن أنس ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **من صلى لله أربعين يومًا في جماعة، يدرك التكبيرة الأولى، كتبت له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق** »[1].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي الكرام..

هذه وصية الحبيب النبي ﷺ لأمته، يحثهم فيها على المحافظة والحرص على صلاة الجماعة، لما فيها من ثواب عظيم، يناله المسلم المحافظ عليها. وقد بين هنا جزء من الفضل والثواب، والأجر الذي يترتب على المحافظة على الصلاة في جماعة، وهو « البراءة من النار، والبراءة من النفاق » فما أحلى وأعطر وأطيب البراءتين، جزاء لعلو همة المواظب على صلاة الجماعة.. وكلنا يتمنى البراءة من النار.. لأن مولانا ﷻ أوقد عليها ألف عام حتى احمرت، وألف عام حتى ابيضت، وألف عام حتى اسودت، فهي الآن سوداء مظلمة..

كلنا يتمنى البراءة من النار.. فكلها صراخ وبكاء.. وحسرة وشقاء.. وجحيم وعناء.. لهيبها يلفح الوجوه.. وماؤها يقطع الأمعاء.. ظلها يحموم.. وعذابها دائم مقيم..

والنفاق كلنا يتمنى الخلاص منه، لأن الله - سبحانه - يقول عن المنافقين: ﴿ **إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا** ﴾ [النساء: ١٤٥] فما الذي ينجينا من هذا الهول الشديد، والعذاب المقيم؟ إنه المحافظة على صلاة الجماعة؟!

وقد حثنا البشير النذير، والسراج المنير ﷺ على صلاة الجماعة في أحاديث كثيرة، منها:

---

(١) حسن: رواه الترمذي وصححه في « الصحيحة » الألباني برقم (١٩٧٩)، وحسنه في « صحيح الجامع » رقم (٦٣٦٥).

ما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وفي سوقه خمسًا وعشرين درجة، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد، لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاه، تقول: اللهمَّ اغفر له.. اللهمَّ ارحمه.. ما لم يحدث فيه.. ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة** »(١).

وحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « **صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة** »(٢).

وحديث عثمان ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من توضأ، فأسبغ الوضوء، ثم مشى إلى صلاة مكتوبة، فصلاها مع الإمام، غفر له ذنبه** »(٣).

فإن أردت أن يغفر الله لك ذنوبك، فبادر بالصلاة مع الإمام.. بادر وسارع بالصلاة في جماعة، بل إن أردت أن تزيد حسناتك، وتمحى سيئاتك فصلي في جماعة.. قال ﷺ: « **إنَّ العبد إذا قام يصلي، أتي بذنوبه كلها، فوضعت على رأسه وعاتقيه، فكلما ركع أو سجد، تساقطت عنه** »(٤).

بل إن أردت أن يظلك الله في ظل العرش، يوم لا ظل إلا ظله، فعلق قلبك بالصلاة في جماعة.. قال ﷺ: « **سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب نشأ في طاعة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد ...** »(٥).

فكن عالي الهمة، لأنك إن كنت كذلك وحرصت على أداء الصلوات في جماعة فرح الله ﷻ بقدومك إلى المسجد، وأي شيء أعظم عند المؤمن من أن يفرح الله ﷻ بقدومه إلى بيت من بيوته.. قال السراج المنير ﷺ: « **لا يتوضأ أحدكم، فيحسن وضوءه**

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة.

(٢) رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي ومالك.

(٣) صحيح: رواه ابن خزيمة في « صحيحه »، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٤٠٧).

(٤) صحيح: رواه الطبراني وابن حبان والبيهقي عن ابن عمر، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١٦٧١).

(٥) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وغيرهم.

ويسبغه، ثم يأتي المسجد لا يريد إلا الصلاة فيه، إلا تبشبش الله إليه، كما يتبشبش أهل الغائب بطلعته»[1].

وإذا أردت أن تسير في النور التام، يوم تكور الشمس، وتنكدر النجوم، فعليك بصلاة الجماعة، والمشي إلى المساجد في الظلمات.. قال سيد الكائنات ﷺ: «**بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»[2].

والنور التام الذي يحيط بهم من جميع جهاتهم، أي على الصراط، فإنهم لما قاسوا مشقة الظلمة والمشي فيها، جوزوا بمثله، فالجزاء من جنس العمل، جزاهم الله بنور يضيء لهم ويحيطهم.. ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨]، ولذلك يقول لهم المنافقون في هذا الموقف: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ...﴾ [الحديد: ١٣].

قال المناوي في «فيض القدير»: قيده بالنور التام، لأن أصل النور يعطى لكل من تلفظ بالشهادتين من مؤمن أو منافق لظاهر حرمة الكلمة، ثم يقطع نور المنافقين..

قال الضحاك: ليس لأحد إلا أن يعطى نورًا يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط طفئ نور المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنون، أشفقوا أن يطفأ نورهم، كما طفئ نور المنافقين، فقالوا: ربنا أتمم لنا نورنا..

والنور يختلف من شخص لآخر، فمن الناس من نوره كالجبل، ومنهم من يكون نوره كالنخلة، ومنهم من يكون نوره على قدر إبهامه، يطفئ مرة، ويتقد مرة أخرى..

أخي الحبيب..

لو أخبرك أحد الناس، أو قرأت في جريدة من الجرائد أن هناك صفقة تؤهلك لنيل جائزة من مال الدنيا، فماذا عساك أن تفعل؟

---

(١) **صحيح**: رواه ابن أبي شيبة وابن حبان والحاكم وصححه، ورواه ابن خزيمة (١٤٩١)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ١٩٤).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي وأبو داود والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٢٣)، و«صحيح الترغيب» (٣١٥).

لا شك أنك سوف تسعى وتجد وتجتهد، للوصول إلى تلك الصفقة.. فماذا لو كانت الصفقة أخروية؟ ماذا لو كانت هذه الصفقة توصلك إلى جنة عرضها السماء والأرض؟ إنها ممشاك إلى بيت من بيوت الله.. إلى المسجد.. أليس سهلاً ويسيرًا.. وثوابه أجزل وأعظم.. أليس ذلك هو أولى لك بالتشمير وأحق بالتأهب والنفير؟ قال ﷺ: « **من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له في الجنة نُزلاً كلما غدا أو راح** »[1].

إنه أجر ما بعده أجر.. وثواب يليق به الإعجاب.. فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إنَّ الله تعالى ليعجب من الصلاة في الجمع** »[2]، نزلٌ مقيم في جنات النعيم.. لو تأملت حسنه.. وعاينت زينه.. ولاحظت منظره.. وشاهدت مظهره.. ووقفت على أثاثه وفراشه.. وجماله ونقائه.. لذهلت أيما ذهول.. ولبذلت الغالي والنفيس، لنيله وكسبه.. وليس نيله بعزيز، إنما غدوة وروحة.. ومشية وفسحة.. وخطوات ساكنة تخطوها لإعمار بيت الله..

حقًّا هذا هو الفلاح.. وأيما فلاح.. حينما يؤذن المؤذن (حي على الصلاة حي على الفلاح) قال ﷺ: « **إذا سمعت النداء فأجب داعي الله** ». ولو لم يكن من ذلك الفلاح إلا ذلك النزل الكريم في جنة الرب الكريم العظيم. لكانت الغدوة إلى المسجد جديرة بالاهتمام.. كيف وفضائلها جليلة، وفوائدها عظام؟!

فإن رمت اغتنام الوقت فعلاً فخير الوقت حي على الفلاح
فصلِّ الفجر وادع الله واغنم قيام الليل في الغسق الصراح
تفز بالأجر والحسنات حقًّا فتسلمك لجنات فساح

وقال - صلوات ربي وسلامه عليه -: « **ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟!** »، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: « **إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط** »[3].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) حسن: رواه أحمد في مسنده، والطبراني، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » و« صحيح الترغيب » برقم (٤٠٦).

(٣) رواه مسلم والترمذي وابن ماجة.

صـــغّر خطـــاك إذا غـــدوت لمـــسجد فلــــربما غفـــرت ذنـــوبك بالخطـــى

تمـــشي ومـــشيك للمـــساجد قـــربة تـــسمو بـــشأنك للجـــنان وللتقـــى

كل الناس يخطو.. ولكن خطوتك أنت في اتجاه المسجد شأنها عظيم عند الله ﷻ فهي خطوة إلى إقامة ذكر الله.. ومشية لتلبية ندائه.. واستجابة لأمره.. ورغبة في فضله.. وخوفًا من بطشه.. وحبًّا لذاته وصفاته..

قال ﷺ: « **من تطهر في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة** »[1].

وإنه لطيش وخسار.. وغبن كبار.. أن يسمع المسلم نداء الفلاح يناديه.. وهو يدرك عظم ممشاه، وثواب الله ورضاه إن هو أتاه.. ثم يضرب عن ذلك صفحًا ويتبع هواه.. ثم إنها عبادة مشهودة في دقائق معدودة.. لا تضر بمتاع.. ولا تقطع استمتاع.. بل إنها لحظات تفيض باللذاذة والسعادة..

فيا خسارة من باعها بمتاع قليل، وأعرض عنها، لاهيًا في بيته، أو منشغلاً ببيعه أو منغمسًا في الحرام.. أو مؤثرًا متابعة مسلسلات أو أفلام.. أو رقص أو أنغام..

ويا فوز من آثرها على أعماله، وجعلها أعظم آماله.. فخطى للمسجد في هدوء وسكون يبتغي وجه الله والدار الآخرة.

أخي الحبيب..

أتدري حينما تتوجه إلى المسجد من تقصد؟ إنك تقصد بيت الله ﷻ، وشرف القصد من شرف المقصود..

قال ﷺ: « **من توضأ في بيته، فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد، فهو زائر الله، وحق على المزور أن يكرم الزائر** »[2].

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) حسن: رواه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد كما قاله المنذري، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (٣٢٢).

إن المساجد بيوت الله، وهي خير البقاع، وأحب البلاد إلى الله تعالى، أضافها إلى نفسه تشريفًا لها، تعلقت بها قلوب المحبين لله ﷻ..

فعن جبير بن مطعم ﷺ أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله، أي البلدان أحب إلى الله، وأي البلدان أبغض إلى الله؟

فقال ﷺ: «**لا أدري حتى أسأل جبريل عليه السلام**» فأتاه فأخبره أن أحسن البقاع إلى الله المساجد، وأبغض البقاع إلى الله الأسواق[1].

أضافها الله إلى نفسه تشريفًا لها، تعلقت بها قلوب المحبين لله ﷻ، لنسبتها إلى محبوبهم.. ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٨**﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة بأجنحتها، وذكرهم الله فيمن عنده**»[2].

فسارع أخا الإسلام، وتسابق، وجد واجتهد لتحصل هذا الثواب العظيم، فإنك ما تخرج من بيتك لا تخرجك إلا الصلاة، فإنك تزدد ثوابًا، حتى يصل ثوابك إلى من حج بيت الله، أو اعتمر.. قال سيد الأولين والآخرين ﷺ: «**من خرج من بيته متطهرًا إلى صلاة مكتوبة، فأجره كأجر الحاج المحرم**»[3].

وفي رواية أخرى - أو حديث آخر: «**من مشى إلى صلاة مكتوبة في الجماعة، فهي كحجة، ومن مشى إلى تطوع، فهي كعمرة نافلة**»[4].

---

(١) حسن صحيح: رواه أحمد والبزار وأبو يعلى والحاكم، وصححه في (الترغيب) (٣٢٥).

(٢) رواه مسلم.

(٣) حسن: رواه أبو داود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦٢٢٨).

(٤) حسن: رواه الطبراني عن أبي أمامة.

إن أردت أن تكون صلاتك في صلاة الأبرار، وتكتب في وفد الرحمن، فداوم على صلاة الفجر في جماعة.. قال ﷺ: « **من توضأ، ثم أتى المسجد، فصلى ركعتين قبل الفجر، ثم جلس حتى يصلي الفجر، كتبت صلاته يومئذٍ في صلاة الأبرار وكتب في وفد الرحمن** ».

تالله ما أعظم هذا الشرف، ولا يحرص عليه إلا من علت همته، وعلم معنى أن يكون من وفد الرحمن، وصلاته في صلاة الأبرار.

ومصلي الفجر في جماعة له أجر حجة وعمرة، إذا قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم يقوم، فيصلي لله ركعتين، قال سيد الثقلين ﷺ: « **من صلى الفجر في جماعة ثم جلس يذكر الله عز وجل، حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كتبت له حجة وعمرة تامتين.. تامتين..** ».

واحرص أخي الحبيب أن تدرك تكبيرة الإحرام، وتكون في الصف الأول، لأن لذلك فضل عظيم، وثواب جزيل.. قال النبي الكريم ﷺ: « **إنَّ الله وملائكته يصلون على الصفوف المقدمة** ».

وقال: « **وإنَّ الصف الأول على مثل صف الملائكة، ولو علمتم ما فضيلته، لابتدرتموه** ». ومعنى « **مثل صف الملائكة** »: أي في القرب من الله ﷻ، ونزول الرحمة، وإتمامه واعتداله..

وقد جاء في سنن النسائي عن العرباض بن سارية ﷺ عن رسول الله ﷺ **أنه كان** يصلي على الصف الأول ثلاثًا، وعلى الثاني واحدة.

ومعنى صلاته عليهم: أنه يدعو لهم بالرحمة، ويستغفر لهم ثلاث مرات.

أحبتي في الله..

لأجل هذا كله حرص النبي الأمين ﷺ على صلاة الجماعة حتى في أحلك الظروف وأصعب الأوقات.

أحبتي في الله..

(١) هذا سيد التابعين (سعيد بن المسيب) - رحمه الله -: يقول: ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين، وما نظرت في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة.

قال عنه الأوزاعي - رحمه الله -: كانت لسعيد بن المسيب فضيلة لا نعلمها كانت لأحد من التابعين، وهي أنه لم تفته الصلاة في جماعة أربعين سنة، عشرين منها لم ينظر في أقفية الناس.

(٢) وهذا الحارث بن حسان ﷺ تزوج في ليلة من الليالي، فحضر صلاة الفجر مع الجماعة، فقيل له: أتخرج، وإنما بنيت بأهلك في هذه الليلة؟

فقال: والله إن تمنعني من تمنعني من صلاة الغداة في جمع لامرأة سوء.

(٣) وهذا أبو عبد الرحمن السلمي - رحمه الله - كان يُحمل وهو مريض إلى المسجد[١]..

بل إنه كان يأمرهم أن يحملوه في الطين والمطر إلى المسجد وهو مريض[٢]..

لقد اجتمعت له رخصتان للتخلف عن صلاة الجماعة: المطر، والمرض.. وأعجب من ذلك أنه رفض الانتقال إلى داره.. إلى فراشه، حين حضرته المنية.

فعن عطاء بن السائب قال: دخلنا على أبي عبد الرحمن السلمي، وهو يُقضى - أي ينزع - في المسجد، فقلنا له: لو تحولت إلى الفراش، فإنه أوثر..

قال: حدثني فلان أن النبي ﷺ قال: «**لا يزال أحدكم في صلاة مادام في مصلاه ينتظر الصلاة**».

قال: فأنا أريد أن أموت وأنا في مسجدي[٣].

(٤) وهذا هو ربيعة بن يزيد - رحمه الله - يقول عن نفسه: ما أذن المؤذن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة، إلا وأنا في المسجد، إلا أن أكون مريضًا أو مسافرًا[٤].

(٥) وهذا راهب الكوفة (هنَّاد بن السري) - رحمه الله - قال عنه أحمد بن سليمان النيسابوري: كان هنَّاد - رحمه الله - كثير البكاء، فرغ يومًا من القراءة لنا، فتوضأ وجاء

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٣٥٠).

(٢) «الزهد» لابن المبارك (ص١٤١).

(٣) المرجع السابق (ص١٤٢)، و«الطبقات الكبرى» (٦/ ١٧٤).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٣٩) للذهبي.

إلى المسجد، فصلى إلى الزوال وأنا معه بالمسجد، ثم رجع إلى منزله فتوضأ، وجاء فصلى بنا الظهر، وأخذ يقرأ في المصحف حتى صلى المغرب..

قال: فقلت لبعض جيرانه: ما أصبره على العبادة..

فقال: هذه عبادته بالنهار منذ سبعين سنة، فكيف لو رأيت عبادته بالليل؟!

(٦) وهذا لقمان هذه الأمة (حاتم الأصم) - رحمه الله -: قال - رحمه الله -: فاتتني الصلاة في الجماعة، فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده.. ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف، لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا[١].

(٧) وهذا هو الإمام المزني صاحب الشافعي، كان - رحمه الله - إذا فاتته صلاة الجماعة، صلى تلك الصلاة خمسًا وعشرين مرة[٢]..

(٨) وهذا عامر بن عبد الله بن الزبير - رحمه الله تعالى -:

قال عنه مصعب: سمع عامر المؤذن يؤذن، وهو يجود بنفسه، فقال لمن حوله: خذوا بيدي، فقيل: إنك عليل..

قال: أأسمع داعي الله فلا أجيب؟ فأخذوا بيده، فدخل مع الإمام في صلاة المغرب، فركع ركعة، ثم مات[٣].

(٩) وعطاء بن أبي رباح - رحمه الله - كان من أعلام التابعين، يقول عنه ابن جريج: كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلاة[٤]..

(١٠) وهذا الإمام الرباني، والتابعي الجليل (ثابت البناني) - رحمه الله - الذي قال عنه أستاذه ومعلمه الصحابي الجليل والخادم للرسول الجليل أنس بن مالك ﷺ: «إنَّ للخير مفاتيح، وإن ثابتًا مفتاحٌ من مفاتيح الخير».

---

(١) «إحياء علوم الدين» (١/ ١٧٧) للغزالي.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٤٩٢).

(٣) المرجع السابق (٥/ ٢٢٠).

(٤) المرجع السابق (٥/ ٨٤).

كان يدعو الله ﷻ ويقول: اللهمَّ إن كنت كتبت الصلاة لأحد في قبره، فاكتبها لي.. لما مات ثابت البناني - رحمه الله - أدخله لحده (حميد الطويل وشبان بن جسر) - رحمهما الله - يقول أحدهما: فلما سوينا عليه اللبن، سقطت لبنة، فإذا أنا به يصلي في قبره.. فقلت للذي معي: ألا ترى؟

قال: اسكت، فلما فرغنا أتينا ابنته، فقلنا لها: ما كان عمل ثابت؟ قالت: وما رأيتم؟ فأخبرناها، فقالت: كان يقوم الليل خمسين سنة، فإذا كان السحر، قال في دعائه: اللهمَّ إن كنت أعطيت أحدًا من خلقك الصلاة في قبره، فأعطنيها.. فما كان الله ليرد ذلك الدعاء[١].

اللهمَّ اجعلنا لك خاشعين.. ولك مخبتين..

اللهمَّ إنا نسألك الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم..

اللهمَّ إنا نسألك من خير ما سألك عبدك ونبيِّك محمد ﷺ .. ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه عبدك ونبيِّك محمد ﷺ ..

اللهمَّ إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار ومن كل ما قرب إليها من قول أو عمل..

اللهمَّ أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء.. وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، واغننا من الفقر.. اغننا بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك..

اللهمَّ اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان.. ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا.. ربنا إنك رؤوف رحيم..

وصل اللهمَّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

❁❁❁❁

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٣٦٦) لابن الجوزي.

الوصية رقم (٦)

إذا رأيتم الكسوف فصلوا وادعوا الله

عن أبي بكرة ﷺ قال: كنَّا عند رسول الله ﷺ فانكسفت الشمس، فقام النبي ﷺ يجر رداءه، حتى دخل المسجد، فدخلنا فصلى بنا ركعتين، حتى انجلت الشمس، فقال ﷺ: « **إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد، فإذا رأيتموهما، فصلوا وادعوا الله، حتى يكشف ما بكم** »(١).

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي الكرام..

هذه الوصية الكريمة المباركة مروية عن أكثر من صحابي جليل من صحابة النبي الأمين ﷺ فهي مروية عن المغيرة بن شعبة قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات ولده إبراهيم، فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم عليه السلام فقال رسول الله ﷺ: « **إنَّ الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك، فصلوا وادعوا الله** .. ». ورواه البخاري أيضًا عن عائشة في باب الصدقة مطولاً. وعن أبي مسعود ﷺ وعن أبي موسى الأشعري ﷺ بلفظ: خسفت الشمس فقام النبي ﷺ فزعًا يخشى أن تكون الساعة، فأتى المسجد، فصلى بأطول قيام وركوع وسجود، رأيته قط يفعله، وقال: « **هذه الآيات، التي يرسل الله، لا تكون لموت أحد، ولا لحياته، ولكن يخوف الله به عباده، فإذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره** »(٢).

وفي صحيح مسلم(٣) بأطول من هذا من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - وفيه بيان لكيفية صلاة الكسوف.. وكذا في مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وغيرهم.

---

(١) رواه البخاري (٩٨٢)، ورواه أحمد في مسنده وغيرهما.

(٢) رواه البخاري (٩٩٩)، ومسلم (١٥١٨).

(٣) رواه مسلم برقم (١٥١٢).

أحبتي الكرام..

إنَّ التدبر في ملكوت الله ﷻ يزيدنا قربًا منه سبحانه، ومعرفة به، ونرجوا أن نكون من الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ [الفرقان: ٧٣].

ولقد ظل خليل الرحمن إبراهيم ﵇ في الكون متفكرًا، واستمر باحثًا عن إله لهذا الكون مع قومه، ليصل بهم إلى أنَّ للكون إلهًا خالقًا مدبرًا، ليس كمثله شيء ولا يغيب عن الكون لحظة.. ولا تأخذه سنة ولا نوم.. ظل يتأمل ويدعو حتى اهتدى إلى تلك الحقيقة التي لا محيص عنها.. فعرف أن الخالق الأعظم لهذا الكون هو الله، الذي يرانا ولا نراه.. والذي بيده ملكوت كل شيء.. فكان التأمل هو سبيل الإيمان والنجاة، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٥-٧٩].

أحبتي الكرام..

الله ﷻ هو الذي خلق الشمس، والقمر، وجعل فيهما النور والإضاءة، وجعل لهما بروجًا ومنازل ينزلانها مرحلة بعد مرحلة.. ليعلم الناس حساب أعمارهم وآجالهم.. وليعرفوا مواقيت الديون والإجارات والمعاملات، وتتميز لديهم الأيام من الليالي ولتتميز الليالي بعضها من بعض، ولولا حلول الشمس والقمر في تلك المنازل لم يعلم شيء من ذلك.. ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٥]. وقد قدر العزيز العليم طلوع الشمس وغروبها، لإقامة دولتي الليل والنهار، ولولا طلوعها، لبطل أمر العالم. ففي طلوعها مصالح عظيمة للعباد، وفي غروبها مصالح عظيمة كذلك.. قال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ

ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلاً ﴾ [الإسراء: ١٢].

ففي النهار يسعى الناس والدواب لمصالحهم، ويتصرفون في معايشهم، وتدبير أمورهم.. وفي الليل يهدأ الكون بما فيه من الناس والدواب، لتنشيط الأعضاء والأبدان.. ولولا الغروب، لكانت الأرض تحمى بدوام شروق الشمس، واتصال طلوعها حتى يحترق كل ما عليها من نبات وحيوان.. فصارت بأمر العزيز الحكيم تطلع وقتًا بمنزلة السراج يرفع لأهل البيت، ليقضوا حوائجهم، ثم تغيب عنهم مثل ذلك، ليقروا ويستريحوا، وصار ضياء النهار، مع ظلام الليل، وحر هذا مع برد هذا، مع تضادهما متعاونين متظاهرين متعاقبين، بهما تمام مصالح العالم كله، كما قال الله ﷻ:
﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [القصص: ٧١-٧٢].

فلو جنَّ هذا الليل وامتد سرمدًا فمن غير ربي يرجع الصبح ثانيًا

* * *

وانظر إلى الشمس التي جذونها مستعرة
فيها ضياء وبها حرارة منتشرة
من الذي أوجدها في الجو مثل الشررة
ذاك هو الله الذي أنعمه منهمرة
ذو حكمة بالغة وقدرة مقتدرة

وفي حركة الشمس يظهر الليل والنهار، وفي ارتفاعها وانخفاضها، يظهر الله ﷻ بقدرته الأزمنة والفصول الأربعة: الصيف والشتاء والربيع والخريف. ولو كان الزمان كله فصلاً واحدًا، لفاتت مصالح العباد من الفصول الأخرى.. ولو كان صيفًا كله، لفاتت منافع الشتاء، ولو كان شتاء كله لفاتت منافع الصيف، وهكذا منافع الربيع والخريف..

أحبتي في الله..

وإذا تفكر الإنسان في أمر هذين النيرين العظيمين، وجدهما من أعظم الآيات في خلقهما وجرمهما وحركتهما، كل واحد له نهج واحد، لا يتعبان ولا يفتران، ولا يقع في حركتهما اختلاف بالبطء والسرعة، والذهاب والرجوع..

عن أبي ذر ﷺ أن النبي ﷺ قال لي حين غربت الشمس: « **أتدري أين تذهب؟** »، قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: « **فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن، فيؤذن لها، وتوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يُقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾** [يس: ٣٨] »[1].

فسبحان من خلقها.. وسبحان من نورها وسيرها.. وسبحان من سخرها ودبرها هذا التدبير العجيب لمنافع خلقه، وإظهار قدرته، وكمال علمه، ولطف تدبيره، وحسن حكمته.. ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ [فصلت: ٣٧، ٣٨].

وإذا كانت المخلوقات كلها ساجدة لربها، خاضعة لعظمته، مستكينة لعزته، عانية لسلطانه: السموات والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار وسائر المخلوقات، فما بال الإنسان لا يشارك هؤلاء في عبادة ربه، ويسمع ويطيع؟

ومن عدل عن عبادة الله ﷻ إلى عبادة غيره، فقد ضل ضلالاً بعيدًا، وخسر خسرانًا مبينًا.. ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج: ١٨].

وقد ثبت علميًا أنَّ الشمس عبارة عن كرة هائلة من الغازات المتقدة يبلغ حجمها مليون مرة قدر حجم الأرض.

---

(١) رواه البخاري ورواه أحمد في مسنده ومسلم وأبو داود وغيرهم.

وتبلغ درجة حرارة سطحها ٦ آلاف درجة مئوية، وتتصاعد درجة الحرارة بسرعة وانتظام إلى أن تصل إلى حوالي ٢٠ مليون درجة عند المركز، وتساعد على حدوث التفاعلات النووية اللازمة، لإنتاج الطاقة الشمسية.

ويعمل جو الأرض على الحفاظ على حرارة الشمس، فيسمح بمرور أشعتها إلى سطح الأرض، محدثًا الدفء،.ولكنه لا يساعد على خروجها مرة أخرى بسهولة.

قال علماء الفلك:

وتدور الشمس حول محورها، كما تدور حول مجرة درب اللبانة، وتستغرق دورة الأرض حول محورها يومًا واحدًا، بينما تستغرق الشمس في دورتها حول محورها مدة شهر تقريبًا، وتستغرق في دورانها حول مركز المجرة مدة قدرها ٢٢٥ مليون سنة.

يقول الدكتور أحمد فؤاد باشا في قوله تعالى: ﴿ **وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِى لِمُسۡتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ** ﴾ [يس: ٣٨]: يتجلى معنى الإعجاز في هذه الآية الكريمة، وقد قال العلماء حول معنى الفعل (تجري) يعني أن الشمس تجري إلى أمد محدود، ومكان محدد تستقر فيه ولا تتجاوزه..

وقيل: هو انقضاء الدنيا وقيام الساعة، ويأتي العلم الحديث ليلقي مزيدًا من الضوء على هذا التفسير، ويوضح أن حقيقة جريان الشمس لا تقتصر على حركتها الظاهرية اليومية، وهنا نجد أن الفعل «تجري» يعبر عن حركة واقعية حقيقية للشمس التي تنتقل في الفضاء وتجر معها بالجاذبية كواكبها التي تدور حولها، ويدل الفعل أيضًا على أن هذه الحركة تتم بمعدل كبير، لأن الجري أدل على زيادة سرعة الجسم المتحرك من المشي أو السير، وقد تمكن أهل العلم من حساب سرعة هذه الحركة للشمس ومعها مجموعتها الشمسية بحوالي ١٩ كيلومتر في الثانية الواحدة في الفضاء الكوني نحو نقطة معينة تدعى عمليًا مستقر الشمس، ولا أحد يدري كيف تلحق الشمس بالمستقر الذي ينتهي إليه جريها، فهو أمر من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا من خلقها سبحانه وتعالى..

وتنكير لفظ (مستقر) يشير إلى عظيم شأنه، وهول آثاره، ويتضح من الإعجاز في هذه الآية صنوف لا حصر لها، ولا يكاد الإنسان يقضي حقها عجبًا..

آية من أربع كلمات، تحوي في كلمتين (والشمس تجري) معجزة علمية كبرى.. وتحوي في كلمتين أخريين (لمستقر لها) نبوءة مذهلة باكتشاف جريان الشمس نحو نجم «النسر الواقع» تأويلاً يتفق مجازًا مع الظاهر للناس من حركة الشمس النسبية، حتى يهتدي بها عوام الناس العاديين في كل عصر، وخواصهم من العلماء في عصر العلم..

وسبحان الله.. فالقرآن الكريم يخاطب الناس على اختلاف عقولهم وزمانهم..

وحول مستقر الشمس يقول علماء الفلك:

إنَّ الشمس تسبح إلى الوقت الذي ينفد فيه وقودها فتنطفئ..

وقال علماء وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا): **إنَّ الشمس عندما تستنفد طاقتها تدخل في فئة النجوم الأقزام، ثم تموت، وبموتها تضمحل إمكانية الحياة في كوكب الأرض، إلا أن موعد حدوث ذلك لا يعلمه إلا الكبير المتعال جل في علاه..**

أيها الأحبة الكرام..

وقد خلق الله ﷻ الشمس وجعل لها ست حركات:

(١، ٢) من المشرق إلى المغرب.

(٣، ٤) ومن الأسفل إلى الأعلى.

(٥، ٦) ومن الأعلى إلى الأسفل.

وجعل لها مشرقين في الصيف والشتاء، ومشارق ومغارب بعدد أيام السنة، كما قال سبحانه: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المعارج: ٤٠].

وقد تحدى رب العزة والجلال النمرود بالشمس حين قال إبراهيم: ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقد أقسم بها ربنا تبارك وتعالى في سورة سمّاها باسمها، فقال: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ ﴾ [الشمس: ١-٣].

وحول هذا القسم العظيم يقول الدكتور/ أحمد فؤاد باشا:

تتجلى روعة القسم الإلهي في هذه الآية من سورة الشمس، فيما يشير إليه من هذه المخلوقات التي أنعم الله ﷻ بها على الإنسان، وجعلها ضرورية لاستمرار الحياة والأحياء على كوكب الأرض..

أحبتي في الله..

وبعد هذه الجولة في معرفة حقيقة الشمس والقمر، وأنهما آيتان من آيات الله **بقي** أن نتساءل ما هو الكسوف؟

بكل بساطة نقول: إنَّ ظاهرة الكسوف تتعلق بثلاثة أجرام هي: الشمس والقمر والأرض.. فالقمر يدور حول الأرض بفلك محدد.. والأرض تدور مع قمرها بفلك محدد حول الشمس.. وهذا ما تحدث عنه القرآن بقوله تعالى: ﴿ **وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ [يس: ٤٠].

هذه المدارات تتشابك مع بعضها، وعلى الرغم من ذلك يبقى كل جرم من هذه الأجرام محافظًا على مداره، ولا يحدث أي صدام في هذه المنظومة الكونية العجيبة، ولذلك قال الله تعالى واصفًا لنا هذا المشهد: ﴿ **لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ [يس: ٤٠].

ولكن الذي يحدث أحيانًا أن القمر يمر من أمام الشمس **فيحجب ضوءها عنا، وهذا ما يسمى** بكسوف الشمس.. وإذا مر القمر بشكل كامل أمام الشمس، **فإن** الشمس تختفي بشكل كامل، وهذا ما يسمى بالكسوف الكلي.

أما إذا مرَّ القمر بشكل يحجب قسمًا من ضوء الشمس، **فيسمى بالكسوف** الجزئي.. فسبحان من خلق فسوى، وقدر فهدى..

إنَّ كسوف الشمس، وخسوف القمر آيتان من آيات الله، يخوف بهما عباده، وينذرهم، ليتنبه العاقل، والناصح لنفسه، فيرجع إلى الله ﷻ ويستغفره ويتوب إليه.. « **فإذا رأيتم ذلك، فصلوا وادعوا الله ...** »..

إنَّ كثيرًا من المسلمين في عصرنا هذا، والذي قد كثر فيه الكسوف والخسوف وتهاونوا بأمر الخسوف، فلم يقيموا له وزنًا، ولم يحرك منهم ساكنًا، وما ذاك إلا لضعف إيمانهم، وجهلهم بما جاء عن رسولنا وحبيبنا ﷺ واعتمادهم على ما علم من أسباب الكسوف الطبيعية، لكنهم قد غفلوا عن الأسباب الشرعية، والحكم البالغة، التي ينبغي الوقوف عليها ومعرفتها.. إنها ظاهرة تذكر الناس وتريهم أنموذجًا لما سيجرى يوم القيامة ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ [القيامة: ٩] ولكنه أنموذج مصغر..

ولم تحدث ظاهرة الكسوف في العهد النبوي إلا مرة واحدة، وعلى التحديد في السنة العاشرة من الهجرة في يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر شوال، وكان كسوفها ضحى، في يوم شديد الحر.. يوم أن مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية - رضي الله عنها - ولما كسفت الشمس، فزع الحبيب المصطفى ﷺ خوفًا من أن يكون الرب جل في علاه أراد بأهل الأرض شرًّا.. وأن ذلك يكون بسبب كثرة معاصينا وذنوبنا.. يخشى أن تكون حاملة لعذاب مدمر.. أما نحن فما هي حالنا إذا كسفت الشمس، أو خسف القمر؟ هل يحصل عندنا شيء من الخوف أو الفزع؟ أم تمر علينا هذه الحالة ونعتبرها ظاهرة طبيعية، لا علاقة بينها وبين المعاصي والمنكرات والذنوب؟

فالقمر آية عظيمة، وموعظة جليلة، جعلها الله ﷻ برهانًا على عظمته وربوبيته وجلاله، ليتوب الناس إليه بعد طول فتور، وليخافه المذنبون بعد غفلة وغرور ولكي يقلع أهل العصيان عن جميع الشرور.

لما حدث الكسوف أو الخسوف، قام النبي ﷺ فزعًا إلى المسجد، وأمر مناديًا ينادي (الصلاة جامعة) فاجتمع الناس في المسجد، فقام فيهم وصُفوا خلفه، وصلى ركعتين في كل ركعة ركوعان وسجودان، قرأ بالأولى فاتحة الكتاب، وسورة طويلة، جهر بالقراءة، ثم ركع فأطال الركوع، ثم رفع رأسه من الركوع فأطال القيام، وهو دون القيام الأول، وقال لما رفع رأسه: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، ثم أخذ في القراءة ثم ركع، فأطال الركوع وهو دون الركوع الأول، ثم رفع رأسه من الركوع، ثم سجد سجدة طويلة، فأطال السجود، ثم جلس بين السجدتين، ثم سجد، ثم قام ففعل ذلك في الركعة الثانية مثل ما فعل في الركعة الأولى، فكان في كل ركعة ركوعان وسجودان، فاستكمل في الركعتين أربع ركعات.. وأربع سجدات، وبعد الصلاة خطب بهم خطبة بليغة..

أحبتي في الله..

إذا رأيتم الكسوف أو الخسوف فالمشروع أن يفزع المسلمون إلى الصلاة والدعاء حتى يكشف الله ﷻ ما ألم بهم.. فهذه آيات تجعلنا نفر ونهرب إلى ربنا جل في علاه، ونغسل إساءتنا، ونمحو ذنوبنا.. فالمسلم إذا احتمى بربه، واستعان به واستجار، فهو في أعز جوار..

واحذروا مكر الله ﷻ ولا تأمنوا مكره.. ﴿ **قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ** ﴾ [الأنعام: ٦٥].

أيها المسلمون..

لما كانت صلاة الخسوف مختلفة عن سائر الصلوات في بعض صفاتها حسن التنبيه على بعض أحكامها والمتعلقة بها والله المسئول أن يعلمنا ما ينفعنا إنه سميع مجيب. ومن ذلك:

● إذا أخبر الفلكيون بوقوع كسوف أو خسوف فلا نصلي حتى نراه رؤية عادية لأن الرسول ﷺ قال « **إذا رأيتم ذلك فصلوا** »، أما إذا من الله علينا بأن صار الكسوف لا يرى في بلادنا إلا بمكبر أو نظارات فلا نصلي.

● صلاة الكسوف والخسوف مشروعة باتفاق العلماء، وقد أوجبها بعض العلماء لقول النبي ﷺ : « **إذا رأيتم ذلك فصلوا** »، وقوى ذلك ابن القيم - رحمه الله تعالى -.

● تسن صلاة الكسوف والخسوف جماعة وفرادى، فتسن في المساجد والبيوت لكن الأفضل فعلها في المساجد والجوامع.

● لا أذان ولا إقامة لصلاة الكسوف والخسوف بل ينادي لها « **الصلاة جامعة** ».. وإذا لم يعلم بالكسوف أو الخسوف إلا بعد زواله فلا يقضي لأنها سنة فات محلها.

● إذا كسفت الشمس بعد العصر تصلي ولو في وقت النهي لعموم قوله ﷺ : « **إذا رأيتم ذلك فصلوا** » فيشمل كل وقت.

● إذا شرع في صلاة الكسوف ثم غابت الشمس أو غاب القمر خاسفًا نتم الصلاة خفيفة لأنها إذا غابت فهي كما لو تجلى.

• يشرع بعد صلاة الكسوف والخسوف خطبة واحدة يذكر فيها الناس بالاستغفار والدعاء والصدقة.

• صلاة الكسوف والخسوف جهرية سواءً صليت بالنهار أو بالليل. ومجمل الصلاة: أربع ركوعات، وأربع سجدات في ركعتين.

• من فاتته الصلاة مع الجماعة قضاها على صفتها، ومن دخل مع الإمام في الركوع الأول فقد أدرك الركعة ومن فاته الركوع الأول فقد فاتته الركعة، وعليه أن يأتي ببدلها بعد سلام الإمام.

• لا تجوز صلاة الفريضة خلف من يصلي الخسوف لاختلاف الأفعال الظاهرة، ومن فعل ذلك جاهلاً فعليه إعادة صلاة الفريضة.

• وإذا فرغ الناس من الصلاة قبل زوال الخسوف اشتغلوا بالدعاء والصدقة والاستغفار حتى يرفع الله عنهم البلاء.

اللهمَّ يا حي يا قيوم ارزقنا البصيرة في آياتك، وزدنا بك علمًا ولك حبًّا، ومنك خشية.

اللهمَّ اجعل اجتماعنا هذا اجتماعًا مرحومًا، ولا تجعل فينا ولا منا شقيًّا ولا محرومًا.

وصلوا وسلموا على النبي النذير البشير، والسراج المنير كما أمركم بذلك ربكم اللطيف الخبير، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾..

اللهمَّ صل وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا وقدوتنا محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين..

وارض اللهمَّ عن الخلفاء الراشدين، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سائر أصحابه أجمعين وعنا معهم بجودك وكرمك يا أكرم الأكرمين..

اللهمَّ أعز الإسلام والمسلمين وارحم حوزة الدين، واجعل كلمتك هي العليا إلى يوم الدين، واخذل الكفرة والمشركين، وأصلح من فيه صلاح الإسلام والمسلمين،

وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام والمسلمين..

اللهمَّ احفظ بلادنا وسائر بلاد المسلمين..

اللهمَّ احفظ ووفق إمامنا لما تحب وترضى، وخذ بناصيته للبر والتقوى..

اللهمَّ واجعله من الهداة المهتدين..

الوصية رقم (٧)

نزهوا بيوت الله عن كل خبيث

عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **من أكل من هذه البقلة الثوم – وقال مرة: منْ أكل الثوم والبصل، والكراث، فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم** »[1].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

هذه الوصية المباركة من معلم البشرية، وأستاذ الإنسانية ﷺ فيها توجيهات سديدة، وقد وردت بروايات مختلفة عن جابر بن عبد الله مرة، وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – كما في صحيح مسلم أيضًا: « **من أكل من هذه البقلة، فلا يقربن مسجدنا حتى يذهب ريحها** »[2].

ورواها أبو سعيد ﷺ قال: لم نَعْدُ أن فتحت خيبر، فوقع أصحاب رسول الله ﷺ في تلك البقلة (الثوم) والناس جياع، فأكلنا منها أكلاً شديدًا ثم رحنا إلى المسجد، فوجد رسول الله ﷺ الريح، فقال: « **من أكل من هذه الشجرة الخبيثة شيئًا، فلا يقربنا في المسجد** »[3].

فقال الناس: حُرمت.. حرمت.. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: « **أيها الناس، إنه ليس لي تحريم ما أحل الله لي، ولكنها شجرة أكره ريحها** »[4].

المَساجد أماكن يشع فيها نور النبوة، ويلتئم فيها صف الأمة، منزهة عن كل لغو ودنس، ومحفوظة من كل ضرر، ملكها بين المسلمين مشاع، وحقها عليهم المحبة

---

(١) رواه مسلم (٨٧٦).

(٢) رواه مسلم (٨٧١).

(٣) رواه مسلم (٨٧٧) والنسائي وغيرهما.

(٤) رواه مسلم وأحمد عن أبي سعيد، وذكره الألباني في « صحيح الجامع » (٦٠٩٠).

والإكرام وعمارتها بصالح الأعمال ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ... ﴾ [التوبة: ١٨].

والمساجد من أحب الأماكن في الأرض إلى الله عَجَّلَ، وأشرفها منزلة عند الله، ومن أحبها لأجل الله، كان حبه لها دين وعبادة، وربح وزيادة..

﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

من هذه المساجد ينطلق نشيد السماء العلوي المقدس « الله أكبر » هذا الدعاء الذي تتجاوب أصداؤه بين الجوارح المؤمنة، فتهز له حبات القلوب الخاشعة مع كل صلاة، بل مع كل خفقة من خفقات الأفئدة.

(الله أكبر) نداء المساجد من فوق هامات المآذن حين تصبح وحين تظهر وحين تمسي بين الوقت والوقت من النهار والليل تدوي كلمة الروح (الله أكبر).

المساجد كما قال ﷺ : « **خير البقاع المساجد، وشر البقاع الأسواق** »[(١)].

وقال: « **المسجد بيت كل مؤمن** »[(٢)].

من تعلق قلبه بها، أظله الله عَجَّلَ في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.. « **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد** »[(٣)]. وقد جعل الشارع الحكيم صيانتها عن الأدناس قربة، وتنظيفها طاعة، وتطييبها طاعة.. فعن أبي رافع وعن أبي هريرة - رضي الله عنهما - أن امرأة سوداء، أو رجلاً كان يقم المسجد - أي يقوم بتنظيفه - ففقده النبي ﷺ فسأل عنه، فقيل: مات، فقال ﷺ : « **ألا آذنتموني به؟** »، أي هلا أعلمتموني بخبر موته؟ « **دلوني على قبره، فصلى عليه** »[(٤)].

---

(١) حسن: رواه الطبراني والحاكم، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٣٢٧١).

(٢) حسن: حسنه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٦٧٠٢).

(٣) متفقٌ عليه.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

قال ابن بطال: فيه الحض على كنس المساجد، وتنظيفها، لأنه ﷺ إنما خص المذكور في الحديث بالصلاة عليه بعد دفنه من أجل ذلك.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن امرأة كانت تلقط الأذى من المسجد، فتوفيت، فلم يؤذن النبي ﷺ بدفنها فقال: «**إذا مات لكم ميت، فآذنوني**» وصلى عليها وقال: «**إني رأيتها في الجنة تلتقط الأذى من المسجد**»[1].

وقد جعل الشارع الحكيم حسن المظهر، وجميل الملبس، وطيب الرائحة مطالب إسلامية، رغب الشارع فيها، عند أداء الصلاة، وعند حضور الجمع والجماعات، قال الله ﷻ: ﴿يَبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ...﴾ [الأعراف: ٣١].

وقد شرع أستاذ البشرية ﷺ استعمال السواك عند الصلوات، لأنه مطهرة للفم، مرضاة للرب. قال ﷺ: «**عليكم بالسواك، فإنه مطهرة للفم، مرضاة للرب**»[2].

أحبتي الكرام..

لأجل هذا كله ينبغي على كل مسلم أن يحافظ على مكان عبادته.. يحافظ على نظافة المساجد، بل يصرف شيئًا من زينته لله سبحانه وتعالى، وذلك عند الوقوف بين يديه فيأتي إلى عبادة ربه على أحسن حال.. وقدوتنا في ذلك - حبيبنا ومصطفانا محمد ﷺ - حيث كان يلبس أحسن الثياب، ويتعطر بأزكى العطور، بل كانت رائحته طيبة عبقة تفوح في كل مكان في طريقه وبين يديه..

وقد أخذ بهذا المبدأ أصحابه من بعده، فنهجوا نهجه، وسلكوا هديه، فعظموا الدين، فأعلى الله شأنهم، ورفع قدرهم، وأبقى ذكرهم، فلنا مع مثل هؤلاء وقفات، لكي نقارن بين حالنا وحالهم..

مساجدنا الآن تشكو حالها، وتبكي مآلها، لقلة وعي أكثر أهلها بأحكامها وآدابها.. فهذا يرتادها بلباس نومه، وذاك بثوب حرفته، وآخر ببنطال كرته، وآخر بكريه رائحته.. وخامس بسوء فعله.. وسادس برفع صوته، وسوء أدبه..

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الكبير»، كما ذكره الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٣٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢١٠).

كل هذا يدل على عدم احترام وتقدير بيوت الله ﷻ في الأرض..

لأجل ذلك رأينا النبي ﷺ يمنع أصحابه ذوي الرائحة الكريهة لسبب أو لآخر من ارتياد المساجد.. كما في الوصية التي نعيش معها.. فنهي من أكل شيئًا من الثوم أو البصل أو الكراث، أن يصلي في المسجد.. ويقاس عليه كل من يؤذي المصلين برائحته كالدخان والسجائر ونحو ذلك.. وهذا من باب أولى فإذا كان الثوم والبصل والكراث من البقوليات التي أحلها الله ﷻ لعباده بهذا الشأن، فما بالك بمن حرمه الله ﷻ كالدخان والخمر، والسجائر ونحو ذلك. وما يتأذى منه بنو آدم تتأذى منه الملائكة الكرام.. ولذلك لم يكن رسول الله ﷺ يأكل الثوم ولا البصل، ولا الكراث، ولا من فيه رائحة كريهة لأنه كان يناجي ربه.. ويناجي ملائكته الكرام. فقد سأله بعض أصحابه الكرام، ليعرف أهو حلال أم حرام، فقال له: «**كُلِ الثوم، فلولا أني أناجي الملك لأكلته**»[١].

وقد ورد أن في الثوم فوائد متعددة..

قال المناوي - رحمه الله - في فيض القدير: الذي وقفت عليه لأبي نعيم «**كلوا الثوم وتداووا به، فإن فيه شفاء من سبعين داء، ولولا أن الملك يأتيني لأكلته بحروفه**».

قال: ثم إن هذا الحديث قد عورض بأحاديث النهي عن أكل الثوم، وأجاب زين الحفاظ العراقي بأن هذا حديث لا يصح، فلا يقاوم الصحيح، وبأن الأمر بعد النهي للإباحة بدليل حديث أبي داود[٢]: «**كلوه، ومن أكله منكم فلا يقرب هذا المسجد، حتى يذهب ريحه**»[٣].

وقد ذكروا في الطب الحديث أن له فوائد متعددة منها:

أنه مطهر للمعدة ببلع فص على الريق مقطع، وأنه مذيب للكلسترول، ومانع من الجلطة، وهو علاج فعَّال لضغط الدم.. ومدر للبول، ومطهر للمجاري البولية، ويقضي على الإميبا والدوسنتاريا.. ويفيد في إزالة المغص، وسوء الهضم.. وغير ذلك من الأمراض.

---

(١) صحيح: صححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٤٤٩٣).

(٢) «فيض القدير» (٥/ ٥٣) للمناوي.

(٣) حسن: رواه أبو داود وابن خزيمة، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٣٤).

أحبتي الكرام..

واعلموا أنه كلما شرف المكان وطاب، كلما كان أولى أن يشرف ويحترم، ولما كان الطيب والبخور من علامات الإكرام والتشريف، كان حريًا أن نجدها في أماكن العبادة، فهي أولى بالشذا، وأحرى بالندا.

فطلب الرائحة الطيبة للمسجد، مطلب رفيع، وغاية مقصودة، في المساجد، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: « أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور، وأن تنظف وتطيب » والدور هي الأحياء.. وعند ابن ماجة: « **واتخذوا على أبوابها المطاهر، وجمروها في الجمع** »[1]. والمطاهر محال الوضوء، والتجمير: هو التبخير لها..

لهذا كان سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - ممن سار على درب الحبيب، واهتدى بهديه - يتناولون الطيب ويتطيبون في المساجد وغيرها، حتى أن بعضهم صار يُعرف بالرائحة الزكية.. وكان سلمة ﷺ إذا توضأ أخذ المسك، فمسح به وجهه ويديه.. وكان عبد الله بن مسعود ﷺ يعرف بريح الطيب، وكان يعجبه إذا قام إلى الصلاة (الريح الطيبة، والثياب النقية).

أما حبر الأمة عبد الله بن عباس ﷺ فقد كان إذا خرج إلى المسجد، عرف أهل الطريق أنه مرَّ منه، لطيب ريحه..

وكان عبد الله بن عمر ﷺ يتطيب للجمعة والعيدين، وكان يأمر بثيابه أن تجمر كل جمعة.

وعرف عثمان بن عروة بن الزبير بكثرة وضع الغالية - أي الأخلاط من الطيب - وكان حين يقوم من مصلاه يأتي الناس إلى مكانه، ويسلتون الغالية من على الحصباء مما أصابها من لحيته.

وقال عثمان بن عبيد الله: رأيت ابن عمر وأبا هريرة وأبا قتادة، وأبا أسيد الساعدي يمرون علينا ونحن في الكُتَّاب، فنجد منهم ريح العبير، وهو الخلوق.

---

(١) ضعيف: « ضعيف الجامع » (٢٦٣٦).

هكذا كانت مكانة الصلاة والمساجد عند سلفنا الأفذاذ، لمعرفتهم حق المعرفة.. عظم تلك العبادة، ولمعرفتهم أيضًا بين يدي من سيقفون.

أحبتي في الله..

وكما يكره أكل الثوم والبصل عند إتيان المساجد، يكره إخراج الريح في المساجد اختيارًا صونًا له عن الرائحة الكريهة، ولما يترتب عليه من إيذاء من بالمسجد، لحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **إنَّ الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه، الذي صلى فيه، ما لم يحدث، تقول: اللهمَّ اغفر له، اللهمَّ ارحمه** »[1].

ولحديث أبي رافع عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: « **لا يزال العبد في صلاة مادام في مصلاَّه ينتظر الصلاة، تقول الملائكة: اللهمَّ اغفر له، اللهمَّ ارحمه، حتى ينصرف أو يحدث** ».

فقيل: وما يحدث؟ قال: « **يفسو أو يَضْرَط** »[2].

فدل ذلك على أن الحدث في المسجد خطيئة يُحرم به المحدث من استغفار الملائكة ودعائهم له، ومن ثواب الجلوس في المسجد لانتظار الصلاة، وأن الحدث في المسجد أشد من النخامة، ولما لم يكن للحدث في المسجد كفارة ترفع أذاه، كما يرفع الدفن أذى النخامة فيه، عوقب بحرمان الاستغفار من الملائكة لما آذاهم به من الرائحة الخبيثة.

ويكره تحريمًا رفع الصوت في المسجد بنشد الضالة، لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: « **من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد، فليقل: لا أداها الله إليك، فإنَّ المساجد لم تبن لهذا** »[3].

فدل على جواز الدعاء على ناشد الضالة في المسجد، بعدم ردها إليه معاملة له بنقيض قصده حيث فعل ما لا يجوز فعله في المسجد من رفع الصوت، بما لم يُعدَّ له المسجد من العبادة والذكر والصلاة، وتعليم العلم، ونحو ذلك..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٢) رواه مسلم وأبو داود.

(٣) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجة.

وعن قتادة أن عمر سمع ناسًا من التجار يذكرون تجارتهم والدنيا في المسجد، فقال: إنما بنيت هذه المساجد لذكر الله، فإن ذكرتم تجاراتكم ودنياكم، فاخرجوا إلى البقيع

فاتقوا الله.. ونزهوا بيوت الله عن كل خبيث.. نسأل الله العظيم رب العرش أن يجعلنا من الذين يعمرون مساجد الله، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه..

اللهمَّ اغفر لنا وارحمنا.. اللهمَّ كن لنا ولا تكن علينا.. اللهمَّ بارك لنا في أبنائنا وإخواننا.. اللهمَّ احفظ نساءنا.. يا رب العالمين..

۞۞۞۞

(١) أخرجه ابن أبي شيبة.

الوصية رقم (٨)

لا تمنعوا إماء الله مساجد الله

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، ولكن ليخرجن وهن تفلات** »[١].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

إن الإسلام الحنيف دين كامل شامل لمصالح المسلمين في دنياهم وأخراهم، إنه جاء بالخير لأتباعه رجالاً ونساء.. قال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل: ٩٧]، ومن ذلك أنه سمح للمرأة بالحضور إلى المساجد للمشاركة في الأعمال الصالحات، كصلاة الجماعة، وحضور مجالس الذكر.. ولكنه اشترط عليهن أن تكن غير متبرجات بزينة.. اشترط عليهن أن يكن (تفلات) أي غير متطيبات، وإنما أمرهن بذلك، لئلا يفتن الرجال بطيبهن، ويصرفوا أنظارهم إليهن، فيحصل بذلك الافتتان بهن، ويلحق بالطيب، ما كان في معناه، كحسن الملبس، وإظهار الحلي، فإن تطيبت، أو لبست ثياب زينة، حرم عليها ذلك، ووجب منعها من الخروج، وفي صحيح مسلم: « **أيما امرأة أصابت بخورًا، فلا تشهدن معنا العشاء الآخر** »[٢].

وكذلك إذا خرجت المرأة إلى المسجد، فينبغي أن تبتعد عن مزاحمة الرجال..

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

« يجب على ولي الأمر أن يمنع من اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق، ومجامع الرجال، وهو مسئول عن ذلك، والفتنة به عظيمة، كما قال النبي ﷺ: « **ما تركت**

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده وأبو داود في سننه ورواه مسلم عن ابن عمر مختصرًا، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٧٤٥٧).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود والنسائي، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » برقم (٢٠٢١)، و« الصحيحة » (٣٦٠٥).

بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء ..»[١] ... إلى أن قال: يجب عليه منعهن متزينات متجملات، ومنعهن من الثياب التي يكن بها كاسيات عاريات، كالثياب الواسعة الرقاق، ومنعهن من حديث الرجال، أي التحدث إليهم في الطرقات، ومنع الرجال من ذلك» انتهى.

- **أحبتي الكرام..**

وقد جاءت هذه الوصية في صحيح مسلم من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - مختصرًا « **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله** »[٢] وعنه أيضًا عند البيهقي أنه ﷺ قال: « **لا تمنعوا إماء الله أن يصلين في المسجد** »[٣].

وحديث ابن عمر أيضًا في الصحيحين: « **إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن** »[٤].

وعن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل - رضي الله عنها - وهي زوجة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنها كانت تستأذن عمر إلى المسجد، فيسكت، وكان عمر يقول لها: والله إنك لتعلمين أني ما أحب هذا، وكان عمر رجلاً غيورًا، فتقول له: والله لأخرجن، إلا أن تمنعني، فلا يمنعها، ولقد طُعن عمر وإنها لفي المسجد.

وفي رواية: أنها كانت تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لم تخرجين، وقد تعلمين أنه يكره ذلك ويغار؟

قالت: فما يمنعه أن ينهاني؟

قالوا: يمنعه قول رسول الله ﷺ: « **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله** »[٥].

الله أكبر.. يا خالق عمر سبحانك.. إنَّ عمر كان وقَّافًا عند أمر الله، وأمر رسوله الكريم ﷺ..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه مسلم وغيره.

(٣) صحيح: رواه البيهقي، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٧٤٥٥).

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) رواه البخاري في « المساجد » رقم (٥٠٠).

وهكذا كان أصحاب النبي المصطفى، والرسول المجتبى ﷺ يتمسكون بسنته ويمتثلون لأمره، بل إنهم كانوا ينكرون على من يشعرون أنه يرفض السنة، أو يؤثر غيرها عليها..

فعن سالم بن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنَّ عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسولَ الله ﷺ: «**لا تمنعوا نساءكم المساجد، إذا استأذنكم إليها**» قال: فقال بلال بن عبد الله: لا ندعهن يخرجن، فيتخذنه دغلاً - أي للفساد والخداع والريبة - فأقبل عليه عبد الله بن عمر، فسبه سبًا شديدًا، ما سمعته سبه مثله قط، وقال: «أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول أنت: لنمنعهن»[١].

أحبتي في الله..

كل ما سبق يدل على أن للمرأة أن تخرج إلى المسجد للصلاة في جماعة، أو لسماع العلم ونحو ذلك، وعن عائشة - رضي الله عنها - أنَّ رسول الله ﷺ كان يصلي الصبح بغلس - والغلس هو ظلمة آخر الليل - فينصرفن نساء المؤمنين، لا يُعرفن من الغلس - أو لا يعرف بعضهن بعضًا[٢].

وكذلك جوز لها الرسول الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ أن تخرج المرأة في صلاة العيدين (الفطر والأضحى) والكسوف، فعن أم عطية - رضي الله عنها - قالت: أمرنا رسول الله أن نخرج في العيدين: العواتق، وذوات الخدور، وأمر الحُيض أن يعتزلن مصلى المسلمين[٣].

كما أباح للمرأة أن تخرج لصلاة الكسوف والخسوف، أو لتشهد دعوة المسلمين، فعن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - قالت: أتيت عائشة حين خسفت الشمس، فإذا الناس قيام يصلون، وإذا هي قائمة تصلي[٤].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) صحيح: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة والنسائي وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري وغيره.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

وإذا ذهبت المرأة إلى المسجد، ففي أي الصفوف تصلي؟ قال ﷺ: « **خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها** »[(١)].

إذا ذهبت إلى المسجد لا تتعطر، ولا تتطيب، فعن موسى بن يسار ﷺ قال: مرت بأبي هريرة ﷺ امرأة وريحها تعصف، فقال لها: أين تريدين يا أمة الجبار؟ قالت: إلى المسجد..

قال: وتطيبت؟ قالت: نعم..

قال: فارجعي فاغتسلي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **لا يقبل الله من امرأة صلاة خرجت إلى المسجد، وريحها تعصف حتى ترجع، فتغتسل** »[(٢)]. إذا ذهبت المرأة إلى بيت من بيوت الله ﷻ للصلاة، أو لمجالس الذكر، فلا تزاحم الرجال عند الدخول، أو في الطريق إلى المسجد، فرسول الله ﷺ لما رأى يومًا وهو خارج من المسجد، فوجد الرجال مع النساء في الطريق مختلطين فقال للنساء: « **استأخرن، فإنه ليس لكُنَّ أن تحتضن الطريق، عليكن بحافات الطريق** »[(٣)].

أحبتي في الله..

إن أرادت المرأة المسلمة أن تسعد السعادتين: السعادة المؤقتة بعمر محدود قصير، وهي السعادة الدنيوية، فإن من طلبها مجردة وحدها، فسوف ينسى ذلك في غمسة واحدة يُغمسها في جهنم.. « **يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيغمس غمسة في النار، ثم يقال له: هل مرّ بك خير قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب** »[(٤)]، فينسى كل نعيم ولذة في الحياة بغمسة واحدة في نار جهنم - والعياذ بالله -.

وإذا أرادت السعادة الأبدية التي لا انقطاع لها، وهي السعادة الأخروية، وهي

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة وغيرهم.

(٢) حسن: رواه ابن خزيمة وابن ماجة، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٠٢٠).

(٣) حسن: رواه أبو داود والبيهقي في الشعب، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٢٩)، و« صحيح سنن أبي داود » برقم (٥٢٧٢).

(٤) رواه مسلم.

المطلوبة، لأن غمسة واحدة في نعيم الجنة، تنسي صاحبها ما حصل له من التعاسة والآلام..

السعادتان تحصلان باتباع الرسول ﷺ وانتهاج نهجه، والسير على دربه، وطاعته.. ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]. لكن الشقاء كل الشقاء في معصية الله، التعاسة كلها في منهج غير منهج الله، وغير نهج رسوله وحبيبه ﷺ.. ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]..

إن أردت الفوز والنجاة والفوز برضوان الله ﷻ في ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] في يوم.. ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٦، ١٠٧].

فلا نجاة ولا فوز، ولا فلاح، ولا نجاح إلا بالتقوى والعمل الصالح.. ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١].

ثم لتحمد كل امرأة مسلمة ربها حمد الشاكرين له أن أنعم عليها بنعمة الإيمان، ونعمة القرآن، وأن جعلها من أمة خير الأنام سيدنا محمد ﷺ وتحمده على أن كرمها وطهرها، ورفع منزلتها، إنَّ منزلة المرأة لم ترفع مثل ما رُفعت تحت مظلمة لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله - ليس هذا فحسب - بل أنزل الله ﷻ فيها قرآنًا سورًا كاملة في كل امرأة مسلمة (سورة النساء، وأخرى تسمى بسورة مريم، وثالثة باسم المجادلة).. بل خصها بأحكام عديدة بعد أن كانت سلعة رخيصة ممتهنة.. بعد أن كانت المرأة على أهلها وقومها عارًا وشنارًا، وكانوا يئدونها حية.. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ ...﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

وقد روي عن الصحابي الجليل عبد الله بن مغفل ﷺ كان إذا جلس عند رسول الله ﷺ تعلوه كآبة وحزن، لكن طبيب القلوب، ورسول الله ﷺ هل تركه هكذا؟

لا.. لكنه سأله عن سبب حزنه ذلك الذي لا ينقطع أبدًا.. فقال: يا رسول الله، كنت في الجاهلية، وخرجت من عند زوجتي وهي حامل، وذهبت في سفر طويل، ولم أعُد إلا بعد سنوات طويلة وجئت، فإذا بها قد أنجبت لي طفلة تلعب بين الصبيان كأجمل ما يكون الصبيان قال: فأخذتها، وقلت لأمها: زينيها.. زينيها، وهي تعلم أني سأئدها وأقتلها، فقامت أمها تزينها وبها من الهم ما بها، وبعد أن انتهت، قالت لأبيها: يا رجل، لا تضيع الأمانة.. يا رجل لا تضيع الأمانة..

قال: ثم أخذتها أجمل ما يكون الأطفال براءة وجمالاً، فخرجت بها إلى شعب من الشعاب.. وبقيت في ذلك الشعب أبحث عن بئر أعرفها هناك، فجئت إلى بئر قويسة دوية، ليس فيها قطرة ماء..

قال: فوقفت على شفير البئر، أنظر إلى تلك الصغيرة، فيرق قلبي لما بها من البراءة وليس لها من ذنب، ثم أتذكر نكاحها وسفاحها، فيقسو قلبي عليها.. بين تلك العاطفتين أعيش..

قال: ثم استجمعت قواي فأخذتها، فنكبتها على رأسها في وسط تلك البئر.. ثم بقيت أنتظر.. هل ماتت؟ وإذا بها تقول: يا أبتاه، ضيعت الأمانة..

يا أبتاه، ضيعت الأمانة.. ترددها وترددها حتى انقطع صوتها.. فوالله يا رسول الله ما ذكرت تلك الحادثة، إلا وعلاني الحزن والهم، وتمنيت أن لو كنت نسيًا منسيًا.. ثم نظر النبي ﷺ فإذا دموعه تذرف على لحيته، فذكره بقوله ﷺ: « **الإسلام يَجُب ما قبله ..** »[1].

فالمرأة المسلمة تحمد الله ﷻ أن هداها إلى دين الإسلام، وشرفها بالانتساب إليه وكرمها به.. في حين أنه حرم غيرها من نساء العالمين..

ولتجعل المرأة جاهدة على أن تنقذ نفسها من النار وأهوالها يوم القيامة، فوالله ما أي امرأة خير من فاطمة بنت الحبيب محمد ﷺ وهو سيد العالمين، وإمام النبيين، وخاتم المرسلين.. وقد قال لها يومًا: « **يا فاطمة، اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئًا** »[2]. وهذا

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٧٧٧).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

إخطار للمرأة، وإنذار منه ﷺ يوم عرضت عليه النار، فرأى أكثر أهلها نساء..

فالمرأة عرضة لعذاب الله إن لم تخضع لأوامر الله، إن لم تطع الله، إن لم تقف عند أوامره وحدوده، وتجتنب نواهيه سبحانه وتعالى.. الذي ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم..

فهي أعجز من أن تطيق ليس نار جهنم.. لكن حرها وسموها.. إنَّ الجبال لو سيرت في النار، لذابت من شدة حرها، فأين أنت أيتها الضعيفة من الجبال الشم الراسيات ﴿ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ [النساء: ٧٧].

لا مهرب من الله إلا إليه.. ولا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه.. الكل راجع إليه.. والكل مسئول بين يديه.. والكل موقوف.. والكل سيسأل عن الفتيل والنقير والقطمير ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣] فماذا ستقول الأخت المسلمة لربها يوم يسألها عن دينها.. وعن حجابها.. وعن حيائها.. وعن صلاتها.. وعن سلوكها.. فماذا عسى أن يكون الجواب؟ ألا فأعدي للسؤال جوابًا، ثم أعدي للجواب صوابًا.. ولتعلم المرأة المسلمة أنها ستسأل عن رعيتها – أيًا كانت تلك الرعية – فلتكن قدوة حسنة في تربية أبنائها.. فإن الله سائلها عما استرعاها.. ماذا فعلت أضيعت الأمانة أم أقمتيها، ليكون لك مثل أجور من تبعك، إن عملت بالحق والدين، لا ينقص من أجورهم شيء؟

ثم لتحذر المرأة المسلمة أن تكون قدوة سيئة للأخريات، فتأتي يوم القيامة، تحمل أوزار من أضللت كاملة.. ألا ساء ما تزرين.. ألم تسمع إلى قول النبي الأمين ﷺ: « **كلكم راع ومسئول عن رعيته ..** » ثم خصها فقال: « **والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسئولة عن رعيتها** »[1].

وقال: « **ما من راع، استرعاه الله رعية، حفظ أم ضيع؟ حتى يُسأل الرجل عن أهل بيته** »[2].

---

(١) رواه البخاري وأحمد ومسلم وأبو داود.

(٢) صحيح: رواه ابن حبان في « صحيحه »، والترمذي مختصرًا، وصححه الألباني في « الصحيحة » (١٦٣٦)، و« صحيح الترغيب » (١٩٦٦).

ولتقتدي المرأة المسلمة بالصالحات لتفوز في الحياة وفي المات..

نسأل الله العظيم.. رب العرش العظيم أن يحفظ نساءنا من كيد الكائدين، وتربص المتربصين.. وان يبارك في بناتنا وبنات المسلمين..

اللهمَّ اجعلهن من الصالحات.. وبالصالحات مقتديات.. وعن الضلال معرضات.. وبالكتاب والسنة متمسكات..

اللهم استر عوراتنا، وامن روعاتنا.. واحفظنا من بين أيدينا، ومن خلفنا، وعن أيماننا، وعن شمائلنا.. ومن فوقنا.. ونعوذ بك أن نغتال من تحتنا يا رب العالمين..

۞۞۞

الوصية رقم (٩)

اغتنموا الأوقات بالأعمال الصالحات

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسًا قبل خمس: **شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»[1].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

في هذه الوصية الكريمة التي هي من أبلغ الوصايا، وأفصحها، وأشملها مع قصر كلماتها، وإيجاز عباراتها، فهي حقًا من جوامع الكلم، وجمعت أطراف الحكم.. لو عملنا بها، لسمت نفوسنا، ولعلت هممنا. لو عملنا بها، طهرت قلوبنا.. لو عملنا بها، صفت سرائرنا.. واستنارت بها بصائرنا..

فافتحوا لاستيعابها قلوبكم، وأصغوا لها أسمعاكم، وتعلموا من نبيكم الأعظم، ورسولكم الأكرم.. الذي ما ترك خيرًا إلا ودلنا عليه، وما ترك شرًّا إلا ونهانا عنه..

إنه في هذه الوصية أمرنا أن نغتنم أوقاتنا.. نغتنم حياتنا وشبابنا.. نغتنم الصحة قبل المرض.. والشباب قبل المشيب.. والغنى قبل الفقر.. والفراغ قبل الشغل.. وتلك هي حياة الإنسان وعمره.. تمر على أربعة مراحل في حياتك الدنيوية، وكل مرحلة منها لها سماتها، ولها مكانتها ومميزاتها فإن مرت مرحلة دون أن تغتنمها، ودون أن تستفيد منها، فلن ترجع إليك.. بل إن كل نفس تتنفسه في هذه الحياة، يسلم على الذي قبله، ولسان حاله يقول له: عليك سلام الله، لا ألقاك إلى يوم القيامة..

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثوان

فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها ... فالذكر للإنسان عمر ثان

---

(١) صحيح: رواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٧٧)، و«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٥٥).

يقول العلماء: أنت تمر بأربعة مراحل في عمرك:

١- عمر الصبا. ٢- عمر الشباب.

٣- وعمر الكهولة. ٤- وعمر الشيخوخة.

والمرحلة الخامسة سماها القرآن الكريم « أرذل العمر » وقد استعاذ منها أستاذنا ومعلمنا وحبيبنا محمد ﷺ .. ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ [التين: ٥].. مرحلة الصبا تبدأ من سن التمييز، أي من حوالي سن السادسة أو السابعة وحتى سن البلوغ.. حوالي الخامسة عشرة من عمرك.. وأغلب الناس يشتاق إلى تلك الأيام التي قضاها.. أيام الطفولة.. أيام البراءة.. لم يكن في بال أحدنا همٌّ برزق.. ولم تكن خائفًا.. خرجت من بطن أمك.. ورأيت أباك وأمك.. طعامك موجود. يداعبك أبوك.. تداعبك أمك.. يداعبك إخوتك.. وهذا زمن الفطرة التي قال الله ﷻ عنه: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ... ﴾ [الروم: ٣٠]، والنبي ﷺ يقول: « **كل مولود يولد على الفطرة** »[1]. أي على الإسلام.. والصفاء والنقاء.. نعم أيام الصفاء والنقاء.. هل يفكر الطفل في القتل؟ هل يفكر في الغش؟ هل يفكر في الحقد؟ هل يفكر في الانتقام؟ لا هذه ولا تلك بل هي مرحلة كلها صفاء ونقاء وشفافية.. هذه المرحلة أكثر من في هذا المسجد قد تعداها وتخطاها.. ولن تعود.. لكنك تستطيع أن تربي أولادك على ما فاتك من خير.. إن كان والداك قد قصرا في تربيتك أيام الصبا.. في حفظ القرآن والعلوم النافعة.. فعلم أولادك أن يحفظوا القرآن.. حفظهم العلوم الشرعية.. حبب إليهم المساجد.. استغل ذاكرتهم القوية.. إن فاتك ركبك.. فلا يفوتك ركب أولادك.. فأنت ربما تكون في الستين أو السبعين من عمرك، ويرزقك الله ﷻ بولد أو فتاة فتعلمه القرآن، فيحفظه قبل سن البلوغ، فكأنك أنت الذي حفظت القرآن لأن الذي يحفظ القرآن من الأولاد، يلبس الله ﷻ والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا.. أو يلبسان تاج الوقار..

قال ﷺ : « **من قرأ القرآن وتعلم، وعمل به، ألبس والداه يوم القيامة تاجًا من نور، ضوؤه من ضوء الشمس، ويكسي والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن** »[2].

---

(١) رواه البخاري وغيره.

(٢) حسن: رواه الحاكم على شروط مسلم، وحسنه الألباني في « صحيح سنن الترمذي » (١٤٣٤).

فكل حرف يحفظه ولدك أو يقرؤه يكون في ميزان حسناتك يوم القيامة.. لكن اليوم ماذا نعلم أولادنا؟ ماذا نعلم أبناءنا وبناتنا؟

الآباء يبحثون عن المدارس التي تعلم اللغات الأجنبية.. التي تعلم الحاسب الآلي.. التي تعلم العلوم الدنيوية، ولا يهتمون بعلوم الدين.. لسنا ضد العلم، ولكن نريد أن يكون هذا العلم لحساب الدين.. علمهم الرياضيات.. والأحياء.. والكيمياء..

أحبتي الكرام..

المرحلة الثانية هي مرحلة (الشباب): وهي أساسك، وهي عمرك الأصلي الذي تستطيع أن تبني عليه بناءك القوي.. هو عمرك يوم القيامة يكون في سن الشباب..

وما هذه الأيام إلا مراحل ... يحث بها داع إلى الموت قاصد

وأعجب شيء لو تأملت أنها ... منازل تطوى والمسافر قاعد

قال العلماء: عمر الشباب يبدأ من السادسة عشر إلى الخامسة والثلاثين.. استغل هذا العمر.. استغل هذا الوقت فيما يعود عليك بالنفع، ويعود على أمتك.. ويعود على دينك.. وهذا أخطر سن في العمر.. وأخطر مرحلة في حياة الإنسان..

قال الحسن: يا ابن آدم، إنما أنت مجموعة من الأيام، كلما مضى يوم، مضى بعضك..

وقال داود الطائي: إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة، ينتهي ذلك بهم إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زاد لما بين يديها، فافعل.. فإن انقطاع السفر عن قريب ما هو.. والأمر أعجل من ذلك، فتزود لسفرك.. واقض ما أنت قاض من أمرك.. فكأنك بالأمر قد بغتك..

وأيامنا تطوى وهن مراحل ... ولم أر مثل الموت حقًّا كأنه

إذا ما تخطفه الأماني باطل ... وما أقبح التفريط في زمن الصبا

فكيف به والشيب للرأس شامل ... ترحل من الدنيا بزاد من التقى

فعمرك أيام وهن قلائل

ماذا يفعل الشباب في زهرة شبابه؟! تجد الواحد منهم يلبس ملابس لا تدل على أنه ينهج منهج الإسلام.. شباب يمشون في الشوارع.. لا أدب.. لا حشمة.. لا حياء.. ذهب الحياء.. ذهبت الحشمة والعياذ بالله..

ترى أحدهم وقد علق سلسلة في رقبته.. وآخر يلبس بنطالونًا ضيقًا.. وقد أطال شعره.. وأطال أظافره.. أشياء عجيبة.. وشباب عجيب.. وعن الفتيات المتبرجات، فحدث ولا حرج.. ونسأل الله العفو والعافية..

أرأيتم كيف كان شباب السلف الصالح - رضوان الله عليهم -؟ كان أكثر الصحابة في عمر الشباب، وأكثر شباب الأنصار من الشباب.. هم الذين بنوا مسجد رسول الله ﷺ كانوا يحملون اللبنات والأحجار على ظهورهم، وكان الحبيب المصطفى ﷺ يساعدهم ويعاونهم.. وكان ينشد لهم..

اللهمَّ لا عيش إلا عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة[1]

لم يكونوا مثل شباب العصر.. بل كانت لهم آمال كبار.. وأحلام عظام لم يكونوا كهذا الشباب المائع، الذي يتسكع في الطرقات، ويعاكس الفتيات، وليس له أمل ولا طموح في الحياة.. قال فيهم الشاعر محمود غنيم - رحمه الله -:

شباب العرب يا زين الشباب ويا أشبال آساد غضاب
أرى منكم فريقًا حين يمشي يحك بأنفه متن السحاب
كليث الغاب في صلف وكبر وليس لدى الكريهة ليث غاب
تفنن في محاكاة العذارى وخالفهن في وضع النقاب
ولا يخشى على شيء ويخشى إذا ثار الغبار على التراب

كل ما يهمه التأنق في الزي.. التجمل في الشكل والصورة.. قال ﷺ: « **إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** »[2].

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم.

(٢) رواه مسلم.

أحبتي في الله..

والمرحلة الثالثة هي مرحلة الكهولة، وتبدأ من بعد سن الخامسة والثلاثين إلى الخامسة والخمسين تقريبًا.. ثم بعد ذلك مرحلة الشيخوخة.. وهو ما بعد ذلك إلى السبعين أو إلى الثمانين.. ثم بعد التسعين.. وهذا يسمى أرذل العمر.. وقد استعاذ النبي ﷺ من هذه الآونة أو هذه المرحلة، فكان مصعب بن سعد يقول: كان أبي يعلمنا هؤلاء الكلمات، ويرويهن عن النبي ﷺ: «**اللهمَّ إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر.. وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر**»[1].

ومن أراد أن لا يرد إلى أرذل العمر، فليقرأ القرآن الكريم، قال حبر الأمة عبد الله ابن عباس - رضي الله عنهما -: «من قرأ القرآن، لم يرد إلى أرذل العمر، وذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... ﴾ [التين: ٥، ٦]، قال: إلا الذين قرءوا القرآن[2]..

وكان الحسن يقول: يا أبناء الأربعين، أنتم زرع دنا حصاده، يا أبناء الخمسين ماذا قدمتم وماذا أخرتم؟ يا أبناء الستين، لا عذر لكم، ليت الخلق لم يخلقوا وإذا خلقوا، علموا لماذا خلقوا.. قد أتتكم الساعة فخذوا حذركم.. لذلك كان السلف إذا بلغ الواحد منهم الأربعين من عمري، فإنه يطوى فراشه - أي يقلل من ساعات النوم - ويستعد للقاء الله الواحد الديان..

وعن مسروق قال: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة، فليأخذ حذره من الله ﷻ[3]..

وكانوا يقولون: من بلغ الأربعين، ولم يغلب خيره شره، فلا خير فيه.. أي ما لم يغلب خيره أي حسناته على سيئاته.. لأن الأربعين تعتبر فيصل منتصف العمر تقريبًا..

فإذا كنت في منتصف عمرك، ولست مقبلاً على مولاك فمتى تقبل عليه؟

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أعذر الله**

---

(١) صحيح: رواه النسائي برقم (٥٤٧٨) ألباني، وفي «صحيح سنن الترمذي» (٣٥٦٧) ألباني.

(٢) صحيح: رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٤٣٥).

(٣) «الحدائق» لابن الجوزي (٣/ ١٦٩)، و«الزهد» لأحمد (٢/ ٢٨٧).

عز وجل إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة»[١].

وفي مسند الإمام أحمد: «**من عمّره الله إلى ستين سنة، فقد أعذر إليه العمر**»[٢] ما معنى هذا الكلام؟

معناه: أنه إذا أطال الله عمرك حتى بلغت الستين فلا عذر لك.. ولذلك عاب الله ﷻ قومًا من الكفار وغيرهم.. أنهم اشتكوا إلى الله ﷻ يوم القيامة أنهم لم يجدوا فرصة للإقبال عليه، فقال لهم: ﴿ **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** ﴾ [فاطر: ٣٧].

فما هو النذير؟ قال العلماء: النذير هو النبي ﷺ وقيل: هو القرآن الكريم.. وقيل: هو الشيب.. ظهور الشيب في الرأس، فهذا نذير، ولذلك كان بعض السلف، إذا رأى شعرة بيضاء في لحيته، أو في شعر رأسه، يقول: هذا نذير من النذر الأولى..

أحبتي في الله..

عمر الإنسان هو رأس ماله في هذه الدنيا.. عمر الإنسان هو مستقبله يوم القيامة.. تتوقف عليه سعادته الأخروية أو شقاوته - والعياذ بالله - ولذلك نجد كل إنسان سيسأل أمام الله ﷻ عن أربعة أمور في غاية الأهمية..

قال سيد الخلق، وحبيب الحق ﷺ: «**لن تزولا قدما عبدٍ حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟**»[٣]

ولذلك نلاحظ في الحديث أن كل واحد من هذه الثلاثة يُسأل عنها مرة واحدة إلا نوع واحد يُسأل عنه مرتين، وهو المال.. من أين اكتسبته؟ من الحلال أم من الحرام؟ أأكلت أموال اليتامى ظلمًا؟ أأكلت أموال الناس بالباطل من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟ أنفقته في الشهوات والملذات؟ أم أنفقته في البر والخيرات؟ يقول العلماء: من تيسرت أموره الدنيوية، وتعسرت عليه أموره الأخروية، فهو من المستدرجين.. يعني أنت في

(١) رواه البخاري (٦٤١٩).

(٢) رواه البخاري بنحوه عن أبي هريرة ورواه أحمد واللفظ له.

(٣) صحيح: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٢٦).

الأمور الدنيوية تنجز تجد وظيفة في حال التخرج، ربما تترقى في عملك بسرعة.. تعمل هنا وتعمل هناك فتزداد ثروتك بسرعة.. هذا مؤشر في علامة استفهام..

انظر إلى المقابل.. إلى أمورك الأخروية.. هل أنت كثير الصدقات؟ إذا كثرت أموالك، وقلت صدقاتك.. انتبه.. إشارة حمراء.. احذر..

وإذا تعسرت أمورك الأخروية كيف؟ مثلاً: كلما تريد أن تعمل أو تؤدي عمرة يأتيك ظرف طارئ.. عمل.. اجتماع.. مرضت الزوجة.. أو مرض الابن.. يقول: إن شاء الله سأذهب إلى الحج هذا العام.. فإذا به يفاجأ بأمر يطرأ عليه..

يقول: إن شاء الله، سوف أخرج صدقة، فإذا جاء وقتها ينسى، أو يصاب بأمر من الأمور..

وإذا تيسرت الأمور الدنيوية، والأمور الأخروية معك، فأبشر، فأنت من أصحاب اليمين، ومن جملة المؤمنين..

ومن تعسرت أموره الدنيوية، وتيسرت له أموره الأخروية، فهو من ورثة النبيين ومن الصالحين.. فهذه بشرى طيبة.. لأن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من يحب..

والدنيا كلها فانية.. قال بعض الحكماء: عجبت ممن الدنيا مولية عنه، والآخرة مقبلة إليه.. فيشتغل بالمدبرة، ويعرض عن المقبلة..

وقال عمر بن عبد العزيز في خطبة له: إنَّ الدنيا ليست بدار قراركم، كتب الله عليها الفناء، وكتب على أهلها منها الظعن - أي السفر - فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يكون.. وتزودوا فإن خير الزاد التقوى..

ولذلك أوصى الحبيب المصطفى ﷺ الصحابي الجليل عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن يكون في الدنيا على أحد حالين، فقال له: « **كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل** »[1]. فكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك..

---

(١) تخرج في موضع آخر وهو صحيح.

فالحالة الأولى: أن ينزل المؤمن نفسه، كأنه غريب في الدنيا، فهو غير متعلق ببلد الغربة.. لب قلبه متعلق بوطنه الذي يرجع إليه..

قال الحسن: المؤمن في الدنيا كالغريب، لأنه لما خلق الله آدم، أسكن هو وزوجته الجنة، ثم أهبطا منها، ووعد الرجوع إليها، فهو يحن إلى وطنه الأول.

فحـي عـلى جـنات عـدن فإنهـا ... مـنازلك الأولى وفـيها المخـيم

ولكنـنا سـبي العـدو فهـل تـرى ... نعـود إلى أوطانـنا ونـسلم

وقـد زعمـوا أن الغـريب إذا نـأى ... وشـطت بـه أوطانـه فهـو مغـرم

كان عطاء السلمي - رحمه الله - يقول: «اللهمَّ ارحم في الدنيا غربتي، وارحم في القبر وحشتي، وارحم موقفي غدًا بين يديك».

الحالة الثانية: أن ينزل المؤمن نفسه في الدنيا كأنه مسافر غير مقيم البتة، وإنما هو سائر في قطع منازل السفر، حتى ينتهي به السفر إلى آخره، وهو الموت، ومن كانت هذه حاله، فإن همته تكون تحصيل الزاد للسفر..

قيل لمحمد بن واسع - رحمه الله -: كيف أصبحت؟ قال: ما ظنك برجل يرتحل كل يوم مرحلة إلى الآخرة؟

وقال بعض الحكماء: كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره؟ وكيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله، وتقوده حياته إلى موته؟

موعظة:

أخي الحبيب..

اعلم أن هذه الدنيا أنفاس معدودة، في أماكن محدودة، وأن هذه الحياة (بحر) والأنفاس مراكب، تقربنا إلى الشاطئ، وأن الحياة (سفر) وهو إن طال العمر أو قصر لابد أن ينتهي إلى المنزل والمستقر في نهاية المطاف: إما إلى جنة أبدًا، وإما إلى نار أبدًا..

فهل من مشمر إلى الجنة؟ أم تريد القعود مع القاعدين؟

أخي الحبيب..

لقد دق ناقوس الرحيل، وتهيأ الركب للمسير، وأنت لم تزل راقدًا.. كلنا لابد أن يركب قطار الآخرة، فهل تريد أن ترحل كريمًا، ويحسن استقبالك، وتنزل منزلاً؟ أم تريد أن تذهب مخفورًا، وتستقبل مهانًا، وتلقى ملومًا مدحورًا؟

إنَّ من أراد سفرًا، سأل ونفر، وأعد له العدة وفكر.. وهيأ له الزاد وقدر.. فما بالنا نغفل عن السفر الطويل إلى الآخرة؟

إن الأيام تسير بنا وإن لم نسر، والأنفاس مراحل تقربنا إلى القبر، الذي هو أول منزل من منازل الآخرة.. ثم بعد ذلك أهوال وأهوال..

فماذا تراك قد أعددت لهذا السفر الطويل، الذي بدأ بالفعل منذ نزلت من بطن أمك؟

أيـــام عمـــرك تـــذهب وجمـــيع ســـعيك يكـــتب
ثـــم الدلـــيل علـــيك مـــنك فـــأين أيـــن المهـــرب؟

فالبدار البدار.. فلا يوجد ثم طريق للهرب أو الفرار..

قال مورق العجلي: يا ابن آدم، تؤتى كل يوم برزقك، وأنت تحزن، وينقص عمرك، وأنت لا تحزن، وتطلب ما يطغيك وعندك ما يكفيك..

يا هذا، إنك لم تزل في هدم عمرك منذ خرجت من بطن أمك، وإنما أنت أيام معدودة، كلما ذهب يوم، ذهب بعضك..

ألم تـــر أن الـــيوم أسرع ذاهـــب وأن غـــدًا للناظـــرين قـــريب

فهل آن الأوان لكي تبادر وتشمر قبل أن ترحل؟!

إذا كـــنت أعلـــم علـــمًا يقيـــنًا بـــأن جمـــيع حـــياتي كـــساعة
فلـــم لا أكـــون ضـــنينًا بهـــا وأجعلهـــا في صـــلاح وطاعـــة؟

فطوبى لمن سمع ووعى، وحقق ما ادعى، ونهى النفس عن الهوى، وعلم أن الفائز من ارعوى، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى..

اللهمَّ عمر أوقاتنا بطاعتك.. وزين ألسنتنا بذكرك.. وقلوبنا بنورك.. واغفر لنا ولجميع المسلمين..

اللهمَّ انهج بنا مناهج المفلحين، وألبسنا حلة الإيمان واليقين، وخصنا منك بالتوفيق المبين.. وكن لنا مؤيدًا.. ولا تجعل لفاجر علينا يدًا..

اللهمَّ إنا نسألك عملاً خالصًا متقبلاً.. وارزقنا رزقًا حلالاً واسعًا.. واهدنا واهد بنا، واجعلنا سببًا لمن اهتدى.. يا رب العالمين..



الوصية رقم (١٠)

الصوم دواء لعلل كثيرة

عن عمرو بن شرحبيل عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **« ألا أخبركم بما يذهب وحَر الصدر؟ قال: صوم ثلاثة أيام من كل شهر »**[1].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي الكرام..

هذه وصية عظيمة النفع لكل مسلم، حيث أن رسول الله ﷺ وهو أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية، يلقن الأمة درسًا بأبلغ أسلوب، وأفصح بيان. بأسلوب سهل ميسر.. بأسلوب السؤال والجواب.. يسألهم، ليدلهم على الجواب فهو يعرف الداء، ويشخص لهم الدواء..

ألا أخبركم وأعلمكم بالدواء الذي يمحو الغش والوساوس من الصدور؟ ألا أدلكم على ما يمحو الغل والحقد والغيظ؟ وكلها من أمراض القلوب..

لقد شخص الداء وبينه ووضحه، ثم يصف لك الدواء الناجع، فلينزلن هذا الدواء على قلبك نزول الماء من الظمآن..

إن الدواء لهذا الداء هو صوم ثلاثة أيام من كل شهر.. إنَّ هذا الداء يقضي عليه هذا الدواء (الصوم) في ثلاثة أيام فقط، إذا حافظت عليها..

قال المناوي في « فيض القدير »:

قال بعضهم: إنما شرع الصوم كسرًا لشهوات النفوس، وقطعًا لأسباب الاسترقاق والتعبد للأشياء، فإنهم لو داوموا على أغراضهم لاستعبدتهم الأشياء، وقطعتهم عن الله ﷻ والصوم يقطع أسباب التعبد لغيره، ويورث الحرية من الرق للمشتبهات، لأن

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده والبزار والنسائي، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٣٨٠٤)، و« صحيح الترغيب » برقم (١٠٣٦).

المراد من الحرية أن يملك الأشياء، ولا تملكه، لأنه خليفة في ملك الله بأمر الله ﷻ، فإذا ملكته فقد قلب الحكمة، وصير الفاضل مفضولاً، والأعلى أسفلاً ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٠] والهوى إله معبود، والصوم يورث قطع أسباب التعبد لغيره[١].

أما عن سر فاعلية هذا الدواء، وسبب قوته، فقد أوجزها أبو قدامة المقدسي في ثلاثة أسطر فحسب حين قال:

فضل الصوم على غيره لمعنيين، وذكر الأول، والثاني: أنه قهر لعدو الله، لأن وسيلة العدو الشهوات، وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب، ومادامت أرض الشهوات مخصبة، فالشياطين يترددون إلى ذلك المرعى، وبترك الشهوات تضيق عليهم المسالك[٢]. وهذا ما اكتشفه أحمد بن أبي الحواري - رحمه الله - أمام عينيه حين خرج مع أبي سليمان الداراني - رحمه الله - فمرا على زرع، وإذا طائران يلتقطان الحب، فلما شبعا، أراد الذكر الأنثى، فقال: يا أحمد.. انظر فيما كان، لما شبعا دعته بطنه إلى ما ترى[٣].

أحبتي الكرام..

وللصوم فوائد علاجية متعددة، هكذا وصفه الحكماء والأطباء، لقد قال لقمان الحكيم لابنه موصيًا: يا بني، إذا امتلأت المعدة، نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة.

وعن عبد الواحد بن زيد قال: سمعت مالك بن دينار يوصي حوشب: لا تبيتن وأنت شبعان، ودع الطعام وأنت تشتهيه..

فقال حوشب: هذا وصف أطباء أهل الدنيا.. وكان محمد بن واسع يستمع إلى كلامهما، فقال: نعم ووصف أطباء طريق الآخرة..

فقال مالك: بخٍ بخٍ للدين والدنيا[٤].

---

(١) « فيض القدير » (٤/ ٢٨) للمناوي.

(٢) « منهاج القاصدين » (ص٢٥).

(٣) « حلية الأولياء » (٤/ ١٧٨) لأبي نعيم.

(٤) « الحلية » (١/ ٣٧٠) لأبي نعيم.

ويقول مسعر بن كدام - رحمه الله -:

وجدت الجوع يطرده رغيف ... وملء الكف من ماء الفرات
وقل الطُّعم عون للمصلي ... وكثرة الطعم عون للسبات[١]

لقد أثبت العلماء قديمًا وحديثًا أن للصوم دور فعال في كبح الرغبة الجنسية، وقد ثبت هبوط مستوى هرمون الذكورة هبوطًا كبيرًا أثناء الصوم الدائم، ألم يقل النبي ﷺ: **« يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء »**[٢].

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

« وأما فضول الطعام: فهو داع إلى أنواع كثيرة من الشر، فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي، ويثقلها عن الطاعات، وحسبك بهذين شرًّا، فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام، وكم من طاعة حال دونها، فمن وقى شرَّ بطنه، فقد وقى شرًّا عظيمًا، والشيطان أعظم ما يتحكم من الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام.. إلى أن قال: ولو لم يكن من الامتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله ﷻ، وإذا غفل القلب عن الذكر ساعة واحدة، جثم عليه الشيطان، ووعده ومناه، وشهاه وهام به في كل وادٍ، فإن النفس إذا شبعت تحركت، وجالت على أبواب الشهوات، وإذا جاعت، سكنت وخشعت وذلت »[٣].

وقال المناوي في « فيض القدير »:

الصوم وقاية في الدنيا من المعاصي، بكسر الشهوة، لأنه يقمع الهوى، ويردع الشهوات، التي هي من أسلحة الشيطان، فإن الشبع مجلبة للآثام، منقصة للإيمان.. ولهذا قال ﷺ: **« ما ملأ آدمي وعاء شرًّا من بطنه .. »**[٤]. فإذا ملأ بطنه، انتكست

(١) المرجع السابق (٣/ ٢٥٥).
(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
(٣) « بدائع الفوائد » (٢/ ٤٩٨) لابن القيم.
(٤) صحيح: رواه الترمذي وابن حبان وابن ماجة، وصححه الألباني في « المشكاة » (٥١٩٢)، و« صحيح الترغيب » (٢١٣٥).

بصيرته، وتشوشت فكرته، وقد يقع في مداحض فيروغ عن الحق، وغلب عليه الكسل والنعاس، فيمنعه عن وظائف العبادات، وقويت قوى بدنه، وكثرت المواد والفضول، فينبعث غضبه وشهوته، وتشتد مشقته لدفع ما زاد على ما يحتاجه بدنه، فيوقعه ذلك في المحارم[1].

- وقال القارئ في « مرقاة المفاتيح » (٤/ ٢٢٩):

« ثالث أركان الإسلام، شرعه سبحانه لفوائد أعظمها: كونه موجبًا لشيئين أحدهما ناشئ عن الآخر: سكون النفس الأمارة، وكسر شهوتها في الفضول المتعلقة بجميع الجوارح من العين واللسان، والأذن والفرج، فإن به - أي بالصوم - تضعف حركتها في محسوساتها، ولذا قيل: إذا جاعت النفس شبعت جميع الأعضاء وإذا شبعت جاعت كلها ».

وكل هذا جمعه الحبيب المصطفى ﷺ وهو طبيب القلوب والأبدان: « **الصيام جنة، وهو حصن من حصون المؤمن** »[2].

أحبتي الكرام..

الصوم حصن للمؤمن، لأن من قل أكله، خف بدنه، ومن خف بدنه، نشط للعبادة، وللعبادة تأثير في تنوير الباطن وإشراقه، وخفة البدن أمر محمود، والسمن مذموم..

قال الإمام الشافعي - رحمه الله -: ما أفلح سمين قط، إلا محمد بن الحسن، وذلك لأن العاقل إنما يهتم لآخرته ومعاده، أو لدنياه ومعاشه، والشحم مع الغم لا ينعقد، فإذا خلى من المعنيين، صار في عداد البهائم، فانعقد شحمه وقد تطابقت الآثار والأخبار على ذم الشبع، والجوع أساس سلوك الطريق إلى الله ﷻ..

قالوا: شبع يحيى بن زكريا - عليهما السلام - ليلة من خبز الشعير، فنام عن ورده.. فأوحى الله ﷻ إليه: يا يحيى هل وجدت دارًا خيرًا من داري، وجوارًا خيرًا من

---

(١) « فيض القدير » (٤/ ٣١٩) للمناوي.

(٢) حسن: رواه الطبراني عن أبي أمامة، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٣٨٨١).

جواري؟ وعزتي وجلالي، لو اطلعت على الفردوس اطلاعة، لذاب جسمك، وزهقت روحك، اشتياقًا، ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة، لبكيت الصديد بعد الدموع، ولبست الحديد بعد النسوج..

قال الغزالي - رحمه الله -:

من أبواب الشيطان العظيمة: الشبع، ولو من حلال، فإنه يقوي الشهوات، وهي أسلحة الشيطان..

وروي أن يحيى بن زكريا ظهر له إبليس اللعين، وعليه معاليق من كل شيء، فقال: ما هذه المعاليق؟ فقال إبليس: هذه الشهوات التي أصيد بها بني آدم. قال: فهل لي من شيء فيها؟ قال: نعم، ربما شبعت، فثقلناك عن الصلاة والذكر.. فقال: لله عليَّ أن لا أملأ بطني بعد ذلك أبدًا..

قال إبليس: ولله عليَّ أن لا أنصح لأحد أبدًا.

وقد ذكر ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت من طريق وهب بن منبه، قال: أجمعت الأطباء على أن رأس الطب الحمية، وأجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت..

فالصوم يذهب الرواسب العصبية، والفضلات المعدية، والأخلاط المعوية، وهو يطيل العمر، ويقوي الجسد، ويريح الآلات الجسمية من عناء أعمالها في عامها، إذ كل آلة لابد لها من راحة، فالصوم راحة لآلات الجسد، وهذا معنى الحديث الذي قال فيه النبي ﷺ: «**صوموا تصحوا**».

إن الصائم الذي يشكو من زيادة الوزن، يستطيع أن ينقص أكثر من أربعة كيلوجرامات خلال أسبوع، شرط الابتعاد عن السكريات والدقيق الأبيض..

كما يشفيك الصيام من فقر الدم بعكس ما يتصور الجميع كونه يحرر مدخرات الجسم من مادة الحديد عند الشعور بالجوع.

والمصابون بارتفاع نسبة الدهون في الدم يمكن أن تنخفض لديهم نسبة الكولسترول والغليسيديدات إلى الوضع الطبيعي بعد أسبوع واحد فقط.

والمصابون بالتهابات الأوردة يحقق لهم صوم أسبوعين نتائج حميدة وملموسة ويفيد الصوم في علاج التهاب الكلى الحاد، والمصحوب بتورم وارتشاح ويفيد في أمراض القلب المصحوبة بتورم في القدمين والساقين، وتضخم في حجرات القلب.

يفيد الصيام في التهابات المفاصل الروماتزمية الحادة. ويقلل السكر في الدم، ويعمل على إخفائه من البول..

وهو علاج لاضطرابات الهضم، واضطرابات الأمعاء، وبالذات المزمنة.. والصوم يطهر الجسم من الآثار الإدمانية الضارة للسجائر والكحوليات والمخدرات ويجعل الإرادة أقوى في مواجهتها.

ويتحسن مرضى السكر كثيرًا خلال شهر رمضان، وقد يستغنون عن الأدوية في رمضان..

يقول الأطباء: إن الصيام يفيد في علاج بعض الأمراض النفسية والعصبية التي ينتج عنها بعض الأمراض الجلدية، فالصوم، وترك الذنوب الصغائر والاتجاه إلى الله ﷻ يقلل الأمور التي تشغل البال، فيؤدي هذا إلى الراحة النفسية.. وهذا يؤدي إلى المساعدة في علاج هذه الأمراض، التي تلعب الأعصاب فيها دورًا هامًا، مثل: البهاق والثعلبة.. وغيرها.

أحبتي الكرام..

ومن فوائد الصيام أنه يصفي القريحة، ويوقد الفكر، وينفذ البصيرة، وينير النفس البشرية، لتلقي الفيوضات القدسية، والإشراقات الربانية.. وفوق هذا كله لابد ولكي يحقق المسلم هذه المكاسب العظيمة من وراء الصيام، عدم الإسراف عند الإفطار في المأكل والمشرب، وكذلك النوم فمن المؤسف أن متوسط استهلاكنا للطعام (غير الصحي) يرتفع في رمضان إلى أربعة أضعاف معدلاته في الأشهر العادية.. وما يجب تغييره هو فكرتنا الخاطئة بأن الصوم (فترة معاناة) نستعد لها بحشو بطوننا بالطعام طوال الليل، وحين يؤذن للفجر، نستعد للنوم والاسترخاء، فالعيش بهذه الطريقة يجعل طعام الليل كمًا ونوعًا يترسب في الجسم خلال النهار، وهذا يحقق نتائج سلبية معاكسة أبرزها زيادة الوزن، وارتفاع نسبة الدهون في الدم.

أحبتي الكرام..

والصوم ليس امتناعًا عن الطعام والشراب فحسب، ولكنه وسيلة تدريبية إلى كف اللسان عن السب والشتم والصخب، وإلى كف اليد عن البطش والأذى، وإلى كف البصر عن النظرة الخائنة، وإلى كفِّ السمع عن الإصغاء للغيبة والنميمة وأي قول يرضي الشيطان، ويغضب الرحمن.

أيها الأحبة الكرام..

ومن أراد أن يزيد في جرعة الشفاء، وأن يضاعف من قوة الدواء، فعليه بالصوم في الحر الشديد، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى الأشعري على سرية في البحر، فبينما هم كذلك، قد رفعوا الشراع في ليلة مظلمة، إذا هاتف فوقهم، يهتف: يا أهل السفينة، قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه، فقال أبو موسى: أخبرنا إن كنت مخبرًا..

قال: إنَّ الله تبارك وتعالى قضى على نفسه، أنه من أعطش نفسه في يوم صائف، سقاه الله يوم العطش.

قال: فكان أبو موسى يتوخى اليوم الشديد الحر، الذي يكاد الإنسان ينسلخ فيه حرًّا فيصومه.

إنَّ الذي يريد أعلى درجة في الشفاء، هو الذي يقتدي بأبي موسى الأشعري، فيختار اليوم شديد الحر فيصومه، لكي يسبق غيره، ويفوق سواه، ولهذا سمى الحسن البصري أهل الصيام في أيام الحر: الرعيل الأول، لأنهم تقدموا صفوف الأتقياء، وسبقوا صفوة الأنقياء.. فعن الحسن أنه عرض عليه طعام، فقال: إني صائم، فقيل له: في هذا الحر الشديد! قال: أحب أن أكون في الرعيل الأول[1]. من أراد الراحة والرفق، فليقتد بمسروق..

فعن الشعبي قال: غشي على مسروق في يوم صائف، وهو صائم، فقالت له ابنته: أفطر، قال: ما أردت بي؟ قالت: الرفق، قال: يا بنية، إنما أطلب الرفق لنفسي في يوم كان

(١) «من أخبار السلف» (ص٣١٦) زكريا بن غلام قادر.

مقداره خمسين ألف سنة[١].

ومما يعين على تحمل الصوم كما مرَّ على مسروق، أن يتذكر المسلم يوم العطش الأكبر وليتعلم من هذا الأعرابي كما تعلم من مسروق..

خرج الحجاج بن يوسف الثقفي ذات يوم إلى الصحراء، وحضر وقت الغذاء، وكان لا يأكل إلا ومعه ضيف، فقال: اطلبوا من يتغدى معي، فطلبوا، فإذا أعرابي يركب ناقته، فجاءوا به، فقال: السلام عليكم.. فقيل له: هلم أيها الأعرابي إلى الطعام.. فقال: قد دعاني والله من هو أكرم منك، فأجبته..

قال له: ويحك أتعلم من أنا؟ قال: أنت الحجاج بن يوسف الثقفي.

قال: فمن أكرم مني.. قال: دعاني ربي إلى الصوم، فأنا اليوم صائم.

قال: أتصوم في هذا اليوم الحار.

قال: صمت ليوم هو أشد منه حرًّا.

قال: فأفطر اليوم، وصم غدًا.

قال: أيضمن لي الأمير أن أعيش إلى غدٍ؟

قال: ليس ذلك إليَّ.

قال: فكيف تسألني عاجلاً بآجل.

قال: إنه طعام طيب.

قال: والله ما طيبه خبازك ولا طبَّاخك.

قال: فمن طيبه؟ قال: العافية.

قال الحجاج: تالله، ما رأيت كاليوم.. أبعدوه عني.

أحبتي الكرام..

تقربوا إلى الله بالصيام والصلاة وسائر الأعمال قبل انتهاء الآجال.. واهجروا

---

(١) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/ ٣٠٥).

المعاصي والآثام.. فإنما طرد إبليس من رحمته سبحانه.. لأنه لم يعرف قدر نفسه.. فلو عرفت قدر نفسك ما أهنتها بالمعاصي.

اعرف قدرك.. خلق الله كل الأكوان من أجلك.. فكم من ملك في السموات يسبح الله مرتبة تتجافى جنوبهم.. ولكن هذا الملك لا يعرف طعم ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾.

فسبحان من اختارك على الكل.. وجادل عنك قبل وجودك بقوله: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وسبحان من خلق سبعة أبحر، ويحب منك مجرد دمعة.. انظر إلى نفسك، فإن كانت عزيزة، فلا تزلها، وإن كانت ذليلة فلا تزدها على زلها زلاً..

اللهمَّ تقبل منا الصيام والقيام، وتقبل منا ركوعنا وسجودنا.. وتقبل سائر أعمالنا..

اللهمَّ هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إمامًا..

اللهمَّ إنا نسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلا أن تهب لنا قلوبًا لينة، تخشع لذكرك وشكرك..

اللهمَّ إنا نسألك قلوبًا تطمئن لذكرك..

اللهمَّ إنا نسألك إيمانًا كاملاً، ويقينًا صادقًا، وقلبًا خاشعًا.. وعلمًا نافعًا، وعملاً صالحًا متقبلاً عندك يا كريم..

سبحان ربك رب العزة عما يصفون.. وسلامٌ على المرسلين.. والحمد لله رب العالمين..

۞۞۞

الوصية رقم (١١)

تسحروا فإن في السحور بركة

عن أنس رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **تسحروا فإن في السحور بركة** »[١].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

ما أعظم هذا الرسول العظيم، وما أكرمه من نبي كريم، يدل أمته على الخيرات وينهاهم عن المعاصي والسيئات.. إنه هنا يوصي الأمة بالسحور، ويأتي بعلة الأمر، فيقول: فإن في السحور بركة..

فهو بركة كما نص عليه حديث الوصية، وحديث آخر يرويه سلمان الفارسي رضي الله عنه يقول النبي ﷺ: « **البركة في ثلاثة: الجماعة والثريد والسحور** »[٢].

يقول النووي - رحمه الله -: وأما البركة التي فيها فظاهرة، لأنه يقوى على الصيام وينشط له، وتحصل بسببه الرغبة في الازدياد من الصيام، لخفة المشقة فيه على المتسحر، فهذا هو الصواب المعتمد في معناه.. وقيل: لأنه يتضمن الاستيقاظ والذكر والدعاء في ذلك الوقت الشريف، وقت تنزل الرحمات، وقبول الدعاء والاستغفار.. وربما توضأ صاحبه وصلى، أو أدام الاستيقاظ للذكر - أي تعود عليه - والدعاء والصلاة، أو التأهب لها حتى يطلع الفجر[٣].

يستيقظ صاحبه في الوقت الذي ينزل فيه رب العزة والجلال، ليناد على عباده ويقول لهم: « **ألا من مستغفر فأغفر له، ألا من تائب فأتوب عليه، ألا من سائل فأجيبه.. ألا هل من كذا، هل من كذا، حتى تطلع الشمس** »[٤].

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة والنسائي.

(٢) صحيح: أخرجه الطبراني في الكبير ورواته ثقات عن سلمان، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » برقم (١٠٦٥)، وصححه في « صحيح الجامع » (٢٨٨٢).

(٣) « صحيح مسلم بشرح النووي » (٤/ ٧٢).

(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي ومالك وغيرهم.

وقيل: إنَّ البركة تحصل بجهات متعددة، وهي اتباع السنة، ومخالفة أهل الكتاب، والتقوى به على العبادة، والزيادة في النشاط، ومدافعة سوء الخلق، الذي يثيره، والتسبب بالصدقة على من يسأل إذ ذاك، أو يجتمع معه الأكل والتسبب للذكر، والدعاء وقت مظنة الإجابة، وتدارك نية الصوم لمن أغفلها قبل أن ينام[١].

وقال الكلاباذي: فالبركة فيه بمعنى الإباحة بعد الحظر عنه من أول الليل، فكأنها إباحة زائدة على الإفطار آخر النهار، فهو رخصة، والله يحب أن تؤتى رخصه، كما تؤتى عزائمه.. فالترغيب في السحور، ترغيب في قبول الرخصة، ومعنى البركة فيه الزيادة، ويمكن كونها زيادة في العمر، لكون النوم موتًا، واليقظة حياة، ففي مدة الحياة معنيان: اكتساب الطاعة للمعاد، والمرافق للمعاش[٢].

وهو مما خصت به هذه الأمة.. قال ﷺ: «**فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب: أكلة السحر**»[٣].

قال التوربشتي: والمعنى أن السحور هو الفارق بين صيامنا وصيام أهل الكتاب لأن الله تعالى أباحه لنا إلى الصبح بعد أن كان حرامًا علينا في بدء الإسلام، وحرمه عليهم بعد أن يناموا، أو مطلقًا، ومخالفتنا إياهم تقع موقع الشكر لتلك النعمة[٤].

وقال ابن تيمية - رحمه الله -: وفيه دليل على أن الفصل بين العبادتين أمر مقصود للشارع.. قال مالك: ولذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون ترك العمل يوم الجمعة لئلا يصنعوا فيه كما فعل اليهود والنصارى في السبت والأحد[٥].

أحبتي في الله..

ما هو السحور؟ وما حكمه؟ وما فضله؟ وما آدابه؟ وما هي الأسباب التي تعوق تأخير السحور؟

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٢/ ٢٤٥)، «شرح سنن الترمذي».

(٢) «فيض القدير» للمناوي (٣/ ٣٢٠).

(٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن خزيمة.

(٤) «عون المعبود» (٥/ ٢٢١)، «شرح سنن أبي داود»، و«تحفة الأحوذي» (٢/ ٢٤٦).

(٥) «فيض القدير» (٤/ ٥٦٦) للمناوي.

السحور: هو الأكل في آخر الليل، وسمي بذلك لأنه يقع في السحر..

وحكمه: مستحب..

قال النووي - رحمه الله -: ونحن يستحب لنا السحور، ولو لم يتسحر، كأن نام ولم يستطع القيام قبل طلوع الفجر، فصومه صحيح، لأن السحور ليس شرطًا في صحة الصوم.

وقد نقل الحافظ ابن حجر في الفتح الإجماع على ندبه واستحبابه، وذكره الشيخ ابن العثيمين - رحمه الله - في الآداب المستحبة للصيام.

وقد حث النبي ﷺ عليه، ورغب فيه حتى ولو كان بشيء يسير جدًّا كالماء.. فقال ﷺ: « **تسحروا ولو بجرعة ماء** »[(١)].

وقد ورد في فضله أحاديث متعددة كثيرة قد ذكرنا بعضًا منها، وقد ورد عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **إنَّ الله وملائكته يصلون على المتسحرين** »[(٢)]. وعند أحمد في مسنده وغيره من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **السحور بركة فلا تدعوه، ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين** »[(٣)]. أي الذين يتناولون السحور بقصد التقوي به على الصوم، لما فيه من كسر شهوة البطن والفرج الموجبة لتصفية القلب، وغلبة الروحانية على الجسمانية الموجبة للقرب من جانب الرب تبارك وتعالى، ولذلك كان السحور متأكد الندب.

وصلاة الله عليهم رحمتهم، وصلاة الملائكة استغفار لهم، وهذا ترغيب عظيم فيه. فهل تترك رحمة الله بك، واستغفار الملائكة لك؟!

وهو الغذاء المبارك كما سماه النبي ﷺ، فعن العرباض بن سارية ﷺ قال: دعاني رسول الله ﷺ إلى السحور في رمضان، فقال: « **هلم إلى الغداء المبارك** »[(٤)].

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٠٧١)، و« صحيح الجامع » (٢٩٤٥).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان والطبراني في « الأوسط »، وصححه الألباني في « الترغيب » (١٠٦٦).

(٣) حسن: رواه أحمد بإسناد قوي، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٠٧٠).

(٤) صحيح: رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان والنسائي وأبو داود، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » رقم (١٠٦٧)، و« صحيح الجامع » برقم (٧٠٤٣).

والغداء مأكول الصباح، وأطلق عليه، لأنه يقوم مقامه.

قال الخطابي: إنما سماه غداء، لأن الصائم يتقوى به على صيام النهار، فكأنه قد تغدَّى، والعرب تقول: غدا فلان لحاجته، إذا بكر فيها، وذلك من لدن وقت السحور إلى وقت طلوع الشمس(١).

وعن عبد الله بن الحارث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يتسحر، فقال: « **إنها بركة أعطاكم الله إياها فلا تدعوه** »(٢).

وهناك بعض الآداب التي ينبغي فعلها في السحور، منها:

(١) تصحيح النية: فينبغي للمتسحر أن يصحح النية، بأن ينوي بسحوره هذا امتثال أمر النبي ﷺ والاقتداء بفعله، ليكون سحوره عبادة، وأن ينوي به التقوي على الصيام، ليكون به الأجر.

(٢) تأخير السحور: فالسنة تأخيره إلى قبيل الفجر، فقد روى أنس ﷺ عن زيد بن ثابت ﷺ قال: تسحرنا مع النبي ﷺ ثم قام إلى الصلاة.. قلت: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية(٣).

وقال الشيخ ابن العثيمين - رحمه الله -:

وتأخير السحور أرفق بالصائم، وأسلم من النوم عن صلاة الفجر، وللصائم أن يأكل ويشرب، حتى ولو بعد أن يتسحر، وبعد أن ينوي الصيام، حتى يتيقن طلوع الفجر، لقوله تعالى: ﴿ **وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ...** ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ودليلنا أيضًا على تأخير السحور، وأنه من السنة، قوله ﷺ: « **ثلاث من أخلاق النبوة: تعجيل الإفطار، وتأخير السحور، ووضع اليمين على الشمال في الصلاة** »(٤) فمن

(١) « عون المعبود » (٥/ ٢٢٢).

(٢) صحيح: رواه النسائي، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٠٦٩)، و« صحيح سنن النسائي » (٢١٦٢).

(٣) متفقٌ عليه.

(٤) صحيح: رواه الطبراني عن أبي الدرداء، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٣٠٣٨).

حافظ عليه، تخلق بأخلاقهم.

وعن أم حكيم - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «**عجلوا الإفطار، وأخروا السحور**»[١].

فمن المؤسف ما نراه في عصرنا هذا من بعض الناس، الذين يسهرون معظم الليل، فإذا أرادوا النوم، تسحروا وناموا، وتركوا صلاة الفجر، فهؤلاء صاموا قبل وقت الصيام، وتركوا صلاة الفجر، ولا يبالون بأوامر الله، وذلك أمر محزن، فكيف يطيق المؤمن أن يغمض عينيه، وهو تارك لفرض الله ﷻ؟!

(٣) ومن آداب السحور: التسحر على التمر: وهذا مستحب، لحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**نعم سحور المؤمن التمر**»[٢]. لما في التمر من فوائد متعددة..

(٤) أن لا يملأ المتسحر بطنه: فمن حكمة مشروعية الصيام: كسر شهوتي الفرج والبطن، وكثرة الأكل والشرب، تضعف معها هذه الحكمة.. وقد قال الحبيب المصطفى ﷺ: «**ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات، يقمن صلبه، فإن كان لابد لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**»[٣].

أحبتي في الله..

فتأخير السحور سنة نبوية.. ولكن هناك أمورًا معيقة لتأخير السحور منها:

١- ما يفعله بعض المؤذنين بما يعرف بالتنبيه والتسحير، وهو خلاف السنة.

٢- تقديم الأذان الأول، والسنة أن يكون الفارق بين الأذان الأول والثاني مقدار أن يطلع هذا، وينزل هذا، وإن زاد على ذلك فلا ينبغي أن يزيد عن ثلث الساعة.

٣- ما يقوم به بعض المتسحرين في القرى والأحياء من ضرب الطبول، وجوبان

---

(١) صحيح: صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٨٩).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٠٧٢)، و«الصحيحة» (٥٦٢)، و«صحيح سنن أبي داود» رقم (٢٣٤٥).

(٣) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني، وقد تخرج في موضع آخر.

الشوارع، بعضهم من الساعة الثانية، أو الثالثة، وفي هذا من الإضرار والإزعاج ما فيه، وإن لم يكن فيه إلا مخالفته للسنة لكفى، بجانب تقديم السحور، وربما كان سببًا في عدم قيام البعض لصلاة الصبح.

٤- التقيد بالإمساكيات، حيث يؤمر فيها بالإمساك قبل الفجر بنصف ساعة أو أكثر، وهو خلاف السنة، فقد ورد في المسند للإمام أحمد والمستدرك للحاكم وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا سمع أحدكم النداء والإناء على يده، فلا يضعه، حتى يقضي حاجته منه** »[١].

وفي رواية بزيادة: وكان المؤذن يؤذن إذا بزغ الفجر.

وذكر الألباني - رحمه الله - هذا الحديث عدة شواهد، وذكر عن أبي أمامة ﷺ قال: أقيمت الصلاة، والإناء في يد عمر، قال: أشربها يا رسول الله؟ قال: « **نعم** » فشربها[٢].

وعن بلال قال: « أتيت النبي ﷺ أوذنه لصلاة الفجر، وهو يريد الصيام، فدعا بإناء فشرب، ثم ناولني فشربت، ثم خرجنا إلى الصلاة »[٣].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **انظر من في المسجد، فادعه** » فدخلت المسجد، فإذا أبو بكر وعمر، فدعوتهما، فأتيته بشيء، فوضعته بين يديه، فأكل وأكلوا، ثم خرجوا، فصلى بهم رسول الله ﷺ صلاة الغداة[٤].

وحديث ابن عمر قال: كان علقمة بن علاثة عند رسول الله ﷺ فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال رسول الله ﷺ: « **رويدًا يا بلال، يتسحر علقمة، وهو يتسحر برأس** »[٥].

ففي كل هذه الأحاديث يدل على أن التبكير بالسحور مخالف لسنة النبي ﷺ وأصحابه ﷺ..

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني في « الصحيحة » (١٣٩٤)، و« صحيح الجامع » (٦٠٧).

(٢) حسن: قال الألباني في « الصحيحة »: أخرجه ابن جرير (٣/ ٥٢٧) بإسنادين عنه، وهذا إسناد حسن.

(٣) صحيح: رواه أحمد ورجال ثقات رجال الشيخين، وأخرجه ابن جرير رقم (٣٠١٨).

(٤) حسن: قال الألباني في « الصحيحة » (٣/ ٤٦٨): أخرجه البزار رقم (٩٩٣)، « كشف الأستار » وحسن إسناده.

(٥) حسن: أخرجه الطيالسي (٨٨٥)، والطبراني في « الكبير » كما في « المجمع » (٣/ ١٥٣) قاله الألباني.

فاللهمَّ وفقنا لما تحبه وترضاه يا رب العالمين..

اللهمَّ شفع فينا القرآن..

اللهمَّ اجعله لنا في القبر مؤنسًا، وعلى الصراط دليلاً، وإلى الجنة رفيقًا..

اللهمَّ ارزقنا ليلة القدر..

اللهمَّ تقبل صيامنا، وتقبل صلاتنا وتقبل جميع أعمالنا بفضلك يا أرحم الراحمين..

اللهمَّ اعتق رقابنا من النار..

اللهمَّ إنك عفوٌّ كريمٌ تحب العفو فاعف عنا.. يا رب العالمين..



الوصية رقم (١٢)

اغنوهم عن ذل السؤال في ذلك اليوم

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: « **زكاة الفطر، طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات** »[١].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « **اغنوهم في هذا اليوم** »[٢].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

زكاة الفطر، وصدقة الفطر، بكلا الاسمين وردت النصوص، وسميت صدقة الفطر بذلك، لأنها عطية عند الفطر، يراد بها المثوبة من الله ﷻ. فإعطاؤها لمستحقها في وقتها عن طيب نفس، يظهر صدق الرغبة في تلك المثوبة، وسميت زكاة لما في بذلها خالصة لله ﷻ من تزكية النفس وتطهيرها من أدرانها، وتنميتها للعمل، وجبرها لنقصه.

وإضافتها إلى الفطر من إضافة الشيء إلى سببه، فإن سبب وجوبها الفطر في رمضان، بعد إكمال عدة الشهر برؤية هلاله، فأضيفت له لوجوبها به..

والحكمة من مشروعية (زكاة الفطر) بينتها هذه الوصية الكريمة التي ذكرها لنا حبر الأمة عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة - أي تطهيرًا لنفس الصائم من أدران الذنوب، وتطهيرًا له من الشح وغيره من الأخلاق الرديئة، وتطهيرًا للصيام مما قد يؤثر فيه، وينقص ثوابه من اللغو والرفث، والرفث هو الكلام الفاحش..

زكاة الفطر تكمل الأجر، وتنمي العمل الصالح، وتزيد في ثواب صاحبها..

---

(١) صحيح: رواه الدارقطني والبيهقي ورواه أبو داود وابن ماجة، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٠٨٥).

(٢) حسن: رواه الدارقطني هكذا برقم (٢١٥٧) (جـ٥/ ٣٩١).

قال وكيع بن الجراح - رحمه الله -: زكاة الفطر لشهر رمضان كسجدتي السهو للصلاة، تجبر نقصان الصوم، كما يجبر السجود نقصان الصلاة.. زكاة الفطر.. طعمة للمساكين، ومواساة لهم وللفقراء، وإغناء لهم من ذل الحاجة والسؤال يوم العيد، لكي يشاركوا الناس فرحتهم بالعيد، ولهذا ورد في بعض الأحاديث: «**اغنوهم عن ذل السؤال في هذا اليوم**»، أي أطعموهم، وسدوا حاجتهم، حتى يستغنوا عن الطواف والتكفف في يوم العيد، الذي هو يوم فرح وسرور.

ثم إن إخراجها عن الأطفال، وغير المكلفين، والذين لم يصوموا لعذر من نحو مرض أو سفر داخل في الحديث، وتكون طهرة لأولياء غير المكلفين، وطهرة لمن أفطر لعذر، على أنه سوف يصوم، إذا زال عذره، فتكون طهرة مقدمة قبل حصول الصوم، أو قبل إتمامه.

وفيها: إظهار شكر نعمة الله تعالى على العبد بإتمام صيام شهر رمضان وما يسر من قيامه، وفعل ما تيسر من الأعمال الصالحة فيه.

وفيها: إشاعة المحبة والمودة بين فئات المجتمع المسلم.

أحبتي في الله..

وزكاة الفطر مفروضة، وكانت فرضيتها في السنة الثانية من الهجرة - أي مع صيام رمضان - وقد دل على مشروعيتها عموم القرآن الكريم، والسنة المطهرة وإجماع المسلمين..

فمن القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [الأعلى: ١٤] أي فاز كل الفوز، وظفر كل الظفر من زكى نفسه بالصدقة، فنماها وطهرها.

وقد كان عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - يأمر بزكاة الفطر، ويتلو هذه الآية. وقال عكرمة - رحمه الله - في الآية: هو الرجل يقدم زكاته بين يدي يعني قبل صلاة العيد.

وهكذا قال غير واحد من السلف - رحمهم الله تعالى - في الآية: هي زكاة الفطر. وروي ذلك مرفوعًا إلى النبي ﷺ عند ابن خزيمة وغيره.

وقال مالك - رحمه الله -: هي يعني زكاة الفطر - داخلة في عموم قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾.

وثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير على العبد، والحر والذكر والأنثى، والصغير، والكبير من المسلمين؛ وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة[1].

وحديث ابن عباس - رضي الله عنهما -: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين[2].

وقد أجمع المسلمون على فرضيتها قديمًا وحديثًا، وكان أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها..

وحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - يدل على أن زكاة الفطر واجبة على كل مسلم ذكرًا كان أو أنثى، حرًّا كان أو عبدًا، سواء كان من أهل المدن أو القرى أو البوادي بإجماع من يعتد بقوله من المسلمين، ولذا كان بعض السلف يخرجها عن الحمل وهي ليست واجبة على الحمل، لكن لعل هذا من شكر نعمة الله تعالى بخلقه والرغبة إلى من وهبه أن يصلحه..

إنها تجب على من فضل عنده صاع أو أكثر يوم العيد وليلته من قوته، وقوت عياله، ومن تجب عليه نفقتهم.

وغير المكلفين كالأيتام، والمجانين، ونحوهم، يخرجها راعيهم من مالهم من له عليه ولاية شرعية، فإن لم يكن لهم مال، فإنه يخرجها عنهم من ماله من تجب عليه نفقتهم.. لحديث عبد الله بن ثعلبة أن رسول الله ﷺ خطب قبل الفطر بيومين، فقال: «**أدوا صاعًا من بُر أو قمح بين اثنين، أو صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير على كل حر وعبد، وصغير وكبير**»[3].

---

(١) متفقٌ عليه.

(٢) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» برقم (١٨١٨).

(٣) حسن: أخرجه البخاري في «التاريخ» رقم (٦٤)، والدارقطني (٢/ ١٥٠) رقم (٣٩)، والبيهقي في «السنن» رقم (٤/ ١٦٤).

وفي رواية: « **أدوا صاعًا من قمح، أو صاعًا من بر - وشك حماد عن كل اثنين - صغير أو كبير، ذكر أو أنثى حرٌ أو مملوك، غني أو فقير، أما غنيكم فيزكيه الله، وأما فقيركم، فيرد عليه أكثر مما يعطي** »[١].

ولا تلزمه فطرة زوجته إذا نشزت، ولا عبده المكاتب، لأنه لا يلزمه نفقتها، ومن تبرع بنفقة إنسان شهر رمضان، لم تجب عليه فطرته، التي هي تابعة لوجوب النفقة.

قال صاحب المهذب: قال المصنف: ومن وجبت عليه فطرة من تلزمه نفقته إذا كانوا مسلمين، ووجد ما يؤدي عنهم فاضلاً عن النفقة، فيجب على الأب والأم وأمهما وإن علوا - فطرة ولدهما وولد ولدهما - وإن سفلوا - وعلى الولد وولد الولد (وإن سفلوا) فطرة الأب والأم وأبيهما وأمهما - وإن علوا - إذا وجبت عليهم نفقتهم.. (المجموع/ ج٦).

والخادم إذا كان له أجرة مقدرة كل يوم أو كل شهر لا يخرج عن الصدقة لأنه أجير، والأجير لا ينفق عليه.

إذا أسلم الكافر يوم الفطر، فقد قال مالك: من أسلم قبل طلوع الفجر من يوم الفطر، استحب له أن يؤدي زكاة الفطر.

أحبتي في الله..

ما هي الأنواع التي يُخرج منها زكاة الفطر؟

ثبت في الصحيح عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كنَّا نعطيها - يعني صدقة الفطر - في زمان النبي ﷺ صاعًا من طعام، أو صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير، أو صاعًا من الزبيب.

وفي رواية عنه في الصحيح، قال: وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر، فالأفضل الاقتصار على هذه الأصناف المذكورة في الحديث مادامت مذكورة، ويوجد من يقبلها ليقتات بها، فيخرج أطيبها وأنفعها للفقراء، لما في البخاري أن ابن عمر - رضي الله عنهما - كان يعطي التمر.

---

(١) حسن: أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥٧٨٥)، والبيهقي (٣٥٥٤).

وفي الموطأ عن نافع: (كان ابن عمر لا يخرج إلا التمر في زكاة الفطر، إلا مرة واحدة، فإنه أخرج شعيرًا - أعوز أهل المدينة من التمر - يعني لم يوجد في المدينة - فأعطى شعيرًا).

وفي هذا تنبيه على أنه ينبغي أن يخرج لهم أطيب هذه الأصناف، وأنفعها لهم، ومذهب مالك والشافعي وأحمد والجمهور أن البُر أفضل ثم التمر. قال الله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢].

فتخرج من هذه الأصناف إذا وجد من يقبله، ليقتات به أفضل، لأن فيه موافقة للسنة، واحتياطًا للدين، فإن لم توجد، فبقية أقوات البلد سواها. وذهب بعض أهل العلم - وهو قول مالك والشافعي وأحمد وغيرهم - إلى أنه يجزئ كل حب وثمر يقتات به، ولو تعدم الخمسة المذكورة في الحديث، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، واحتج له بقوله تعالى: ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ... ﴾ [المائدة: ٨٩]، وقوله ﷺ: «صاعًا من طعام».

والطعام قد يكون برًا أو شعيرًا، وقال - أي ابن تيمية -: هو قول أكثر العلماء وأصح الأقوال، فإن الأصل في الصدقات أنها تجب على وجه المواساة للفقراء.

• قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: وهو الصواب، الذي لا يقال بغيره، إذ المقصود سد خلة المساكين يوم العيد، ومواساتهم من جنس ما يقتات أهل بلدهم، لقوله ﷺ: «اغنوهم في هذا اليوم عن الطواف».

وقال الشافعي في الأم: وإن اقتات قوم ذرة، أو دُخنًا، أو سلتًا، أو أرزًا أو أي حبة ما كانت مما فيه الزكاة، فلهم إخراج الزكاة منها.

ويرى البعض أنه يجوز إخراجها من المكرونة المصنوعة من القمح، ولكن يتأكد أن الوزن هو وزن صاع القمح.

أحبتي في الله..

لكن ما هو المقدار الواجب في زكاة الفطر؟

لقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن النبي ﷺ فرض زكاة الفطر صاعًا، والمراد به صاع النبي ﷺ وهو أربعة أمداد، والمد: ملء كفى الرجل المتوسط اليدين من البُر

الجيد ونحوه من الحبوب، وهو على التقريب ما يساوي اثنان من الكيلوجرام والنصف كيلو، ومازاد على القدر فينويه على الصدقة. وقد قال الله ﷻ: ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝** ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

إذن فما وقت إخراجها؟

قال أهل العلم: لإخراج زكاة الفطر وقتان:

الأول: وقت فضيلة ويبدأ من غروب الشمس ليلة العيد إلى صلاة العيد، وأفضله ما بين صلاة الفجر، وصلاة العيد، لما ثبت في الصحيح من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: « فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر ... » الحديث. وفيه، قال: « وأمر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة »[1].

والثاني: وقت إجزاء، وهو قبل العيد بيوم أو يومين، لما في صحيح البخاري قال: وكانوا - يعني الصحابة - يعطون - أي المساكين - قبل الفطر بيوم أو يومين - فكان إجماعًا منهم. وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -: « **فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات** ».

قال ابن القيم - رحمه الله -: مقتضاه أنه لا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد - أي من غير عذر.

وقال ابن تيمية - رحمه الله -: إن أخرها بعد صلاة العيد، فهي قضاء، ولا تسقط بخروج الوقت.

وقال غيره: اتفق الفقهاء على أنها لا تسقط عمن وجبت عليه بتأخيرها، وهي دين عليه، حتى يؤديها، وأن تأخيرها عن يوم العيد حرام، ويقضيها آثمًا إذا أخرها عمدًا.

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى رقم (٢٨٦٧) جاء فيها: إذا أخر الشخص زكاة الفطر عن وقتها وهو ذاكر لها، أثم وعليه التوبة إلى الله والقضاء، لأنها عبادة، فلم تسقط بخروج الوقت كالصلاة - أي لا تسقط مثل الصلاة.

فما هو مكان دفعها؟

---

(١) متفق عليه.

وتدفع إلى فقراء المكان، الذي هو فيه، سواء أكان محل إقامته أو غيره، ولا بأس بنقلها إلى بلد آخر، لأن الأصل هو الجواز، ولا دليل يمنع نقلها. فاتقوا الله، وأخرجوا زكاة فطركم إلى فقرائكم، لتغنوهم عن ذل السؤال في ذلك اليوم..

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم، أن يكتب العزة للإسلام والمسلمين..

اللهمَّ إنا إلى رحمتك فقراء محاويج، فارحمنا برحمتك يا رحمن يا رحيم..

اللهمَّ إنا لا نشكو تبرمًا ولا ضعفًا، ولكن لتطمئن قلوبنا.. بك وحدك نستغيث.. وإياك أستعين.. وإليك الملجأ.. ولا حول ولا قوة إلا بك..

اللهمَّ أنت أحق من عُبد، وأرأف من مَلك، وأجود من سُئل، وأوسع من أعطى، فاستجب دعاءنا، وفرج كروبنا، وأزل همومنا، واغفر ذنوبنا يا كريم يا ذا الطول والإنعام.. يا ذا الجلال والإكرام.. يا رب العالمين..



الوصية رقم (١٣)

ضحوا فإنها سنة أبيكم إبراهيم

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من وجد سعة لأن يضحي، فلم يضحِّ، فلا يحضر مصلانا**»(١).

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي الكرام..

لقد شرع الله ﷻ الأضحية توسعة على الناس في أيام العيد، وبها يتقرب المسلم إلى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ** ﴾ [الكوثر: ٢]، وقال: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ** ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. والنسك هنا هو الذبح تقربًا إلى الله ﷻ.

والأضحية تذكرنا بما حدث للخليل إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، فقد ابتلى الله ﷻ الخليل بذبح ولده في الرؤيا التي رآها في منامه - ومعلوم أن رؤيا الأنبياء حق ووحي من الله ﷻ: ﴿ **قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ** ﴾ [الصافات: ١٠٢]، فماذا كان من أمر الغلام؟

لقد قال بلسان المستسلم لقضاء ربه وأمره: ﴿ **يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ** ﴾ [الصافات: ١٠٢] فأخذ إبراهيمُ إسماعيل فلذة كبده، وولده الوحيد آنذاك.. وبينما هما في الطريق، إذ قال له إسماعيل عليه السلام: يا أبتاه، إذا أردت أن تذبحني، فكبني على وجهي، حتى لا تأخذك الشفقة، فيحول ذلك بينك وبين تنفيذ أمر الله ﷻ. فأخذه إبراهيم عليه السلام وأوثقه ثم كبه على وجهه، لينفذ فيه ابتلاء الله وقضاءه، فيمسك بالسكين ويمررها على الحجر، لتأخذ عند الذبح في رقبة إسماعيل، ومررها على الحجر وسنها، حتى كادت أن تأخذ في الحجر، ثم به يمررها بعد على رقبة إسماعيل عليه السلام فلم تأخذ في رقبته.. الله أكبر..

(١) حسن: أخرجه الحاكم مرفوعًا وصححه موقوفًا، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» برقم (١٠٨٧).

السكين تأخذ في الحجر، ولا تأخذ في رقبة إسماعيل، كأن ربه يريد أن يقول له: «عبدي أنت تريد، وأنا أريد، ولا يكون إلا ما أريد ...».

سلب الله من السكين خاصية الذبح، كما سلب من النار خاصية الإحراق.. فكما قال للنار: ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩] قال للسكين: كوني بردًا وسلامًا على إسماعيل.. ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٧].

ومن يومها صارت الأضحية سنة مؤكدة، امتثالاً لأمر الله ﷻ بإراقة الدماء، بل صارت من أفضل الطاعات لله ﷻ.

فقد سأل الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - رسول الله ﷺ: ما هذه الأضاحي يا رسول الله؟ قال: «**سنة أبيكم إبراهيم عليه السلام**».

قالوا: فما لنا فيها يا رسول الله؟ قال: «**بكل شعرة حسنة**».

قالوا: فالصوف يا رسول الله؟

قال: «**بكل شعرة من الصوف حسنة**»[1]. وهذا الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث زيد بن أرقم ورواه ابن ماجة وهو حديث ضعيف.

ولم يرد في فضل الأضحية حديث صحيح، ولكن أحاديث ضعيفة، يقوي بعضها بعضًا. وقد ورد أيضًا: «**ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحب إلى الله ﷻ من إهراق الدم، وإنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفسًا**»[2]. رواه الترمذي وابن ماجة وضعفه الألباني.. لكنها ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، فمن الكتاب قوله تعالى لرسوله وحبيبه ومصطفاه ﷺ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢]. فالمراد بالصلاة، صلاة العيد، والمراد بالنحر هنا هو ذبح الأضحية..

---

(١) ضعيف: رواه أحمد.

(٢) ضعيف: رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهم، وضعفه الألباني.

وقد فعلها النبي ﷺ فعن أنس ﷺ قال: ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين، ذبحهما بيده، وسمى وكبر، ووضع رجله على صفاحهما(١).

وعن عائشة وأبي هريرة - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يضحي، اشترى كبشين عظيمين سمينين، أقرنين، أملحين، موجوءين، فذبح أحدهما عن أمته، لمن شهد لله بالتوحيد، وشهد له بالبلاغ، وذبح الآخر عن محمد وعن آل محمد ﷺ(٢).

وقد أمر أصحابه بذلك، ففي صحيح البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد عن عقبة بن عامر ﷺ أن النبي ﷺ أعطاه غنمًا يقسمها على صحابته، فبقى عتود فذكره للنبي ﷺ فقال له: « **ضحِّ به أنت** »(٣).

والأضحية سنة مؤكدة في حق الموسر عند جمهور الفقهاء منهم الإمام مالك والشافعي وأحمد وإسحاق، وغيرهم، وقالوا: لا تجب إلا بالنذر، وقد استدلوا على ذلك بحديث أم سلمة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: « **إذا دخلت العشر وأراد أحدكم أن يضحي، فلا يمس من شعره وبشره شيئًا** »(٤).

وعند الترمذي بلفظ: « **من رأى هلال ذي الحجة، وأراد أن يضحي، فلا يأخذن من شعره، ولا من أظفاره** »(٥).

قال الإمام الشافعي - رحمه الله -: هذا دليل على أن التضحية، ليست بواجبة، لقوله ﷺ: « **وأراد ...** » فجعله مفوضًا إلى إرادته، فلو كانت واجبة لقال: فلا يمس من شعره حتى يضحي.

وأما حديث الوصية، والتي نعيش تحت ظلاله « **من وجد سعة، لأن يضحي فلَم يضحِّ فلا يحضر مصلانا** » فقد استدل به من قال بوجوبها، وقالوا: مثل هذا الوعيد لا يليق إلا بترك الواجب..

---

(١) متفقٌ عليه.

(٢) صحيح: « صحيح سنن ابن ماجة » للألباني برقم (٣١٢٢).

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٤) صحيح: صححه الألباني في « صحيح سنن النسائي » (٤٣٦٤).

(٥) رواه مسلم والترمذي وابن ماجة.

وقال فيه أصحاب الرأي الأول، ومنهم الحافظ ابن حجر: ليس صريحًا في الإيجاب. واستدلوا بحديث مخنف بن سليم مرفوعًا: « **على كل أهل بيت أضحية** »[١].

قال الجمهور: لا حجة فيه، لأن الصيغة ليست في الوجوب المطلق، وقد ذكر معها العتيرة، وليست بواجبة عند من قال بوجوب الأضحية.. قاله الحافظ.. واستدلوا - أي من قال بوجوبها - بحديث الترمذي أن رجلاً سأل ابن عمر - رضي الله عنهما - عن الأضحية: أواجبة هي؟ فقال: ضحى رسول الله والمسلمون، فأعادوها عليه، فقال: أتعقل؟ ضحى رسول الله والمسلمون.

وهذا الحديث وإن كان الترمذي قد حسنه، لكن فيه الحجاج بن أرطاة وهو مدلس.. وقال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم أن الأضحية ليست بواجبة.. لأن الإمام الترمذي فهم عدم وجوبها من كون ابن عمر، لم يقل في الجواب: نعم.. وقال البخاري في صحيحه: قال ابن عمر: هي سنة ومعروف.

أحبتي الكرام..

وها هي بعض الأحكام التي تتعلق بالأضحية:

أولاً: ما الذي يجوز به التضحية؟

لقد أجمع أهل العلم على جواز التضحية من جميع الأنعام وهي (الإبل والبقر والغنم) ولا تجزئ من غيرها. لقوله تعالى: ﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ** ﴾ [الحج: ٣٤] فلا يجزئ غيرها كالظباء ولا الدجاج، ولا الأوز، ولا حتى الحمار الوحشي أو الفرس.. لأنه لم ينقل عنه ﷺ ولا عن أحد من أصحابه التضحية بغيرها[٢]..

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ضحى رسول الله ﷺ بكبش أقرن فحيل، يأكل في سواد، ويمشي في سواد، وينظر في سواد[٣]..

---

(١) ضعيف: رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة، وضعفه الألباني.

(٢) « فتح القدير » (٩/ ٩٧) للشوكاني.

(٣) صحيح: صححه الألباني في « صحيح سنن الترمذي » (١٤٩٦)، و« صحيح سنن ابن ماجة » (٣١٢٨).

وفحيل: أي كبش فحل كامل الخلقة، لم تقطع أنثياه.. وقد ورد أنه ضحى بكبشين موجوءين: أي خصيين.. ولا تعارض بينهما لاحتمال وقوع ذلك مرة وذلك مرة أخرى.. ومعنى: يأكل في سواد: أي فمه أسود، ويمشي في سواد أي قوائمه سود مع بياض سائره.. وينظر في سواد أي حول عينيه أسود وما ورد أن ابن عباس - رضي الله عنهما - أعطى مولىً له درهمين، وقال له: اشترِ بهما لحمًا، ومن لقيك، فقل له: هذه أضحية ابن عباس، وكذلك ما ورد أن بلالاً قال لسويد بن غفلة: ما كنت أبالي لو ضحيت بديك، فالأثران أخرجهما سعيد بن منصور، وهما ضعيفان.

قال الإمام النووي - رحمه الله - في «المجموع» (٨/ ٣٦٤-٣٦٦):

فشرط المجزئ في الأضحية أن يكون من الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم، سواء في ذلك جميع أنواع الإبل، وجميع أنواع البقر، وجميع أنواع الغنم من الضأن والماعز وأنواعهما، ولا يجزئ غير الأنعام، من بقر الوحش وحميره، وغيرها بلا خلاف. وسواء الذكر والأنثى من جميع ذلك، ولا خلاف في شيء من هذا عندنا..

ولا تجزئ بالمتولد من الظباء والغنم، لأنه ليس من الأنعام» انتهى مختصرًا.

ونحوه ذكره ابن قدامة الحنبلي في كتابه «المغني».

ثانيًا: ما الأفضل من الأنواع الثلاثة؟

أي: البقر والإبل والغنم..

ذهب الإمام مالك إلى أن الأفضل في الضحايا: الكباش، ثم البقر، ثم الإبل، عكس الأمر في الهدايا..

وقال الشافعية والحنابلة: الأفضل الإبل ثم البقر، ثم الضأن، ثم الماعز..

وعند الأحناف: أفضلها أطيبها لحمًا، إن استويا في اللحم والقيمة، وإذا اختلفا فيهما فالأكثر قيمة أو لحمًا أفضل.. ولذا قالوا: الشاة أفضل من سبع البدنة، إذا استويا في القيمة واللحم..

ثالثًا: ما لا تجوز منه الأضحية:

لا تجوز الأضحية بسن أقل من السن المشروط.. فلا يجزئ من الضأن إلا ما كان عمره (ستة أشهر) ودخل في السابع، سواء كان ذكرًا أو أنثى ويسمى جذعًا، قال ﷺ:

« لا تذبحوا إلا مسنة، إلا أن يعسر عليكم، فتذبحوا جذعة من الضأن »[١]. وما ورد في سنن أبي داود والنسائي من حديث مجاشع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **« إنَّ الجذع يوفي مما يوفي منه الثني »**[٢].

ولا يجزئ من المعز والبقر والإبل إلا ما كان مسنة، سواء كان ذكرًا أم أنثى..

فمن المعز ما بلغت سنة، ودخلت في الثانية..

ومن البقر ما أتمت سنتين، ودخلت في الثالثة..

ومن الإبل ما أتمت خمس سنين، ودخلت في السادسة..

رابعًا: العيوب التي ترد بها الأضحية:

لا يجزئ في الأضحية الآتي:

١- العوراء البين عورها، ولا تجزئ العمياء من باب أولى.

٢- المريضة البين مرضها، فإن كان مرضها خفيفًا أجزأت.

٣- العرجاء البين عرجها: ومقطوعة ومكسورة الأرجل من باب أولى.

٤- الهزيلة التي لا تنقى: أي التي لا مخ لها لضعفها وهزالها.

فعن البراء بن عازب ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: **« أربع لا يجزين في الأضاحي: العوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين ظلعها، والكسيرة التي لا تنقى »**[٣].

وهذه العيوب ترد بها الأضحية، ولا تجزئ باتفاق أهل العلم.

خامسًا: وقت الأضحية:

أجمع أهل العلم على أن الأضحية لا يجوز ذبحها قبل طلوع الفجر من يوم النحر واختلفوا فيما بعد ذلك وأكثر أهل العلم أنها تذبح بعد صلاة العيد، ولا يجوز قبله، لحديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: **« من ذبح قبل الصلاة فإنما ذبح لنفسه، ومن ذبح**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح: « صحيح سنن أبي داود » للألباني (٢٧٩٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد وابن ماجة والنسائي.

بعد الصلاة، فقد تم نسكه، وأصاب سنة المسلمين»[١].

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب، فقال: «إنَّ أول ما نبدأ به من يومنا هذا أن نصلي، ثم نرجع، فننحر، فمن فعل ذلك، فقد أصاب سنتنا، ومن نحر فإنما هو لحم يقدمه لأهله، ليس من النسك في شيء»[٢].

فدل هذين الحديثين على أن وقت الذبح يدخل بعد فعل الصلاة..

وتمتد التضحية إلى آخر أيام التشريق (الثالث عشر من ذي الحجة).

سادسًا: ما الذي يمتنع عنه من أراد أن يضحي؟

إذا ثبت دخول شهر ذي الحجة، وأراد أحدٌ أن يضحي، فإنه يحرم عليه أخذ شيء من شعر جسمه، أو قص أظافره، أو شيء من جلده.. وقيل: إن ذلك مكروه كراهة تنزيهية، وليس محرمًا..

ولا يمنع المضحي من لبس الجديد، والطيب، ولا مباشرة زوجته أو جماعها.

وهذا الحكم هو للمضحي وحده دون باقي أهله، ودون من وكله بذبح الأضحية، فلا يحرم شيء من ذلك على زوجته وأولاده، ولا على الوكيل.

ولا فرق بين الرجل والمرأة في هذا الحكم، فلو أرادت امرأة أن تضحي عن نفسها، سواء كانت متزوجة أم لم تكن، فإنها تمنع عن أخذ شيء من شعر بدنها، وقص أظافرها لعموم النصوص الواردة في المنع من ذلك.. وهذا لا يسمى إحرامًا، لأنه لا إحرام إلا لنسك الحج والعمرة.. وعن أم سلمة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم هلال ذي الحجة، وأراد أحدكم أن يضحي، فليمسك من شعره وأظافره»، وفي رواية: «فلا يمسنَّ من شعره وبشره شيئًا»[٣].

وفي لفظ عند أبي داود ومسلم والنسائي: «من كان له ذبح يذبحه، فإذا أهل هلال

---

(١) صحيح: رواه البيهقي وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٧٣).

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

ذي الحجة فلا يأخذن من شعره ومن أظفاره شيئًا حتى يضحي»[1]، سواء في ذلك إن تولى ذبحها بنفسه، أو وكل ذبحها إلى غيره.

ولا يحرم شيء من هذا على من لم يرد التضحية، لعدم قدرته، ومن أخذ شيئًا من أظفاره، وكان يريد التضحية، فلا يلزمه فدية، والواجب عليه التوبة والاستغفار.

قال الشوكاني - رحمه الله -:

والحكمة في النهي أن يبقى كامل الأجزاء للعتق من النار، وقيل: للتشبيه بالمحرم حكى هذين الوجهين النووي، وحكى عن أصحاب الشافعي أن الوجه الثاني غلط، لأنه لا يعتزل النساء، ولا يترك الطيب واللباس، وغير ذلك مما يتركه المحرم[2].

سابعًا: هل يجوز للمرأة الغنية أن تضحي عن زوجها؟

الأضحية مشروعة للرجل والمرأة، فمن كانت لديها القدرة على الأضحية، استحب لها ذلك، وإذا ضحت المرأة فلتجعل أضحيتها عن نفسها، وعن أهل بيتها، فيدخل في ذلك زوجها.

وأما إذا أرادت أن تضحي عنه بحيث تكون الأضحية له، فلابد من إذنه، لأنه لا تجوز النيابة عن الغير في العبادة إلا بإذنه، سواء كان النائب رجلاً أو امرأة، لأن الأضحية عبادة، والعبادة لابد لها من نية.

ثامنًا: ذبح الأضحية أفضل من التصدق بثمنها:

بعض الناس يقول: إنَّ الأضحية وخاصة إذا كانت من الضأن - ففيها عظم ودهن وكرش وجلد وغير ذلك فهل لي أن أتصدق بثمنها؟

ذكر أهل العلم أن ذبح الأضحية أولى وأفضل من التصدق بثمنها، فقد كان ذلك هدي النبي ﷺ والخلفاء بعده، فقد ضحوا وأهدوا الهدايا، ولو أن الصدقة بالثمن أفضل لم يعدلوا عنه.

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم.

(٢) «نيل الأوطار» (٥/ ١٣٣) للشوكاني.

تاسعًا: كيف تقسم الأضحية؟

قد ورد الأمر بالتصدق بلحوم الأضاحي في كثير من الأحاديث، كما ورد الإذن بالأكل والادخار، فقد روى الشيخان، قال عبد الله بن واقد: نهى رسول الله عن أكل لحوم الضحايا بعد ثلاث..

قال عبد الله بن أبي بكر - رضي الله عنهما - فذكرت ذلك لِعَمْرةَ فقالت: صدق، سمعت عائشة - رضي الله عنها - تقول: دفَّ أهل أبيات من أهل البادية - أي وفدوا إلى المدينة - حضرة الأضحى - في زمن العيد - فقال رسول الله ﷺ: «**ادخروا ثلاثًا ثم تصدقوا بما بقى**» فلما كان بعد ذلك، قالوا: يا رسول الله، إنَّ الناس يتخذون الأسقية من ضحاياهم، ويجملون منها الودك - أي يذيبون الدهن - فقال رسول الله ﷺ: «**وما ذاك؟**».

قالوا: نهيت أن تؤكل لحوم الضحايا بعد ثلاث.

فقال: «**إنما نهيتكم من أجل الدَّافة التي دفت، فكلوا وادخروا وتصدقوا**»[1].

قال الإمام النووي - رحمه الله - في شرحه:

هذا تصريح بزوال النهي عن ادخارها فوق ثلاث، وفيه الأمر بالصدقة منها والأمر بالأكل..

فأمَّا الصدقة منها، إذا كانت أضحية تطوع، فواجبة على الصحيح بما يقع عليه اسم الصدقة، ويستحب أن يكون بمعظمها..

قالوا: وأدنى الكمال أن يأكل الثلث، ويتصدق بالثلث، ويهدي الثلث. وفيه قول: أنه يأكل النصف، ويتصدق بالنصف..

وهذا الخلاف في أدنى الكمال في الاستحباب، فأما الإجزاء فيجزيه الصدقة بما يقع عليه الاسم.. ولنا وجه أنه لا تجب الصدقة منها بشيء.

وأما الأكل منها، فيستحب ولا يجب[2].. ويرى البعض وجوب الأكل منها..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٦/ ٤٦٥)، و«نيل الأوطار» (٥/ ١٤٥) للشوكاني.

وقال أحمد: نحن نذهب إلى قول عبد الله (أي ابن عباس) - رضي الله عنهما -: يأكل الثلث، ويطعم من أراد الثلث، ويتصدق على المساكين بالثلث) رواه أبو موسى الأصفهاني في «الوظائف» وقال: حديث حسن، وهو قول ابن مسعود وابن عمر ولم يعرف لهما مخالف من الصحابة[١].

وعلى هذا قد ظهر كيفية تقسيم الأضحية، والله أعلم.

عاشرًا: هل الأفضل أن أضحي أم أسد الدين إن كان عليَّ دين؟

الأولى والأفضل أداء الدين وسداده، خاصة إذا كان الدين حالاً، أما إذا كان الدين مؤجلاً، بعيد الأمد، بحيث يغلب على ظن المدين أنه سيتمكن من سداده فيجوز له الأضحية حينئذ..

لأن أداء الدين واجب، والأضحية سنة مؤكدة، فلا تقدم السنة على الواجب، حتى على رأي من قال بأن الأضحية واجبة، فإن سداد الدين مقدم عليها، لأن الأضحية إنما تجب عندهم على القادر، والمدين غير قادر.

والدين حق العباد، والأضحية حق مندوب لله ﷻ، وحقوق العباد مقدمة على حق الله تعالى، لأن حق الله مبني على المسامحة، وحق العباد مبني على المشاحنة.

في سداد الدين إبراء للذمة، وفي تقديم الأضحية شغل لها، وإبراء الذمة أولى.

الحادي عشر: الأضحية عن الأموات:

والديَّ متوفيان فهل أضحي عنهما؟

قال الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله -:

الأصل في الأضحية أنها مشروعة في حق الأحياء، كما كان رسول الله ﷺ وأصحابه يضحون عن أنفسهم وأهليهم، وأما ما يظنه بعض العامة من اختصاص الأضحية بالأموات، فلا أصل له.

والأضحية عن الأموات ثلاثة أقسام:

الأول: أن يضحي عنهم تبعًا للأحياء، مثل أن يضحي الرجل عنه وعن أهل بيته

---

(١) «المغني» (٨/ ٦٣٢) لابن قدامة.

وينوي بهم الأحياء والأموات (وهذا جائز).

الثاني: أن يضحي عن الأموات بمقتضى وصاياهم، تنفيذًا لها (وهذا واجب إلا إن عجز عن ذلك) وأصل هذا قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٨١].

الثالث: أن يضحي عن الأموات تبرعًا مستقلين عن الأحياء، بأن يذبح لأبيه أضحية مستقلة، أو لأمه أضحية مستقلة (فهذه أضحية جائزة)، وقد نص عليها فقهاء الحنابلة على أن ثوابها يصل إلى الميت، وينتفع به قياسًا على الصدقة عنه.

ولكن لا أرى تخصيص الميت بالأضحية، فليس من السنة، لأن النبي ﷺ لم يضح عن أحد من أمواته بخصوصه، فلم يضح عن عمه حمزة، وهو من أعز أقاربه، ولا عن أحد من أولاده الذين ماتوا في حياته، وهن ثلاث بنات متزوجات، وثلاثة أبناء صغار، ولا عن زوجته خديجة، وهي من أحب نسائه إليه.. ولم يرد عن أحد من أصحابه في عهده أنه ضحى عن أحد من أمواته.

ومن البدعة ما يفعله بعض الناس حين يضحون عن الميت أول سنة يموت أضحية يسمونها (أضحية الحفيرة) ويعتقدون أنه لا يجوز أن يشرك معه في ثوابها أحد.. والله أعلم..

اللهمَّ تقبل منا واقبلنا يا رب العالمين.. اللهمَّ تقبل صلاتنا وتقبل نسكنا وتقبل سائر أعمالنا.. اللهمَّ وفقنا للتعاون في طاعتك، والمبادرة إلى خدمتك، وحسن الآداب في معاملتك.. والتسليم لأمرك، والرضا بقضائك..

اللهمَّ ثبتنا وقوِّ إيماننا بك وبملائكتك وبرسلك وبكتبك، ونجنا من النار.. ومن البوار، وأسكنا الجنة دار القرار.. يا رب العالمين..

❁❁❁❁

الوصية رقم (١٤)

من استطاع أن يموت بالمدينة فليفعل

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « **من استطاع أن يموت بالمدينة، فليمت بها، فإني أشفعَ لمن يموت بها** »[١].

وفي رواية: « **من استطاع منكم أن يموت بالمدينة، فليفعل، فإني أشهد لمن مات بها** »[٢]. وفي رواية: « ... **فإنه من مات بالمدينة، شفعت له يوم القيامة** »[٣].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

هذه الوصية المباركة، وردت في فضل المدينة المنورة، نورها الله ببركة الحبيب..

قال المناوي - رحمه الله - في « فيض القدير » في معناها:

من استطاع أي من قدر أن يموت بالمدينة - أي أن يقيم فيها حتى يدركه الموت « **فليمت بها** » أي فليقم بها حتى يموت، فهو تحريض على لزوم الإقامة بها، ليتأتى له أن يموت بها، إطلاقًا للمسبب على سببه، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقوله: « **فإني أشفع لمن يموت بها** » أي أخصه بشفاعة غير العامة، زيادة في الكرامة..

وأخذ منه حجة الإسلام: ندب الإقامة بها، مع رعاية حرمتها، وحرمة ساكنيها.

وقال ابن الحاج: حثه على محاولة ذلك بالاستطاعة، التي هي بذل المجهود في ذلك، فيه زيادة اعتناء بها، ففيه دليل على تميزها على مكة في الفضل لإفراده إياها بالذكر هنا.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي وابن ماجة وابن حبان، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (١١٩٣).

(٢) **صحيح**: صحيح سنن ابن ماجة للألباني رقم (٣١١٢).

(٣) رواه البيهقي.

قال السمهودي: وفيه بشرى للساكن بها بالموت على الإسلام، لاختصاص الشفاعة بالمسلمين، وكفى بها مزية، فكل من مات بها، فهو مبشر بذلك[١].

أحبتي الكرام..

إنَّ للبلدان والأوطان شرفًا ومكانة وعلوًّا وحرية ومجدًا وتاريخًا، وتأتي المدينة النبوية بلد المصطفى ﷺ أرض الهجرة، ودار الإيمان، وموطن السنة في المكان الأعلى، وهي بعد مكة سيدة البلدان وثانيتها في الحرمة والإكرام، والتعظيم والاحترام.. فيها قامت الدولة النبوية، والخلافة الإسلامية..

وصدق النبي ﷺ: «**أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس، كما ينفي الكير خبث الحديد**»[٢].

يقول ابن بطال في معناه: «**أمرت بقرية**» أي أمرت بالهجرة إليها..

وقوله: «**تأكل القرى**» يعني: يفتتح أهلها القرى، فيأكلون أموالهم، ويسبون ذراريهم، ويقتلون مقاتلتهم.. وهذا من فصيح كلام العرب، تقول: أكلنا بني فلان، وأكلنا بلد كذا: إذا ظهروا على أهله وغلبوهم.

وقال الخطابي: يريد أن الله ينصر الإسلام بأهل المدينة، وهم الأنصار، وتفتح على أيديهم القرى، ويُغنمها إياهم فيأكلونها[٣]..

المدينة مهبط الوحي، ومتنزل جبريل الأمين على الرسول الكريم ﷺ، وهي مأرز الإيمان، يأرز في نواحيها.. فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الإيمان ليأرز إلى المدينة، كما تأرز الحية إلى جحرها**»[٤].

قال المهلب: فيه أن المدينة لا يأتيها إلا المؤمن، وإنما يسوقه إليها إيمانه ومحبته للنبي ﷺ فكأن الإيمان يرجع إليها، كما خرج منها أولاً، ومنها ينتشر كانتشار الحية من

---

(١) «فيض القدير» (٦/ ٧٠) للمناوي.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٣) ذكره ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري (٨/ ١٣٨).

(٤) صحيح: «صحيح سنن ابن ماجة» للألباني (٣١١١)، و«صحيح الجامع» (١٥٨٩).

جحرها، ثم إذا راعها شيء، رجعت إلى جحرها، فكذلك الإيمان لما دخلته الدواخل، لم يقصد المدينة إلا مؤمن صحيح الإيمان.

وقال الأصمعي: يأرز يعني: ينضم إليها، ويجتمع بعضه إلى بعض[١]..

وفي رواية عند الترمذي: « **إنَّ الدين ليأرز إلى الحجاز، كما تأرز الحية إلى جحرها وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل، إنَّ الدين بدأ غريبًا، ويرجع غريبًا، فطوبى للغرباء، الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي** »[٢].
ومعنى « **ليعقلن** » أي والله ليعتصمن.

قال القاري: والمراد أن أهل الإيمان يفرون بإيمانهم إلى المدينة، وقاية بها عليه، أو لأنها وطنه الذي ظهر وقوي بها، وهذا إخبار عن آخر الزمان حين يقل الإسلام[٣].

فيا هناء ساكنيها، ويا سعادة قاطنيها، ويا فوز من إقامته فيها، حتى جاءته المنية في أراضيها.

في البعد عنها يهيج الشوق إليها، ويتضاعف الوجد عليها، وكان رسول الله إذا قدم من سفر، ونظر إلى جدرانها ودوحاتها ودرجاتها أوضع راحلته وحركها واستحثها، وأسرع بها لحبه لها، فهي حبيبة المحبوب القائل: « **اللهمَّ حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد** »[٤].

ولا غرو فهي داره ومهاجره، فيها نصب محرابه، ورفع منبره، وفيها مضجعه وفيها جبل أحد، يحبنا ونحبه، بلده البديع، ودرعه المنيع، وحصنه الرفيع..

يقول ﷺ : « **رأيت أني في درع حصينة، فأولتها المدينة** »[٥].

المدينة.. بلدة آمنة.. ومدينة ساكنة، لا يهراق فيها دم، ولا يحمل فيها سلاح لقتال..

---

(١) « شرح ابن بطال » (٨/ ١٤٥).
(٢) صحيح: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح برقم (٢٥٥٤).
(٣) « تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي » (٦/ ٤٢٨).
(٤) متفقٌ عليه.
(٥) صحيح: رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح.

فعن سهل بن حنيف ﷺ قال: أهوى بيده إلى المدينة، فقال: « **إنها حرمٌ آمن** »(١).

جعلها الله حرمًا آمنًا، كما جعل مكة حرمًا آمنًا.. قال ﷺ: « **إنَّ إبراهيم حرَّم مكة، وإني حرمت المدينة** »(٢).

وقد اختص الله ﷻ هاتين البلدتين بهذه الصفة - التي هي الحرمة - دون سائر البلاد، ولم يأت دليل ثابت يدل على تحريم شيء غير مكة والمدينة، وما شاع على ألسنة الكثير من الناس، من أنَّ المسجد الأقصى ثالث الحرمين، هو من الخطأ الشائع، لأنه ليس هناك للحرمين ثالث، ولكن التعبير الصحيح أن يقال: ثالث المسجدين (أي المشرفين العظيمين) وقد جاء عنه ما يدل على فضل هذه المساجد الثلاثة، وعلى قصدها للصلاة فيها، حيث قال: « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى** »(٣).

فهي - أي المدينة المنورة - حرام ما بين لابتيها وحرتيها وجبليها، لا يصاد صيدها، ولا يؤخذ طيرها، ولا يعضد شوكها، ولا تؤخذ لقطتها إلا لمن يُعرِّفها.

يقول أبو هريرة ﷺ: لو رأيت الظباء في المدينة ما ذعرتها.

وقال ﷺ: « **ما بين لابتيها حرام** »(٤).

ويقول عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ﷺ: « **كان أبو سعيد يجد أحدنا في يده الطير، قد أخذه، فيفكه من يده، ثم يرسله** »(٥).

والمقصود بالحرم في مكة والمدينة: ما تحيط به الحدود لكل منهما، وما شاع من إطلاق الحرم على المسجد النبوي فقط، فهو من الخطأ الشائع، لأنه ليس هو الحرم وحده، بل المدينة كلها حرم، ما بين عير إلى ثور، وما بين لابتيها أي جبليها، وقد قال ﷺ: « **المدينة حرم ما بين عير إلى ثور** »(٦)، وقال: « **إني حرمت ما بين لابتي المدينة أن**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) رواه مسلم.

(٦) متفقٌ عليه.

يقطع عضاها، أو يقتل صيدها»[1].

ومن المعلوم أن المدينة قد اتسعت في هذا الوقت، حتى خرج جزء منها عن الحرم. ولهذا لا يقال: إن كل المباني الموجودة في المدينة من الحرم، ولكن ما كان داخل حدود الحرم منها فهو حرم، وما كان خارج حدود الحرم فإنه يطلق عليه أنه من المدينة، ولكن لا يقال: إنه من الحرم.

وقد جاء عن النبي ﷺ في بيان حدود حرم المدينة، أنَّ الحرم ما بين « **اللابتين، أو ما بين الحرتين، أو ما بين الجبلين، أو ما بين عير إلى ثور** ». ولا تنافي ولا اضطراب بين هذه الألفاظ، فإن الأصغر داخل في الأكبر.. فما بين اللابتين حرم، وما بين الحرتين حرم، وما بين عير إلى ثور حرم.. وما دون ذلك يمكن أن يكون من الحرم، ويمكن ألا يكون من الحرم.. والأولى اتقاء الشبهات.

أحبتي الكرام..

ومن فضائلها: أنه لا يكيد لأهل المدينة أحد، أو يريدهم بسوء أو بشر، إلا أهلكه الله ﷻ، ولعنه، قال ﷺ: « **من أخاف أهل المدينة ظلمًا، أخافه الله عز وجل، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً** ».

ومن مناقبها المأثورة، وفضائلها المشهورة، أنها محفوظة مصونة محروسة، لا يدخلها رعب الدجال، ولا فزعه، ولا يردها، ولا تطؤها قدمه، محرم عليه أن يدخل نقابها، أو يلج أبوابها، يريدها فلا يستطيعها.. الملائكة على أنقابها وأبوابها، يذبون عنها، قال ﷺ: « **على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون، ولا الدجال** »[2].

وقال ﷺ: « **يأتي المسيخ من قبل المشرق، همته المدينة، حتى ينزل دبر أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام، وهناك يهلك** »[3]. يأتي الدجال سبخة الجرف عند مجتمع السيول عند الضريب الأحمر، فيضرب رواقه، وترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل منافق ومنافقة، وكل كافر وكافرة، وكل مشرك ومشركة،

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٣) رواه مسلم.

وصدق الرسول الأعظم والنبي الأكرم ﷺ حين قال: « **لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد** »(١).

ومن مناقبها: أنَّ من أظهر فيها بدعة، أو حدثًا، أو شركًا، أو آوى مبتدعًا فقد عرض نفسه للوعيد الشديد، واللعن الأكيد، قال ﷺ: « **فمن أحدث فيها حدثًا، أو آوى محدثًا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً** »(٢).

ومن فضائلها: أنَّ الصلاة في مسجدها مضاعفة الجزاء، فرضًا كانت أو نفلاً، في أصح قولي العلماء.. قال ﷺ: « **صلاة في مسجدي هذا، أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام** »(٣).

ووجه ذلك أن قوله: « صلاة في مسجدي هذا » نكرة في سياق الإثبات..

وقال ابن حجر - رحمه الله -: ويمكن أن يقال: لا مانع من إبقاء الحديث على عمومه إلا أن صلاة النافلة في البيت أفضل من صلاتها في مسجد الرسول ﷺ حتى ولو كانت مضاعفة لقوله ﷺ: « **صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة** »(٤).

وأخرج ابن ماجة بإسناد صحيح عن عبد الله بن سعد قال: سألت رسول الله ﷺ: أيهما أفضل الصلاة في بيتي أو الصلاة في المسجد؟ فقال: « **ألا ترى إلى بيتي ما أقربه من المسجد، فلئن أصلي في بيتي أحب إليَّ من أن أصلي في المسجد إلا أن تكون صلاة مكتوبة** »(٥).

وفي المسجد المبارك بقعة هي روضة من رياض الجنة، فقد قال الحبيب ﷺ: « ما

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود.

(٥) صحيح: رواه ابن ماجة (١٣٧٨)، ورواه أحمد وابن خزيمة، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٤٣٩).

بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»[1]. وعند أحمد في مسنده: «**ومنبري هذا على ترعة من ترع الجنة**». وعند النسائي: «**إن قوائم منبري هذا رواسب في الجنة**»[2].

وثبت الفضل في الصلاة في مسجد قباء، فعن سهل بن حنيف ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تطهر في بيته، ثم أتى مسجد قباء، فصلى فيه صلاة، كان له كأجر عمرة**»[3]. ولا يزار في المدينة سوى هذين المسجدين.

أحبتي في الله..

البركة في المدينة المنورة حالة في صاعها ومدها ومكيالها وثمرها، وقليلها وكثيرها، لأن سيد الأولين والآخرين ﷺ دعا لها بالبركة، فقال: «**اللهمَّ اجعل في المدينة ضعفي ما بمكة من البركة**»[4].

إنَّ رسولنا ﷺ لما قدم المدينة، كانت أرض وباء ومرض وبلاء كانت متغيرة الماء، فاسدة الهواء، قد كانت للغرباء كثيرة الأدواء، زائرها محموم، وقاطنها موعوك موحوم، أخذت الحمى فيها أبي بكر وبلال وعائشة ﷺ فدعا رسول الله ﷺ ربه أن يصححها، وأن ينقل حماها إلى الجحفة، فاستجاب الله منه الدعاء، وحقق له النداء، ففي البخاري من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «**رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة - وهي الجحفة - فأولت أن وباء المدينة نقل إليها**»[5].

قال ابن حجر: فعادت المدينة أصح البلاد بعد أن كانت بخلاف ذلك.

ومن صبر على لأوائها وبلوائها وغمار شدتها، وغلوائها، نال السعود، وتحققت له الفضل الموعود، ألا وهو شفاعة صاحب المقام المحمود، والحوض المورود.

---

(١) متفقٌ عليه.

(٢) صحيح: رواه أحمد بإسناد صحيح، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٦٣).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجة والترمذي والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١١٨١).

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) رواه البخاري.

فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**من صبر على لأوائها وشدتها، كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة**»(١).

فهذه هي المدينة وتلك هي فضائلها، وهي لا تحصى وبركاتها لا تستقضى، ومع ذلك كله فسيأتي عليها زمان في آخر الأزمان عند قيام الساعة يقول فيه النبي ﷺ: «**يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العواف** - يريد عوافي السباع والطير - **وآخر من يحشد راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحوشًا، حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما**»(٢).

قال الإمام النووي - رحمه الله - في شرحه لهذا الحديث:

وأما معنى الحديث فالظاهر المختار، أن هذا الترك للمدينة يكون في آخر الزمان، عند قيام الساعة، وتوضحه قصة الراعيين من مزينة، فإنهما يخران على وجوههما حين تدركهما الساعة، وهما آخر من يحشر، كما ثبت في صحيح البخاري، فهذا هو الظاهر المختار.

وقال القاضي عياض: هذا ما جرى في العصر الأول وانقضى.. قال: وهذا من معجزاته ﷺ فقد تركت المدينة على أحسن ما كانت حين انتقلت الخلافة عنها إلى الشام والعراق، وذلك الوقت أحسن ما كانت الدين والدنيا، أما الدين فلكثرة العلماء وكمالهم، وأما الدنيا فلعمارتها وغرسها، واتساع حال أهلها(٣).

قال: وذكر الإخباريون في بعض الفتن التي جرت بالمدينة، وخاف أهلها أنه رحل عنها أكثر الناس، وبقيت ثمارها أو أكثرها للعوافي، وخلت مدة، ثم تراجع الناس إليها.. والله أعلم..

اللهمَّ انصر الإسلام في كل مكان.. اللهمَّ ارفع رايتنا.. ووحد كلمتنا، وألف بين قلوبنا.. واشف مرضانا.. وارحم موتانا.. وعليك بمن عادانا.. ولا تخيب رجاءنا..

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٩١٨) ألباني.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٥/ ٥٢).

اللهمَّ فك أسرنا.. وارحم ضعفنا.. وتول أمرنا.. وأحسن خلاصنا.. وبلغنا مما يرضيك آمالنا..

يا حي يا قيوم.. يا ذا الجلال والإكرام.. يا من بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.. يا من إليه تفزع القلوب، وترفع الحوائج.. ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.. بفضلك يا أكرم الأكرمين..



الوصية رقم (١٥)

لا تلتمس رضا الناس بسخط الله

عن عائشة - رضي الله عنها - أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **من أرضى الناس بسخط الله، وكله الله إلى الناس، ومن أسخط الناس برضا الله، كفاه الله مؤنة الناس** »[1].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي الكرام..

ها هو رسولنا وأستاذنا ومعلمنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد ﷺ يوصينا هنا بوصية من أعظم الوصايا.. فما ترك خيرًا إلا ودلنا عليه، ولا شرًّا إلا وحذرنا منه.. وها هو ﷺ في كلمات قليلة بسيطة في أسلوبها، بليغة فصيحة في تركيبها، وجيزة في مبناها ومعناها لكنها تعطي المسلم وتدله على كل خير.. إنها تدله على رضا الله ﷻ، فرضا الله ﷻ غاية كل موحد.. ورضا الناس غاية لا تدرك.. رضا الله سعادة ما بعدها سعادة..

رضـاك يـا رب خـير من الدنيا وما فيها	**يـا مالـك الـنفس قاصـيها ودانـيها**
فلـــيس للـــروح آمـــال تحققهـــا	**ســوى رضــاك فــذا أقــصى أمانـيها**
فنظـرة مـنك يــا سـؤلي ويــا أمــلي	**أحــب إليَّ مــن الدنـيا ومــا فـيها**

وقد وردت هذه الوصية برواية أخرى يقول فيها الحبيب المصطفى ﷺ : « **من التمس رضا الله بسخط الناس، كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، وكله الله إلى الناس** »[2]. وهو يعطينا مبدأً هامًّا في معاملة الناس، ومعايشتهم، فذكر طريقتين لا ثالث لهما:

الطريق الأول: طريق من التمس رضا الله ﷻ، حتى ولو سخط عليه الناس، وهذا أعظم الطريق، لماذا؟

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وغيره، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (١٠١٠).

(٢) صحيح: رواه الترمذي والبيهقي، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٦٠٩٧).

لأنه ينبع من توحيد الخالق جل في علاه، إذ أنه ليس للمؤمن أن يتوجه إلى غير الله ﷻ، فلا يخاف إلا مولاه سبحانه.. ولا يرجو أحدًا سواه.. ولا ينطلق في حياة إلا طلبًا لرضاه.. في كل حركاته.. في سكناته.. في معاملاته في معاشرته أصدقاءه.. في معاشرته أهله.. فهو ينفذ ما أمره به مولاه، دون أن يلتفت إلى مدح مادح، أو سخط ساخط.. دون أن يسعد بمدح، أو يحزن من ذم.. لا يضع في نفسه حسابًا لسخط أحد من الناس أو رضاهم، مادام يفعل ما يرضي الله ﷻ.. لماذا؟

لأنه جعل نفسه من حزب الله.. حزب من التجأ إليه.. ألا إن حزب الله هم المفلحون..

أوحى الله إلى كليمه موسى عليه السلام:

« يا موسى، ما خافني من خاف الخلق.. وما توكل عليّ عبد إلا كفيته.. وبيدي مفاتيح الملك والملكوت.. وما اعتصم بي عبد، إلا أدخلته الجنة، وكفيته كل مهمة.. ومن اعتصم بغيري.. أسخت الأرض من تحته.. وقطعت الأسباب من فوقه ولا أبالي كيف أهلكته ».

ولذا نجد أن رسول الله ﷺ وهو راجع من الطائف عندما رموه بالحجارة حتى أدموا قدميه، وألجؤوه إلى كرمة لعتبة بن أبي ربيعة، فقال:

« اللهمَّ إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بي غضبك، أو يحل عليَّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك »[(١)].

ليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

---

(١) « السيرة النبوية » لابن كثير (٢/ ١٥٠)، و« سيرة ابن هشام » (١/ ٤٢٠).

إذا صح منك الود فالكل هين وكل ما فوق التراب تراب

والطريق الآخر: هو طريق من اهتزت عقيدتهم، طريق ضعاف الإيمان، طريق من لم تخلص نفسه لله ﷻ، طريق الذين يؤثرون رضى الإنسان على رضى الرحمن. فهذا الصنف يبحثون عما يرضي الناس فيفعلونه، وينظرون ما يسخطهم فيتركونه. ولو كان ذلك على حساب دينهم، ولو كان ذلك ساخطًا لربهم، لأن المهم عندهم ألا يخسروا الناس، وألا يكونوا في موضع ذمهم وغضبهم.

أحبتي في الله..

إنها والله قضية خطيرة حقًا.. الإنسان لابد أن يتعامل مع الآخرين، ويعيش معهم، وفي نفس الوقت لابد أن يسير على منهج الله ﷻ، مطبقًا لحدوده، ولكن كثيرًا من الناس حوله ينحرفون ويظلمون، ويتعدون حدوده.. ومن هنا كان على المسلم الذكي.. المسلم الحق أن ينكر ذلك وأن يغيره ويحارب تلك المخالفات، وتلك المنكرات، وأن يظهر دين الله ﷻ حينئذ يطالبه هؤلاء المنحرفون أن يسكت، أو يوافقهم على انحرافهم، فيضغطون عليه بشتى الوسائل سواء كان ذلك بالإغراء بالمال أو الجاه أو السلطان كما فعلت قريش مع الحبيب المصطفى ﷺ حيث هددوه تارة، وأغروه تارة أخرى. لكن رسول الله ﷺ قال كلمته المشهورة: «**والله يا عم، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك دونه**»[1].

فالمسلم المتمسك بدينه اليوم يعيش في هذه المجتمعات المنحرفة، وبين الحكومات الضالة الظالمة والأسر الغافلة، فيسعى بينهم، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويحيى دينه، ويجاهد لإقامته في الحياة، فينزعج منه المنحرفون ويتضايقون.. يتضايقون من هذا الذي يخالفهم في سلوكه، ومظهره، وينكر عليهم ما اعتادوه من المنكرات..

وبذلك يواجه المسلم الملتزم بدينه حربًا ضروسًا، وهجومًا عنيفًا بشتى الوسائل، لإسكاته أو لإبعاده عن منهجه.. فيواجه الاستهزاء والتهديد، أو التعذيب والسجن، أو المحاربة في لقمة العيش.. فيقف وقتها ممتحنًا أمام الطريقين اللذين لا ثالث لهما: إمَّا أن يرضي الله ﷻ، ولا يبالي بسخط الناس واستهزائهم وأذاهم، وإمَّا أن يرضي الناس،

---

(١) «السيرة» لابن كثير (١/ ٤٧٤)، وابن هشام (١/ ٢٦٦).

فيوافقهم على انحرافهم وضلالهم، ليسلم من أذاهم، فيسخط الله ﷻ..

أحبتي الكرام..

ولذلك نرى من العلماء - أقصد علماء السوء - الذين يسيرون في ركاب الحكام، فيرضيهم طمعًا بما عندهم، أو خوفًا من بطشهم ونقمتهم، فلا يأمر ولا ينهى بل يبيعون ذممهم ودينهم بحفنة من المال، أو بمنصب من المناصب العالية..

ونسى هؤلاء وتناسوا قول الرسول الأعظم ﷺ في هذه الوصية التي نعيش معها: «**من التمس رضا الناس بسخط الله، وكله الله إلى الناس**»[1].

وتناسوا قوله ﷺ لابن عباس: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء، فلم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك، فلن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»[2].

ألم يقل ربنا تبارك وتعالى في كتابه: ﴿ **أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾** ﴾ [الزمر: ٣٦، ٣٧].

قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله -: وكل من أرضى الله بسخط الناس، كان قد اتقاه، وكان عبده الصالح، والله يتولى الصالحين، وهو كافٍ عبده..

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: فمن هداه الله وألهمه رشده، ووقاه شر نفسه امتنع من الموافقة على فعل الحرام، وصبر على عداوتهم - أي عداوة المنحرفين والظالمين من الناس - ثم تكون لهم العاقبة في الدنيا والآخرة، كما كانت الرسل وأتباعهم، كالمهاجرين والأنصار، ومن ابتلي من العلماء وصالحي الولاة والتجار وغيرهم. لقد كان علماء السلف الصالح - رحمهم الله - يضربون الأمثلة الرائعة في الثبات أمام طغاة الناس من الحكام وغيرهم، وكانت نتيجة هذا الثبات أن أكرمهم الله ﷻ بالنصر أو الشهادة.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح: رواه الترمذي وغيره، وصححه الألباني.

استدعى عمر بن هبيرة والي العراق الحسن البصري - رحمه الله - والإمام الشعبي ليسأله عما يبعثه إليه الخليفة من أوامر تحتوي ظلم، هل ينفذها أم لا؟

فسأل عمر بن هبيرة الإمام الشعبي في هذا الموقف أولاً، فقال كلامًا يرضي الوالي والخليفة، والحسن البصري ساكت، فلما انتهى الشعبي من كلامه، التفت عمر إلى الحسن، فقال له: وما تقول أنت يا أبا سعيد؟ فوعظه الحسن البصري موعظة قوية، أمره فيها بالمعروف، ونهاه فيها عن المنكر، ولم يداهن أو يواري، ولم يجامل. فقال فيما قال: يا ابن هبيرة، خف الله في يزيد، ولا تخف يزيد في الله، واعلم أن الله ﷻ يمنعك من يزيد، وأن يزيد لا يمنعك من الله..

يا ابن هبيرة، إنه يوشك أن ينزل بك ملك غليظ شديد، لا يعصى الله ما أمره فيزيلك عن سريرك هذا، وينقلك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك حيث لا تجد هناك يزيد، وإنما تجد عملك..

يا ابن هبيرة، إنك إن تك مع الله، وفي طاعته، يكفك بائقة يزيد في الدنيا والآخرة، وإن تك مع يزيد في معصيته، فإن الله يكلك إلى يزيد..

واعلم يا ابن هبيرة، أنه لا طاعة لمخلوق كائنًا من كان في معصية الخالق ﷻ فبكى عمر بن هبيرة، حتى بللت دموعه لحيته، وأكرم الحسن إكرامًا شديدًا، ولم يلتفت إلى الشعبي..

فلما خرج الحسن والشعبي وذهبا إلى المسجد، واجتمع الناس ليعرفوا خبرهما، التفت الشعبي للناس بعد أن تعلم درسًا هامًا، تعلم أن لا يرضي أحدًا دون الله، بعد ذلك قال: أيها الناس، من استطاع منكم أن يؤثر الله ﷻ على خلقه في كل مقام فليفعل، فوالذي نفسي بيده، ما قال الحسن لابن هبيرة كلامًا أجهله ولكن أردت فيما قلت وجه ابن هبيرة، وأراد الحسن فيما قال وجه الله، فقرب الله الحسن وأبعدني..

ولما أراد الله ﷻ الإسلام، وأراد الخير كل الخير للفاروق عمر بن الخطاب ﵁ وذهب إلى بيت زوج فاطمة أخته، فلما طرق الباب وفتحت له وضربها وسال الدم من وجهها، وكان معها زوجها ومعلمهما خباب بن الأرت صحيفة بها آيات من القرآن الكريم، فقال لها: أعطني إياها، فقالت: لا أعطيك، لست من أهله.. أنت نجس، أنت

لا تغتسل من الجنابة، ولا تتطهر، وهذا قرآن لا يمسه إلا المطهرون.. ورفضت إرضاءه، وعدم إعطائه الصحيفة، حتى تطهر.. الله أكبر..

لم ترضه أخته، ولم تجامله، بل ردت عليه بالعنف والقوة والشدة، دون محاباة.

وهذا هو سلطان العلماء (العز بن عبد السلام) - رحمه الله تعالى -:

قال الشيخ الباجي: طلع شيخنا العز مرة إلى السلطان في يوم عيد، إلى القلعة، فوجد العسكر مصطفين بين يديه، ومجلس المملكة، وما فيه السلطان من الأبهة، وقد خرج السلطان على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية، وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يدي السلطان، فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه: يا أيوب، ما حجتك عند الله، إذا قال لك: ألم أبوئ لك ملك مصر، ثم تبيح الخمور؟!

فقال السلطان: هل جرى ذلك؟ قال العز: نعم، الحانة الفلانية يُباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة؟ يناديه بأعلى صوته، والعساكر واقفون.

فقال السلطان أيوب: يا سيدي، هذا أنا ما عملته، هذا من زمان أبي.

فقال الشيخ: أنت من الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ...﴾ [الزخرف: ٢٣].

فرسم السلطان بإبطال تلك الحانية.

فقيل للشيخ: أما خفته؟

قال: والله لقد استحضرت هيبة الله ﷻ، فصار السلطان أمامي كالقط[1].

وهذا هو الإمام الزبيدي - رحمه الله - يقول عنه ابن الجوزي:

كان يقول الحق، وإن كان مرًا، لا تأخذه في الله لومة لائم، قيل: إنه دخل على الوزير الزينبي، وعليه خلعة الوزارة وهم يهنونه، فقال: هو ذا يوم عزاء، لا يوم هناء، فقيل: ولِمَ؟ قال: أهنئ على لبس الحرير؟ أي أهنئ على شيء محرم[2]؟

---

(١) «من أخلاق العلماء» (ص١٧٤) محمد سليمان، ط. السلفية.

(٢) «تهذيب سير أعلام النبلاء» (ص١٤٢٧).

أحبتي في الله..

فليحذر الذين يقدمون رضا الناس على رضا الله ﷻ، فهو الخيبة والخسران لأن الله ﷻ يكله إليهم، ومن وكله الله إلى الناس، فقد وقع في المهالك وتخطفته الخلائق، وأصابه الخذلان، وتجرأ عليه كل إنسان.. بل أكثر من ذلك، فقد ينقلب الذي كان يسعى لإرضائه، فيصير له عدو، كما جاء عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: من أرضى الناس بسخط الله ﷻ، عاد حامده من الناس له ذامًا..

وكما ضرب الإمام ابن القيم المثل في ذلك برجلين: متدين تقي، حل بين قومٍ فجار ظلمة، ولا يتمكنون من فجورهم إلا بموافقته لهم أو سكوتهم عنه، فإن وافقهم، أو سكت عنهم، سلم من شرهم في الابتداء، ثم يتسلطون عليه بالإهانة والأذى، وأضعاف ذلك، لو أنكر عليهم وخالفهم، وإن سلم منهم فلابد وأن يهان ويعاقب على يد غيرهم.. فالحزم كل الحزم فيما قالته السيدة عائشة لمعاوية.

وقال الإمام ابن تيمية - رحمه الله -:

والسعادة في معاملة الخلق، أن تعاملهم لله، فترجو الله فيهم، ولا ترجوهم في الله، وتخافه فيهم، ولا تخافهم في الله..

موعظة:

جاء في بعض الكتب المنزلة:

يا ابن آدم.. لا تخف من ذي سلطان مادام سلطاني باقيًا، وسلطاني لا يزول أبدًا..

يا ابن آدم.. لا تخف من فوات الرزق.. مادامت خزائني مملوءة، وخزائني لا تنفد أبدًا..

يا ابن آدم.. لا تأنس بغيري وأنا لك.. فإن فتك، فاتك كل شيء..

يا ابن آدم.. خلقت الأشياء من أجلك، وخلقتك من أجلي، فلا تنشغل بما خلقته من أجلك عن ما خُلقت من أجله..

يا ابن آدم.. كما لا أطالبك بعمل غدٍ، فلا تطالبني برزق غدٍ..

يا ابن آدم.. لي عليك فريضة، ولك عليَّ رزق، فإن خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك..

يا ابن آدم.. إن رضيت بما قسمته لك، أرحت قلبك وبدنك، وإن لم ترض بما قسمته لك.. سلطت عليك الدنيا، تركض فيها ركض الوحش في البرية.. فوعزتي وجلالي ما تنال منها إلا ما قسَمته لك..

اللهمَّ لك الحمد ملء السموات والأرض وما بينهما، وما شئت من شيء بعد.. نسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، ونسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك.. ونسألك قلبًا سليمًا.. ولسانًا صادقًا.. ونسألك من خير ما تعلم، ونعوذ بك من شر ما تعلم.. إنك أنت الأعز الأكرم..

اللهمَّ اغفر لنا ما أنت به أعلم منا، فإن عدنا، فعد علينا بمغفرتك فأنت يا ربنا أهل التقوى، وأهل المغفرة.. يا رب العالمين..



الوصية رقم (١٦)

احذروا التقليد

عن عائشة - رضي الله عنها - أنَّ أبا بكر ﷺ دخل عليها ورسول الله ﷺ عندها يوم فطر وأضحى، وعندها جاريتان تضربان بالدف، فانتهرهما أبو بكر ﷺ فقال رسول الله ﷺ: « **دعنا يا أبا بكر إنَّ لكل قوم عيدًا، وإن عيدنا هذا اليوم** »(١).

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي الكرام..

العيد في الإسلام يوم سرور، وفرح وزينة، يحب الله ﷻ أن تظهر فيه أثر نعمه على عباده، بلبس الجديد من الثياب، وتناول الطيب من الطعام دون إسراف ولا مخيلة.. فالله ﷻ يقول: ﴿ ۞ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢].

ولقد منَّ الله ﷻ على أمة الإسلام بأن جعلها ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، والإسلام هو دين الله العظيم، الذي ارتضاه للبشرية، ليصلح به كل شأن من شئون حياته على مر الزمان، وتقلب الدهور ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]. ومن رحمة الله بهذه الأمة أن جعل لهم يومين في كل عام ينظرون فيه مصالحهم العامة، ويؤكدون فيهما أسباب المودة والمحبة.

فعن أنس ﷺ قال: قدم النبي ﷺ، ولأهل المدينة يومان يلعبون فيهما في الجاهلية - وهما يوم النيروز، ويوم المهرجان - فقال: « **قدمت عليكم ولكم يومان تلعبون فيهما في الجاهلية، وقد أبدلكم الله بهما خيرًا منهما: يوم النحر، ويوم الفطر** »(٢).

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وغيرهم.

(٢) صحيح: رواه البيهقي عن أنس، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٤٣٨١).

قال الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا:

أي: لأن يومي الفطر والنحر بتشريع الله ﷻ، واختياره لخلقه، ولأنهما يعقبان أداء ركنين عظيمين من أركان الإسلام، وهما: الحج والصيام، وفيهما يغفر الله ﷻ للحجاج والصائمين، وينشر رحمته على جميع خلقه.

وأما النيروز والمهرجان، فإنهما باختيار حكماء ذاك الزمان، لما فيهما من اعتدال الزمن والهواء، ونحو ذلك من المزايا الزائلة، فالفرق بين المزيتين ظاهر لمن تأمل ذلك. العيد.. مظهر من مظاهر الدين، وشعيرة من شعائره المعظمة، التي تنطوي على حكم عظيمة، ومعان جليلة..

فالعيد في معناه الديني.. شكر لله على تمام العبادة، لا يقولها المسلم بلسانه فحسب ولكنها تعالج في نفسه رضًا واطمئنانًا، وتتبلج في علانيته فرحًا وابتهاجًا وتمسح ما بين الفقراء والأغنياء من جفوة.

والعيد في معناه الإنساني.. يوم تلتقي فيه قوة الغني، وضعف الفقير على محبة ورحمة وعدالة من وحي السماء.. عنوانها الزكاة والإحسان والتوسعة.

يتجلى العيد على الغني المترف، صاحب المال، فينسيه تعلقه بالمال، وينزل من عليائه متواضعًا للحق والخلق، ويتذكر أن كل من حوله إخوانه، فيمحو إساءة عام، بإحسان يوم.

ويتجلى العيد على الفقير المعدم، فيطرح همومه، فينسى مكاره العام ومتاعبه وتمحو بشاشة العيد آثار الحقد والتبرم من نفسه..

في العيد يستروح الأشقياء ريح السعادة، ويتنفس المختنقون في جو من السعة وفيه يذوق المعدمون طيبات الرزق، ويتنعم الواجدون بأطايبه.

في العيد تتسع روح الجوار، حتى ترجع البلد الكبير، وكأنها لأهلها دار واحدة يتحقق فيها المحبة والإخاء..

في العيد الإسلامي سكينة ووقار، وتعظيم لله الواحد القهار، وبعدٌ عن أسباب الهلكة، ودخول النار..

والعيد مع ذلك كله ميدان استباق إلى الخيرات، ومجال منافسة في المكرمات.

أحبتي الكرام..

وشأن الأعياد في الإسلام يختلف تمامًا عن منهج الأمم الأخرى.. بل إنه يختلف اختلافًا جذريًّا عن منهجهم، لأن تشريع الإسلام للعيد مرتبط بالعبادات، فعيد الفطر مرتبط بانتهاء صيام شهر رمضان، وعيد الأضحى مرتبط بالحج كما ذكرنا، ويأتي عقب يوم عرفة، الذي يسمى يوم الحج الأكبر.. وبالنسبة لعيد الفطر فيه تذكير بنعمة البداية المنقذة لهذه الأمة، لأن شهر رمضان هو الذي أنزل فيه القرآن، والقرآن هو المنهج الإلهي، الذي حدد الله فيه معالم الطريق السوي لقيام هذه الأمة، وهو بذلك يذكرنا بيوم البناء، فناسب أن يكون الشهر الذي نزل فيه القرآن (شهر الصيام) يشكل أحد أركان الإسلام، ليكون المسلمون على ذكر من نعم الله عليهم في ذلك الشهر، وناسب أن يتخذ اليوم الذي يليه يوم عيد تعبيرًا عن الشكر لله ﷻ على ما أنعم الله به علينا من إنزال القرآن، وشكرًا له على توفيقه لنا بأن وفقنا لالتزام أوامره، واجتناب نواهيه..

وكذلك الحال في عيد الأضحى، فإنه يذكرنا بيوم إكمال، وإتمام النعمة، وارتضاء الإسلام لنا دينًا، حينما أنزل على رسوله ﷺ ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، وكان ذلك في يوم عرفة من السنة العاشرة من الهجرة، ورسول الله ﷺ يقود موكب الحج الأعظم..

فحقٌّ لنا أن نحتفل كل عام بيوم الابتداء، ويوم الانتهاء، باتخاذهما عيدين: عيد الفطر، وعيد الأضحى..

ويوم عيد الأضحى يرتبط بدلالات ذات أثر بعيد في حياة المسلمين، لأنها ترتبط بأحداث التضحية العظمى، التي استعد للقيام بها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام حين أقدم على التضحية بابنه إسماعيل عليه السلام عقب الرؤيا التي رآها، ومعلوم أن رؤيا الأنبياء حق، لأنها وحي من الله، ولم يحل بينه وبين إتمام التضحية إلا الفداء، الذي بعث الله به من السماء بعد أن اجتاز الامتحان بنجاح ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٧].

كذلك من الدلالات ذات القيمة الكبرى، التي ترتبط بهذا العيد المبارك، تلك التضحية الكريمة والكبيرة من السيدة هاجر - عليها السلام - ورضيعها إسماعيل حين تركهما الخليل عند بيت الله الحرام، دون أنيس ولا جليس، فقالت له: يا إبراهيم آلله أمرك بهذا؟ وكررت السؤال، حتى أجابها: نعم..

قالت: إذن لا يضيعنا.. -

أحبتي الكرام..

إنَّ لكل أمة أعيادها.. للمسلمين أعيادهم.. ولليهود أعيادهم.. وللنصارى أعيادهم.. وللوثنيين أعيادهم وهكذا.. وكل أمة تحتفل بأعيادها حسب عقائدها وما تلتزم به من مبادئ وقيم..

وهناك بعض الأعياد التي ابتدعها بعض الناس، وصار المسلمون يحتفلون بها، ومن هذه الأعياد [عيد رأس السنة، وعيد الغطاس، وعيد المهرجان، وعيد الفيروز] وغيرها من الأعياد التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ومن هذه الأعياد التي أحدثها الشيطان، وزينها لكثير من المسلمين [عيد الحب أو عيد القديس فالنتاين] وبدأت مظاهر الاحتفال بهذا العيد - وللأسف - بين المسلمين، ففي يوم ١٤ من فبراير، دخلت مجموعة من الطالبات قاعات المحاضرات وقد ارتدت كل واحدة منهن ثوبًا أحمر، وألقت على وجهها رسمًا لقلوب حمراء، ووضعت على وجهها مساحيق التجمل الحمراء، وبدأن يتبادلن الهدايا ذات اللون الأحمر، وعبارات الغرام.. والورود الحمراء، وقمن بتعليق الورود الحمراء على نوافذ المنازل في ذلك اليوم، وأخذت وسائل الإعلام والقنوات الفضائية تعرض لمظاهر الاحتفال بهذا العيد، وتذكر الناس بهذه المناسبة قبل حلولها.. وفي إحدى الدول الإسلامية، نظم العديد من المراكز التجارية والمطاعم والفنادق احتفالات خاصة بعيد الحب، فاكتست غالبية المحلات والمجمعات باللون الأحمر، وانتشرت البالونات والألعاب والدمي في تلك المحلات، وفي أحد المطاعم عرض مشهدًا تمثيليًا لشخصية (كيوبيد) صنم الحب في الأساطير الرومانية، وهو شبه عارٍ مع قوسه وسهمه، كما قام هذا الممثل مع وصيفاته باختيار مسز ومستر (فالنتاين) من بين الحضور.

بل قام أحد محلات الهدايا في هذه البلد باستيراد أرانب فرنسية حية صغيرة الحجم، ذات عيون حمراء، وقاموا بوضع رابطة عنق على رقاب هذه الأرانب ووضعها في علب صغيرة، لتقدم هدايا، كما قامت المطاعم بتغيير مفارش الطاولات باللون الأحمر، ووضع وردة حمراء، وأطباق على شكل قلوب.

لقد فتن كثير من المسلمين ببريق الحضارة الغربية، وما يزعمونه من التقدم العلمي والاقتصادي، فأخذوا يقلدون الغرب في عاداتهم وسلوكياتهم، وانساقوا وراءهم، واغتروا بحضارتهم، واستحسنوا كل ما يأتي من عندهم، وادعوا أن ذلك من مظاهر التقدم والمدنية، وصدق فيهم قول النبي ﷺ : « **لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب، لسلكتموه** ».

قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: « **فمن؟** »[1].

أحبتي في الله..

دعوني أبين لكم حقيقة عيد الحب، الذي يحتفل به الغرب، ويقلدهم المسلمون في ذلك وقصة (فالنتاين) هذا الذي ينسب إليه هذا العيد..

يرجع أصل ما يسمونه بعيد الحب إلى أن الرومان كانوا يجتمعون في منتصف شهر فبراير من كل عام، ويقوم الشباب في كل قرية بكتابه أسماء بنات القرية ويجعلونها في صناديق، ثم يقوم كل شاب بسحب بطاقة من هذا الصندوق، والتي يخرج اسمها تكون عشيقته طوال السنة حيث يرسل لها على الفور بطاقة مكتوبًا عليها: باسم الإلهة الأم، أرسل لك هذه البطاقة، وتستمر هذه العلاقة بينهما ثم يغيرها بعد مرور سنة.

واستمر هذا الاحتفال حتى أواخر القرن الثالث الميلادي، الذي كان الرومان فيه تحت حكم الإمبراطور الروماني (كلاوديس) الثاني، والذي لاحظ أثناء حملاته العسكرية التي كان يقوم بها، أنَّ العزَّاب من أفراد الجيش أشد صبرًا في الحرب من المتزوجين، الذين يرفضون الذهاب إلى جبهة المعركة ابتداءً، ويصعب جمعهم بسبب ارتباطهم بزوجاتهم وعشيقاتهم، فأصدر الإمبراطور أمرًا يأمر فيه القساوسة بمنع عقد أي قران للجنود، إلا أن القسيس (فالنتاين) عارض هذا الأمر، ورفض الانصياع لأمر

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي.

الإمبراطور، واستمر يعقد في كنيسته سرًّا، ولكن سرعان ما افتضح أمره، وبان سره، فتم اعتقاله، وحكم عليه بالإعدام.

وأثناء اعتقاله تعرف على ابنة لأحد حراس السجن، والتي كانت تزوره متخفية، مصطحبة معها وردة حمراء، ووقع في حبها، مخالفًا بذلك تعاليم النصرانية التي تحرم على القساوسة الزواج، أو إقامة العلاقات العاطفية..

وتضيف رواية أخرى، أن الإمبراطور الروماني دعا (فالنتاين) إلى عبادة آلهة الرومان، وترك النصرانية مقابل العفو عنه، إلا أنه أصر على نصرانيته، فتم إعدامه في (١٤ من فبراير عام ٢٧٠م).

ومن يومها والنصارى يحتفلون في هذا الوقت من كل عام بعيد الحب، ويرسلون بطاقات تهنئة تسمى (فالنتاين) لأحبائهم وأصدقائهم، مطبوع عليها أشعار الحب والغرام، ومكتوب عليها: (كن فالنتانيًا) ويتبادلون الهدايا والورد الأحمر.

والآن أيها الأحبة الكرام، بعد أن ظهرت أمامكم الحقيقة لهذا العيد، فهل يليق بنا ونحن موحدون، ونحن مسلمون، أن نحتفل بعيد النصارى؟ أو هل يعقل أن نشارك أعداءنا في فرحتهم ولهوهم وفجورهم؟

وهل يليق بنا أن نحتفل بعيد يدعو إلى الفسق والفجور، ويشجع على الرذيلة، ووأد الفضيلة، وقتل الحياء؟

قال تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴾ [الفرقان: ٧٢].

جاء في تفسير ابن كثير في تفسيرها أي في ﴿ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾[1]:

وقال أبو العالية، وطاوس، ومحمد بن سيرين، والضحاك، والربيع بن أنس، وغيرهم: هي أعياد المشركين.

وقال الإمام ابن تيمية - رحمه الله -: وهكذا سمى الله تعالى أعيادهم بالزور، ونهى عباد الرحمن عن حضورها وشهودها، فإذا كان حضور أعيادهم ومشاهدتها لا تنبغي، فكيف بمشاركتهم فيها، والموافقة عليها.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٣٠)، و«روح المعاني» (١٤/ ١٤٧)، والبغوي (٦/ ٩٨).

أحبتي الكرام..

وكيف نقلدهم ونشاركهم ورسولنا ﷺ يقول في الوصية التي نعيش في ظلالها: « **إنَّ لكل قوم عيدًا، وإنَّ هذا عيدنا** ».

يقول الإمام الذهبي - رحمه الله -: فهذا القول منه ﷺ يوجب اختصاص كل قوم بعيدهم، كما قال الله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨] فإن كان للنصارى عيد، ولليهود عيد، مختصين بذلك، فلا يشاركهم فيه مسلم، كما لا يشاركهم في شرعتهم ولا قبلتهم.

كيف يجوز لنا أن نقلدهم، أو نشاركهم، ورسولنا المصطفى ﷺ يقول: « **من تشبه بقوم فهو منهم** »[1].

وهذا نص قاطع يحرم مشابهة الكفار لما في مشابهتهم من المفاسد، والتي منها:

١ - أن مشابهتهم في أعيادهم توجب سرور القلوب بما هم عليه من الباطل.

٢ - أن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة، وموالاة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر.

٣- أن مشابهتهم نشر لشعائرهم، وجعلها هي الغالبة.

٤ - أن في مشابهتهم تكثير لسوادهم، ونصرة لدينهم، واتباعًا لهم.

وقد سُئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - عن حكم الاحتفال بعيد الحب؟ فقال - رحمه الله -: الاحتفال بعيد الحب لا يجوز لوجوه:

الأول: أنه عيد بدعي لا أساس له في شريعة الإسلام.

الثاني: أنه يدعو إلى اشتغال القلب بمثل هذه الأمور التافهة المخالفة لهدي السلف الصالح ﷺ فلا يحل أن يحدث في هذا اليوم شيء من شعائر العيد سواء كان في المآكل أو المشارب أو الملابس، أو التهادي أو غير ذلك..

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والطبراني وغيرهم، وصححه الألباني في « صحيح سنن أبي داود » رقم (٤٠٣١)، و« صحيح الجامع » (٦١٤٩).

وعلى المسلم أن يكون عزيزًا بدينه، وألا يكون إمعة يتبع كل ناعق. أسأل الله تعالى أن يعيذ المسلمين من كل الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يتولانا بتوليه وتوفيقه. اهـ.

واعلموا أحبتي الكرام، أنه كما لا يجوز أن تشارك اليهود والنصارى في أعيادهم فكذلك لا يجوز أن نهنئهم بها..

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -: وأمَّا تهنئتهم - أي اليهود والنصاري - بشعائر الكفر المختصة بهم، فحرام بالاتفاق، وذلك مثل أن يهنئهم بأعيادهم، فيقول: عيدٌ مبارك أو تهنأ بهذا العيد ونحوه.. فهذا إن سلم قائله من الكفر، فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أنْ يهنئه بسجوده للصليب.. بل ذلك أعظم إثمًا عند الله ﷻ، وأشد مقتًا من التهنئة بشرب الخمر، وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام، ونحوه، فمن هنأ عبدًا بمعصية أو بدعة أو كفر، فقد تعرض لمقت الله وسخطه». اهـ.

أحبتي في الله..

إنَّ ديننا الإسلامي لم يمنع أهله من التعبير عن مشاعر الحب والعطف والود فيما بينهم، شريطة أن يكون ذلك موافقًا للضوابط الشرعية المقررة في القرآن الكريم وسنة النبي العظيم ﷺ بل حثنا على إظهارها ونشرها، ورغبنا فيها مثل الهدية، وإفشاء السلام، والإحسان إلى اليتيم، وصلة الأرحام، ونحو ذلك..

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يعز الإسلام، وينصر المسلمين.. كما نسأله سبحانه أن يحفظ علينا ديننا، وأن يهدينا إلى سواء السبيل..

اللهمَّ إنا نسألك خيرًا يقودنا إلى الجنة، وعملاً صالحًا يذكرنا عندك، وإيمانًا خالصًا يخلصنا من رفثات النفوس.. وسكينة تسكن قلوبنا تمحو القنوط والعبوس..

اللهمَّ اجعلنا لك خاشعين.. ولنبيك متبعين وللناس متواضعين، واحشرنا مع الفقراء والمساكين.. وقنا شر الجبابرة المتكبرين.. وطهر من الأنانية قلوبنا.. ومن التفاخر على الناس ألسنتنا.. ومن العجب والخيلاء سلوكنا.. يا أرحم الراحمين..

الوصية رقم (١٧)

احذروا فتنة المسيح الدجال

عن النواس بن سمعان ﷺ قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال فقال: « **إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤٌ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه طافية، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن.. فمن أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف** »[١].

وفي رواية: « **فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف، فإنها جواركم من فتنته ..** ».

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي الكرام..

في هذه الوصية الكريمة المباركة، يوصينا حبيبنا وأستاذنا ومعلمنا وسيدنا محمدٌ ﷺ كعادته بكل الخير، فما رأى خيرًا إلا وحثنا عليه وأوصانا به، ورغبنا فيه، وما رأى من شر إلا وحذرنا منه، ونهانا عنه.. إنه يوصينا ويعلمنا إذا أدركنا المسيخ الدجال أن نقرأ عليه بفواتح سورة الكهف، أي أوائلها، ويعلل لذلك بأن هذا العمل ينجيه من فتنة المسيخ الدجال.. قال الطيبي: المعني أن قراءتها أمان له من فتنته، كما آمن تلك الفتية من فتنة دقيانوس الجبار[٢].

وقد ورد في صحيح مسلم من حديث أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف: عصم من الدجال** »[٣].

وهناك روايات صرحت بأنها عشر آيات من آخر السورة، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **من قرأ سورة الكهف كانت له نورًا يوم القيامة من مقامه إلى مكة، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال، لم يضره ..** »[٤].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) « تحفة الأحوذي » (٦/ ٢٥).

(٣) رواه مسلم.

(٤) صحيح: رواه الطبراني في « الأوسط »، والنسائي، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٢٥).

وجاء في بعض الروايات عند الطبري من حديث أبي أمامة الباهلي، « **وليتفل في وجهه، فإنه لا يعدو ذلك** ».

وأنا أقول: من أول سورة الكهف، أو من آخرها، ما الذي يضر لو أننا حفظنا السورة كاملة.. إنَّ عشر آيات من أولها أو من آخرها تعصم صاحبها من المسيخ الدجال، فلابد أن نحفظها،-ثم إنَّ هذه السورة الكريمة فضائل أخرى، وقد حثنا الرسول الأعظم ﷺ على قراءتها، فقال: « **من قرأ الكهف كما أنزلت، كانت له نورًا يوم القيامة، من مقامه إلى مكة ..** ». ولها ثواب عظيم لمن قرأها يوم الجمعة.. قال ﷺ: « **من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة، أضاء له من النور ما بين الجمعتين** »[1].

وقال: « **من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة، أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق** »[2].

فمن هو الدجال؟ وما هي صفته؟ وهل هو من الإنس أم من الجن؟ ولم سمي بالمسيح الدجال؟

أحبتي الكرام..

من هو الدجال؟ إن كثيرًا من المسلمين لا يعرفون شيئًا عن الدجال، بل إن بعضهم قد يقول: إن هذه خرافة من الخرافات، ونحن في عصر الإنترنت والذرة، مع أن من الأدلة الثابتة الواضحة على قرب نزول الدجال، أن يهجر الناس ذكره، وأن لا يذكره علماؤنا ولا دعاتنا على المنابر، نسيت الأمة الدجال إلا من رحم الله.. فعن الصعب بن جثامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **لا يخرج الدجال، حتى يذهل الناس عن ذكره** - أي ينشغلوا - **وحتى تترك الأئمة ذكره على المنابر** »[3].

والدجال إنسان من بني آدم، ليس جنيًا، وإنما هو من البشر، قال ﷺ: « **أنذركم الدجال، أنذركم الدجال، أنذركم الدجال، فإنه لم يكن نبي إلا وقد أنذره أمته، وإنه فيكم أيتها الأمة، وإنه جعد، آدم، ممسوح العين اليسرى، وإن معه جنة ونارًا، فناره جنة،**

---

(١) صحيح: رواه النسائي والبيهقي والحاكم، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٧٣٥).

(٢) صحيح: رواه الدارمي وغيره بإسناد صحيح.

(٣) صحيح: رواه عبد الله بن أحمد في « زوائد المسند » (٤/ ٧١)، والطبراني، وصححه الألباني.

وجنته نار، وإن معه نهر ماء، وجبل خبز ...»[١].

فسمى المسيح الدجال بهذا الاسم، لأنه ممسوح العين، والدجال، مأخوذ من الدجل والتضليل والكذب، لأنه يلبس الحق بالباطل، فهو مكذب مضلل خدَّاع للخلق وللناس - إلا من رحم الله ﷻ - ولا توجد فتنة على وجه الأرض من يوم أن خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة أخطر من فتنة الدجال!! ولذلك قال الحبيب ﷺ: « **ما بين خلق آدم، إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال** ».

وعن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم، أعظم من فتنة الدجال، وإنَّ الله لم يبعث نبيًّا إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، وإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيجٌ لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم** ».

حديث في غاية الرقة، مع ما فيه من الفتنة الرهيبة، ولشدة هذا الخطر كان النبي ﷺ يعلم أصحابه كيف يستعيذون من فتنة المسيح الدجال كما يعلمهم السورة من القرآن.. فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ كان يعلمنا هذا الدعاء، كما يعلمهم السورة من القرآن، فيقول: « **قولوا: اللهمَّ إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات** »[٢].

ولخطره وصى رسول الله ﷺ أمته أن يتعوذوا من المسيح الدجال في كل صلاة يصلونها.. فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير، فليتعوذ بالله من أربع، يقول: اللهمَّ إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال** »[٣].

ولخطر هذه الفتنة وصفها لنا النبي ﷺ وصفًا دقيقًا جدًّا، حتى يستطيع المؤمن

---

(١) صحيح: « السلسلة الصحيحة للألباني » برقم (٢٩٣٤).
(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ومالك.
(٣) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والبيهقي.

الموحد أن يعرف الدجال بمجرد أن يراه، وهذا واجب العلماء أن ينقلوا، وأن يوضحوا عن أستاذهم ومعلمهم ﷺ أوصاف الدجال.

فماذا قال سيد الرجال ﷺ ؟

جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قام في الناس خطيبًا، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال: « **إني لأنذركموه، وما من نبي إلا وقد أنذره قومه، لقد أنذره نوح قومه ولكن أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلموا أنه أعور، وأن الله تبارك وتعالى ليس بأعور** »[1]. تعالى ربي عن الشبيه، وعن المثيل، وعن النقص.. فالدجال أعور، ممسوح العين.. عينه طافئة أو طافية.. أي ذهب نورها أو معيبة.. قال ﷺ : « **إنَّ الدجال ممسوح العين اليسرى، عليها ظفرة، مكتوب بين عينيه كافر** »[2].

وعن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **إني حدثتكم عن الدجال، حتى خشيت أن لا تعقلوا، إنَّ المسيح الدجال قصير أفحج** - أي في رجله اعوجاج - **جعد** - أي الشعر - **أعور مطموس العين، ليست بناتئة، ولا حجراء، فإن ألبس عليكم، فاعلموا أن ربكم ليس بأعور، وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا** »[3]. ربكم ليس بأعور.. ولكن ربكم.. له صفات الكمال..

﴿ **ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [النور: ٣٥].

وقال سيد الأولين والآخرين، واصفًا ربه جل في علاه: « **إنَّ الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره**

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) صحيح: رواه أحمد عن أنس، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (١٦٠٦).

(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٢٤٥٩).

من خلقه »[١]. هذه صفات الكمال لربنا الكبير المتعال..

لكن الدجال من أوصافه كما قال سيد الموحدين ﷺ فيما يرويه عنه أنس بن مالك - رضي الله عنهما - ومن حديث حذيفة بن اليمان ﷺ: « **مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب** »[٢]، أي سواء تعلم الكتابة والقراءة، أم كان أميًّا، لا يقرأ ولا يكتب، لكنه سوف يعرفها وتظهر له واضحة جلية.

أيها الأحبة الكرام..

ما هي المدة التي يمكث فيها المسيح الدجال في الأرض؟

إن حديث الوصية التي نعيش في ظلالها طويل.. وفيه أن الصحابة - رضوان الله عليهم - سألوا رسول الله ﷺ عن المدة التي سيمكثها الدجال فقال ﷺ: « **أربعون يومًا** » أي لا يوجد مكان في هذه الأرض إلا سيطؤه في خلال هذه المدة (الأربعون يومًا) إلا مكة والمدينة..

قال ﷺ: « **يوم كسنة، ويومٌ كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم** ».

لكن الصحابة منشغلون بقضية أخرى تمامًا، قالوا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟

تأملوا، ما هو همهم الوحيد في هذا اليوم، الصلاة..

قال النبي ﷺ: « **لا، اقدروا له قدره** ».

ثم سأل الصحابة - رضوان الله عليهم - سؤالاً آخر، قالوا: يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟ قال: « **كالغيث استدبرته الريح** - مطر نازل والريح تدفعه يمينًا ويسارًا - **فيأتي على القوم، فيدعوهم، فيؤمنون به، ويستجيبون له، ويأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت** »[٣].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

لكن المؤمن ثابت، لا يؤثر عليه، ولا يهزه هذه الأعاجيب، لأن أستاذه الأعظم، ونبيه الأكرم ﷺ أعطاه خريطة فيها الأوصاف والملامح، وحددت كل شيء في هذه الشخصية دون لبس أو غموض، المؤمن عنده نظرة متعمقة لما يحدث حوله، وما سيقع من أحداث إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لأنه آمن بالله وبرسوله، وطالع السنة، وعرف ماذا قال صاحب السنة ﷺ قال في أوصافه وعلاماته: « **ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها، كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين، رمية الغرض، ثم يدعوه، فيقبل، ويتهلل وجهه يضحك** »[1].

وفي رواية لأبي سعيد الخدري ﷺ في الصحيحين: « **فيخرج يومئذ رجل هو خير الناس، أو من خير الناس** »[2].

« **يخرج الدجال، فيتوجه قِبَلَهُ رجل من المؤمنين، فتلقاه المسالح، مسالح الدجال** - أي بالسلاح - **فيقولون له: أين تعمد؟** فيقول الرجل المؤمن: **أعمد إلى هذا الذي خرج، فيقولون له: أوما تؤمن بربنا، فيقول: ما بربنا خفاء، فيقولون** - أي أتباع الدجال - وهم سبعون ألفًا -: **اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم** - يعني الدجال - **أن تقتلوا أحدًا دونه، فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس، هذا هو الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ** - لأنه قرأ بين عينيه (كافر) وعرف صفته من وصف النبي له - قال: **فيأمر الدجال به، فيُشبَّح** - أي يمدوه على بطنه - **فيقول: خذوه وشجوه، فيوسع ظهره وبطنه ضربًا.. فيقول له: أوما تؤمن بي؟ فيقول: أنت المسيح الكذاب.. فيؤمر به فيؤشر بالمنشار من مفرقه، حتى يفرق بين رجليه، قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم، فيستوي قائمًا.. قال: ثم يقول له: أتؤمن بي، فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة.. قال:** - أي المؤمن - **يا أيها الناس، إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس، قال: فيأخذه الدجال ليذبحه، فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا، فلا يستطيع إليه سبيلاً.. قال: فيأخذ بيديه ورجليه، فيقذف به، فيحسب الناس، أنما قذفه إلى النار وإنما ألقي في الجنة** ».

---

(١) رواه مسلم والترمذي وابن ماجة وغيرهم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

فقال رسول الله ﷺ: « **هذا أعظم الناس شهادة عند ربِّ العالمين** ».

أحبتي في الله..

متى سيهلك الدجال؟ ومتى يخلص الله الأرض من شره؟ ومن سيقتله؟ وأين يقتل؟ وما الذي ينجينا من فتنته غير حفظ عشر آيات من سورة الكهف؟

في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **... فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فأمَّهُم، فإذا رآه عدو الله - أي الدجال - ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله نبي الله بيده، فيريهم دمه في حربته** »[(١)].

وفي جزء من حديث الوصية أن النبي ﷺ حدد المكان، الذي سوف يقتل فيه نبي الله عيسى عليه السلام الدجال الكذاب.. قال: « **... فيطلبه، حتى يدركه باب لُدّ** » ولُدّ: قرية في فلسطين قريبة من تل أبيب..

فها هو حبيبنا ﷺ وهو الذي لا ينطق عن الهوى، يسمي أسماء لم تكن على عهده، لنعلم يقينًا أنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى وأنه معلم من قبل ربه ومولاه تبارك وتعالى..

قال: « **فيدركه عند باب لدّ، فيقتله** ».

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا فتنة عدو الله، واعلموا أنه لا عصمة لكم ولا نجاة إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة عبده ورسوله ومصطفاه، وأن نتعوذ بالله تعالى من فتنة الدجال، دبر كل صلاة قائلين: « اللهمَّ إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات »، ومن إرشاده لاتقاء فتنة الدجال، ما أشار به في قوله: « **من سمع بالدجال، فلا يأته، ومن حضره، فلينأ عنه** - أي يبتعد عنه - **وإنَّ الرجل ليأتيه، وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات** »[(٢)].

هذا أحد السبل التي حددها رسول الله ﷺ للنجاة من فتنة الدجال..

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد في مسنده وأبو داود في سننه.

ومن السبل التي تعصم من الدجال: الاستقامة على الإيمان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠].

ومن أسباب العصمة منه: الإعراض عن الكذب والكذابين، والحذر من تلبيساتهم وشبهاتهم، فإنهم من جنسه، ومن أصغى إلى كلامهم وتلبيساتهم، كان على خطر من فتنة الدجال.. فاحذروا منه، ومن فتنته..

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يحفظنا من شياطين الإنس والجن، وأن يحفظنا من فتن الدنيا والآخرة ويحفظنا من فتنة الدجال..

اللهمَّ احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، ولا تجعلنا خزايا ولا مفتونين، ووحد أمة الإسلام أجمعين..

اللهمَّ وحد كلمتهم..

اللهمَّ اجمع كلمتهم.. وارفع رايتهم.. وأهلك أعداءهم.. أعداءك أعداء الدين..

اللهمَّ فرق جمع أعدائنا، وشتت شملهم..

اللهمَّ اغفر لنا الذنوب والآثام.. ووفقنا إلى رضاك يا ذا الجلال والإكرام..



الوصية رقم (١٨)

احذروا الإسراف

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلوا واشربوا وتصدقوا، والبسوا ما لم يخالط إسراف ولا مخيلة**»[١].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي الكرام..

هذه واحدة من وصايا أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ لأصحابه الكرام، بل لأمته الكريمة من بعده، فقد أوصانا ﷺ أن نأكل، ونشرب، ونتصدق، ونلبس، بحيث لا يخالط هذا كله شيئين هما: عدم الإسراف، وعدم الخيلاء.. ففيه أربعة أوامر صريحة للإباحة، ونهيان، وهما: الإسراف، والكبر أو التكبر..

يقول المناوي - رحمه الله - في «فيض القدير»:

وهذا الخبر جامع لفضائل تدبير المرء نفسه، والإسراف يضر بالجسد والمعيشة، والخيلاء تضر بالنفس، حيث تكسبها العجب، وبالدنيا حيث تكسب المقت من الناس، وبالآخرة حيث تكسب الإثم[٢].

وقد نهى الإسلام عن الإسراف، وذمه في كل شيء.. الإسراف مذموم سواء كان في المأكل أو المشرب، أو في اللباس، أو في البناء، أو في الأثاث، أو في الكلام، أو في الصمت، أو في السهر، أو في النوم، أو في الجوع، أو في الشبع، أو غير ذلك من الأمور.

وفي كتاب الله ﷻ نهى عن الإسراف والتبذير، قال تبارك وتعالى: ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا** ﴾ [الإسراء: ٢٩].

---

(١) حسن: رواه أحمد في مسنده والنسائي وابن ماجة والحاكم، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٤٥٠٥)، و«صحيح الترغيب» (٢١٤٥)، و«تخريج المشكاة» (٤٣٨١).

(٢) «فيض القدير» (٥/ ٥٩) للمناوي.

قال ابن كثير - رحمه الله -: يقول الله تعالى آمرًا بالاقتصاد في العيش ذامًّا للبخل، ناهيًا عن السرف: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ... ﴾ أي لا تكن بخيلاً منوعًا لا تعطي أحدًا شيئًا، ولا تسرف في الإنفاق، فتعطي فوق طاقتك، وتخرج أكثر من دخلك، فتقعد إن بخلت ملومًا يلومك الناس ويذمونك، وإن بسطت يدك فوق طاقتك، قعدت بلا شيء تنفقه، فتكون كالحسير، وهو الدابة التي قد أسرعت في السير، حتى ضعفت وعجزت عن السير[1].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

قال ابن مسعود ﷺ: التبذير هو الإسراف في غير حق.

وقال قتادة: التبذير هو الإسراف في المعصية.

وقال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحق، لم يكن مبذرًا، ولو أنفق مدًّا في غير حق، كان مبذرًا.

وقد مدح الله عباد الرحمن بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧].

قال ابن كثير في تفسيرها: أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم، فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم، بل عدلاً خيارًا، وخير الأمور أوسطها، لا هذا، ولا هذا.

أحبتي الكرام..

وقد جاءت الوصية بالتحذير من الإسراف والتبذير في عدة أمور:

١- في المأكل. ٢- في المشرب. ٣- في الملبس. ٤- في الصدقة.

أولاً: عدم الإسراف في المأكل والمشرب:

قال الله ﷻ: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١]. فالإسراف يحرم الإنسان محبة الرحمن، وماذا يصنع من حُرم محبة الله ﷻ؟ وهل

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٧).

يفلح إنسان حرمه الله ﷻ من محبته، إنه يعيش في قلق، ويعيش في اضطراب، ويعيش في ألم نفسي.. لأن الله يبغضه ولا يحبه..

وقد جمع رسول الله ﷺ الطب كله في حديث واحد، كما جمعه القرآن الكريم في نصف آية، وهي الآية التي ذكرناها، يقول النبي الأمين ﷺ: « **ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًّ من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه** »[1].

قال علماؤنا: لو سمع بقراط بهذه القسمة، لعجب من هذه الحكمة.

وأخرج البيهقي وابن مردويه عن أنس قال: إنَّ من الإسراف أن تأكل كل ما اشتهيت. وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ أضاف ضيفًا، فأمر رسول الله ﷺ بشاة، فحلبت، فشرب حلابها، ثم أخرى فشرب حلابها، ثم أخرى فشرب حلابها، حتى شرب سبع شياه، ثم إنه أصبح فأسلم، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فشرب حلابها، ثم أمر له بأخرى فلم يستتمه، فقال رسول الله ﷺ: « **إنَّ المؤمن ليشرب في معيٍّ واحد، والكافر يشرب في سبعة أمعاء** »[2].

وليس هذا خاصًّا بالشرب فقط، وإنما هو عام في الأكل كله، وكذلك الشرب، ولذلك جاءت رواية: « **المسلم يأكل في معيٍّ واحد، والكافر في سبعة أمعاء** ». فينبغي على المسلم ألا يشبع في الدنيا، لأنها ليست داره، ولا مستقره، وليؤخر اللذائذ والمتع للآخرة، حيث جنة عرضها السموات والأرض، أعدها الله للمتقين. يقول الرسول الأمين ﷺ: « **إنَّ أكثر الناس شبعًا في الدنيا، أطولهم جوعًا يوم القيامة** »[3].

قال المناوي في « فيض القدير »:

ومقصود الحديث: التنفير من الشبع، لكونه مذمومًا، فإن من كثر أكله، كثر شربه،

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجة وابن حبان في « صحيحه »، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٥٦٧٤)، و« صحيح الترغيب » (٢١٣٥)، و« صحيح سنن ابن ماجة » (٣٣٤٩).

(٢) رواه مسلم.

(٣) حسن: رواه ابن ماجة والبيهقي وغيرهما، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (١١٩٩)، و« صحيح سنن ابن ماجة » برقم (٣٣٥١).

فكثر نومه، فتبلد ذهنه، فقسا قلبه، فكسل جسمه، ومحقت بركة عمره، ففتر عن عبادة المودود، فطرد يوم القيامة عن مناهل الورود، فإن لم يحفه لطف المعبود ورد النار وبئس الورد المورود[1].

قال عمر لابنه عاصم: «يا بني، كل في نصف بطنك، ولا تطرح ثوبًا حتى تستخلقه، ولا تكن من قوم يجعلون ما رزقهم الله في بطونهم وعلى ظهورهم»..

وقد قيل:

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت ولم ينهها تاقت إلى كل باطل

وساقت إليه الإثم والعار بالذي دعته إليه من حلاوة عاجل

وقال عمر: «إياكم والبطنة، فإنها ثقل في الحياة، فتن في الممات».

وقال لقمان لابنه: يا بني، إذا امتلأت المعدة، نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة.

وقال أبو سليمان الداراني - رحمه الله -: من شبع دخل عليه ست آفات: فقد حلاوة المناجاة، وتعذر عليه حفظ الحكمة، وحرمان الشفقة على الخلق، لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع، وثقل العبادة، وزيادة الشهوات، وإن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد، والشباع يدورون حول المزابل».

أحبتي الكرام..

والشبع مذموم طبًّا وشرعًا، كيف وهو يقرب الشيطان، ويهيج النفس إلى الطغيان، لكن الجوع يضيق مجاري الشيطان، ويكسر سطوة النفس، فيندفع شرهما..

روي أن إبليس لعنه الله، قال ليحيى عليه السلام: ربما شبعت فأثقلناك عن الصلاة.. فقال يحيى عليه السلام: لله عليَّ ألا أشبع أبدًا..

فقال إبليس عليه اللعنة: ولله عليَّ ألا أنصح مسلمًا أبدًا..

---

(١) «فيض القدير» (٢/ ٥٤٤).

ولله در إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - حين قال: «من ضبط بطنه، ضبط دينه، ومن ملك جوعه، ملك الأخلاق الصالحة، وإن معصية الله بعيدة من الجائع، قريبة من الشبعان، والشبع يميت القلب، ومنه يكون الفرح والمرح والضحك».

وقال أهل العلم: السرف في المأكل والمشرب، يهدم الصحة، ويضعف الجسم، ويعرضه للإصابة بأمراض خطيرة، مثل السمنة، التي هي سبب للإصابة بتصلب الشرايين وجلطات القلب، وموت الفجأة، ومن مخاطرها: الإصابة بضغط الدم، ومرض السكر، وغيرها من الأمراض، التي تصيب المسلمين بسبب عدم اتباعهم لسنة حبيبهم ﷺ..

ثانيًا: الإسراف في الملبس:

واللباس مطلوب للإنسان، وتعتريه الأحكام الخمسة، فقد يكون فرضًا، ليستر الإنسان به عورته، ويدفع عن نفسه الحر والبرد، لقوله تعالى: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ... ﴾ [الأعراف: ٣١]، وتارة يكون مستحب، وهو ما يحصل به أصل الزينة وإظهار النعمة، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١].

وفي الحديث: «**إنَّ الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»[١].

وتارة يكون مباحًا، وهو الثوب الجميل للتزين، ولاسيما في الجُمع والأعياد، ومجامع الناس.. لحديث عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «**ما على أحدكم إن وجد سعة، أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة، سوى ثوبي مهنته**»[٢].

وتارة يكون حرامًا، إذا كان حريرًا فيحرم على الرجال دون النساء، لقول النبي ﷺ: «**إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة**»[٣]. وأحاديث أخرى. وتارة يكون مكروهًا، إذا كان للتكبر والخيلاء، أو فيه سرف لحديث الوصية التي معنا. ولما ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «**كل ما شئت، والبس**

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي وغيرهما، وصححه في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٢٩٠)، و«صحيح الجامع» رقم (١٧١٢).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجة وأبو داود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٣٥).

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

ما شئت، ما أخطأتك اثنتان: سرف أو مخيلة »[١].

قال أهل العلم في هيئة اللباس المطلوب للمسلم:

يطلب في اللباس أمور:

١ - أن يكون وسطًا بين الخسيس والنفيس.

قال النووي في « المجموع » (٤/ ٤٥٣): يستحب ترك الترفع في اللباس تواضعًا، ويستحب أن يتوسط فيه ولا يقتصر على ما يزدري به لغير حاجة، ولا مقصود شرعي، واستدل بحديث معاذ بن أنس أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **من ترك اللباس تواضعًا لله تعالى، وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها** »[٢]. أي ما يعطي أهل الإيمان من حلل الجنة.

وليس المقصود من ترك اللباس كلية، ولكن المراد من ترك لبس الثياب الحسنة التي تدل على الترف.. وفي رواية: ترك ثوب جمال، تواضعًا لله، لا ليقال إنه متواضع، أو زاهد، أو نحو ذلك، والناقد بصير..

٢- يحرم إطالة الثوب والإزار والسراويل على الكعبين للخيلاء، ويكره لغير الخيلاء لحديث: « **من جر ثوبه خيلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة** »[٣]. بخلاف المرأة.

٣- وينبغي للرجل ألا يبالغ في سعة الكم، فلا يزيد اتساعه عن شبر، لأنه سرف منهي عنه.

قال العز بن عبد السلام: وإفراط توسعة الثياب والأكمام بدعة وسرف.

وقال ابن القيم - رحمه الله - في « زاد المعاد »:

وأما الأكمام الواسعة الطوال، التي هي كالأخراج، فلم يلبسها النبي ﷺ ولا أحد

---

(١) رواه البخاري تعليقًا.

(٢) حسن: رواه الترمذي والحاكم وغيرهما، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٦١٤٥)، و« صحيح الترغيب » (٢٠٧٢).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

من أصحابه البتة، وهي مخالفة لسنته، وفي جوازها نظر، فإنها من جنس الخيلاء، وهي ممنوعة[١].

وقال الشوكاني - رحمه الله - في «نيل الأوطار»:

لقد صار أشهر الناس بمخالفة هذه السنة في زماننا هذا، العلماء، فيرى أحدهم وقد جعل لقميصه كمين، يصلح كل واحد منهما أن يكون جبة أو قميصًا لصغير من أولاده، أو يتيم، وليس ذلك في شيء من الفوائد الدنيوية، إلا العبث، وتثقيل المؤنة على النفس ومنع الانتفاع باليد في كثير من المنافع، وتعريضه لسرعة التمزق، وتشويه الهيئة، ولا الدينية إلا مخالفة السنة، والإسبال والخيلاء[٢]. فينبغي التوسط وعدم الإسراف. والتوسط المطلوب معتبر من وجهين:

١- صفة الملبوس وكيفيته.

٢- جنسه وقيمته.

فأمَّا الصفة فمعتبرة من عدة أوجه: فلكل نوع من الناس، نوع من اللباس متعارف عليه، فللتجار زيٌّ، وللعمال زيٌّ، وللجنود في ميدان القتال زيٌّ، فمن عدل عن عرف بلده، يكون خرقًا وحمقًا، ويكون زيًا فاضحًا.

وأما من جهة القيمة والجنس، فإنه يعتبر فيه اليسار والإعسار، فللموسر زي على حسب يساره، وللمعسر زي على حسب إعساره.

فإذا لبس الموسر ثوبًا مبتذلاً مرقعًا، ماذا سيقال عنه؟ سيقال: إنه بخيل حتى على نفسه، والله ﷻ يحب أن يرى أثر نعمته على عبده.

وبعض الناس تجدونه يلبس ثيابًا لا تناسب أحوالهم، فمن الممكن أن ترى أحدهم يلبس ثيابًا غالية جدًا، وعندما تبحث الأمر تجده مقترضًا لثمنها.. لماذا؟ لأنه يريد أن يتظاهر.. يريد الكبر والخيلاء..

---

(١) «زاد المعاد» (١/ ١٣٠) لابن القيم الجوزية.

(٢) «نيل الأوطار» (٣/ ٨٥) للشوكاني.

فإن عدل الرفيع إلى زي الدون، كان مهانة وذلاً، وإن عدل المعسر إلى ذي الموسر كان تبذيرًا وسرفًا.. وإن عدل الدنيء إلى زي الرفيع، كان حمقًا وجهلاً.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: « إياكم ولبستين: لبسة مشهورة، ولبسة محقورة ».

لبسة مشهورة: أي لتكون مشتهرة بين الناس.. وهذا ما حذر منه رسول الله ﷺ في وصيتنا، والمحقورة: هي التي تجعل الناس يزدرونك.

قال أحد الحكماء: البس من الثياب ما لا يزدريك فيه العظماء، ولا يعيب عليك الحكماء..

وقال أحدهم:

إنَّ العيون إذا فاجأتها وعليك من شهر الثياب لباس

أما الطعام فكل لنفسك ما تشا واجعل لباسك ما اشتهاه الناس

والمسلم إذا تأدب بأدب الإسلام، كان ذلك تعويضًا له عن كل نقص. ورحم الله من قال:

وما الحلي إلا زينة لنقيصة يتمم من حسن إذا الحسن قصرا

فأما إذا كان الجمال موفرًا كحسنك لم يحتج أن يزورا

والمسلم يتجنب التفاخر بالثياب والإعجاب بها، لأن رسوله محمدًا ﷺ قد توعد من يلبس ثيابًا من أجل الكبر والخيلاء والفخر بعذاب يوم القيامة، فقال ﷺ: « **من لبس ثوب شهرة، ألبسه الله يوم القيامة ثوبًا مثله، ثم تلهب فيه النار** »[1].

قال المناوي - رحمه الله -:

الشهرة هي التفاخر في اللباس المرتفع، أو المنخفض للغاية.. (ألبسه الله يوم القيامة) التي هي دار الجزاء، وكشف العطاء، ثوبًا مثله - أي يشمله بالذل، كما يشمل الثوب البدن في ذلك الجمع الأعظم، بأن يصغره في العيون، ويحقره في القلوب، لأنه لبس شهوة الدنيا، ليفتخر بها على غيره، فيلبسه الله مثله.

---

(١) حسن: رواه ابن ماجة وأبو داود، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٦٤٠٢).

ثم تلهب فيه النار، عقوبة له بنقيض فعله، والجزاء من جنس العمل[١].

ثالثًا: الإسراف في الصدقة:

ولعل المقصود بالإسراف في الصدقة - والله أعلم - هو التعدي في الوصية بأكثر من الثلث. فعن عامر بن سعد عن أبيه قال: جاءنا رسول الله ﷺ يعودني من وجع اشتد بي زمن حجة الوداع، فقلت له: بلغ بي ما ترى وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا»، قلت: بالشطر؟ قال: «لا».. قلت: الثلث؟ قال: «**الثلث كثير، إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ..**»[٢].

قال ابن بطال: هذا الحديث دال على أن ترك المال للورثة خير من الصدقة به، وأن النفقة على الأهل من الأعمال الصالحة.

وروى ابن أبي شيبة من حديث ابن أبي مليكة عن عائشة - رضي الله عنها - قال لها رجل: إني أريد أن أوصي. قالت كم مالك؟

قال: ثلاثة آلاف.. قالت: فكم عيالك؟ قال: أربعة.

قالت: إن الله يقول: ﴿ **إِن تَرَكَ خَيْرًا** ... ﴾ [البقرة: ١٨٠]، وهذا شيء يسير، فدعه لعيالك، فإنه أفضل[٣].

وعن علي بن أبي طالب ﷺ أنه دخل على رجل من بني هاشم يعوده، وله ثمانمائة درهم، وهو يريد أن يوصي، فقال له: يقول الله: ﴿ **إِن تَرَكَ خَيْرًا** ... ﴾ ولم تدع خيرًا توصي به.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: من ترك سبعمائة درهم فلا يوصي، فإنه لم يترك خيرًا.. وقال قتادة في قوله: ﴿ **إِن تَرَكَ خَيْرًا** ... ﴾ ألف درهم فما فوقها.

قال ابن المنذر: فدلت هذه الآثار على أن من ترك مالاً قليلاً، فالاختيار له ترك الوصية، وإبقاؤه للورثة[٤].

---

(١) «فيض القدير» (٦/ ٢١٨).

(٢) رواه البخاري.

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٣٠٩).

(٤) «شرح ابن بطال» (١٥/ ١٥٧).

أحبتي الكرام..

اعلموا أنكم محاسبون بأعمالكم، وموقوفون بين يدي الله، وأنتم خاضعون، وقد نشرت دواوينكم.. والجنة عن أيمانكم.. والنار عن يساركم، والصراط بين أيديكم، والله ﷻ مطلع عليكم، يقول لكل واحد بنفسه: اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا.. فإن كنتم سعداء فإلى جنة عالية، وإن كنتم أشقياء فإلى نار حامية..

فتزود أخي الحبيب لنفسك، ومثل الآخرة أمام قلبك.. واجعل الموت بين عينيك.. ولا تنس وقوفك بين يدي الله ﷻ.. وكن من الله على وجل.. وأدِّ فرائضه.. وكف عن محارمه.. وخالف هواك.. واذكر الله ﷻ في كل وقت واحمد مولاك على كل حال، واجعل شوقك إلى الجنة، واستعذ بالله من النار.. واعلم أن الليل والنهار لا يرجعان، والعمل لا يعود، والطالب حثيث، والليل والنهار يسرعان في هدم نفسك، وفناء عمرك، وانقضاء أجلك..

فلا تطمئن يا أخي حتى تعلم أين مسكنك ومصيرك ومستقرك ومنزلك..

غـدًا تـوفى الـنفوس مـا كـسبت	ويحـصد الـزارعون مـا زرعـوا
إن أحـسنوا أحـسنوا لأنفـسهم	وإن أسـاؤوا فبـئس مـا صـنعوا
فـالله ذو رحمـة وذو كـرم	وإن جهلـنا فحلمـه يـسع
يـا رب اكتبـنا الـيوم في مـلأ	تمـسكوا بالكـتاب فانـتفعوا
واغنـنا واعـف عـن جـريمتنا	وامـنن عليـنا بـأمن نتـضرع

اللهمَّ ارحم ذلنا يوم قيام الأشهاد، وآمن خوفنا من فزع يوم المعاد، ووفقنا لما تنجينا به من الأعمال في ظلم الألحاد، ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد..

وصلِّ اللهمَّ وسلم وبارك على سيدنا محمد..

الوصية رقم (١٩)

احذروا الغفلة

عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اقتربت الساعة، ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصًا، ولا يزدادون من الله إلا بُعدًا**»[١].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

في هذا القبس المحمدي النوراني، الذي نقله لنا الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ أول صادح بالقرآن الكريم، وهو الذي شهد له الرسول ﷺ أول ساعة من إسلامه أنه غلام معلم.. وقد أخذ عن رسولنا ﷺ بل أخذ من فمه الشريف الطاهر المبارك سبعين سورة لا ينازعه فيها أحد.. ينقل لنا تحذيرًا ضمنيًا من أستاذ البشرية للبشرية بأنه مادامت الساعة قد اقتربت، فلا ينبغي أن يغفل الناس عن ربهم، ولا ينبغي أن يزدادوا حرصًا على دنياهم.. بل ينبغي أن لا يركنوا إلى الدنيا الخداعة، ولا يغفلوا عن ذكر ربهم.. فقال: «**اقتربت الساعة**». وهذا إخبار بالمغيبات.. وقد جاء ذكره في صدر سورة القمر.. قال تعالى: ﴿ **ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ** ... ﴾ [القمر: ١]، وقال سبحانه: ﴿ **أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ** ... ﴾ [النحل: ١]، وقال: ﴿ **ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ** ... ﴾ [الأنبياء: ١].

وقال ﷺ: «**لست من الدنيا، وليست مني، إني بعثت والساعة نستبق**»[٢]. وقال: «**بعثت والساعة كهاتين**»[٣]، وجمع بين إصبعيه السبابة والوسطى.

---

(١) صحيح: رواه الحاكم والطبراني، وصحححه الألباني في «الصحيحة» (١٥١٠)، و«صحيح الجامع» (١١٤٦).

(٢) صحيح: أخرجه الضياء في «المختارة»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٠٨٠)، و«الصحيحة» (١٢٧٥).

(٣) صحيح: رواه البخاري ومسلم ورواه ابن ماجة (٤٠٤٠)، والترمذي (٢٢١٤).

وقال: «ما مثلي ومثل الساعة إلا كفرسي رهان»[١].

«ما مثلي ومثل الساعة إلا كمثل رجل بعثه قوم طليعة، فلما خشي أن يسبق ألا ح بثوبه: أتيتم أتيتم، أنا ذاك، أنا ذاك»[٢].

ومادامت الساعة قد اقتربت هكذا، فلم الغفلة؟

فما هي الغفلة؟ وما أسبابها؟ وما أنواعها؟ وما مراتبها؟ وما نتيجة الغفلة؟ وما علاجها؟ والله المستعان..

كل هذه الأسئلة سنجيب عنها في هذا اللقاء الطيب المبارك تحت ظلال هذا التحذير النبوي الشريف..

أولاً: الغفلة هي: سهو يحدث للإنسان نتيجة عدم التيقظ والتبصر. وأما حقيقتها: فهو الانغماس في الدنيا، والشهوات، ونسيان الآخرة بحيث يصير الإنسان له قلب، لكنه لا يفقه به، وله عين لا يبصر بها، وله آذان لكنه لا يسمع بهما، فيصير كالأنعام.. كما قال الملك العلام.. ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فتراه يجتهد في تعمير دنياه الفانية، وتخريب آخرته الباقية، فيكره لقاء الله واليوم الآخر.. تراه يبني على الأرض القصور، وينسى القبور.. تراه يملأ بطنه مما لذ وطاب، ولا يبالي أمن الحلال أم من الحرام، وينسى الحساب.. تراه متلبس بالنعمة، وينسى شكر رب النعمة.. تراه منغمس في الذنوب والمعاصي، وقلبه من عدم ذكر مولاه قاسٍ، تراه هلوعًا منوعًا جزوعًا فهو في الشهوات منغمس، وفي الشهوات منتكس.. عن الناصح معرض، وعلى المرشد معترض. عقله مسبي بالشهوات، وأمله موقوف على اجتناء اللذات، وسيرته جارية على أسوأ العادات..

وهو كما قال الله عنه وعن أمثاله: ﴿ **وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن**

---

(١) «السلسلة الصحيحة» للألباني برقم (٣٢٢٠).

(٢) نفس المرجع السابق.

يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

الغافلون لهم آذان لا يسمعون بها القرآن، ولا الذكر، ولا المواعظ، وإن سمعوا لم يتدبروا، ولم يتفكروا، ولم يتذكروا، ولكنهم ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١].

هؤلاء الغافلون عن الله.. الغافلون عن آخرتهم، هم كالأنعام همتهم موقوفة على الطعام والشراب، والتمتع بالشهوات.. ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد: ١٢]، بل هم أضل منهم.. لكن لماذا هم أضل من الأنعام، لسببين:

الأول: أن البهائم تميز بين الضار والنافع، فتأتي ما ينفعها، ولا تأتي ما يضرها أبدًا، وإن حملت عليه قهرًا.. (كفيل أبرهة)..

أما الغافلون، فترى أحدهم بتركه إعمال نعمة العقل والفكر، يقدم على النار، ولا يبالي، فكانوا بفعلهم هذا أضل من الأنعام.. قال تعالى مخبرًا عن أهل النار حسرتهم.. ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝ ﴾ [الملك: ١٠، ١١].

الثاني: أن الأنعام تذكر الله وتسبحه، وتصلي له، لكن بطريقتها وبفهمها.. ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ... ﴾ [النور: ٤١]، أما الغافلون، فتراهم لا يذكرون الله في اليوم، ولو مرة.

أحبتي الكرام..

وأما عن أسباب الغفلة: فأساسها حب الدنيا، وكما روى البيهقي في «شعب الإيمان» مرسلاً عن الحسن: حب الدنيا رأس كل خطيئة.. وليس هناك سبب آخر.. قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم: ٧].

قال الحسن البصري - رحمه الله -: «والله ليبلغ أحدهم من علمه بالدنيا أن يقلب الدرهم على ظفره، فيخبرك بوزنه، ولا يحسن يصلي»[1].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٠٥).

يقول ابن كثير في تفسيره: «فإن أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا، واكتسابها وشؤونها، فهم فيها حذاق أذكياء في تحصيلها، ووجوه مكاسبها، وهم غافلون عن أمور الدين، وما ينفعهم في الدار الآخرة كأنَّ أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة»[1].

ولذلك قال سيد الخلق ﷺ: «**إنَّ الله يبغض كل جعظري، جواظ سخاب في الأسواق، جيفة بالليل، حمار بالنهار، عالم بأمر الدنيا، جاهل بأمر الآخرة**»[2]. كأنه لم يخلق للعبادة التي خلقه الله ﷻ لأجلها، قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧]، وإنما يحسب أنه خلق للدنيا، والشهوات، فهو إن فكر، فكر في الدنيا، وإن أحب، أحب الدنيا، وإن عمل فللدنيا، فيها يزاحم ويخاصم ويقاتل.. وبسببها يتهاون ويترك كثيرًا من أوامر الله، وينتهك الحرمات من أجلها.. فتجد أحدهم يترك الصلاة في المسجد.. في جماعة، ويفرط في سبع وعشرين درجة من أجل سماع مباراة لكرة القدم.. يغفل عن الصلاة ويترك حسنات كثيرة لسبب من الأسباب الدنيوية الحقيرة التافهة.. وما ذلك إلا لأنه غافل.. لاهٍ.. يترك صلاة التراويح في المسجد، لكي يشاهد فيلمًا ساقطًا، أو مسلسلاً حقيرًا أو مسرحية تافهة.. لأنه غافل..

تجده يحفظ الأغاني التافهة.. ويحفظ أسماء المسلسلات، وأسماء الممثلين والممثلات، والمطربين والمطربات، الأحياء منهم والأموات.. لأنه غافل لاهٍ.. ولئن سألتهم عن الصحابة والتابعين، أو العلماء والزاهدين، لا يعرفون شيئًا، إلا من رحم الله..

تسأله: كم تحفظ من القرآن؟ يقول: قل هو الله أحد، والمعوذتين، ومعهم الفاتحة.

تسأله: كم تحفظ من حديث النبي العدنان؟ يقول: حديثان: «**إن الدين يسر**»[3]، والثاني: «**من أمَّ الناس، فليخفف**»[4]، وإلى الله المشتكى.. أولئك هم الغافلون.. إن قلوبهم لاهية.. وأفئدتهم معرضة ﴿**لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ...**﴾ [الأنبياء: ٣]، فهم في ضنك وشقاء، حتى ولو كانوا في نعيم ورخاء.. فالرخاء ثمرة الضلال، والضنك ثمرة

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) صحيح: رواه البيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٨٧٨) عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري والنسائي وغيرهما.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم.

الإعراض.. ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦].

أيها الأحبة الكرام..

أليس عجيبًا أن يعرض المسلم عن ربه ومولاه.. الذي خلقه فسواه، وفي أحسن صورة عدله وركبه؟

أليس عجيبًا أن يقضي المسلم معظم عمره في غفلة عن ربه ومولاه الذي رزقه وأكرمه ونعمه؟ الغافل لا تزيده نعم الله تعالى إلا إعراضًا وعصيانًا وضلالاً.. ولا يزيده حلم الله عليه إلا تماديًا واستخفافًا..

السبب الأساسي في الغفلة: حب الدنيا، لذلك أوصى النبي ﷺ سيدنا عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - فقال: « **يا ابن عمر، كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل** »، وكان ابن عمر يقول: « **إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك** »[١].

وقال ﷺ: « **من كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق الله عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له، ومن كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع الله عليه شمله، وأتته الدنيا، وهي راغمة** »[٢].

وقد صح عنه ﷺ: « **لو أن الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة، ما سقى الكافر منها شربة ماء** »[٣].

وإياك أيها الغافل اللاهي.. الساهي، أن تفرح إذا أعطاك الله من الدنيا وأنت مقيم على معصيته، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: « **إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب من الدنيا، وهو مقيم على معصيته، فإنما هو استدراج**، ثم تلا: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم

(١) رواه البخاري والترمذي.

(٢) صحيح: رواه الترمذي في « صفة القيامة »، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٩٤٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن ماجة، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٥٢٩٢).

مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤]»[١].

ونحن لا نقول بترك الدنيا كلية.. لكن نأخذ منها زادًا للآخرة.. فالدنيا مزرعة الآخرة.. «**الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله، وما والاه، أو عالم أو متعلم**»[٢].

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص: ٧٧].

اغتنم ركعتين زلفى إلى الله إذا كنت فارغًا مستريحًا

وإذا هممت بالقول في الباطل فاجعل مكانه تسبيحًا

المهم أن لا تتنافس فيها، ولا يطول فيها أملك..

قال الحسن البصري - رحمه الله -: من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك، فألقها في نحره..

أحبتي الكرام..

فماذا عن أنواع الغفلة؟

الغفلة مرض مزمن، وداء عضال، ونهايته خطيرة، فلذا ينبغي على العاقل أن يستيقظ من سباته العميق، ويحرص على ما ينفعه في الدنيا والآخرة..

وأنواع الغفلة كثيرة ذكرهاالعلماء منها:

(١) غفلة عن التفكير في خلق الله ﷻ وآياته:

ينظر الإنسان إلى صنيع الله ﷻ في هذا الكون، ويرى آياته وعجائبه في كل مكان، من فوقه، ومن تحته، وعن يمينه، وعن شماله، ولكن غفلته تعميه عن الرؤية والاعتبار، قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٥].

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده والطبراني في «الكبير» والبيهقي في «الشعب»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦١).

(٢) حسن: رواه الترمذي وابن ماجة والبيهقي، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٧٤)، و«صحيح الجامع» (٣٤١٤).

فكان جزاء هؤلاء كما أخبرنا سبحانه: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

تفكر في خلق نفسك.. من أنت؟ هل أنت هو هذا الهيكل المنظور من العظام واللحم والأعصاب والدماء.. هل أنت مجرد هذه الأجهزة والخلايا؟ أنت هذا الكيان المادي؟ لو كان الأمر كذلك، لكانت البهائم أفضل منك.. مهما ضخم جسدك، فلن تكون أضخم من الثور، أو الفيل..

مهما كنت قويًا، فلن تكون في قوة الأسد.. قيمة الإنسان في روحه..

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١].

دواؤك فيك وما تبصر ... ودواؤك منك وما تشعر

وتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

تفكر في العالم كله من حولك..

انظر لتلك الشجرة ... ذات الغصون النضرة

كيف نمت من حبة ... وكيف صارت شجرة

انظر وقل من ذا الذي ... يخرج منها الثمرة

ذاك هو الله الذي أنعمه منهمرة ... ذو حكمة بالغة وقدرة مقتدرة

وانظر إلى الشمس التي ... جذوتها مستعرة

فيها ضياء وبها ... حرارة منتشرة

من الذي أوجدها ... في الجو مثل الشررة

ذاك هو الله الذي ... أنعمه منهمرة

ذو حكمة بالغة ... وقدرة مقتدرة

وانظر إلى المرء وقل ... من شق فيه بصره

ذاك هو الله الذي ... أنعمه منهمرة

ذو حكمة بالغة ... وقدرة مقتدرة

(٢) غفلة عن ذكر الله:

فالغافل لا يذكر ربه.. قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

بئس العبد عبد سها ولهى ... ونسى المبدأ والمنتهى

بئس العبد عبد طغى وعتى ... ونسى الجبار الأعلى

آه على قلوب لم تتفكر في يوم الموت والرحيل.. آه على جنة عدن وظل ظليل..

آه على قسوة سلكت بالقلب إلى النار بئس السبيل..

أما آن لك يا مسكين أن تقلع عن هواك؟ أما خلقك فسواك؟ أما عطف عليك القلوب وبرزقه غذاك؟ أما ألهمك إلى الإسلام وهداك؟ أما قربك فبفضله وأدناك؟ لم قابلت ذلك بالغفلة وركوب الشهوات؟ والمبادرة بالخطايا والزلات؟ فنقضت بذلك عهده، وعصيت أمره..

كل ما في هذا الكون يذكره، فلماذا تغفل عن ذكره.. أما تستحي ممن شاهدك على المعصية ورآك؟ ومع هذا إن عدت إليه قبلك ورضاك؟

لما غفل الإنسان عن ذكر ربه، ازداد مرضه، فانتقل إلى النوع الثالث..

(٣) غفلة عن الموت والمصير:

قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ١٩-٢٢].

وقال سبحانه: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

فاستيقظ من غفلتك.. وهب من رقدتك قبل أن يدعى إليك الطبيب بجميع الدواء، فلا يرجى لك مما نزل بك الشفاء..

أحبتي الكرام..

ما هي مراتب الغفلة من حيث القوة والضعف؟

ذكر العلماء عدة مراتب للغفلة بحسب قوتها وضعفها، منها:

(١) غفلة لحظية:

يغفل الإنسان، فإذا ذكر، تذكر، فيعود ويستغفر، وهذا معنى قول الإمام ابن القيم - رحمه الله -: « لابد لك من سنة الغفلة، ومن رقدة الهوى، ولكن كن خفيف النوم ».

(٢) غفلة متوسطة:

وهي غفلة المسلم، الذي يصلي ويصوم، ويزكي وينتهي عن كبائر الذنوب، ولكنه يغفل، فيقع في صغائر الذنوب، وربما وقع في بعض الكبائر وهو لا يدري، قال ﷺ: « **إياكم ومحقرات الذنوب، فإنها تجتمع على الرجل فتهلكه** »[١]، ويقول: « **إنَّ الشيطان يئس أن يعبد في جزيرة العرب، ولكنه رضي بما تحقرون** »[٢]، أي بما تحقرونه من الذنوب بطريق الغفلة أن هذه الصغائر قد تهلك العبد.

(٣) غفلة التسويف والتمني:

إنسان فيه خير كثير، ولكنه يقع في مرضين يجعلونه يلتحق بأهل الغفلة:

أ- **مرض التسويف**: فكلما همت نفسه بفعل الخير، يعوقها بـ « سوف » فلا يزال على ذلك حتى يباغته الموت.. ساعتها يقول: ﴿ **رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ** ﴾ [المؤمنون: ٩٩] فيأتيه الحق، وتكون الإجابة: ﴿ **كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

ب- **مرض التمني**: وهو بحر لا ساحل له، يدمن ركوبه المفاليس، وبضاعة ركابه؛ مواعيد الشياطين، وخيالات المحال والبهتان.. وهي بضاعة كل خسيس، وصدق من قال:

---

(١) تخرج في موضع آخر.

(٢) صحيح: « السلسلة الصحيحة » برقم (٤٧١).

وانتبه من رقدة الغفلة فالعمر قليل
واطرح سوف وحتى فهما داء وبيل

(٤) غفلة الإعراض وانتهاك الكبائر:

وهذه غفلة من أعرض عن مولاه بالكلية، فلا يأتمر بأمر، ولا ينتهي عن نهي، لا يصلي، ولا يصوم، ولا يذكر، وإن فعل كانت عادة من عوائده، مع فعله للذنوب الكبائر، ووقوعه فيها، فهي غفلة التخبط والتلوف، وترك الواجبات.. نسأل الله أن يعافينا.. وصدق من قال: «إذا رأيتم أهل البلاء، فاسألوا الله العافية» قالوا: ومن أهل البلاء؟ قال: أهل الغفلة.

(٥) غفلة أهل البدع والأهواء:

وهي غفلة الجاهل الثقيل البغيض، الذي لا يحسن أن يتكلم فينفعك، ولا يحسن أن يسكت، فيستفيد.. إنه لا يعرف قدر نفسه، لكي يضعها في موضعها، ولا يعرف قدر غيره، فينزله منزلته.. وهؤلاء العلمانيون والمبتدعون. ومنهم أهل البدع والأهواء الصادون عن سنته ﷺ الداعون إلى مخالفتها، الذين يجعلون السنة بدعة، والبدعة سنة، والمنكر معروفًا، والمعروف منكرًا.. يظنون أنهم أرباب الهداية، وأنهم أقطاب العالم، وأنهم الأولياء الصالحون.. وصدق الله إذ يقول عنهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]، فإذا رأيتهم فاهرب بدينك منهم..

أحبتي في الله..

وأخيرًا: ما علاج مرض الغفلة؟

ذكر أهل العلم أن علاج مرض الغفلة، يستلزم رغبة من صاحبه صادقة في معرفة الداء والدواء، ثم بعد ذلك يصبر على مرارته، ثم يستعين بمولاه ﷻ على ذلك، وذكروا بأن الناس في هذا الباب على أقسام أربعة:

(١) منهم من يعرف مرضه، ويعرف العلاج، فحينئذ يسارع بأخذ الدواء، ويتحمل مرارته رغبة منه في الشفاء، لأنه يعلم خطورة المرض.

(٢) ومنهم من يعرف المرض، ويعرف العلاج، لكنه لا يقدم على التداوي، لأنه لا يتحمل مرارته، ولأنه جاهل بالمرض وخطورته، فحينئذ يهمل، فيتمكن المرض منه.

(٣) ومنهم من يعرف العلاج، ولكنه لم يقف على حقيقة دائه ومرضه، فهذا يحتاج إلى طبيب حاذق ذكي، لكي يشخص له الداء، والدواء.. ومنهم طلبة العلم.. فيرشده معلمه وشيخه..

(٤) ومنهم من لا يعرف مرضًا ولا علاجًا، فهو جاهل بهما معًا، وربما أنه لا يشعر أنه مريض، فهذا النوع يحتاج إلى من يدله ويرشده، ويدله على الطبيب الذي يشخص له داءه ودواءه..

وأما العلاج من هذا الداء الخطير.. مرض الغفلة فمن أدويته:

(١) تذكر الموت والآخرة:

قال ﷺ: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذات**»، قالوا: ومن هاذم اللذات يا رسول الله؟ قال: «**الموت**»[1]، وتذكر الآخرة.. ويتذكر قبله القبر وضمته.. وسؤال منكر ونكير..

تذكر وقوفك يوم العرض عريانًا — مستوحشًا قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق — على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل — فهل تجد فيه حرفًا غير ما كانا
فلما قرأت ولم تنكر قراءته — وأقررت إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل: خذوه يا ملائكتي — وامضوا بعبد عصا للنار عطشانا
المشركون غدًا في النار يلتهبوا — والموحدون بدار الخلد سكانا

إذا تذكر العبد الموت والحساب، وتذكر الحشر، والموقف، حدث له يقظة، وهي انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغفلة.. فينتقل بقلبه إلى العزم على التوبة إلى الله ﷻ، فيستيقظ من غفلته.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة والطبراني، وصححه الألباني في «الترغيب» رقم (٣٣٣٣)، و«صحيح الجامع» (١٢١٠).

(٢) دمعة من عين القلب في جوف الليل:

حين ينزل رب العزة والجلال إلى سماء الدنيا، فيقول: هل من مستغفر، فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من داع، فأستجب له؟ هل من كذا؟ هل من كذا حتى يطلع الفجر فيستغفر ويبكي بدمع الندم على ما فرط في جنب الله.. يناجي ربه ويقول:

قصدت باب الرجا والناس قد رقدوا	وبت أشكو إلى مولاي ما أجد
فقلت يا أملي في كل نائبة	يا من عليه لكشف الضر أعتمد
أشكو إليك أمورًا أنت تعلمها	مالي على حملها صبر ولا جلد
وقد مددت يدي إليك بالذل معترفًا	يا خير من مدت إليه يد
فلا تردنها يا رب خائبة	فبحر جودك يروي كل من يرد

حينها يأتيك صوت الغفور الرحيم.. ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

(٣) الصحبة الصالحة المعينة على الثبات على الطريق:

قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقد صح عن النبي ﷺ: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»(١). وقال: «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمَّا أن يحذيك منه، وإمَّا أن تجد منه ريحًا طيبة، وإمَّا أن تبتاع منه، ونافخ الكير، إمَّا أن يحرق ثيابك وإمَّا أن تجد منه ريحًا خبيثة»(٢).

اللهمَّ يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون اجعل خير أعمارنا آخره، وخير أعمالنا خواتمه، وخير أيامنا يوم أن نلقاك..

---

(١) حسن: رواه أحمد والترمذي وأبو داود والبيهقي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٥٤٥).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم.

اللهمَّ إنا نسألك رحمة تهدي بها قلوبنا، وتجمع بها أمرنا، وتحفظ بها غائبنا، وترفع بها شاهدنا، وتبيض بها وجوهنا، وتزكي بها أعمالنا، وترد بها الفتن عنا، وتعصمنا بها من كل سوء يا رب العالمين..



الوصية رقم (٢٠)

احذر أن تكون غشاشًا

عن ابن مسعود ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: « **من غشنا فليس منَّا، والمكر والخداع في النار** »[(١)].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

إنَّ الرسول الأعظم ﷺ هنا يحذرنا تحذيرًا شديد اللهجة من الغش والمكر والخداع..

فمن أكره الصفات التي يكرهها ربنا جل وعلا في عبده، أن يراه غشاشًا أو يراه ماكرًا، أو يراه مخادعًا - والعياذ بالله - فالغش والمكر والخداع كلها من صفات أخبث خلق الله، كلها من صفات إبليس، ومن صفات أتباعه عليه وعليهم لعنة الله ﷻ، وصفات من يدخلون النار يوم القيامة - والعياذ بالله - قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ...** ﴾ [البقرة: ١٤-١٦].

لا تجارة في الدنيا.. ولا تجارة الآخرة.. هم في خسارة وإن ربحوا الملايين فهم في خسارة وإن حازوا الدنيا كلها.. أتدرون لماذا؟

لأن الرسول ﷺ حكم بحكم شديد على من غش ومكر وخادع.. الطعام مادة تنتهي، وينتهي أثرها.. لكن الحكم الذي حكم به الرسول ﷺ على الغاش والماكر والمخادع، يلازمه حتى يتوب ويقلع عنه..

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في « الكبير » و« الصغير » وابن حبان، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٦٤٠٨)، و« الصحيحة » (١٠٥٨).

ليس منا أي ليس مؤمنًا كامل الإيمان، لأنه لا يكون مؤمنًا حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه..

ولقد ذم الله ﷻ الغش وأهله في القرآن الكريم، وتوعد أهله بالويل والعذاب. ويفهم ذلك من قوله ﷻ: ﴿ **وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝** ﴾ [المطففين: ١-٣].

فهذا وعيدٌ شديد للذين يبخسون - أي ينقصون المكيال والميزان، فكيف بحال من يسرقها ويختلسها، ويبخس الناس أشياءهم؟! إنه أولى بالوعيد من مطففي المكيال والميزان..

وقد حذر النبي ﷺ أشد التحذير من الغش، وتوعد فاعله، وذلك أنَّ النبي ﷺ مرَّ على صَبُرَة طعام، فأدخل يده فيها، فأصابت بللاً، فقال: « **ما هذا يا صاحب الطعام؟** ».

قال: أصابته السماء يا رسول الله..

قال: « **أفلا جعلته فوق الطعام، كي يراه الناس؟ من غشنا فليس منا** »[١].

وعن أنس بن مالك ﵁ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ إلى السوق، فرأى طعامًا مصبرًا، فأدخل يده، فأخرج طعامًا رطبًا قد أصابته السماء، فقال لصاحبها: « **ما حملك على هذا؟** ».

قال: والذي بعثك بالحق، إنه لطعام واحد.

قال: « **أفلا عزلت الرَطبَ على حدته، واليابس على حدته، فيبتاعون ما يعرفون؟ من غشنا، فليس منا** »[٢].

فكفى باللفظ النبوي: « **ليس منا** » زاجرًا عن الغش، ورادعًا من الولوغ في حياضه الدنسة، وحاجزًا من الوقوع في مستنقعه الآسن..

---

(١) رواه مسلم.

(٢) حسن لغيره: رواه الطبراني في « الأوسط » بإسناد جيد كما قاله المنذري، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٧٦٧).

قال المناوي - رحمه الله -: أي ليس على منهجنا، لأن وصف النبي ﷺ وطريقته الزهد، وعدم الرغبة فيها، وعدم الشره والطمع الباعثين على الغش..

أحبتي في الله..

إذا كان ذلك كذلك.. فما هو الغش؟ وما مظاهره؟

قال أهل العلم: الغش هو تقديم الباطل في ثوب الحق..

وقال المناوي: الغش ما يخلط من الرديء بالجيد..

وقال ابن حجر الهيثمي: الغش المحرم أن يعلم صاحب السلعة، من نحو بائع أو مشترٍ فيها شيئًا، لو اطلع عليه مريد أخذها ما أخذ بذلك المقابل.

وقال الكفوي: الغش سواد القلب، وعبوس الوجه، لذا يطلق على الغل والحقد. والغش قد أصبح عند كثير من البائعين - إلا من رحم الله - ركنًا أساسيًّا، فيندر أن نجد بائعًا غير غاش.. بل أصبحنا في زمان انتشر فيه الغش وعم وطم زمان قلَّ فيه الخوف من الواحد القهار..

لذلك فإن له في حياتنا العصرية مظاهر متعددة:

أولاً: الغش في البيع والشراء:

وما أكثره في زماننا في أسواق المسلمين، ويكون الغش فيه بمحاولة إخفاء العيب.. إمَّا بوضع لاصق عليه، أو بتغيير تاريخ انتهاء الصلاحية للسلعة، أو استعمال مواد كيماوية بالنسبة للفاكهة، وغيرها تجعل الشكل العام جميلاً وطيبًا. وقد جُعل لكل نوع من الغش مظهرًا من المظاهر:

١- فبعض البائعين للفاكهة مثلاً، يضع في نهاية القفص المعد لبيعه الفاكهة أوراقًا كثيرة، ثم يضع أردأ الفاكهة في قاع القفص، وأفضل الفاكهة فوق في أعلى القفص.. وبذلك يكون قد خدع المشتري وغشه من جهة أن المشتري يظن أن القفص مليء عن آخره، ومن جهة أخرى يظن أن كل القفص بنفس الدرجة في الجودة، التي رآها في أعلى القفص.

٢- بعضهم يأتي بزيت الطعام، ويخلطه ببعض العطور، على أن تكون كمية الزيت هي الغالبة، وبعضها في عبوات زجاجية، يفوح منها ريح العطر.

٣- وبعضهم يشترى سلعة في ظرف خفيف جدًّا، ثم يجعلها في ظرف ثقيل، ثم يبيعها كذلك في ظرفها الثقيل.

٤- وبعض التجار يقرب السلع من الماء، فتزيد من وزنها. وبعضهم يحشو فروة الشاة رملاً، وبعضهم يسقي الخروف ماء كثيرًا، ليزن، أو يجعله يأكل شيئًا فيه ملح، فيشتد شوقه إلى الماء، فيشرب كثيرًا.. وبعضهم يحبس اللبن في ضرع الحيوان الوجبة والوجبتين، بل والثلاث، لدرجة أنه من الممكن أن يضر بالحيوان.

قال الشافعي: التصرية هي ربط أخلاف الشاة أو الناقة، وترك حلبها حتى يجتمع لبنها، فيكثر فيظن المشتري أن ذلك عادتها، فيزيد في ثمنها، لما يرى من كثرة لبنها.

وقد نهى النبي ﷺ عن بيع الغرر، والغرر هو ما خفي عليك أمره.. أو هو كل بيع كان المعقود عليه فيه مجهولاً، أو معجوزًا عنه.

والغرر معناه الخداع، الذي هو مظنة أن لا رضا به عند تحققه، فيكون من أكل أموال الناس بالباطل.. ويتحقق في صور كما ذكره الصنعاني في سبل السلام وغيره، إما بعدم القدرة على تسليمه، كبيع العبد الآبق، أو الفرس النافر، أو بكونه معدومًا أو مجهولاً، أو لا يتم ملك البائع له كالطير في الهواء، أو السمك في الماء، ونحو ذلك من الصور.

وهناك صور أخرى كثيرة من صور البيع المحرم، وهي النجش، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: « نهى رسول الله ﷺ عن النجش »، والنجش هو الزيادة في ثمن السلعة المعروضة للبيع، لا ليشتريها، بل ليُغرَّ بذلك غيره، وسمى النَّاجش في السلعة ناجشًا، لأنه يثير الرغبة فيها، ويرفع ثمنها.. قال ابن بطال - رحمه الله -:

أجمع العلماء على أن الناجش عاص بفعله[1].

قال الشافعي: النجش أن تحضر السلعة تباع، فيعطي بها الشيء، وهو لا يريد شراءها، ليقتدي به السوام، فيعطون بها أكثر مما كانوا يعطون، لو لم يسمعوا سومه[2].

---

(١) « سبل السلام » (٤/ ١٠٥) للصنعاني.

(٢) « نيل الأوطار » (٨/ ٢٣٧) للشوكاني.

وكم من سلعة فاسدة روج لها الغشاشون؟!

وكم من أدوية مغشوشة، تستر عليها الضالون المضلون الأفاكون؟!

بعض الصائغين يخلط مع الذهب نحاسًا ونحوه، ثم يبيعه على أنه كله ذهب.

وبعضهم يخلط الجيد بالرديء ويبيعه على أنه كله جيد..

وبعضهم وهم الجزارون يغشون اللحم الطيب الطازج بالآخر المثلج، وربما صلاحيته منتهية.. وربما يغشون فيبيعون لحم الحمير أو القطط والكلاب أو لحم الخنزير على أنه لحم حلال طيب.. يا ويلهم من جبار السموات والأرض.. وسلفنا الصالح كانوا يعرفون أن عاقبة الغش خراب في الدنيا، وقلة بركة وعذاب ونار في الآخرة..

فعن أبي سباع قال: اشتريت ناقة من دار واثلة بن الأسقع ﷺ فلما خرجت بها أدركني يجر إزاره، فقال: اشتريت؟ قلت: نعم.

قال: بين لي ما فيها.. قلت: وما فيها؟ إنها لسمينة ظاهرة الصحة.

فقال: أردت بها سفرًا، أو أردت بها لحمًا؟

فقال: أردت بها الحج.

فقال: ارتجعها..

فقال صاحبها: ما أردت إلى هذا أصلحك الله، تفسد عليَّ؟

قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحل لأحد أن يبيع شيئًا، إلا بين ما فيه، ولا يحل لمن علم ذلك إلا بينه**»[١].

ومن الناس من يقوم بغش اللبن، وكذا السمن والجبن.. ويل لهم..

مرّ أبو هريرة ﷺ بناحية الحرة، فإذا إنسان يحمل لبنًا يبيعه، فنظر إليه أبو هريرة ﷺ فإذا هو قد خلطه بالماء، فقال له أبو هريرة: كيف بك إذا قيل لك يوم القيامة، خلص

---

(١) حسن: رواه أحمد والحاكم (٢/ ١٠) في «المستدرك» برقم (٢١١١٦) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٠٦٣).

الماء من اللبن[١]؟!

يقال ذلك له على سبيل التحقير والإهانة والمذلة، لأنه غير قادر على ذلك، وكفاه تحقيرًا أنه يفضح يوم القيامة على رءوس الخلائق.. .

وهناك نوع آخر من الغش..

ثانيًا: الغش في الزواج:

وهذا النوع من الغش يكون من الآباء تارة، ومن الأبناء تارة أخرى.. فهذا يأتي إلى عائلة من العائلات، ويرسم نفسه ومظهره، ويتظاهر أنه من عائلة عظيمة لها شأنها، ويظهر أنه صاحب جاه، وأنه يملك الكثير من العقارات والسيارات الشيء الكثير، ويعمد إلى استئجار سيارة فارهة تكلفه المئات أو آلاف الجنيهات، ليظهر أنه يملك.. والحقيقة أنه غشاش خداع، ماكر..

والنبي ﷺ يقول: «**المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور**»[٢].

قال النووي وغيره: أنه يظهر أنه حصل له فضيلة، وليست بحاصلة.

وقريبًا من هذه الصورة أن يعمد بعض الناس إلى تزكية الخاطب عند من تقدم لخطبة ابنتهم، ويمدحه ويثني عليه، ويدعي أنه من الصالحين المتقين مع أنه لا يعرف للمسجد طريقًا.. فهذا غش وخداع ومكرر. فهذا مزور على الناس، كأنه يتزيا بزي أهل الصلاح وهو على خلافه..

قالوا إنَّ لبلال بن رباح الحبشي ﷺ أخًا يريد أن يتزوج، فذهب إلى قبيلة بني مخزوم، وهي قبيلة عريقة في حسبها ونسبها، لا ترضى بمثل بلال صهرًا لها، فلما وجد سيدنا بلال من أخيه إصرارًا على خطبتها، ذهب معه سيدنا بلال وتوجه إلى القوم، وعرض عليهم رغبة أخيه في مصاهرتهم وقال لهم: يا قوم، نحن من قد عرفتم، كنَّا عبيدًا فأعتقنا الله، وكنَّا ضالين، فهدانا الله، وكنا فقراء، فأغنانا الله، وإني أخطب منكم لأخي ابنتكم، فإن تنكحوها له، فالحمد لله، وإن تردونا عن قصدنا، فسوف يغنينا الله،

---

(١) رواه البيهقي وذكره ابن حجر الهيتمي في «الزواجر» (١/ ٥٤٠).

(٢) متفقٌ عليه.

فرحب القوم به، وأكرموا وفادته، وقبلوا شفاعته، وقالوا: مرحبًا بمؤذن رسول الله ﷺ صهرًا.

فلما خرجوا من عندهم، أقبل أخو سيدنا بلال يلومه ويعنفه ويقول له: هلا ذكرت له مواقفنا في الإسلام، فقد فعلنا كذا وكذا..

فقال له سيدنا بلال: اسكت يا هذا، فقد أنكحك الصدق..

ومن الآباء من يُرى الخاطب البنت الجميلة، ويوم البناء يزوجه الدميمة القبيحة، فيضطر للقبول..

ومن الآباء من يخفي مرضًا أو عيبًا في ابنته ولا يبينه للخاطب، فإذا دخل بها علم منها أنها مريضة بكذا أو كذا.. فهذا كله غش وخداع ومكر..

ومن الغش في الزواج ما تقوم به المرأة الكبيرة، فتصبغ شعرها، وتفلج أسنانها، وتشد جلدها، فيظن الخاطب أنها شابة، وأنها كذلك، فإذا دخل بها، اكتشف أنها بلغت من الكبر عتيًا.. وقد ذم النبي ﷺ هذا الصنف.. «**لعن الله النامصة والمتنمصة، والواصلة والمستوصلة ...**».

ومن الغش:

ثالثًا: الغش في النصيحة:

وذلك بعدم الإخلاص فيها، والقصد من بذلها أغراض دنيوية، ومن حق المسلم على أخيه المسلم أن يخلص في نصحه.. فالمؤمنون الصادقون نصحة، والمنافقون غششة، والمؤمن مرآة أخيه، إذا رأى فيه عيبًا أصلحه وستره.. النصيحة تكون بأن يحب لهم ما يحب لنفسه.. وأن يستر عورتهم.. ويسد خلتهم.. ويجلب النفع لهم، ويشفق عليهم، ويوقر كبيرهم.. ويرحم صغيرهم..

روى الطبراني بإسناده أن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ أمر مولاه أن يشتري له فرسًا، فاشترى له فرسًا بثلاثمائة درهم، وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن.. فقال جرير لصاحب الفرس: فرسك خير من ثلاثمائة، أتبيعه بأربعمائة درهم؟ قال: ذلك إليك يا أبا عبد الله..

فقال له: فرسك خير من ذلك، أتبيعه بخمسمائة درهم؟ ثم لم يزل يزيده مائة فمائة، وصاحبه يرضى حتى بلغ ثمانمائة اشتراه بها..

فقيل له في ذلك، فقال: إني بايعت رسول الله على النصح لكل مسلم..

ومن أنواع الغش:

رابعًا: الغش في الرعية:

وقد توعد الله ﷻ صاحبه بالحرمان من الجنة، قال ﷺ: «**ما من مسلم يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت، وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**». وفي رواية: «**ما من مسلم يسترعيه الله رعية، فلم يحطها بنصحه، لم يرح رائحة الجنة**»[(١)].

فهذا وعيد شديد يدخل في كل من استرعاه الله رعية، سواء كانت صغيرة أم كبيرة ابتداءً من أفراد الأسرة إلى الحاكم، فيجب على الكل النصح لرعيته، وعدم غشهم. فالموظف يجب أن ينصح في وظيفته، وأن يؤديها على الوجه المطلوب شرعًا، دون غش ولا خداع، ولا مكر.. ودون تأخير لأعمال الناس ومصالحهم، وليعلم أنه موقوف بين يدي الله ﷻ فما ولاه هذه الوظيفة، إلا ليديم النصح للمسلمين وكذلك الأب، ينبغي عليه أن يحذر أولاده من الشر، وينصحهم في الخير، وألا يفرط في توجيههم أو تربيتهم، بل يبذل كل ما يستطيع، ليقي نفسه وأولاده من النار ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦].

قال ابن القيم - رحمه الله -:

«وكم ممن أشقى ولده، وفلذة كبده في الدنيا والآخرة، بإهماله، وترك تأديبه، وإعانته على شهواته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه، وقد ظلمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوّت عليه حظه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد، رأيت عامته من قبل الآباء»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) «تحفة المودود بأحكام المولود» (ص١٤٦) لابن القيم.

وهناك نوع آخر من الغش وهو:

خامساً: الغش في الامتحانات:

وهذا هو الآخر قد تعددت وسائله، وتعددت طرقه بين الطلاب، والسبب في ذلك راجع إلى ضعف الإيمان، وضعف الوازع الديني، وقلة المراقبة لله ﷻ. والغش خداع ومكر، وتدليل وتضليل، وتلبيس الباطل ثوب الحق، والزور..

قال الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله -:

قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من غشنا فليس منا**» وهذا يعم الغش في المعاملات، والغش في الامتحان، ويعم اللغة الإنجليزية وغيرها، فلا يجوز للطلبة والطالبات الغش في أي مادة، لعموم هذا الحديث.

وقال فضيلة الشيخ عطية صقر - رحمه الله تعالى - رئيس لجنة الفتوى بالأزهر، لما سُئل عن حكم الغش أثناء الامتحانات:

«من المقرر أن الغش في أي شيء حرام، والحديث واضح في ذلك. «**من غشنا فليس منا**» وهو حكم عام لكل شيء فيه ما يخالف الحقيقة، فالذي يغش قد ارتكب معصية، والذي يساعده على الغش شريك له في الإثم، ولا يصح أن تكون الامتحانات مبررة للغش، فقد جعل الامتحان، لتمييز المجتهد من غيره، والدين لا يسوي بينهما في المعاملة، وكذلك العقل السليم لا يرضى بهذه التسوية..

قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ...** ﴾ [الزمر: ٩] وانتشار الغش في الامتحانات وغيرها رذيلة من أخطر الرذائل على المجتمع[1]..

أحبتي الكرام..

كونوا دائمًا على الحق.. ولا تأكلوا إلا من الحلال الطيب، وتذكروا رقابة الله عليكم، وتذكروا عقابه وعذابه.. ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ** ﴾ [الفجر: ١٤] واعلموا أن الدنيا فانية، وأن الحساب واقع على النقير والقطمير، وأن العمل الصالح يؤثر في الذرية، وأن العمل السيئ يؤثر عليهم.. قال تعالى: ﴿ **وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً**

(١) «أحسن الكلام في الفتاوى والأحكام» (٣/ ٨٩) للشيخ عطية صقر.

ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٩].

خافوا ربكم، واخشوه في سركم وعلانيتكم، قال ﷺ: « **ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى** »[1].

ولله در القائل:

يـا آمـنا مـع قـبح الفعـل مـنه	**أتـاك توقـيع أمـن أنـت تملكـه**
جمعـت شـيئين أمـنًا واتـباع هـوى	**هـذا وإحـداهما في المـرء تهلكـه**
والمحـسنون على درب الخوف قد ساروا	**وذلـك درب لـست تـسلكه**
فـرطت في الـزرع وقـت الـبذر من سفه	**فكـيف عـند حـصاد الـناس تدركـه**
هـذا وأعجـب شيء فـيك زهـدك في	**دار الـبقاء بعـيش سـوف تـتركه**

اللهمَّ أسكنا الجنة دار المقربين، وأحسن منقلبنا يوم الدين، ولا تفضحنا بسوء أفعالنا بين العالمين.. فها نحن عبادك الفقراء المساكين، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك.. فاجعلنا من عبادك الصالحين، وأوليائك المتقين..

اللهمَّ إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، وعمل لا يُرفع، ودعاء لا يُسمع، واحشرنا في زمرة المساكين..

اللهمَّ اجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا..

اللهمَّ اغفر لنا وارحمنا، وألحقنا بالرفيق الأعلى..

اللهمَّ إن هذا حالنا لا يخفى عليك، فعاملنا يا ربنا بالإحسان إذ الفضل منك وإليك، واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.. يا رب العالمين.

⬡⬢⬢⬡

---

(١) حسن: رواه الطبراني في « الصغير » عن أنس، وحسنه الألباني برقم (٣٠٣٩) في « صحيح الجامع ».

الوصية رقم (٢١)

التحذير من الدين والحث على أدائه

عن صهيب الخير ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **أيما رجل يدين دينًا، وهو مجمع أن لا يوفيه، لقي الله سارقًا** »[١].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

ينبغي على المسلم أن لا يستدين إلا إذا كانت هناك ضرورة ملحة، لأن المستدين يتحمل حقوق الناس في ذمته، ولا يدري هل يستطيع قضاءها أم أنه لا يستطيع؟

ولذا جاءت هذه الوصية المباركة ممن لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.. ولو استدان المسلم، فينبغي عليه أن ينوي سداد هذا الدين بقدر ما يستطيع جاهدًا، وإلا لقى الله ﷻ وهو سارق.. أي مرتكب لكبيرة من الكبائر، وهي السرقة، حيث إنَّ الله ﷻ حد لها حدًّا في الدنيا، فقال تعالى: ﴿ **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٣٨] وماذا يفعل وقد انتقل من دار فيها الأموال إلى دار ليس فيها إلا الحسنات والسيئات..

فعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: « **من مات وعليه دينار أو درهم، قضي من حسناته، ليس ثَمَّ دينار ولا درهم** »[٢].

ورحم الله الإمام أحمد بن حنبل – فقد كان في بعض أسفاره يسقي الناس، ويحمل الأحمال، ويؤجر نفسه، حتى لا يحتاج إلى أن يستدين من أحد فسرقت ثيابه بمكة، فاختبأ في غار، فوجده بعض أصحابه بعد ثلاثة أيام، فأراد أن يعطيه ثوبًا يستر به

---

(١) صحيح: رواه البيهقي، وصححه الألباني في « صحيح سنن ابن ماجة » (٢٤١٠)، و« صحيح الترغيب » (١٨٠٢).

(٢) حسن صحيح: رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في « صحيح سنن ابن ماجة » (٢٤١٤)، و« صحيح الترغيب » (١٨٠٣).

عورته، فرفض الإمام أحمد قائلاً: لا آخذ منك شيئًا هبة، ولا دينًا، ولكن أكتب لك أحاديث بأجرة، فرضي صاحبه بذلك.. وهذا مثل عظيم في ترك الدين مع إمكان الاستغناء عنه.. فإذا احتاج إليه، فلا بأس به.

أحبتي الكرام..

ومما حملني على كتابة هذه الوصية الكريمة ما نراه في هذا الزمان، الذي طغت فيه الشهوات، وكثرت الماديات، وعصى فيه رب الأرض والسموات، وأصبح نصف المجتمع أو يزيد غرقى في ديونهم.. فهذا يشتري سيارة ويستدين للبنوك.. ثم تصطدم السيارة، أو تحرق، أو تتعرض لما يهلكها في حادثة ونحوه، ثم يصير الدين في رقاب الورثة بعد ذلك.. وهذا يزوج ابنته بالدين ويظل يسدد كمبيالات.. وذاك يسدد شيكات.. وغير ذلك كثير. وأعجب منه ما نسمعه من أن فلانًا أخذ من فلان ١٥٠ ألفًا من الجنيهات ومن ذاك أكثر منه، وغيره ثم تركهم وهرب إلى خارج البلاد.. ثم ترك أصحاب الأموال الذين أخذ منهم..

لقد حذر الرسول - صلوات ربي وسلامه عليه - من الدين في أحاديث كثيرة منها حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**نفس المؤمن معلقة بدينه، حتى يقضى عنه**»[١].

قال الإمام السيوطي في معناه: أي محبوسة عن مقامها الكريم..

وقال العراقي: أي أمرها موقوف، لا حكم لها بنجاة، ولا هلاك حتى ينظر، هل يُقضى ما عليها من الدين أم لا؟

وقال الإمام الشوكاني - رحمه الله - في «نيل الأوطار»:

فيه الحث للورثة على قضاء دين الميت، والإخبار لهم بأن نفسه معلقة بدينه، حتى يقضي عنه[٢]. وقد كان رسول الله ﷺ يمتنع عن الصلاة على من عليه دين، كما روى عنه سلمة بن الأكوع ﷺ قال: كنَّا جلوسًا عند النبي ﷺ إذ أتى بجنازة، فقالوا:

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن ماجة والدارمي، وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٩١٥).

(٢) «نيل الأوطار» (٦/ ١١٤) للشوكاني.

يا رسول الله، صل عليها، قال: « **هل ترك شيئًا؟** »، قالوا: لا، قال: « **فهل عليه دين؟** »، قالوا: ثلاثة دنانير.. قال: « **صلوا على صاحبكم** »(١).

قال أبو قتادة: صل عليه يا رسول الله، وعليَّ دينه، فصلى عليه رسول الله.

وفي رواية الحاكم في حديث جابر ﷺ فجعل رسول الله ﷺ إذا لقى أبا قتادة يقول له: « **ما صنعت الديناران؟** ».

حتى كان آخر ذلك أن قال: قد قضيتهما يا رسول الله، قال: « **الآن حين بردت عليه جلده** »(٢).

قال ابن حجر - رحمه الله -: وفي هذا الحديث إشعار لصعوبة أمر الدين، وأنه لا ينبغي تحمله إلا من ضرورة.

وفي مسند الإمام أحمد أنَّ النبي ﷺ قال: « **إنَّ صاحبكم محبوس عن الجنة بدينه** »(٣).

ومما يدل على أن أمر الدين خطير، وخطره عظيم ما رواه مسلم من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « **يغفر الله للشهيد كل ذنب إلا الدَّين** »(٤).

فإذا كان الله ﷻ لا يغفره لمن قُتل في سبيله، فكيف بمن هو دون ذلك..

وفي حديث أبي قتادة أن رجلاً قال: يا رسول الله، أرأيت إن قتلت في سبيل الله، أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: « **نعم وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر، إلا الدَّين** »(٥).

وعن محمد بن جحش، قال: كنَّا جلوسًا عند رسول الله ﷺ فرفع رأسه إلى السماء،

---

(١) رواه البخاري.

(٢) حسن: رواه الحاكم برقم (٢٣٠٦) وقال: صحيح الإسناد (٥/ ٤٥٥)، ورواه أحمد وغيرهما، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٢٧٥٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد وهو في « السلسلة الصحيحة » برقم (٣٤١٥).

(٤) رواه مسلم (١٨٨٦).

(٥) رواه مسلم والترمذي والنسائي.

ثم وضع راحته على جبهته، ثم قال: « **سبحان الله! ماذا نزل من التشديد؟ والذي نفسي بيده، لو أنَّ رجلاً قُتل في سبيل الله ثم أحيي، ثم قتل، ثم أحيي، ثم قتل وعليه دين، ما دخل الجنة، حتى يقضى عنه دينه** »(١).

وقد قرأت أن الصحابي الجليل مالك بن عوف كان صديقًا للصحابي الجليل - الصعب بن جَثَّامة - رضي الله عنهما - فاتفقا وتعاهدا أمام الله تعالى، إن مات أحدهما قبل الآخر أن يأتيه في المنام، فيخبره بما رأى، فمات الصعب أولاً، ومضى عام كامل، لم يره عوف في المنام، وذات ليلة أتاه صاحبه في المنام، فسأله يا صديقي، لم لم تأتني إلا بعد هذه المدة الطويلة؟ فقال له: لأنني لم أفرغ من السؤال أمام الله ﷻ إلا في هذه اللحظة.. قال عوف: فماذا تريد؟ قال: عليَّ دين لفلان ثلاثة دراهم، كنت قد نويت أن أؤديها له بعد العصر، ولكن الموت جاءني عند الظهر.. فاذهب إلى أهلي، فقد وضعت الدراهم الثلاث في مكان كذا، فخذها وسلمها إلى صاحبها فلان، وقل له: هذا دين الصعب، الذي كان لك عنده، فإن روحه محبوسة على باب الجنة، حتى يؤدى عنه دينه..

أحبتي الكرام..

وهذا مقيد بمن له مال يقضي منه دينه، كما قال العلماء.. وأما من استدان لضرورة، أو لحاجة، ومات عازمًا على القضاء، فقد ورد في الأحاديث ما يدل على أنَّ الله ﷻ يقضي عنه، بل ثبت أن مجرد محبة المديون عند موته للقضاء موجبة لتولي الله سبحانه لقضاء دينه، وإن كان له مال ولم يقض عنه الورثة.. أخرج الطبراني عن أبي أمامة ؓ مرفوعًا: « **من دان بدين في نفسه وفاؤه ومات، تجاوز الله عنه، وأرضى غريمه بما شاء، ومن دان بدين، وليس في نفسه وفاؤه ومات، اقتص الله لغريمه منه يوم القيامة** »(٢).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « **الدين دينان: فمن مات وهو ينوي قضاءه، فأنا وليه، ومن مات ولا ينوي قضاءه فذلك الذي يؤخذ من حسناته، ليس يومئذ دينار ولا درهم** »(٣).

---

(١) حسن: رواه أحمد في مسنده والنسائي، وحسنه الألباني في « صحيح سنن النسائي » (٤٦٨٤)، و« أحكام الجنائز » (١٠٧).

(٢) حسن: أخرجه الطبراني عن أبي أمامة مرفوعًا.

(٣) صحيح: رواه الطبراني في « الكبير »، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٣٤١٨).

وأخرج أحمد وأبو نعيم في «الحلية» والبزار والطبراني بلفظ: «**يُدعى بصاحب الدين يوم القيامة، حتى يوقف بين يدي الله ﷻ، فيقول: يا ابن آدم، فيم أخذت هذا الدين؟ وفيم ضيعت حقوق الناس؟ فيقول: يا رب، إنك تعلم أني أخذته فلم آكل ولم أشرب، ولم أضيع، ولكن أتى على يدي، إما حرق، وإما سرق، وإما وضيعة، فيقول الله: صدق عبدي، وأنا أحق من قضى عنك فيدعو الله بشيء فيضعه في كفة ميزانه، فترجح حسناته على سيئاته فيدخل الجنة بفضل رحمته**»(١).

وقد جاء التحذير الشديد، والوعيد من أن يأخذ المسلم مال أخيه المسلم وهو لا يريد أداءه، فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها، أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها، أتلفه الله عز وجل**»(٢).

وكيف تسمح للإنسان نفسه أن يجحد سلف أخيه، أو يماطله في ذلك، والمقرض قد فعل ذلك إحسانًا، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. يقول النبي ﷺ لأحد أصحابه: «**بارك الله لك في أهلك ومالك إنما جزاء السلف: الوفاء والحمد**»(٣)، وكان الصحابي عبد الله بن أبي ربيعة استقرضه النبي. وعند النسائي: «**إنما جزاء السلف الحمد والأداء**»(٤).

وجعل النبي ﷺ خير الناس وأفضلهم، أحسنهم قضاءً للدين، فقال: «**خيار الناس، أحسنهم قضاء**»(٥).

وكان رسول الله ﷺ يقضي الدائن بأكثر مما استدان منه، ويضاعف له الوفاء، ويدعو له، كما قال جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -: «كان لي على النبي ﷺ دين، فقضاني وزادني».

---

(١) رواه أحمد وأبو نعيم في «الحلية» والبزار والطبراني، ذكره الشوكاني في «نيل الأوطار» (٦/ ١١٤) ولم يذكره بصحة ولا ضعف.

(٢) رواه البخاري وابن ماجة.

(٣) حسن: «صحيح سنن ابن ماجة» للألباني (٢٤٢٤).

(٤) صحيح: «صحيح سنن النسائي» للألباني (٤٦٨٣).

(٥) صحيح: «صحيح سنن ابن ماجة» برقم (٢٤٢٣)، وأصله في «صحيح مسلم» و«سنن النسائي».

ولنا في رسولنا ومعلمنا ﷺ الأسوة الحسنة، كما قال الله ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وأين نحن من هذا الرجل، الذي قص علينا أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ خبره.. عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **إنَّ رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدًا.. قال: فأتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر، فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة، فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها البحر، فقال: اللهمَّ إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانًا ألف دينار، فسألني كفيلاً، فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بك، وسألني شهيدًا، فقلت: كفى بالله شهيدًا، فرضي بك، وإني جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له، فلم أقدر، وإني استودعتكها، فرمى بها في البحر، حتى ولجت فيه، ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي أسلفه، ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله، فإذا الخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبًا، فلما نشرها، وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، فقال: والله مازلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركبًا قبل الذي جئت فيه، قال: هل كنت بعثت إليَّ بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف راشدًا** »[1].

فما أعظمها من قصة جمعت بين الإحسان، وحسن الأداء، والأمانة، والرضا بالله شهيدًا وكفيلاً.. ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وروى عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – حديث رسول الله ﷺ في قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، فذكر النبي ﷺ توسلهم بأعمالهم الصالحة، فذكر قصة البار بوالديه، ففرج الله لهم فرجة، ثم ذكر قصة الرجل مع ابنة عمه، ففرج لهم فرجة، ثم ذكر توسل الثالث: « **اللهمَّ إني استأجرت أجراء، وأعطيتهم أجرهم، غير رجل**

---

(١) رواه البخاري وغيره.

واحد، ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره، حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله، أدِّ إليَّ أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله، لا تستهزئ بي، فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله، فاستاقه، فلم يترك منه شيئًا، اللهمَّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا، ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون »[1].

إنَّ للــــــــه عـــــــبادًا فطـــــــنًا	طلقـــوا الدنـــيا وخافـــوا الفتـــنا
نظـــروا إلـــيها فلـــما علمـــوا	أنهـــا ليـــست لحـــي وطـــنا
جعلـــــوها لجـــــة واتخـــــذوا	صـــالح الأعـــمال فـــيها ســـفنًا

أحبتي في الله..

يقول الحبيب النبي ﷺ: « **من جاء يوم القيامة بريئًا من ثلاث، دخل الجنة: الكبر، والغلول، والدين** »، وفي رواية: « **من فارق الروح الجسد وهو بريئ من ثلاث** »[2]، وذكرها، واعلموا أن من استدان، فقد عرض نفسه للخوف بعد الأمان.. قال ﷺ: « **لا تخيفوا أنفسكم بعد أمنها** »، قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: « **الدين** »[3].

ومن احتاج لضرورة فاستقرض أخاه، فليؤده، ولا يماطله، فإن مطل الغني ظلم يحل عرضه وعقوبته، ومن استقرض قرضًا يريد أداءه، فإن الله معينه على ذلك.. قال ﷺ: « **ما من مسلم يدان دينًا، يعلم الله أنه يريد أداءهُ إلا أدى الله عنه في الدنيا والآخرة** »[4].

وعن عبد الله بن جعفر - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **كان الله مع الدائن حتى يقضي دينه، ما لم يكن فيما يكره الله تعالى** »[5].

---

(١) متفقٌ عليه.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي وابن حبان والحاكم وابن ماجة، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٢٧٨٥).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وهو في « صحيح الترغيب » برقم (١٧٩٧).

(٤) **صحيح**: « صحيح سنن ابن ماجة » (٢٤٠٨)، و« الصحيحة » للألباني برقم (١٠٢٩).

(٥) **صحيح**: رواه ابن ماجة والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وهو في « الصحيحة » برقم (١٠٠٠) و« الترغيب » (١٨٠٨).

فكان عبد الله بن جعفر يقول لخازنه: اذهب فخذ لي بدين، فإني أكره أن أبيت ليلة إلا والله ﷻ معي، بعد الذي سمعت من رسول الله.

أحبتي في الله..

إذا عجز أحدكم عن أداء ما عليه من دين في حينه، فينبغي عليه أن يستسمح صاحبه، فإنه أطيب لخاطره، وأركد لباله..

ولا يبيتن أحدكم وفي ذمته دين قليل كان أو كثيرًا، إلا كتبه في وصيته لحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « **ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده** »(١). ولا يذل أحدكم نفسه، يستدين ثم يستدين، حتى يعجز عن الأداء، وقد كان رسول الله ﷺ يستعيذ من الدين، فكان يقول في دعائه: « **وأعوذ بك من غلبة الدين وغلبة الأعداء** »(٢).

وينبغي على أصحاب الأموال أن يراعوا إخوانهم المحتاجين، فإقراض المحتاجين من فضائل الأعمال، كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « **المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرج عن أخيه كربة من كرب الدنيا، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة** »(٣).

وقال ﷺ: « **ما من مسلم يقرض مسلمًا قرضًا مرتين، إلا كان كصدقتها مرة** »(٤)، وقد قيل: إنَّ القرض أفضل من الصدقة، لأنه لا يقترض إلا محتاج..

فالقرض فعل معروف، وتفريج للضائقة عن المسلم، وقضاء لحاجته، وتعاون على البر والتقوى. قال الله تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ** ﴾ [المائدة: ٢]، وقد ذم الله قومًا، فقال: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝**

---

(١) رواه البخاري، وتخرج في موضع آخر.

(٢) صحيح: رواه النسائي وأبو داود، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١٢٩٦).

(٣) رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي وغيرهم.

(٤) صحيح: رواه ابن ماجة وابن حبان والبيهقي، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٥٧٦٩)، و« صحيح الترغيب » برقم (٩٠١).

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝ ﴾ [الماعون: ٤-٧].

أي أساءوا مع ربهم، فضيعوا حدوده، وأساءوا مع الخلق، فمنعوهم المعروف، حتى الدين والإعارة.

فإن أتاك أخوك المسلم في طلب دين، وكان عندك فضل مال وزيادة عما يجب عليك لنفسك، ولمن تعول، فأقرضه، ولا تبخل، يكن لك أجرًا، ويكن لك ذكرًا حسنًا في دنياك وبعد موتك.

وينبغي أن ييسر صاحب الدين على المعسر، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وفي حديث بريدة أن رسول الله ﷺ قال: **« من أنظر معسرًا، كان له بكل يوم مثله صدقة »**، قال ثم سمعته يقول: **« من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثليه صدقة »**، فقال: **« أنه ما لم يحل الدين، فله بكل يوم مثله صدقة، وإذا حل الدين، فأنظره، فله بكل يوم مثليه صدقة »**[1].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **« إنَّ رجلاً لم يعمل خيرًا قط، وكان يداين الناس، وكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرًا، فتجاوز عنه، لعل الله يتجاوز عنَّا، فلقي الله، فتجاوز عنه »**[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **« من أنظر معسرًا، أو وضع له، أظله الله يوم القيامة، تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله »**[3].

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **« من نفس عن غريمه، أو محى عنه، كان في ظل العرش يوم القيامة »**[4].

(١) صحيح: رواه أحمد وابن ماجة والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، وصححه الألباني في « الترغيب » (٩٠٧).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) صحيح: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٩٠٩).

(٤) صحيح: رواه البغوي في شرح السنة وقال: حديث حسن وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٩١١).

أحبتي الكرام..

واعلموا أن فضل القرض عظيم، فوسعوا على إخوانكم، تلقوا ذلك عند ربكم، ففي الحديث: « **الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر** »(١).

قال الإمام الذهبي في « السير » - في سيرة قيس بن سعد ﷺ -:

عن هشام بن عروة عن أبيه قال: باع قيس بن سعد مالاً من معاوية بتسعين ألفًا، وأجاز بالباقي، وكتب على من أقرضه صكًا، فمرض مرضًا، قلَّ عواده فقال لزوجته، قريبة أخت الصدِّيق: لم قلَّ عوادي؟ قالت: للدين، فأرسل إلى كل رجل بصكه، وقال: اللهمَّ ارزقني مالاً وفعالاً، فإنه لا تصلح الفعال إلا بالمال(٢).

وفي « لباب الآداب »: مرض قيس بن عبادة - رضي الله عنهما - فاستبطأ إخوانه من عيادته فسأل عنهم، فقيل: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين، فقال: أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر مناديًا، فنادى: من كان لقيس عليه دين فهو في حل منه، فكسرت درجته بالعشي، لكثرة من عاده(٣).

اللهمَّ اقض الدين عن المدينين، وانزع الغل والحسد من صدور المؤمنين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين..

اللهمَّ إنا نعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال..

اللهمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات.. الأحياء منهم والأموات..

اللهمَّ يسر أمور المسلمين، وسهل هم كل معسور.. يا رب العالمين..

❁❁❁❁

---

(١) حسن: رواه الطبراني والبيهقي عن أبي أمامة، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (٩٠٠).

(٢) « السير » للذهبي (٣/ ١٠٦، ١٠٧)، دار الرسالة.

(٣) « لباب الآداب » لأسامة بن منقذ (ص١٠٩)، دار الكتب السلفية.

الوصية رقم (٢٢)

إياكم وشرك السرائر

عن محمود بن لبيد ﷺ قال: خرج النبي ﷺ فقال: « **يا أيها الناس، إياكم وشرك السرائر** »، قالوا: يا رسول الله، وما شرك السرائر؟ قال: « **يقوم الرجل، فيصلي، فيزين صلاته جاهدًا، لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر** »[1].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

في هذه الوصية المباركة، التي جاءت بنداء عام لكل الناس، يحذر فيها الرسول ﷺ بصيغة التحذير المعروفة « إياكم » يحذر الأمة من شرك السرائر، وعلى عادة أصحاب الكرام، الذين يحبون أن يتعلموا من أستاذهم الأعظم ﷺ أرادوا أن يتعرفوا على ما حذرهم النبي ﷺ منه، فقالوا: وما هو شرك السرائر؟ فأوضح لهم المعلم الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ أن شرك السرائر، هو أن يقوم الرجل.. وكذا المرأة، لكنه ذكر الرجل على سبيل التغليب بتزيين عبادته الظاهرة، وذكر الصلاة، لأنها أكثر العبادات أو الفرائض أداءً، أو لأنها أهم أركان الإسلام.. يزين عبادته ويحسنها في الأداء إذا ما شعر بأن الآخرين يرونه.. وهذا ما يسميه العلماء بالرياء.. وسماه الرسول ﷺ بشرك السرائر، لأنه يتعلق بالباطن وهو السر فالرياء وضده الإخلاص من أعمال القلوب.. من أعمال الباطن.. من أعمال السر فكل جارحة من الجوارح، أو كل عضو من أعضاء البدن له عبادة مطلوبة منه، فمثلاً العين عبادتها النظر، كما قال تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ** ﴾ [الأعراف: ١٨٥] أو كان قراءة علم، أو تأملاً في بديع صنع الله. والأذن من عبادتها: أن يسمع العبد ما يرضي الله ﷻ، كسماع قرآن، أو ذكر، أو علم، أو ما أشبه ذلك.. ولهذا قال الله ﷻ: ﴿ **إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً** ﴾ [الإسراء: ٣٦].

---

(١) حسن: رواه ابن خزيمة في صحيحه، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » برقم (٣١).

وهكذا اليد عبادتها: العطاء والبذل للمعروف، والصدقة، وكذا إنكار المنكر، كما قال النبي المصطفى ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[1].

ومن عبادة اليد كذلك: المصافحة والسلام على الإخوان، لتتساقط الذنوب، ويحصل الصفاء للقلوب، والسلامة للنفوس.

وكذلك المجاهدة في سبيل الله، ومدافعة الكفار، ومقاتلتهم..

والمرأة المسلمة مثل الرجل في ذلك تمامًا، ويزيد عليها قيامها على أبنائها، وما تقوم به من الأعمال المنزلية، فهي طاعة لله وقربة إليه..

وأما عبادة الرجل: فالمشي إلى الجمع والجماعات للصلوات، كما قال الله ﷻ: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ** ... ﴾ [يس: ١٢]، أي خطواتهم على الأرض، ولهذا لما همَّ بنو سلمة أن يبيعوا بيوتهم البعيدة، ليكونوا بالقرب من المسجد، قال لهم النبي ﷺ: «**دياركم تكتب آثاركم**» أي الزموا دياركم، وابقوا فيها، فإن آثاركم وخطواتكم إلى المسجد مكتوبة عند الله ﷻ.. ﴿ **فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى** ... ﴾ [طه: ٥٢]، وكذلك قال ربنا ﷻ: ﴿ **فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا** ... ﴾ [الملك: ١٥]، فالمشي في الأرض، للتأمل والاعتبار من عبادة الرجل..

وعندما نذكر عبادات الجوارح يُذكر ما هو ضد ذلك، وهو المعاصي:

فإن معصية العين: النظر إلى ما حرمه الله ﷻ..

ومعصية الأذن: سماع المحرمات، كالغيبة والنميمة، أو سب وشتم ولعن، أو غناء محرم، ونحو ذلك..

ومعصية اللسان: كالكذب والنميمة، وشهادة الزور، والسب والشتم واللعن..

ومعصية اليد: البطش، والسرقة، والاعتداء على الآخرين..

ومعصية الرجل: المشي إلى الحرام، ولهذا قال معن بن أوس:

---

(١) رواه مسلم والترمذي وابن ماجة والنسائي.

لعمــرك مــا مــددت كفّـي لــريبة ولا حملتنـي نحـو فاحـشة رجـلي
ولا قــادني ســمعي ولا بــصري لهــا ولا دلنـي رأيـي عليـها ولا عقـلي
وأعلــم أني لم تــصبني مــصيبة مـن الدهـر إلا قـد أصـابت فتـىً قـبلي

فهذا الشاعر الحكيم يفتخر بأنه قد حفظ جوارحه من المعاصي، فما مد يده إلى معصية ولا مشت بها قدماه في غير ما أحله الله.

وكذلك الحال في اللسان، فهو من أعظم الجوارح، ولهذا كانت الصلاة من أعظم العبادات عند الله تعالى، لأنها جمعت كل ألوان العبادات للجوارح، ففيها عبادة العين في النظر إلى موضع السجود، وفيها عبادة الأذن في سماع تلاوة القرآن، والإنصات له، والذكر والتسبيح، وفيها عبادة الجوارح عند القيام والركوع والسجود..

فالبدن كله يخبت لله ﷻ ويخشع أثناء الصلاة، ولهذا كانت الصلاة من أعظم العبادات وأشرفها وأنفسها، وأكثرها تقريبًا إلى المولى ﷻ، والعجيب أنه مع هذا الفضل، والمكانة السامية العالية للصلاة، إلا أن الله ﷻ نجد أنه قد توعد بعض المصلين بالويل والعذاب، فقال: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝ ﴾ [الماعون: ٤-٧].

فدل ذلك على أن العبرة ليست بالحركات الظاهرة فحسب.. فهؤلاء موصوفون بأنهم مصلون، ومع ذلك أوعدوا بالويل، وهو العذاب والهلاك والنكال لهم، لأنهم صلوا بأجسادهم، ولم تخشع قلوبهم، فأجسادهم في المساجد بين الصفوف ووجوههم إلى القبلة، لكن قلوبهم متوجهة لا إلى الله، ولكن إلى الناس، يرجون الثناء والمدح، يرجون مطمعًا دنيويًّا.. فهذا هو الرياء.. الرياء احتيال للدنيا بالدين..

المرائي يطلب حظ نفسه.. المرائي يطلب بعمله غير وجه الله الكريم والدار الآخرة.. الرياء قناع خدّاع، يحجب وجهًا كالحًا، ونفسًا لئيمة، وقلبًا صدئًا صلدًا.. الرياء، طلاء رقيق يخفي سوءات بعضها فوق بعض.. الرياء زيف كاسد في سوق تجارة.. الرياء محبط للأعمال.. فالعمل قد يكون في أعين الناس كبيرًا عظيمًا، وهو عند الله حقير. لا وزن له ولا كرامة.. وقد يكون عند الناس حقيرًا، وهو عند الله عظيم، لماذا؟ لأن صاحبه يبتغي به وجه الله ﷻ، والدار الآخرة..

فالظاهر لا عبرة به.. وإنما العبرة بالباطن.. لذلك فإن الإنسان لم يصبح إنسانًا مكرمًا مختارًا بقوته، ولا بضخامته، ولو كان الأمر كذلك، لكان في البهائم والسباع ما هو أقوى وأضخم منه، ولذا لم تكن أجسام الرجال مقياس فضلهم، ولا سبب تقدمهم، كما قال أحد الشعراء:

تـرى الـرجل النحـيف فتـزدريه	وفي أثـوابه أسـد هـصور
ويعجـبك الطريـر فتبتلـيه	فـيخلف ظـنك الـرجل الطريـر
لقـد عظـم البعـير بغـير لـبٍّ	فلـم يـسغن بـالعظم البعـير
بغـاث الطـير أكثـرها فـراخًا	وأم الـصقر مقـلاة نـزور

ولقد كان صديق الأمة خفيفًا نحيلاً، ومع ذلك لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح..

وكان عبد الله بن مسعود ﷺ من السابقين الأولين، ومن المقربين إلى سيد الأولين والآخرين.. قال حذيفة بن اليمان ﷺ: لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن ابن مسعود من أقربهم إلى الله زلفى - أي منزلة - ومع ذلك كان صغيرًا ضئيلاً، نحيف الجسد، دقيق الساقين.. فعن زر بن حبيش عن ابن مسعود ﷺ أنه كان يجتني سواكًا من الأراك، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «ممَّ تضحكون؟»، قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه، فقال: «**والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد**»[1].

أحبتي الكرام..

والرياء هو الشرك الأصغر، كما سماه بذلك أستاذنا وحبيبنا ﷺ حين قال: «**أخوف ما أخاف عليكم، الشرك الأصغر**»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء، يقول الله عز وجل يوم القيامة، إذا جازى العباد بأعمالهم؛ اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، انظروا هل تجدون عندهم جزاء**»[2]، وقال ﷺ: «**قال الله عز وجل:**

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده والطيالسي، وذكره الألباني في «الصحيحة» (٢٧٥٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد في مسنده، والبغوي في «شرح السنة»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٥١).

أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل لي عملاً أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك»[١]، فهو يوم القيامة محروم من الأجر، محروم من الثواب.. قال إمام النبيين ﷺ: «**بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة نصيب**»[٢].

فالرياء يبطل العمل ويمحقه، قال تعالى: ﴿ **كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

هذه هي نهاية الرياء، تمحق آثار العمل الصالح محقًا، في وقت لا يملك صاحبه قوة ولا عونًا، ولا يستطيع لذلك ردًا.. في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الرياء فتنة عظيمة أخطر على المسلمين من فتنة المسيح الدجال، قال ﷺ: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**»، فقلنا: بلى يا رسول الله! قال: «**الشرك الخفي، أن يقوم الرجل، فيصلي، فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل**»[٣].

وجميع سلف الأمة يذمون الرياء، ويذمون عاقبته..

فعن شداد بن أوس أنه لما حضرته الوفاة قال: إنَّ أخوف ما أخاف عليكم؛ الرياء والشهوة الخفية.

وقال يوسف بن أسباط - رحمه الله تعالى -: لا يقبل الله ﷻ عملاً فيه مثقال حبة من رياء وسفيان بن عيينة - رحمه الله - يقول: من تزين للناس بشيء، يعلم الله ﷻ منه غير ذلك، شانه.

وقال الربيع بن خثيم - رحمه الله -: كل ما لا يبتغى به وجه الله يضمحل.

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجة واللفظ له وابن خزيمة والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٤).

(٢) صحيح: رواه أحمد وابن حبان والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٣).

(٣) حسن: رواه ابن ماجة والبيهقي، «صحيح الترغيب» (٣٠).

بؤسًا للمرائين.. قال أبو إسحاق الفزاري: إن من الناس من يحب الثناء عليه، وما يساوي عند الله جناح بعوضة.

بؤسًا له، يتزين بالشين عند الله.. ويتقرب إليهم بالتباعد من مولاه..

ويتحمد إليهم بالتذمم لله ﷻ، ويطلب رضاهم بسخط الله ﷻ.. ويحرم في الآخرة الثواب.. ويحبط عمله، ويبطل أجره يوم فقره وحاجته!

وقال مسلم: إياكم والرياء، فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته.

وقال أبو الخير الأقطع: من أحب أن يطلع الناس على عمله، فهو مراء، ومن أحب أن يطلع الناس على حاله فهو كذاب.

ولله در العالم الرباني يحيى بن معاذ الرازي حين قال: لا تجعل الزهد حرفتك لتكسب بها الدنيا، ولكن اجعلها عبادتك، لتناول بها الآخرة، وإذا شكرك أبناء الدنيا ومدحوك، فاصرف أمرهم على الخرافات.

وقال سفيان الثوري لعلي بن الحسن السلمي موصيًا: إياك يا أخي والرياء في القول والعمل، فإنه شرك بعينه، وإياك والعجب، فإن العمل الصالح لا يرفع وفيه عجب.

وكان ابن السماك الواعظ - رحمه الله - يقول: لو أن المرائي بعلمه وعمله، أخبر الناس بما في ضميره لمقتوه، وسفهوا عقله.

وقال الإمام السمرقندي - رحمه الله - في تنبيه الغافلين: روي عن بعض الحكماء أنه قال: مثل من يعمل بالطاعات للرياء والسمعة، كمثل رجل، خرج إلى السوق، وملأ كيسه حصاة، فيقول الناس: ما أملأ كيس هذا الرجل! فلا منفعة له سوى مقالة الناس، ولو أراد أن يشتري به شيئًا لا يعطى به شيئًا، كذلك الذي عمل للرياء والسمعة لا منفعة له من عمله شيئًا سوى مقالة الناس، ولا ثواب له في الآخرة، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] يعني الأعمال التي عملوها لغير وجه الله تعالى أبطلنا ثوابها، وجعلناها كالهباء المنثور - وهو الغبار الذي يُرى في شعاع الشمس[1].

---

(١) «تنبيه الغافلين» للسمرقندي (ص٨).

أحبتي في الله..

لأجل هذا كله كان الصالحون يخافون على أعمالهم من الرياء، لأنهم علموا بأنه محبط لأعمالهم.. فكان عمرو بن قيس - رحمه الله - إذا بكى، حوّل وجهه إلى الحائط، ويقول لأصحابه: إن هذا زكام[1].

وكانت أم سفيان الثوري - رحمهما الله - تقول له: يا بني، لا تتعلم العلم، إلا إذا نويت العمل به، وإلا فهو وبال عليك يوم القيامة.

قال عبد الله: صحبت محمد بن أسلم نيفًا وعشرين سنة، لم أره يصلي حيث أراه ركعتين من التطوع إلا يوم الجمعة، ولا يسبح، ولا يقرأ حيث أراه، ولم يكن أحد أعلم بسره وعلانيته مني، وسمعته يحلف كذا وكذا مرة: أن لو قدرت أن أتطوع حيث لا يراني ملكاي، لفعلت، ولكن لا أستطيع ذلك، خوفًا من الرياء، لأن النبي ﷺ قال: «**اليسير من الرياء شرك**»، ثم أخذ حجرًا صغيرًا، فوضعه على كفه، فقال: أليس هذا حجرًا؟ قلت: بلى.. قال: أوليس هذا الجبل حجرًا؟ قلت: بلى.. قال: فالاسم يقع على الكبير والصغير، إنه حجر، فكذلك الرياء قليله وكثيره شرك[2].

أحبتي الكرام..

والرياء له أقسام، فما هي أقسامه؟

ذكر العلماء أن من أقسام الرياء:

أولاً: الرياء من جهة البدن:

بإظهار النحول ليريهم بذلك شدة اجتهاده، وغلبة الخوف من الله ﷻ عليه، وكذلك يرائي بتشعث رأسه، ليظهر أنه مستغرق في هم الدين، لا يتفرغ حتى لتسريح شعره. ولهذا قال نبي الله عيسى عليه السلام: «إذا صام أحدكم، فليدهن رأسه، ويرجل شعره.. لماذا؟ لأنه يخاف على الصائم من آفات الرياء وويلاته، فهذا الرياء من جهة البدن لأهل الدين، وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نظر إلى رجل وهو يطأطئ

(١) «حلية الأولياء» (٥/ ١٠٣).

(٢) «الحلية» (٩/ ٢٤٣).

رقبته، فقال: يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب.

وأما أهل الدنيا، فيراءون بإظهار السمن، وصفاء اللون، واعتدال القامة، وحسن الوجه، ونظافة البدن.

ثانيًا: الرياء من جهة الزي:

ويكون بالإطراق في حالة المشي، وإبقاء أثر السجود على الوجه، وغلظ الثياب، ولبس الصوف، وتشمير الثياب إلى نصف الساق.

والمراءون بالزي على طبقات:

فمنهم من يطلب المنزلة عند أهل الصلاح، بإظهار الزهد، فيلبس الثياب المخرقة، الغليظة ليرائي بها، فيبين أنه غير مكترث بالدنيا، ولو كلف أن يلبس ثوبًا وسطًا نظيفًا مما كان السلف يلبسه، لكان عنده بمنزلة الذبح، وذلك لخوفه أن يقول الناس: قد بدا له من الزهد، ورجع عن تلك الطريقة، ورغب في الدنيا.

ومنهم طبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاة، وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار، فهم يريدون أن يجمعوا بين قبول أهل الدين والدنيا، فتراهم يطلبون الأصواف الدقيقة، والأكسية الرقيقة، فيلبسونها..

وأما أهل الدنيا، فيراءون بالثياب النفيسة، والمراكب الرفيعة، وأنواع التوسع والتجمل في الملبس والمسكن، وأثاث البيت.. وغيره..

ثالثًا: الرياء بالقول:

وهذا خاص بأهل الدين، وأهل الوعظ والتذكير، وحفظ الآثار والأخبار، لأجل المحاورة، وإظهار غزارة العلم، والدلالة على شدة العناية بأحوال السلف وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس، وإظهار الغضب للمنكرات بين الناس وخفض الصوت وترقيقه بقراءة القرآن، ليدل بذلك على الخوف والحزن ونحوه.. والرياء بالقول كثير، وأنواعه لا تنحصر.

رابعًا: الرياء بالعمل:

كمراءاة المصلي بطول القيام، أو تطويل السجود أو الركوع وإظهار الخشوع، ونحو ذلك.. وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة، وبإطعام الطعام.. ونحو ذلك..

وقد قسم العلماء العمل لغير الله ﷻ أقسام:

فالقسم الأول: تارة يكون العمل رياءً محضًا، بحيث لا يريد صاحبه بهذا العمل إلا مراءاة المخلوقين لغرض دنيوي، كحال المنافقين في صلاتهم.. قال الله عنهم - أي المنافقين -: ﴿ **وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا** ﴾ [النساء: ١٤٢].

المنافق يصلي؟ نعم يصلي.. يحضر الجماعات؟ نعم.. لكنه يصلي ويحضر الجماعات لغرض دنيوي حقير دنيء في نفسه.. إذا كان أمام الناس نشط واجتهد.

لكن في غير ذلك، كان كسلاً خاملاً، كأنه كُلف بحمل سيء ثقيل على كتفيه..

تأتي للصلاة في فتور	**وكأنك قد دعيت إلى البلاء**
وإن أديتها جاءت بنقص	**لما كان منك من شرك الرياء**
وإن تخلُ عن الإشراك فيها	**تدبر للأمور بالارتقاء**
ويا ليت التدبر في مباح	**ولكن في المشقة والشقاء**
وإن كنت المصلي يومًا بين خلقه	**أطلت ركوعها بالانحناء**
وتجعل خوف تأخير لشغل	**وكأن الشغل أولى باللقاء**
وإن كنت المجالس يومًا أنثى	**قطعت الوقت من غير اكتفاء**
أيا عبد لا يساوي الله معك	**أنثى تناجيه بحب أو صفاء؟!**

وقد حذر الله ﷻ عباده المؤمنين أن يكون من هذا الصنف الحقير، فقال سبحانه: ﴿ **وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ...** ﴾ [الأنفال: ٤٧] أي أنهم لا يريدون بخروجهم للجهاد إلا مراءاة الناس والخلق، وهذا النوع من الرياء في العمل (الرياء المحض) لا يكاد يصدر من مؤمن يعرف مولاه أبدًا،

فلا يجتمع في قلب العبد إيمان بالله، ورياء.. فأحدهما يطرد الآخر.. إما أن يطرد الإيمان الرياء من القلب، أو يطرد الرياء الإيمان.. لأن صاحبه - أي المرائي لا يريد الإيمان.. لا يريد الله ورسوله.. وإنما يريد الشهرة والسمعة، والمدح والثناء فقط..

والقسم الثاني: أن يكون العمل لله، ثم يدخل عليه الرياء..

جاء المسلم إلى المسجد لأجل أن يصلي في جماعة خالصًا لله ﷻ، فوجد رئيسه في العمل، فأطال القراءة أو أحسن صلاته، أو خشوعها لأجل رئيسه، ليكون محل ثقته، ولأنه يعرف أنه رجل يحب الصلاة ومن أهل الإيمان.. فهذا العمل حابط لا ثواب للعبد فيه باتفاق أهل العلم..

والقسم الثالث: أن يكون أصل العمل لله، ثم تطرأ عليه نية الرياء، فالشخص الذي دخل ليصلي فرأى رئيسه في العمل، فنوى أن يحسن الصلاة، ويخشع فيها، لكنه دفع هذه الخاطرة، أو هذه النية الخبيثة الفاسدة، فاستعاذ بالله من هذه النية الفاسدة، وتضرع إلى الله أن يرزقه الإخلاص، ويوفقه لهذه العبادة فهذا لا يضره إن شاء الله ﷻ..

والقسم الرابع: أن يكون العمل ابتغاء وجه الله، فيلقى الله له الثناء الحسن الجميل من الناس، كرجل يبتغي وجه الله ﷻ وثوابه وبنى مسجدًا، فألقى الله ﷻ له الثناء الحسن الجميل بين الناس.. فهذا يثنى عليه.. وذاك يمدحه.. فلما علم بذلك فرح الرجل، وسعد، واستبشر.. فهل فرحه بهذا الثناء يعتبر من الرياء؟ والجواب كما قال أهل العلم.. لا.. بل إن هذا الثناء دليل خير له، وبشارة له في دنياه.. فقد روى الإمام مسلم من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ أنَّ النبي ﷺ سُئل عن الرجل يعمل العمل من الخير لله تعالى، فيحمده الناس على ذلك، ولا يبتغي السمعة، قال ﷺ: « **تلك عاجل بشرى المؤمن** ».

فالذي يلقى الثناء الجميل والمدح على ألسنة الخلق، هو من بيده قلوبهم يحركها كيف شاء فهو الذي يحبيك إلى قلوب عباده.. وهو الذي يجعلهم يبغضونك..

واعلم أنه لو اجتمع الخلق لك بالثناء عليك والمدح، لن يقربوك من الله إن كنت بعيدًا.. ولو اجتمعوا عليك بالذم فيك فلن يبعدوك عن الله، إن كنت قريبًا..

اللهمَّ طهر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب..

اللهمَّ إنا نسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه، وأوله وآخره..

اللهمَّ إني أسألك أن ترفع ذكرنا، وتضع عنا وزرنا، وتصلح أمورنا، وتطهر قلوبنا، وتحصن فروجنا، وتغفر ذنوبنا..

اللهمَّ إنا نسألك الدرجات العلا من الجنة، كما نسألك أن تبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وفي أخلاقنا، وفي أهلينا..

اللهمَّ تقبل منَّا الحسنات، واغفر لنا الزلات..

اللهمَّ إنا نسألك بعزك وذلنا إلا رحمتنا.. وغفرت ذنوبنا، وسهلت أمورنا، وقضيت حوائجنا.. يا رب العالمين..



الوصية رقم (٢٣)
إياكم ومحدثات الأمور

عن العرباض بن سارية ﷺأن رسول الله ﷺ قال: « **إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار** »[(١)].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

في هذه الوصية النبوية يحذر النبي المصطفى، والرسول المجتبى ﷺ أشد التحذير من البدع..

ودين الإسلام من أجل نعم الله ﷻوأعظمها على الإنسانية، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]. هذه الآية الكريمة المباركة على من نزلت؟ ومتى نزلت؟

نزلت على أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ في يوم مشهود عظيم.. أكمل الله فيه الدين، وأتم النعمة على العالمين.. يوم عرفة في حجة الوداع.. فليس بعد الإكمال مجال لاستدراك.. وليس بعد الضلالة إلا الهلاك.. والإتمام للدين يفرض على أهل الإيمان الاتباع، ويحذرهم من طرق الهالكين في الابتداع..

ولذلك جاء في نفس هذه الوصية قبل أن يحذرنا الرسول الأعظم ﷺ من الابتداع، قال: « **إنه من يعش منكم، فسيرى اختلافًا كثيرًا** » - أي في العقائد والعبادات، والأقوال، والأعمال، والقوانين.

لكن ما المخرج من هذا الخلاف؟ قال: « **فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ** »[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٩).

(٢) نفس تخريج حديث الوصية.

فقد أرشدنا إلى الداء، ووصف الدواء.. نبهنا إلى الخلل، ووجهنا إلى العلاج الناجح..

فالاتباع سبيل النجاة المسلوك من سلفنا الماضين، أولئك الذين طار ذكرهم، وخلدت مآثرهم، باتباعهم لهدي سيد المرسلين ﷺ. لكن الابتداع سبل من الشيطان متعددة، وأهواء متشعبة..

والبدعة ما هي؟

البدعة - عباد الله - طريقة مخترعة في الدين، وليست من هدي سيد المرسلين من ختم الله به التشريعات إلى يوم الدين.. طالما لم يجر عليها عمل سلفنا الماضين من الصحابة الكرام والتابعين، فليس هو إلا وسواس الشياطين.. يرتفع عنه أهل الرسوخ واليقين، ويهلك فيه كل حائر ظنين.

أحبتي في الله..

ما أحدثه الناس من العقائد والأفكار، وما أحدثوه من العبادات والشرائع وما أحدثوه من الآداب والتقاليد مما ليس له في دين الله أصل، ولا في شريعته دليل.. كل هذا مردود مرفوض.. لأنه بدعة.. قال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد**»[1]، أي مردود عليه ومرفوض، وغير مقبول.

عندما اختلف الناس في الدولة العباسية في عصر المأمون، ومن بعده من الخلفاء اختلفوا في مسألة خطيرة.. هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق؟

وصار المأمون ومن بعده يمتحنون الناس، ويسألونهم هذا السؤال:

هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق؟ فإذا قال غير مخلوق، عذب وأوذي لأن المأمون يرى رأي المعتزلة، الذين يقولون: بأن القرآن مخلوق لكن بقية علماء الأمة يتحرجون من هذه الكلمة، ويقولون: بأن القرآن كلام الله، وكلام الله قديم غير حادث..

فدخل أعرابي على الخليفة المعتصم بعد الخليفة المأمون، وعلى وزيره الذي كان يمتحن الناس، فسأله الوزير هذا السؤال.

---

(١) متفق عليه.

فقال له الأعرابي: إني أسألك، أهذه المسألة تحدث فيها رسول الله ﷺ؟ قال: لا.. قال: أتكلم فيها أبو بكر الصديق؟ قال: لا.

قال: أتكلم فيها عمر؟ قال: لا.

قال: أتكلم فيها عثمان؟ قال: لا.

قال: أتكلم فيها عليٌّ؟ قال: لا.

قال الأعرابي: أكانوا يعلمونها أم تركوها؟ فإن كانوا فعلوا ذلك فليسعنا ما وسعهم، وإن كانوا يجهلوها أفتأتي أنت يا لكع ابن لكع من بعدهم فتدعي معرفة أمر جهله رسول الله ﷺ وأصحابه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ؟[1]

هذا المنطق الفطري.. منطق الأعرابي، هو المنطق السليم.. الشيء الذي تركه رسول الله ﷺ وأعرض عنه هو وخلفاؤه الراشدون من بعده، ولم يبحثوا فيه، فلماذا يأتي الناس ويجعلون منه معركة يمتحن الناس عليها، ويعذبون في سبيلها؟

إذا كان الناس لابد أن يحدثوا، ولابد أن يبتدعوا، ولابد أن يخترعوا فليخترعوا في أمور دنياهم، وليبتكروا في أمور معيشتهم ما شاءوا.. أما أمور الدين، فقد حددها رب العالمين في كتابه العزيز، وحددها رسوله الأعظم ﷺ وبيَّنها أصحابه من بعده، فلا حاجة للدين في ابتكار مبتكر.. ولا اختراع مخترع..

لقد قال سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ: إنكم أصبحتم اليوم على الفطرة، وإنكم ستحدثون، وسيحدث لكم - أي تبتدعون ويبتدع لكم - فعليكم بالعهد الأول[2].. أي ارجعوا إلى ما كان عليه الرسول وخلفاؤه وأصحابه.

فالخير كل الخير في اتباع من سلف.. والشر كل الشر في ابتداع من خلف..

أحبتي في الله..

إن في البدعة طعنًا في قيام النبي ﷺ بتبليغ الدين على الوجه الأكمل، لأنه لم يذكر هذه البدعة..

---

(١) «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص٢٩٦).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه (المقدمة» رقم (١٦٩).

أيطعن في ثلاثة وعشرين عامًا من الجهاد والدعوة.. علم وعمل.. تربية وتعليم.. تضحية وبذل.. مجادلة لأهل الكفر ومجالدة..

إن رسول الله ﷺ لم يترك أمرًا فيه خير إلا وأرشد أمته إليه، ولا شرًا إلا وحذر الأمة منه.. قال ﷺ: «**ما تركت شيئًا يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به، وما تركت شيئًا يبعدكم عن الله إلا وقد نهيتكم عنه**»[١].

لأجل هذا حذر السلف الصالح، وحذر الصالحون من البدعة، وذموا صاحبها أشد الذم.. قال ابن الماجشون: سمعت مالكًا - رحمه الله - يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدًا خان الرسالة، الله تعالى يقول: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...**﴾ فما لم يكن يومئذٍ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا.

وهذا الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى - له كلام كثير في ذم البدعة وتحقير المبتدعين، فيقول: من أحب صاحب بدعة، أُحبط عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه[٢].

وقال: إذا رأيت مبتدعًا في طريق، فخذ في طريق آخر[٣]..

وقال: لا يرتفع لصاحب بدعة إلى الله ﷻ عملٌ[٤]..

وقال: من أعان صاحب بدعةٌ، فقد أعان على هدم الإسلام[٥]..

وقال: نظر المؤمن إلى المؤمن جلاء القلب، ونظر الرجل إلى صاحب البدعة، يورث العمى..

وقال ابن المبارك - رحمه الله -: إياك أن تجلس مع صاحب بدعة[٦].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ١٥٥) ووثق رجاله الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٦٤).

(٢) «حلية الأولياء» (٨/ ١٠٣) لأبي نعيم.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق (٨/ ١٦٨).

وعن يحيى أنه كان يقول: إذا لقيت صاحب بدعة في طريق، فخذ في طريق آخر[١].

وعن مطر قال: عمل قليل في سنة، خير من عمل كثير في بدعة، ومن عمل عملاً في سنة، قبل الله منه عمله، ومن عمل عملاً في بدعة، ردَّ الله عليه بدعته[٢].

وعن أيوب السختياني قال: ما ازداد صاحب بدعة اجتهادًا، إلا ازداد من الله ﷻ بعدًا.

وقال الفضيل: صاحب البدعة لا تأمنه على دينك، ولا تشاوره في أمرك ولا تجلس إليه، فمن جلس إليه، ورثه الله ﷻ العمى[٣] - أي في البصيرة.

أحبتي في الله..

البدعة سبب من أسباب وهن الأمة وتفرقها، وفي البدعة مفارقة أهلها للجماعة، وشق لعصا الطاعة، لأنها اعتماد على الرأي، واتباع للهوى، وقد حذر المولى ﷻ منه، فقال: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ... ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال ﷺ: « **افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة** »[٤].

صاحب البدعة يأتي يوم القيامة إلى حوض النبي ﷺ الذي من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا حتى يدخل الجنة.. فيذاد عنه لأنه لم يكن أمينًا على دينه، ولا محافظًا على سنة نبيه ﷺ ولكنه ابتدع وأحدث.. قال ﷺ: « **ترد أمتي على الحوض، وأنا أذود الناس عنه، كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله** »، قالوا: يا رسول الله، أتعرفنا؟ قال: « **نعم، لكم سيما، ليست لأحد غيركم، تردون عليّ غرًّا محجلين من آثار الوضوء، وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون، فأقول: يا رب، هؤلاء أصحابي، فيجيبني ملك:**

---

(١) المرجع السابق (١/ ٤٢٠).

(٢) « الحلية » (١/ ٤٢٤).

(٣) المرجع السابق (٣/ ٣٩٩).

(٤) صحيح: رواه أحمد في مسنده وابن ماجة والترمذي وأبو داود، وصححه الألباني « صحيح سنن ابن ماجة » (٣٢٤٠).

وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟»[١].

وفي رواية: «**ألا ليذادن رجال عن حوضي، كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلمَّ، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقًا سحقًا**».

أحبتي في الله..

فاتقوا الله واعلموا أن للبدعة أسبابًا مساعدة على انتشارها بين عوام الناس، جاعلة لها عندهم من الدين بمنزلة الأساس، وإن معرفة أسباب البدعة - عباد الله - لهي أولى خطوات القضاء عليها، ومن أهم تلكم الأسباب:

الجهل بخطورة البدعة، وما ينتج عنها من آثار، لأن الحذر من البدعة لا يأتي إلا من العلم بخطورتها.

وقد كان من هدي بعض السلف أن يطلبوا معرفة الشر حذرًا من الوقوع فيه، قال حذيفة بن اليمان ﷺ: (كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني)[٢].

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

وإن سكوت أهل العلم، وعدم قيامهم بواجبهم، من تعليم الناس السنة، ونشر العلم، وإنكار البدع، سبب من أسباب انتشار البدع، لذا لا نجد للبدعة في زمن الصحابة رأسًا حيث كان فيهم حرصٌ شديد على تعليم الناس السنة، وتحذيرهم من البدعة؛ حتى إنهم تركوا المداومة على فعل بعض السنن خشية أن يظن الناس أنها واجبة، قال أبو مسعود ﷺ: (إني لأترك أضحيتي، وإني لمن أيسركم مخافة أن يظن الجيران أنها واجبة)[٣].

وقد كانوا رحمهم الله ينكرون أشد الإنكار أي إحداث في الدين، تحريًا منهم لأمانة

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم (٣/ ١٤٧٥).
(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤/ ٣٨٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٦٥).

نقله كما وصل إليهم نقيًا صافيًا، أخرج الدارمي بسند صحيح أن أبا موسى الأشعري، قال لابن مسعود - رضي الله عنهما - جميعًا: (إني رأيت في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجلٌ، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبّروا مائة فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة فيهللون مائة، فيقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: أفلا أمرتهم أن يعدّوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟؟ ثم أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصى نعدّ به التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد. قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء أصحابه متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، والذي نفسي بيده أنتم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمدٍ أو مفتتحو باب ضلالة؟! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريدٍ للخير لن يصيبه؟!)[١].

فإذا قام أهل العلم بواجبهم تجاه الأمة من نشر العلم، وبذله للناس، وتعريفهم بالبدعة وبعظيم خطرها، وأنكروا البدع وحذّروا منها، قضوا على أسباب البدعة جميعها، ومن ذلك نعلم - إخوة الإيمان - سبب كثرة البدع في زماننا هذا، وقلّة البدع في تلك القرون الفاضلة، فقد كان أهل العلم في تلكم الأزمان يقومون بواجبهم من الإنكار والنصح للأمة خير قيام.

روي أن رجلاً عطس عند ابن عمر - رضي الله عنهما - فقال: الحمد لله، والسلام على رسوله، فقال ابن عمر: وأنا أقول: الحمد لله والسلام على رسول الله، وليس هكذا علمنا رسول الله ﷺ، علمنا أن نقول: «**الحمد لله على كل حالٍ**»[٢].

ورأى سعيد بن المسيِّب رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيهما الركوع والسجود فنهاه، فقال: يا أبا محمد يعذبني الله على الصلاة؟! قال: لا، ولكن يعذبك على خلاف السنة[٣].

---

(١) الدارمي (٢١٠)، وقد جوَّد إسناده حسين أسد محقق الكتاب.

(٢) رواه الترمذي (٢٧٣٨).

(٣) رواه عبد الرزاق (٣/ ٥٢).

وجاء رجل إلى الإمام مالك بن أنس، فقال له: يا أبا عبد الله! من أين أحرم؟ قال: من ذي الحليفة، من حيث أحرم رسول الله ﷺ، فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر، قال: لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة، فقال: وأي فتنة في هذه؟! إنما هي أميال أزيدها!! قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ؟! إني سمعت الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣][(١)].

ولابد أيها الأحبة الكرام من الرد على الشبهة التي يقذفها الشيطان في قلوب المبتدعة، فيقولون: كيف تقولون في قول الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «نعمت البدعة هذه» فليست كل بدعة ضلالة، وإلا لما نطق بها عمر رضي الله عنه؟

إخوة الإيمان..

إنَّ عمر لم يرد بقوله (نعمت البدعة هذه)[(٢)] البدعة في الدين، لعدم إحداثه لشيء لم يعمله سيد المرسلين ﷺ بل إن رسول الله قد قام ليلتين في رمضان، واحتجب عن أصحابه الثالثة، خشية أن يفرضها الله عز وجل عليهم.. فكان الناس في زمن الفاروق يصلون في ليالي رمضان في مسجد الرسول ﷺ أوزاعًا، جماعات، وفرادى، فرأى جمعهم على إمام واحد، كما صلوها مع رسول الله ﷺ وقد أمن الفاروق أن تفرض بعده ﷺ فلما حصل ذلك ورآهم يصلون خلف الصحابي الجليل (أبي بن كعب) رضي الله عنه لما جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد، وخرج ورآهم يصلون كذلك، فقال: نعمت البدعة هذه..

أحبتي في الله..

إنَّ الحديث عن البدعة والابتداع ليس من قبيل الأحاديث التي تقطع بها الساعات وليست خطبًا يؤدى بها الواجب فقط على المنابر، ولا صحائف تسود ثم تنسى في بطون الدفاتر.. لكن الحديث عن البدعة، حديث عن قضية خطيرة وذلك لما للبدعة من آثار مهلكة، وتبعات مردية.

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٦).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ١٧٧).

أتدرون لماذا؟

لأن البدعة تبعد عن الله ﷻ، لأن العاصي يعترف بخطئه ويتوب، ولكن المبتدع يرى أنه على صواب فلا يتوب.. وكذلك كانت البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية.. فهو يزين لهؤلاء بدعتهم، حتى يحسبوا الضلال هدى، والباطل حقًّا.. قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

قال ابن كثير - رحمه الله -:

هذه الآية عامة في كل من عبد الله ﷻ على غير طريقة مرضية، يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول، وهو مخطئ، وعمله مردود، كما قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ ﴾ [الغاشية: ٢-٤]. فهؤلاء أتعبوا أنفسهم في العمل والخشوع، فكانت عاقبتهم النار الحامية، لأن عملهم على غير أساس من الشرع الإلهي.

ولما رأى عمر بن الخطاب ﷺ بعض الرهبان من النصارى، بكى فقيل له: يا أمير المؤمنين، ما يبكيك من هذا؟ قال: ذكرت قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ [الغاشية: ٢-٤].

وجاء رجل إلى الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - فقال: من أين أحرم؟ فقال: من الميقات، الذي وقت رسول الله، وأحرم منه، فقال الرجل: وإن أحرمت من أبعد منه، فقال مالك: لا أرى ذلك.. فقال الرجل: ما تكره من ذلك؟ قال: أكره عليك الفتنة.. قال الرجل: وأي فتنة في ازدياد الخير؟ قال مالك فإن الله يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]. وأي فتنة أعظم من أنك خصصت بفضل لم يختص به رسول الله ﷺ.

أحبتي الكرام..

ومن أعظم ما يوقع الناس في البدع: التشبه بالكفار، كما جاء في حديث أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حديثي عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط،

فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده، كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨] لتركبن سنن من قبلكم ».

فدل هذا الحديث على أن التشبه بالكفار وتقليدهم، يوقع في الشرك والبدع وهذا هو الواقع اليوم، فإن غالب المسلمين اليوم قد قلدوا الكفار في عمل البدع والشركيات.. فأقاموا أعياد الميلاد، وعيد الأم، وعيد شم النسيم، وعيد رأس السنة ونحو ذلك من البدع، التي شغلتنا عن إحياء السنن، فلنكن على حذر، ولا ننخدع بهذه الأمور..

اللهمَّ أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا، سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين..

اللهمَّ تب على التائبين، واقض الدين عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين..

اللهمَّ تول أمرنا.. وأحسن عاقبتنا، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة..

اللهمَّ أعذنا من إبليس وذريته..

اللهمَّ اغفر لنا وارحمنا، واغفر لآبائنا وأمهاتنا وبناتنا، وإخواننا وأخواتنا.. وارحم أموات المسلمين يا ذا الجلال والإكرام.. يا ذا الطول والإنعام.. يا رب العالمين..

الوصية رقم (٢٤)

احذروا نار جهنم وعذابها

عن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب، يقول: « أنذرتكم النار، أنذرتكم النار ».

حتى لو أن رجلاً كان بالسوق، لسمعه من مقامي هذا، حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه[١]..

أحبتي في الله..

هذه وصية النبي ﷺ لأمته يحذرهم فيها من النار تحذيرًا شديدًا.. وقد إخترت هذه الوصية في عصر ساءت فيه أحوال الناس، وقل أدبهم مع رب الناس، فكثرت معاصيهم ومنكراتهم.. فعزفت القينات، وأكلت الأموال الربويات، وكثر المستهزئين بالدين وأهله والمستهزئات.. وهجرت المساجد واستهين بالصلوات.. كل ذلك لأنهم غفلوا عن عذاب جبار الأرض والسموات فكان لابد من أن نذكر أنفسنا، ونذكر هؤلاء الغافلين بطرف من عذاب النار، لعل قلوبهم تخشع، وأعينهم تدمع، وجوارحهم ترتدع عن فعل المعاصي والسيئات، فيقلعون عن فعل المحرمات، وينتهون عن معصية رب الأرض والسموات..

النار كما قال ابن عمر - رضي الله عنهما - ناصحًا لإخوانه المسلمين، ومحذرًا لهم من نار الجحيم: « احذروا النار، فإن حرها شديد، وقعرها بعيد، ومقامعها من حديد ».

نار الدنيا جزء قليل من نار جهنم.. قال ﷺ: « **ناركم التي توقدون جزء من سبعين جزءًا من جهنم** » قالوا: يا رسول الله، والله إن كانت لكافية؟ قال: « **فإنها فضلت بتسعة وستين جزءًا** »[٢]. بل إن شدة الحر الذي نشكو منها في الدنيا، ونتقيها بما نملك من وسائل التبريد والتلطيف، إنما هي نفس من أنفاس جهنم الذي تتنفسه.. كما

---

(١) صحيح: رواه الدارمي في سننه والحاكم في مستدركه، وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في « المشكاة » (٥٦٨٧) و« صحيح الترغيب » (٣٦٥٩).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وابن حبان.

أن البرد الذي نشكو زمهريره ورعشته إنما هو نفس جهنم.. قال سيد الخلق ﷺ: « اشتكت النار إلى ربها فقالت: ربي أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير »[(١)].

وقال: « أبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم ».

وقال كعب الأحبار - رحمه الله -: والذي نفس كعب بيده، لو كنت بالمشرق، والنار بالمغرب، ثم كشف عنها، لخرج دماغك من منخريك من شدة حرها..

يا قوم، هل لكم بهذا قرار؟ أم لكم على هذا صبر؟

يا قوم، طاعة الله أهون عليكم من هذا العذاب فأطيعوه..

أحبتي في الله..

لو لم يكن في النار إلا هذا الحر، لكفى به واعظًا ورادعًا عن الذنوب والمعاصي فكيف والأمر أشد وأعظم.. ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [المعارج: ١٥، ١٦]، طعامها مرير، وماؤها حار حميم، وكلها ذلٌ ومهانة، وخزيٌ وندامة، وحسرة تعض منها الأنامل، ويود الكافر، لو كان ترابًا ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ [المعارج: ١١-١٤].

النار موعد المجرمين المكذبين، والمعاندين والمستهزئين ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٣، ٤٤] إذا كبوا فيها على وجوههم، أغلقت أبوابها وأوصدت، فلا سبيل للهرب أو الخروج، قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة: ٨، ٩] يحاولون الخروج فتتصدى لهم ﴿مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، سيشاهدها الجميع، وسيؤتى بها على مرأى ومسمع من الخلائق أجمعين، في ذلك اليوم الذي سيجمع الله فيه الأولين والآخرين ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣].

---

(١) صحيح: رواه مالك والبيهقي وغيرهما، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٩٩٠).

سيشهد الناس قدوم جهنم.. وسيرونها عيانًا.. وسيسمعون تغيظها والزفير. قال تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ۝ ﴾ [الفرقان: ١٢-١٤] وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **يؤتى يومئذ بجهنم لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها** »(١). لو تركت النار على أهل المحشر، لأتت على برهم وفاجرهم.

فلا إله إلا الله.. كيف يكون حالي وحالك أخي الحبيب إذا اشتد الفرق، وسال العرق؟؟! كيف يكون حالي وحالك: ﴿ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝ ﴾ [الفجر: ٢١-٢٣] أي والله لا ينفع الندم.. ولن تنفع الذكرى.. سيندم العصاة.. على ما سلف من المعاصي والذنوب.. بل سيندم أهل الطاعات ويتمنون أن لو زيد في أعمالهم الصالحات..

فهيـئ جـوابًا عـندما تـسمع الـندا — مـن الله يـوم العـرض مـاذا أجبـتم؟!
بـه رسـلي لمـا أتـوكم فمـن يكـن — أجـاب سـواهم سـوف يخـزى ويـندم
وخـذ مـن تقـى الـرحمن أعظـم جـنة — لـيوم بـه تـبدو عـيانًا جهـنم
ويـنصب ذاك الجـسر مـن فـوق متـنها — فهـاوٍ ومخـدوش ونـاج مـسَّلم

ولا تسألوا عن أكلها وشرابها، وفراشها ودركاتها، فهي جحيم ولظى ونيران لا تفنى ولا تبيد.. أعدها الله ﷻ لكل جواظ عتل مستكبر، الذي إذا ذكر لا يذكر، وإذا وعظ لم يتعظ، وإذا سمع آيات الله اتخذها هزوا ولعبًا.. قال سيد الأولين والآخرين ﷺ لأصحابه: « **ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر** »(٢).

سيؤتى بجهنم.. وسيندم كل جبارٍ عنيد..

فإذا جاءت بأمر الله ﷻ، جاءت بالهول الأكبر، والفزع الأعظم..

---

(١) رواه مسلم والترمذي.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

سيخرج من نفسها وهج شديد، ويسمع من جوفها دوي سلاسل وحديد..

ويسمع الخلائق الشهيد، ويرون الحريق.. فإذا نظرت إلى أهل المعاصي ثارت وفارت، ونادت وقالت.. وهي غاضبة لغضب ربها:

لأنتقمن اليوم ممن خلقته وعبد سواك..

لأنتقمن اليوم ممن أكل رزقك وعصاك..

لأنتقمن اليوم ممن أسبغت عليه نعمك ونساك..

ستزفر زفرة فتصيح الخلائق بأعلى صوتها: يا الله..

ثم تزفر زفرة ثانية فتجثو الأمم على ركبها.. ثم تزفر زفرة ثالثة فتتساقط الخلائق على وجوهها في يوم.. ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ٢].

أحبتي الكرام..

بعد هذا كله تتوالى الأهوال الجسام.. تتوالى الملمات.. وجهنم تقول: هل من مزيد؟ ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق: ٣٠].

فحرها شديد.. وقعرها بعيد.. وفيها أنهار من قيح وصديد.. فيها حيات كأمثال أعناق البخت (الإبل) وعقارب كأمثال البغال، يسري سمها في أجسام أهل النار.. فيا ويل من هذا حاله.. ويا خيبة من هذا مآله..

إنها دار الخزي والبوار..

أتدري ما هو الوقود التي توقد به؟ ليس بنزين ولا سولار، ولا هذا ولا ذاك.. وإنما كما قال خالقها: ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤] فاحذروا أن تلهيكم الدنيا، ويمنيكم سرابها، فتكون وقودًا لها.. فالناس هم الوقود، وهم المعذبون..

يقول ابن رجب - رحمه الله -: وأكثر المفسرين على أن المراد بالحجارة، حجارة الكبريت توقد بها النار، ويقال: إن فيها خمسة أنواع من العذاب، ليس في غيرها: سرعة

الإيقاد، وكثرة الدخان، وشدة الالتصاق بالأبدان، وقوة حرها إذا حميت[١].

أحبتي الكرام..

أتدرون ما أهون أهل النار عذابًا؟

- قال النبي ﷺ: « **إنَّ أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة، رجل يوضع على أخمص قدميه جمرتان، يغلي منهما دماغه** »[٢].

فإذا كان هذا حال أهون الناس عذابًا يوم القيامة، فما بال أشد الناس عذابًا..

تذكر يوم تأتي الله فردًا.. وقد نصبت موازين القضاء

وهتكت الستور عن المعاصي.. وجاء الذنب فنكشف الغطاء

وربنا جل في علاه لا يظلم مثقال ذرة، لذلك فالمعذبون يختلفون يوم القيامة في العذاب، كل حسب ذنبه وزلته، قال ﷺ: « **إنَّ منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حنجرته، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته** ».. وفي رواية: « **إلى عنقه** »[٣].

فلا تحقرن ذنبًا مهما صَغُر، فلربما كان مصرعك في احتقاره..

خـــل الذنــــوب صـــــغيرها وكبــــيرها فـــــذاك التقـــــى

واصـــــنع كـــــماشٍ فـــــوق أرض الـــشوك يحـــذر مـــا يـــرى

لا تحقـــــــــرن صـــــــــغيرة إنَّ الجـــبال مـــــن الحـــــصى

أهل النار في عذاب دائم، فقد جعل الله تعالى في أعناقهم الأغلال يسحبون منها فتزيدهم عذابًا على عذابهم.. قال تعالى: ﴿ **إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ** ﴾ [غافر: ٧١] فما أعظم تلك السلاسل والأغلال، وتلك المقامع والأصفاد وما أثقلها على أهل النار.. فيا للهوان والذل..

---

(١) « التخويف من النار ».

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

فاعمل يا عبد الله.. فجسدك لا يطيق حلقة من تلك السلاسل الغلاظ، ولا يقوى على المكث في حفرة النار لحظة واحدة.. فهو عذاب لا ينفع منه صبر ولا جلد، ولا مال ولا ولد، ولن ينجيك منه أحد، سوى ما قدمت من عمل في هذه الأيام..

مثل وقوفك يوم العرض عريانًا ... مستوحشًا قلق الأحشاء حيرانًا

والنار تلهب من غيظ ومن حنق ... على العصاة ورب العرش غضبانا

اقرأ كتابك يا عبدي على مهل ... فهل تجد فيه حرفًا غير ما كانا

فلما قرأت ولم تنكر قراءته ... وأقررت إقرار من عرف الأشياء عرفانا

نادى الجليل: خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا

المشركون غدًا في النار يلتهبوا ... والموحدون بدار الخلد سكانا

ليس لأهل النار طعام إلا القيح والصديد.. وليس لهم شراب إلا من حميم فعن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ **وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ** ﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧]، قال: « **يقرب إليه فيكرهه فإذا أدنى منه، شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه، قطع أمعاءه، حتى يخرج من دبره** »[١].

أما قال الله ﷻ واصفًا ماءهم: ﴿ **وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ** ﴾ [محمد: ١٥]؟ أما أخبر عن صياحهم واستغاثتهم، فقال: ﴿ **وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا** ﴾ [الكهف: ٢٩] إنه لا يشرب برضاه، بل قهرًا وقصرًا، وتضربه الملائكة بمطارق من حديد لكي يشرب..

وليت الأمر ينتهي عند القيح والصديد، والشراب من حميم، بل هناك أصناف أخر من الطعام.. وصنوف من الشراب.. أما سمعتم عن شجرة الزقوم؟! والله لقد قرأنا عنها في كتاب ربنا.. وسمعنا، وعلمنا خبرها، لكن أثر ذلك في قلوبنا؟ اسمعوا كلام ربكم.. قال الله ﷻ: ﴿ **أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝٦٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ۝٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۝٦٧ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ۝٦٨** ﴾ [الصافات: ٦٢-٦٨].

---

(١) ضعيف: رواه الترمذي (٢٥٨٣) وضعفه الألباني.

واسمعوا ما قال أستاذ البشرية ﷺ عن الزقوم.. قال: «**لو أنَّ قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا، لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن تكون طعامه؟**»[1].

فإذا أكلوا منها، وقطعت أمعاءهم من نتنها، وشدة حرارتها، أرادوا الماء الشراب.. أرادوا أن يطفئوا الزقوم، الذي أشعل النار في بطونهم وأمعائهم فلا يجدون إلا شرابًا من حميم يزيد النار نارًا، فيشربون منه، كما تشرب الناقة الهيماء.. ولا ترتوي من شدة عطشها ومرضها.. يقول الله ﷻ واصفًا ذلك: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الواقعة: ٥١-٥٧].

أحبتي الكرام..

وذاكم صنف آخر، ولون من ألوان العذاب.. توضع أحجار نارية على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج الحجر من ظهره.. ويوضع فوق ظهره حتى يخرج من صدره.. ففي صحيح مسلم عن الأحنف بن قيس: «**بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم، فيوضع على حلمة ثدي أحدهم، حتى يخرج من نغض كتفيه، ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل**»[2].

وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم الظالمون..

ضيعوا الصلوات.. وانغمسوا في المحرمات.. وتكبروا على أوامر رب الأرض والسموات.. ظلموا وتكبروا، وتجبروا، وتناسوا أن ربك لهم بالمرصاد.. أمرهم أن لا يركنوا إلى الذين ظلموا فتمسهم النار، فأبوا وعاندوا، وطغوا في البلاد.. وأكثروا فيها الفساد.. فاليوم يجزون عذاب الهون بما كانوا يفسقون وبما كانوا يظلمون ويتجبرون ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا

(١) صحيح: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح ورواه ابن ماجة وأحمد وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٥٠).

(٢) رواه مسلم (١٦٥٦) باب الكنازين (٥/ ١٥٣).

﴿٣٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النبأ: ٢١-٣٠].

إنها النار.. دار الذل والهوان.. دار العذاب والخذلان.. دار الشقاء والندامة والبكاء.. تجري دموعهم في نار جهنم بحارًا وأنهارًا.. لكن هل ينفعهم ذلك البكاء والعويل.. ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ... ﴾ [فاطر: ٣٧] نريد أن نرجع إلى الدنيا، لنعمل الصالحات.. لنحافظ على الصلوات.. ونشهد الجمعة والجماعات.. فيكون الجواب: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٧].

قال ﷺ: « **إنَّ أهل النار ليبكون، حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت،وإنهم ليبكون الدم – يعني مكان الدموع – ولن ينفعهم والله البكاء** »[1].

فيا ساهيًا في غمرة الجهل والهوى	**صريع الأماني عن قريب ستندم**
أفق قد دنا الوقت الذي ليس بعده	**سوى جنة أو حر نار تضرم**

ومن الناس من تلفح النار وجهه في النار، فيلقى فيها كما تلقى السمكة في الزيت الحار. قال الله ﷻ: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]، وقال: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

ولكم أن تتخيلوا وتتصوروا حال وجوههم، وقد ذهب لحمها وبقي عظمها.. فيا لها من بشاعة.. ويا له من ألم ومهانة.. تتقلب وجوههم في النار، وهم ينادون فلا يسمعون ويصرخون ولا يرحمون.. ويطلبون الموت فلا يجابون.. وبعد أن تذوب جلودهم بالنار، يبدلهم الله جلودًا غيرها.. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٥٦]. الكافر يوم القيامة يقسم بالله أنه لم ير خيرًا قط، بمجرد ما تلفحه النار، لفحة واحدة.

قال ﷺ: « **يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة،**

---

(١) حسن: رواه الحاكم وحسنه الألباني بمجموع طرقه في « صحيح الجامع » رقم (٢٠٣٢) و« الصحيحة » (١٦٧٩).

ثم يقال له: يا ابن آدم، هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب»[١].

أحبتي في الله..

استعينوا بالله، واعملوا الصالحات، واعملوا بطاعة رب الأرض والسموات، ولا تغتروا بالدنيا، فإنها هي إلى زوال، وإن نعيمها كالخيال، وإنها هي دار ابتلاء وامتحان.. واحذروا مداخل الشيطان، والزموا التقى، واحذروا النفس والهوى، فإن هذه الأربعة هي أسباب التعاسة في الدنيا، والعذاب في الآخرة.. قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾** ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

إني ابتليت بأربع يرمينني ... بالنبل قد نصبوا عليَّ شراكا
إبليس والدنيا والنفس والهوى ... من أين أرجو بينهن فكاكا
يا رب ساعدني بعفوك إنني ... أصبحت لا أرجو لهن سواكا

فاستعينوا بالله، ولا تعجزوا.. وسيروا على درب قافلة النجاة، واستمسكوا بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده، والزموا التوبة والاستغفار، فإنها حلية الصالحين الأبرار، ومنار الأنبياء والمرسلين الأخيار.. قال تعالى: ﴿ **وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور: ٣١]. واعلموا أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، ويفرح بتوبة عبده، ويجزيه عليها خير الجزاء.

وقل: يا رب..

أسأت ولم أحسن وجئتك تائبًا ... وإني لعبد عن مواليه يهرب
يؤمل غفرانًا فإن خاب ظنه ... فما أحد منه على الأرض أخيب

لذلك كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - كانوا أشد الناس خوفًا من النار فقد كان طاوس اليماني، إذا مرَّ ببائع الرءوس، وقد رآه يخرج رأسًا مشويًا، غشي عليه، ولم يتعش في تلك الليلة..

---

(١) رواه مسلم.

وقال سفيان بن عيينة: خلق الله النار رحمة يخوف بها عباده، لينتهوا..

وكان صهيب بن سنان ﷺ إذا ذكر الجنة، طال شوقه إليها، وإذا ذكر النار طار نومه، خوفًا منها..

وهذا عامر بن عبد الله - رحمه الله - كان يتلوى على الفراش كما تتلوى الحية على المقلى ثم يقوم فينادي: اللهمَّ إنَّ النار قد منعتني من النوم فاغفر لي[١].

وكان الثوري - رحمه الله - ما كان ينام إلا أول الليل، ثم ينتفض فزعًا مرعوبًا ينادي: النار النار، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات، ثم يتوضأ ويقول على إثر وضوئه: اللهمَّ إنك عالم بحاجتي غير معلم، وما أطلب إلا فكاك رقبتي من النار[٢].

وهذا علي بن الحسين ﷺ يقع حريق في بيته - وهو ساجد - فجعلوا يقولون له: يا ابن رسول الله، النار.. يا ابن رسول الله، النار، فما رفع رأسه حتى أطفئت، فقيل له: ما الذي ألهاك عنها؟ قال: ألهتني عنها النار الأخرى[٣].

وهذا شداد بن أوس - رحمه الله - كان إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه، لا يأتيه النوم فيقول: اللهمَّ إنَّ النار، أذهبت مني النوم، فيقوم، فيصلي حتى يصبح[٤]..

وكان مغيث بن الأسود يقول واعظًا وناصحًا: «زوروا القبور كل يوم بفكركم، وتوهموا جوامع الخير كل يوم في الجنة بعقولكم، وانظروا إلى المنصرف بالفريقين إلى الجنة أو النار بهممكم، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامعها وأطباقها[٥].

اللهمَّ أجرنا من النار، ومن عذاب النار، ومن كل قول أو عمل يقربنا إلى النار يا قوي يا قهار..

اللهمَّ يا من لا ينال فضله إلا بفضله.. ولا تعطى رحمته إلا برحمته، ها نحن نتوسل بفضلك إلى فضلك، ونسألك المزيد من فضلك.. يا ذا الفضل العظيم..

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٣٥٠) لابن الجوزي.

(٢) «الحلية» (٣/ ١٧٥) لأبي نعيم، و«صفة الصفوة» (١/ ٣٣٦).

(٣) «صفة الصفوة» (١/ ١٩٤).

(٤) المرجع السابق (١/ ١٥٨).

(٥) «الحلية» (٤/ ٣١٦).

اللهمَّ طهرنا من الذنوب والسيئات.. وأمنا يوم الفزع الأكبر.. واكتبنا عندك من السعداء.. ولا تجعلنا من الأشقياء..

يا منفس كل مكروب، نفس كرباتنا.. ويا كاشف الضر والبلوى.. اكشف كربنا..

اللهمَّ احفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.. واشرح صدورنا بإشراق نورك، واجعل الحق طريقنا، والتوفيق رفيقنا.. وامح آثار الأغيار من قلوبنا..

اللهمَّ زين جوارحنا بأعمال البر والطاعة، ولا تكلف نفوسنا فوق القدرة والاستطاعة.. واغفر لنا يا رب العالمين..



الوصية رقم (٢٥)

لا تحقرن من الذنوب صغيرًا

عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «**يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالبًا**»[١].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

ها هو سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين، وشفيع المذنبين - رسول رب العالمين - ﷺ - يوصي أمنا السيدة عائشة - رضي الله عنها - فمن هي عائشة؟ وما هي مكانتها في حياة النبي ﷺ؟

إنها أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وأبوها كذلك من أحب الناس إلى قلبه.. سئل النبي ﷺ أيُّ الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: «**عائشة**» قال: فمن الرجال؟ قال: «**أبوها**»، وحبه للسيدة عائشة - رضي الله عنها - كان أمرًا مستفيضًا، ألا تراهم كيف كانوا يتحرون بهداياهم يومها تقربًا إلى مرضاته.

وعنها - رضي الله عنها - قالت: قلت: يا رسول الله، مَنْ أزواجك في الجنة؟ قال: «**أنت منهن**» قالت: فخُيل إليَّ أن ذاك، لأنه لم يتزوج بكرًا غيري. وعنها قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقال: «**ما يبكيك؟**» قلت: سبتني فاطمة، فدعا فاطمة، فقال: «**يا فاطمة، سببت عائشة؟**» قالت: نعم يا رسول الله، قال: «**أليس تحبين من أحب؟**»، قالت: بلى، قال: «**وتبغضين من أبغض؟**»، قالت: بلى، قال: «**فإني أحب عائشة، فأحبيها**»[٢].

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجة وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٤٧٢) و«السلسلة الصحيحة» (٥١٣).

(٢) قال الهيثمي في «المجمع» (١٥٣١١): رواه أبو يعلى والبزار باختصار وفيه: مجالد وهو حسن الحديث وبقية رجاله رجال الصحيح.

قالت فاطمة: لا أقول لعائشة شيئًا يؤذيها أبدًا.

وعنها قالت: كان رسول الله ﷺ يعطيني العظم، فأتعرقه ثم يأخذه، فيديره، حتى يضع فاه على موضع فيّ[١].

هذه المكانة الجليلة، والمنزلة السامية، جعلت الحبيب ﷺ يحرص كل الحرص على أن يحذر السيدة عائشة - رضي الله عنها - بأشد أسلوب فيقول لها: «**إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالبًا**».

وهذا التحذير كان عامًا لجميع أصحاب الحبيب ﷺ بل لجميع أفراد الأمة المحمدية، فعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه، كرجل كان بأرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل يجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا من ذلك سوادًا وأججوا نارًا، فأنضجوا ما فيها**»[٢].

وفي رواية سهل بن سعد: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه**»[٣].

وما هذه التحذيرات إلا لخطر الذنوب والمعاصي على صاحبها في الدنيا والآخرة..

أحبتي في الله..

ما تهدمت الشعوب، ولا فسدت القلوب، ولا خربت الأسر، ولا تشتتت الآراء، ولا تمزقت الأفكار، إلا من الذنوب والمعاصي..

وما بخست الأرزاق، ولا قست القلوب، ولا جفت العيون إلا من الذنوب والمعاصي، وما غضب الجبار، وما أقيمت النار، وما نصب الصراط إلا من الذنوب والأوزار..

---

(١) رواه مسلم.

(٢) حسن: رواه أحمد والطبراني، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٦٨٧).

(٣) صحيح: رواه أحمد والطبراني والضياء في «المختارة»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٦٨٦).

الذنوب لها آثار كثيرة، وعقوبات في الدين والدنيا.. وأحسن من تكلم في ذلك الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه الجليل «الداء والدواء» أو «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»..

فما سلبت النعم، وحلت النقم إلا بالذنوب والمعاصي.. ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ... ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وإن لنا فيما يجري حولنا من نقمة الله ﷻ في عباده، وأنواع العقوبات التي عمت المشارق والمغارب إلا بسبب المعاصي والذنوب..

الفيضانات، والزلازل، والبراكين، والحرائق، والحروب الطاحنة، وغيرها من البلاءات، إنما هي من المعاصي والسيئات.. وما ربك بظلام للعبيد..

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وما حل بالناس من أمراض، وما حل بهم من غلاء الأسعار.. وقحط وجدب إلا بسبب المعاصي والأوزار.. ما كنا نسمع قبل ذلك عن أمراض الكبد، ولا الفشل الكلوي، ولا مرض السرطان، ولا الإيدز.. ولا الحمى القلاعية.. ولا أنفلونزا الطيور.. ولا أنفلونزا الخنازير.. كل ذلك بسبب المعاصي.. وقد أخبرنا بذلك سيد الأولين والآخرين منذ زمن بعيد..

قال ﷺ: «**يا معشر المهاجرين، خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى أعلنوا بها، إلا فشي فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤونة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم.. وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم**»[1].

---

(١) صحيح: رواه البيهقي والحاكم وابن ماجة وغيرهم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٧٨).

فهذه فيروسات خمسة كافية للقضاء على الأمة بأكملها، وانتشار هذه الفيروسات الخمسة في الأمة مؤشر لفسادها، وضياعها في دنياها وأخراها..

الفيروس الأول: ارتكاب الفواحش والمعاصي والمجاهرة بها..

الفيروس الثاني: الغش في الكيل والميزان..

الفيروس الثالث: البخل بالأموال، ومنع الزكوات..

الفيروس الرابع: نقض العهد مع الله ورسوله..

الفيروس الخامس: البعد عن شرع الله، والحكم بغير ما أنزل الله..

وأعظم هذه الفيروسات، وأكبرها خطرًا، هو الفيروس الأول، وهو قادر على الانتشار السريع في حالات غياب الإيمان عن القلوب، والغفلة عن علام الغيوب.. فهو أخطرها.. فيروس الفواحش والمعاصي، والمجاهرة بها.. وقد حصل ذلك.. بل أصبح الناس يألفون المعاصي، ويكثرون من الذنوب في البر والبحر، بل وفي الجو، فظهر الزنا، والربا، والخمر، والمعازف، والرسول ﷺ يقول فيما رواه عنه عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: « **إذا ظهر الزنا والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله** »[(١)].

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: « **يكون في آخر الأمة خسف ومسخ، وقذف** » قالت: قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: « **نعم، إذا ظهر الخبث** »[(٢)].

وعن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ : « **إذا ظهر السوء في الأرض، أنزل الله بأسه بأهل الأرض، وإن كان فيهم قوم صالحون يصيبهم ما أصاب الناس، ثم يرجعون إلى رحمة الله ومغفرته** »[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٦٧٩) و« صحيح الترغيب » (٢٤٠).

(٢) صحيح: « صحيح سنن الترمذي » (٢١٨٥)، و« الصحيحة » (٩٨٧)، و« صحيح الجامع » (٨١٥٦).

(٣) صحيح: رواه الطبراني وابن حبان وغيرهما، وصححه الألباني في « الصحيحة » (١٣٧٢) و« صحيح الجامع » (٦٨٠).

والأمر كما قال الله ﷻ في كتابه الحكيم: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ... ﴾ [الروم: ٤١] يا سبحان الله! ليذيقهم بعض الذي عملوا.. أرأيتم إلى رحمة الرحيم الرحمن.. حتى عند العقوبة فماذا لو أذاقهم كل الذي عملوا؟

وهذا لعلهم يرجعون.. لكي يبدأوا صفحة جديدة مع الله، لعلهم ينجون من غضب الله.. إذن عندما يصيبك بلاء من الله، فلا تنظر إلى البلاء على أنه هو عين البلاء، فقد يكون تحت كل محنة منحة.. لأنه أصابهم، ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون إليه، ويتعرفون على ذنوبهم فيتوبوا منها.. لأنه لو أصابهم بكل ما عملوا لأهلكهم وأبادهم، بسبب كثرة ذنوبهم وأوزارهم.. لكنه يقول: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [السجدة: ٢١] يريك بعض العقوبات الفورية، لتعود إليه. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠] بسبب المعاصي حلت المحن.. لدرجة أن الفضيل بن عياض يقول: «إني لأعصى الله، فأعرف ذلك في خلق حماري»[(١)].

وهذا محمد بن سيرين - رحمه الله - لما ركبه دين كبير، اغتم لذلك، فقال: إني لأعرف هذا الغم، بذنب أصبته منذ أربعين سنة[(٢)].

أحبتي الكرام..

والله ما ذاق الناس أمر من الأوزار والمعاصي، ولا تجرعوا أخبث ولا أشد، ولا أنكى من الذنوب.. إنها تجلب الضيق والهم والغم، والأسى واللوعة، والحزن.. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦].

ضنك مهما يكن فيها من سعة ومتاع.. ضنك الحيرة والقلق والشك، ضنك الحرص والحذر.. الحرص على ما في اليد، والحذر من الفوت.. فما يشعر القلب بطمأنينة

---

(١) «حلية الأولياء» (٨/ ١٠٩) لأبي نعيم.

(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٧١).

الاستقرار إلا في رحاب الله.. وما يحس براحة الثقة إلا وهو مستمسك بالعروة الوثقى، التي لا انفصام لها..

حياة كلها ضنك حتى ولو سكنوا ناطحات السحاب، حتى ولو استقلوا السيارات الفاخرة، وحصلوا على المناصب العالية..

فهم أي أصحاب الخطايا والأوزار.. تعساء.. لا يشعرون بأي نوع من أنواع السعادة.. لكن تأملوا الذي شعروا بالسعادة.. تأملوا حال الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - عندما أدخلوه السجن، وأوصدوا عليه بابه، وحاولوا قتل مبادئه، وإطفاء نور دعوته، فقال وهو يبتسم وينظر إلى الحاجب أو البواب.. ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الحديد: ١٣].

ثم قال كلمة أشبه بالمقطوعة الشعرية، يقول: ماذا يفعل أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أنى سرت فهو معي، قتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة، وسجني خلوة.. .

وهذا هو الخليفة عبد الملك بن مروان.. لتعرفوا الفارق بين سعادة المؤمن التقي.. وسعادة الفاسق العاصي..

فهذا الخليفة الذي دندنت له الدنيا وطنطنت ما يقارب ثلاثين سنة، ملك الدنيا، وقتل العظماء، وذبح الملوك كذبح الدجاج، فلما أتته سكرة الموت، نزل من على سريره، وقال: يا ليتني ما توليت الخلافة.. لا يا ليتني كنت غسالاً.. قال سعيد بن المسيب - رحمه الله - حين بلغه هذا الكلام: الحمد لله الذي جعلهم يفرون إلينا وقت الموت، ولا نفر إليهم..

ورحم الله إبراهيم بن أدهم، حين قال: نحن في عيش لو علم به الملوك، لجالدونا عليه بالسيوف.

ما هو العيش؟ أعيش الخبز والملح؟ أم عيش السيارة والفلة؟ أو عيش الملابس؟

لا والله، إن هذه يشترك فيها الناس جميعًا.. البر والفاجر، المسلم والكافر، بل إن حظ الكافر فيها أعظم من حظ المؤمن.. فإننا نجد أن كثيرًا من أهل الإيمان يسكنون الخيام، وينامون على الأرض، ولا يجدون كسرة الخبز.. بينما الكافر يتقلب كالحمار في

النعم.. يقول الله عنهم: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٣]، ويقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد: ١٢].

أحبتي في الله..

الذنوب والأوزار.. الخطايا والسيئات.. تحرم صاحبها رزق رب العباد وحرمان الرزق على قسمين:

١- حرمانه أصلاً ووجودًا.

٢- حرمانه بركةً ونورًا.

ولذلك صح عن ابن عباس ﷺ أنه قال: «إنَّ للحسنة نورًا في الوجه نورًا في القلب، سعةً في الرزق، محبةً في قلوب الخلق.. وإنَّ للسيئة سوادًا في الوجه، ظلمةً في القلب، ضيقًا في الرزق، بغضًا في قلوب الخلق».

وعن مالك بن دينار - رحمه الله - قال: إنَّ لله تعالى عقوبات، فتعاهدوهن من أنفسكم في القلب والأبدان: ضنكًا في المعيشة، ووهنًا في العبادة، وسخطة في الرزق[1].. ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

لكن عصوا وخالفوا، وارتكبوا الأوزار، فأغلق الله عليهم أبواب البركات.. وحرمهم الخيرات..

المعاصي تحرم العلم والحفظ.. قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وبمفهوم المخالفة: من لا يتق الله، لا يعلمه الله..

والذنوب في حق طلاب العلم أمرها عجيب.. قال ابن الجلاد: نظرت منظرًا لا يحل لي، فقال لي أحد الصالحين: أتنظر إلى الحرام؟ والله لتجدن غبه ولو بعد حين، فنسيت القرآن بعد أربعين سنة..

---

(١) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٦٤) لأبي نعيم.

وهذا وكيع بن الجراح - رحمه الله - وهو أحد الأئمة الأعلام، المشهود لهم بالحفظ والإتقان والإيمان.. قال الإمام أحمد - رحمه الله -: ما رأيت أخشع من وكيع بن الجراح.. هذا الإمام الفذ الجهبذ.. أتاه أحد الناس، فقال له: يقول الأطباء: إن أحسن شيء للحفظ هو أكل الزبيب.. والإمام الزهري يرى ذلك، وكذلك الإمام ابن كثير والذهبي وغيرهم.. لكن الإمام وكيع بن الجراح قال للسائل: ما رأيت والله للحفظ مثل ترك المعاصي..

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال لي إنَّ العلم نورٌ ... ونور الله لا يهدى لعاصي

وقال الإمام مالك - رحمه الله تعالى - لإمامنا الشافعي ﷺ: يا محمد، إني أرى عليك نجابة، وإني أرى لك إمامة في هذا الدين.. فإياك والمعاصي فإنها تتلف العلوم.. أو كما قال..

أيها الأحبة الكرام..

ومن آثار الذنوب: الوحشة بين العبد، وبين ربه.. فهي تنسى العبد حلاوة الإيمان، ولذة العبادة.. صاحبها والله غير منعم.. لا يعيش في حال طيبة لأنه يبدو دائمًا قلقًا مزعزعًا.. حتى يقول ابن القيم - رحمه الله -: إن العاصي دائمًا إذا سمع نفحة من ريح، يظن أن الصوت عليه، قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ﴾ [المنافقون: ٤] العاصي لو تحرك الباب خاف، لو سمع البوليس، انتفض، لو أتت دعاية، قال: هذه ضدي.

قيل لأبي معاذ الرازي - رحمه الله -: أيجد العبد حلاوة الطاعة، إذا هم بالمعصية؟ قال: لا والله، ولو فكر فيها.. والوحشة هذه لها آثار منها:

الأول: أن العبد لا يثق في موعود الله، أي في آيات الرجاء، وآيات الخير وآيات الوعد الحسن لا يثق فيها، ولا يشعر فيها بمصداقية.. لذلك يقرأ في المصحف، ويمر على آيات الجنة ورحمة الله ﷻ، وكأنها ليست بآيات..

الثاني: أنه لا يحسن الظن بمولاه.. ولذلك جعل العلماء حسن الظن بالله من حسن العمل..

الثالث: أنه لا يتهم نفسه، لأنه في وحشة، ولأنه يرى أن ما بينه وبين مولاه مقطوع..

ومن آثار الذنوب والمعاصي: قسوة القلب أو موته، وهما درجتان: وقد ذكر الله ﷻ القفل، والطبع، والران.. وهي منازل، بل ذكر العلماء أن هناك عشرين منزلة للقلب تبدأ بالغين.. «إنه ليغان على قلبي» وتنتهي بالقفل.. قال تعالى: ﴿ **بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ...** ﴾ [النساء: ١٥٥]. وقال: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ** ﴾ [محمد: ٢٤].

وقسوة القلب أو موته يتأتى من فعل المعاصي والخطايا والزلات، ونجد أن صاحب القلب القاسي لا يتأثر.. قال سبحانه: ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ...** ﴾ [البقرة: ٧٤].

قال ابن تيمية - رحمه الله -: كل خطاب لبني إسرائيل، فإن المقصود به نحن، على قول المثل السائر: «إياك أعني واسمعي يا جارة» ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ** ﴾ [الحديد: ١٦].

قال ابن القيم - رحمه الله - في «مدارج السالكين» يذكر أسبابًا لقسوة القلب منها:

أولاً: الذنوب والخطايا..

ثانيًا: كثرة المباحات، مثل كثرة الكلام بغير ذكر الله، وكثرة الطعام بغير حاجة، وكثرة النوم، وكثرة الخلطة.. هذه من أسباب قسوة القلب، وقد فصلها بكلام عجيب.. ولله در القائل:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها؟

ثالثًا: الغفلة وطول الأمل، وعدم مراقبة الله ﷻ..

رابعًا: الركون إلى الدنيا، والاغترار بها، ونسيان الموت والقبر، والدار الآخرة..

خامسًا: كثرة الكلام بغير ذكر الله ﷻ، وكثرة الضحك والمزاح..

سادسًا: الحقد والحسد والبغضاء..

سابعًا: إضاعة الأوقات بغير فائدة..

نسأل الله ﷻ أن يغفر لنا الذنوب والآثام..

اللهمَّ إن هذا حالنا لا يخفى عليك فعاملنا يا ربنا بالإحسان إذ الفضل منك وإليك.. واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين..

اللهمَّ اهد قلوبنا، ونقها من الغل والحقد والحسد، ورقق قلوبنا.. وأصلح أحوالنا يا رب العالمين..



الوصية رقم (٢٦)

النهي عن التحايل على شرع الله

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل** »[١].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

إنَّ أعظم مكايد الشيطان، وهو ألد أعداء الإنسان منذ أن خلق، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. من أعظم مكايده التي يكيد بها للإسلام وأهله: (التحايل على شرع الله ﷻ) والخداع الذي يستعمله الكثير من الناس من أجل تحليل ما حرم الله، وإسقاط ما فرضه، وعصيانه في أوامره ونواهيه.. وهذه الوصية التي نعيش في ظلالها، تنهانا أن نرتكب مثل الذي ارتكبه أخس الناس على وجه البسيطة، وهم اليهود..

فما هي الحيلة المقصودة هنا؟ وما دليل تحريم الحيل من هذا النوع؟ وما الذي فعله اليهود من الحيل؟

كل هذه الأسئلة سنجيب عنها بمشيئة الرحمن الرحيم جل وعلا وهو المستعان..

كلمة الحيلة تطلق في عرف الفقهاء والمحدثين غالبًا على الحيل المذمومة شرعًا.. وهي الطرق والوسائل الخفية، التي تستحل بها المحارم، وتسقط بها الواجبات ظاهرًا.. وكل حيلة تتضمن إسقاط حق لله ﷻ أو حق لآدمي، فهي من هذا القبيل، كحيل اليهود التي من أجلها لعنهم الله تعالى ومسخهم قردة وخنازير وهذا النوع اتفق الفقهاء على ذمه، والنهي عن فعله، وزجر أهله..

والدليل على حرمة هذا النوع من الحيل، وأنه لا يجوز فعله، أنه خداع، والله تعالى يقول: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ**

---

(١) حسن: رواه ابن بطَّة وغيره بإسناد حسن وقال صاحب عون المعبود عنه: إسناده مما يصححه الترمذي (٧/ ٤٥٣)، وحسنه الإمام ابن تيمية في « مجموع الفتاوى » (٦/ ٤٤٥).

ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ ﴾ [البقرة: ٨، ٩].

والله تعالى يقول عن أوصاف المنافقين: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾ [النساء: ١٤٢]، فمخادعة الله حرام، والحيل مخادعة لله.. وبيان ذلك: أن الله تعالى ذم المنافقين بالمخادعة، وأخبر أنه سبحانه خادعهم، وخدعه للعبد معناه عقوبته من حيث لا يشعر.

كما أخبرنا رب العزة والجلال عن أولئك المشركين، الذين عاهدوا رسول الله ﷺ فقال: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُ ... ﴾ [الأنفال: ٦٢]، أي أنهم إذا أظهروا للرسول ﷺ أنهم يريدون السلم، وهم يقصدون بذلك المكر به والخداع من حيث لا يشعر، فيظهرون له الأمان، ويخفون له العداء والمكر.

فالله ﷻ ورسوله يحرمون الخداع، وكذلك أصحاب النبي ﷺ فقد كانوا أبر الناس قلوبًا، وأعلم الناس بطرق الشر ووجوه الخداع، وأتقى لله من أن يرتكبوا منها شيئًا، أو يدخلوه في الدين، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لست بخب، ولا يخدعني الخب».

وكان سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أعلم الناس بالشر والفتن، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الخير، وكان هو يسأله عن الشر. والقلب السليم، ليس هو الجاهل بالشر، الذي لا يعرفه، بل الذي يعرفه، ولا يريده، بل يريد الخير والبر[1].

وقد عاقب الله ﷻ المتحيلين على إسقاط نصيب المساكين، وقت الجداد - أي الحصاد - بجد جنتهم عليهم، وإهلاك ثمارهم..

إنهم أصحاب الجنة، الذين ذكر الله ﷻ قصتهم في سورة القلم :. ﴿ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ۝١٧ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ۝١٨ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ۝١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ۝٢٠ فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ۝٢١ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ۝٢٢ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ۝٢٣ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ۝٢٤ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ۝٢٥ فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ۝٢٦ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ۝٢٧ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ۝٢٨ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٢٩ ﴾ [القلم: ١٧-٢٩].

---

(١) «إعلام الموقعين» لابن القيم (٣/ ٢٤١).

لقد أقسموا فيما بينهم ليصرمنها مصبحين، حيث لا يراهم فقير ولا محتاج، فيعطوه شيئًا، وهذا احتيال على منع حق المساكين.. ولم يستثنوا في يمينهم، فعجزهم الله وسلط عليهم الآفة التي أحرقتها، فجعلتها كالصريم، أي مثل الزرع إذا حصد فصارت هشيمًا يابسًا بعد أن كانت لها حسن وبهجة.. انقلبت بسبب نيتهم الفاسدة، واحتيالهم على إسقاط حق المساكين إلى ما صارت إليه.. حتى ظنوا أنهم تاهوا، وسلكوا طريقًا غير طريقها.. فلما علموا أن الله عاقبهم على سوء نيتهم.. وفساد طويتهم.. ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [القلم: ٢٩-٣١] ندموا حيث لا ينفع الندم، واعترفوا بالذنب بعد العقوبة، حيث لا ينفع الندم..

أحبتي الكرام..

ونهانا النبي ﷺ أن نحتال كما احتال اليهود من ذي قبل.. فقد احتال أهل السبت من اليهود على إباحة ما حرمه الله ﷻ عليهم من الصيد فماذا حدث؟

قال الله ﷻ: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٣-١٦٦].

هؤلاء هم أصحاب السبت.. هم قوم من اليهود، كانوا يسكنون قرية تقع على شاطئ البحر.. وقد حرم الله ﷻ عليهم العمل في البحر يوم السبت.. وتلك سنة الله في خلقه.. فلا يتميز طيب الذهب إلا بعد صهره بالنار.. وكذا نفوس البشر، حيث خالقها سبحانه وتعالى هو أعلم بها، وبأدوائها، وطبها، فحيث تتعرض النفوس المؤمنة للهيب المحنة، تزداد إصرارًا وشكيمة، بينما رعاع الخلق يتخبطون، كما يتخبط الأعمى في الليلة الماطرة..

وها هو القرآن يعرض لنا قصة هؤلاء.. واللبيب بالإشارة يفهم، والسعيد من اتعظ بغيره.. وحوادث التاريخ هي دروس للعقلاء..

فهؤلاء القوم من اليهود قد حرم الله عليهم صيد الحيتان والأسماك يوم السبت، وأبيح لهم في باقي الأسبوع.. يمسكها عنهم طيلة الأسبوع، ويرسلها لهم يوم السبت.. ويوم السبت محرم عليهم أن يصيدوا فيه.. وهذا وربي لهيب المحنة فاحتال لهم إبليس اللعين حيلته الخرقاء.. هداهم الشيطان إلى حيلة شيطانية ماكرة.. فقاموا بنصب الشباك يوم الجمعة، وتركوها في البحر، لتمسك الحيتان والأسماك.. يوم السبت.. ثم يأتوا يوم الأحد ويأخذوها، وبعضهم قام بحفر القنوات، وأحاط بها.. إنَّ القوم يحتالون على أمر الله ﷻ..

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ [إبراهيم: ٤٦] وكان هذا الواقع البغيض يؤرق أهل الصلاح، الذين رفعهم الله بالإيمان والتقوى.. هؤلاء الصالحون استناروا بوحي الله عليهم، فقاموا منذرين في قومهم، وخاصة بعد أن لاح لهم في الآفاق بوادر الدمار والبوار، الذي يحل بالظالمين.. ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل: ٣٣].

أسرف هؤلاء البغاة على أنفسهم، واحتالوا على أمر الله، فلم يرحمهم ربهم.. لقد بغوا على حدود الله.. فكانت قاصمة الظهر، وفجيعة الدهر، أن تحروا أمر ربهم، بصيدهم في يوم محرم، والأدهى من ذلك هو مكرهم وخبثهم وتحايلهم على الله جل جلاله، مما أوردهم موارد الهلاك.

وكان أهل الصلاح يحذرونهم وينذرونهم، ولكن لا حياة لمن تنادي.

وكان هناك جماعة أخرى محايدة، سكتت عن قول الحق، ولم ترفع صوتها لنصرة أمر الله جل وعلا..

وقد بلغ من شدة الأمر أن هدد الصالحون، بأنهم سوف يخرجون من القرية، إن لم ينته هؤلاء الظالمين لأنفسهم.. وبالفعل خرج هؤلاء الأخيار، وتركوا خلفهم قلوبًا سوداء مربدة، تعربد على أرض الله، وتحت سمائه..

خرج أهل الحق، وتركوا خلفهم الديار والمساكن، وقد آثروا نصرة الحق، وخشوا غضب الله ومحقه.. فلما أشرق الصباح، انتظر الأخيار أن يفتح الحصن فلم يفتح، فأخذ أحدهم سلمًا وصعد، وجد القرية تموج بالقردة، ففتحوا الباب، وعرفت القردة أنسابها من الإنس، ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة، وأخذوا يشمون ثيابهم ويبكون.. ويقولون لهم: ألم ننهكم؟ ألم نعظكم؟ فكما تحايلتم على شريعة الله، غير الله حالكم، وأبدل خلقتكم.. والجزاء من جنس العمل..

أحبتي الكرام..

وقد وضح لنا من سياق الآيات أن الناس في هذه القرية على أصناف ثلاثة:

● **الصنف الأول**: الذين تحايلوا على شرع الله ﷻ، وهم أهل الفسق والضلال فقد ذكر الله عاقبتهم، فقال: ﴿ **وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

● **الصنف الثاني**: وهي الفئة التي سكتت عن فعل المحرم، وسكتوا كذلك عن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بل توجهوا باللوم والإنكار على الصالحين الدعاة، بحجة أنه لا فائدة من نصح قوم ووعظهم، وهم هالكون معذبون.. ﴿ **لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا** ﴾ [الأعراف: ١٦٤]. حينئذ أجاب المصلحون بأن هدفهم من وراء الإنكار، هو العذر أمام الله ﷻ، وأداء الواجب، سواء استجاب هؤلاء أم لا، ثم لعل النصيحة تؤثر فيهم: ﴿ **قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

● **الصنف الثالث**: وهم الذين أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، فقد ذكر الله نجاتهم وفوزهم.. ﴿ **أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ ...** ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

مسخ الله الذين احتالوا وخادعوا ومكروا بأوامر الله وشريعته، وهذا المسخ لا يختص ببني إسرائيل، بل إن النبي ﷺ أخبرنا أن المسخ على صورة القردة والخنازير، واقع في هذه الأمة، ولابد، وهو في طائفتين من الناس، علماء السوء الكاذبين على الله ورسوله.. الذين قلبوا دين الله، وتحايلوا على شرعه، والمجاهرون بالفسق والمحرمات، ومن لم يمسخ منهم في الدنيا، مسخ في قبره أو يوم القيامة..

ففي البخاري من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحرى والحرير والخمر والمعازف**» إلى أن قال في آخر الحديث: «**ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة**»[١]. وعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يكون في أمتي خسف وقذف ومسخ**» قيل: متى يكون ذلك يا رسول الله؟ قال: «**إذا ظهرت المعازف والقينات، واستحلت الخمرة**»[٢].

وفي حديث أبي هريرة ﷺ: «**يمسخ قوم من هذه الأمة في آخر الزمان قردة وخنازير**» قالوا: يا رسول الله، أليس يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله؟ قال: «**بلى، ويصومون ويصلون ويحجون**» قالوا: فما بالهم؟ قال: «**اتخذوا المعازف والدفوف، والقينات، فباتوا على شربهم ولهوهم، فأصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير**»[٣].

قال أهل العلم: إنما استحق هؤلاء القوم من أمة النبي ﷺ هذا المسخ من الله، لأنهم أحلوا ما حرم الله، بأنواع الحيل المحرمة..

يحلّون الخمر بتغيير اسمها.. قال ﷺ: «**ليشربن الخمر أناس من أمتي، يسمونها بغير اسمها**»[٤].

كلام نبوي طيب بليغ.. يملأ قلب المؤمن يقينًا وتصديقًا للرسول الأعظم ﷺ يسمون الخمر بالمشروبات الروحية.. تحايل وتلبيس وتضليل.. وخداع.. إن قلت: هذا خمر، قالوا: لا هذا وسكي.. هذا نبيذ. إن قلت: هذا خنزير! قال لك أحدهم: أنا لا أختلف معك، لكن الخنزير الذي حُرِّم كان خنزيرًا موبوءًا، مبتلى بالأمراض، أما الخنازير اليوم، فهي خنازير تُربى تحت العناية والرعاية الصحية والطبية.. فما الداعي لتحريمها؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

نعم.. احتالوا على الحرام فأحلوه.. إلا من رحم ربي ﷻ..

---

(١) رواه البخاري.

(٢) صحيح: رواه الطبراني وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٦٥).

(٣) حسن: رواه الطبراني وغيره.

(٤) صحيح: رواه أبو داود وابن ماجة وأحمد والبخاري في «التاريخ»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٠).

والمتأمل لأوضاع كثير من المسلمين في زماننا هذا يجد التحايل على أوامر الله ﷻ في كثير من المسائل..

أليس هناك تحايل بشتى الأشكال من كثير من المسلمين في أكل الربا مثلاً؟! فتارة يسمونه ربحًا.. أو أرباحًا.. أو فائدة أو فوائد، وتارة يسمونه استثمارًا.. احتيال في البيع والشراء.. احتيال في كل أمور الحياة..

قال ﷺ: « **إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، واتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أنزل الله عليهم بلاء، فلا يرفعه، حتى يراجعوا دينهم** »[1]. وقد انتشر بيع العينة - وهو ربا محض - بصورة بشعة..

جاء في عون المعبود: قال الرافعي: وبيع العينة، هو أن يبيع شيئًا من غيره بثمن مؤجل، ويسلمه إلى المشتري، ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن نقدٍ أقل من ذلك القدر[2]..

قال ابن رسلان في شرح السنن: وسميت هذه المبايعة بالعينة، لحصول النقد لصاحب العينة، لأن العين هو المال الحاضر، والمشتري إنما يشتريها ليبيعها بعين حاضرة تصل إليه من فوره، ليصل به إلى مقصوده.

قال الشوكاني - رحمه الله -: واستدل ابن القيم - رحمه الله - على عدم جواز العينة بما روي عن الأوزاعي عن النبي ﷺ أنه قال: « **يأتي على الناس زمان يستحلون الربا بالبيع** »، قال: وهذا الحديث، وإن كان مرسلاً، فإنه صالح للاعتضاد به بالاتفاق، وله من المسندات ما يشهد له، وهي الأحاديث الدالة على تحريم العينة، فإنه من المعلوم أن العينة عند من يستعملها، إنما يسميها بيعًا، وقد اتفقا على حقيقة الربا الصريح قبل العقد، ثم غير اسمها إلى المعاملة وصورتها إلى التبايع الذي لا قصد لهما فيه البتة، وإنما هو حيلة ومكر وخديعة لله ﷻ، فمن أسهل الحيل على من أراد فعله أن يعطيه مثلاً ألفًا إلا درهمًا باسم القرض ويبيعه خرقة تساوي درهمًا بخمسمائة درهم.

وقول رسول الله ﷺ: « **إنما الأعمال بالنيات** »[3]، أصل في إبطال الحيل فإن من أراد أن يعامله معاملة يعطيه ألفًا بألف وخمسمائة، إنما نوى بالإقراض تحصيل الربح الزائد،

---

(١) « صحيح سنن أبي داود » (٣٤٦٢)، و« الصحيحة » (١١).

(٢) « عون المعبود » (٧/ ٣٥٤)، « شرح سنن أبي داود »، و« نيل الأوطار » (٨/ ٣٣٨) للشوكاني.

(٣) رواه البخاري وغيره.

الذي أظهر أنه ثمن الثوب، فهو في الحقيقة أعطاه ألفًا حالة، بألف وخمسمائة مؤجلة، وجعل صورة القرض، وصورة البيع محللاً لهذا المحرم، معلوم أن هذا لا يرفع التحريم، ولا يرفع المفسدة، التي حُرِّم الربا لأجلها، بل يزيدها قوة وتأكيدًا من وجوه عديدة:

منها: أنه يقدم على مطالبة الغريم المحتاج من جهة السلطان والحكام، إقدامًا لا يفعله المربي، لأنه واثق بصورة العقد، الذي تحيل به[1].

ويحتالون فيسمون السحت والرشوة بالهدية، والقتل بالرهبة، كلها حيل كحيل يهود بني إسرائيل.. قال ﷺ: « **قاتل الله اليهود، حرمت عليهم الشحوم، فجملوها فباعوها** »[2].

وعن جابر ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ عام الفتح – وهو بمكة – يقول: « **إنَّ الله عز وجل ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام** »، فقيل: يا رسول الله، أرأيت شحوم الميتة، فإنه يطلى بها السفن، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس – أي يضيئون بها المصابيح – فقال: « **لا، هو حرام** »، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: « **قاتل الله اليهود، إن الله عز وجل لما حرم عليهم الشحوم، جملوه ثم باعوه، فأكلوا ثمنه** »[3].

قال ابن القيم – رحمه الله – في إعلام الموقعين: حكمة التحريم لا تختلف سواء كان جامدًا أو مائعًا.. فإذا حرم الله الانتفاع بشيء حرم الاعتياض عن تلك المنفعة..

فهذا الحديث أصل عظيم في أن كل حيلة يستعملها من أجل الوصول إلى المحرم فهي باطلة.. وأنه لا يتغير حكم هذا المحرم، ولو تغيرت صورته، أو بُدِّل اسمه.. لأنه حيلة ومكر وخداع لله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.. أفيظن هذا المتحايل المخادع أن أمره سيخفى على الله؟

ألم يقرأ قول الله ﷻ: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ ﴾ [البقرة: ٢٣٥].. أليس في نيته وقرارة نفسه أنه يريد ما حرم الله، ولكن يكسوه ثوب الخداع والمكر، لا يخفى إلا على من جعل الله على بصره غشاوة؟

---

(١) « نيل الأوطار » (٨/ ٣٣٨-٣٤٠).

(٢) متفقٌ عليه.

(٣) صحيح: رواه النسائي (٤٢٥٦) ألباني و« صحيح سنن ابن ماجة » (٢١٦٧)، و« صحيح سنن [illegible] » (١٢٩٧).

فأي فرق بين ما يفعله المتحايل على الربا وغيره، وبين ما فعلته اليهود من استحلال الشحوم، لما غيّر اسمها وصورتها..

إنَّ الذي يتحايل على ما حرمه الله ﷻ أعظم إثمًا، ومفسدة، فزيادة على أنه عاص لله في أمره ونهيه، فهو أيضًا مخادع لله ورسوله.. غاش لدينه وشرعه شأنه شأن المنافق، يخادعون الله وهو خادعهم.. ولو أنه أتى الأمر على وجهه لكان أهون..

أحبتي في الله..

اتقوا الله ﷻ، واحذروا من التحايل على شرع الله ﷻ، وتعاملوا بالمعاملات الحلال، وابتعدوا عن المعاملات المحرمة، واسألوا أهل العلم إن خفي عليكم من هذه المعاملات، حتى لا تقعوا في شيء مما حرم الله فيها من الحيل المحرمة..

اللهمَّ ارزقنا رزقًا حلالاً واسعًا، معينًا لنا على رضاك وطاعتك وفقنا لأداء الحقوق الواجبة علينا..

اللهمَّ لا تجعل عيشنا كدرا، ولا ترد دعائنا ردًا، فإننا لم نجعل لك ضدًّا ولم ندع معك ندًّا.

اللهمَّ أنطقنا بالهدى، وألهمنا التقوى، ووفقنا للتي هي أزكى..

اللهمَّ اسلك بنا الطريقة المثلى، واجعلنا على ملة خليلك نموت ونحيا..

اللهمَّ أنت عدتنا إن حزنا، وأنت ملجؤنا إن حرمنا، وبك استغاثتنا إن كربنا..

اللهمَّ اغفر زلاتنا، وآمن روعاتنا، واشرح صدورنا، ووفقنا لما يرضيك عنا.. يا رب العالمين..

الوصية رقم (٢٧)

إن الله حرم لحم الخنزير وثمنه

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « إنَّ الله حرم الخمر وثمنها، وحرم الميتة وثمنها، وحرم الخنزير وثمنه »[1].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

هذا القبس النبوي الشريف يحمل إلينا تحريم ثلاثة أشياء: يحرم الخمر وثمنها، والميتة وثمنها، والخنزير وثمنه.. وكلها أخبث المحرمات التي حرمها الله ﷻ في كتابه الكريم..

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وقال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [المائدة: ٣].

وقال: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ... ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وأما الخمر فيقول الله ﷻ في تحريمها: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠].

وقد وردت أحاديث متعددة عن تحريمها.. قال ﷺ: « الخمر أم الخبائث، فمن شربها، لم تقبل صلاته أربعين يومًا »[2].

وقال: « اجتنبوا الخمر، فإنها مفتاح كل شر »[3].

---

(١) صحيح: صححه الألباني في « صحيح سنن أبي داود » (٣٤٨٥)، و« صحيح الترغيب » (٢٣٥٨).

(٢) حسن: رواه الطبراني في « الأوسط »، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٣٣٤٤).

(٣) صحيح: رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، ورواه ابن ماجة (٣٣٧١).

لقد حرم شربها ولو على سبيل الدواء، فعن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام**»[1]، وقال: «**لا تداووا بالمحرم**».

وحكمة الله ﷻ في تحريمه للخمر واضحة جلية، فهي خبيثة في ذاتها، كما يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «مضرة للبدن، وللعقل جدًا، وضررها بالرأس شديد، لأنها تسرع في الارتفاع إليه، وترفع معها الأخلاط الرديئة، الموجودة في البدن، لذلك فهي ضارة بالذهن جدًا، ومتلفة للأعصاب».

ويقرر العلم الحديث، أن مخ الإنسان يتكون من مراكز مختلفة، وأعلى المراكز في مخ الإنسان، هي التي تختص بالإرادة، وضبط النفس، والسلوك الاجتماعي.. ثم تأتي أسفل منها مراكز العقل والتفكير، ثم مراكز الحكم على الأشياء، ثم مراكز الذاكرة، ثم المراكز المسيطرة على العواطف والأحاسيس..

ولأن مفعول الخمر يسري في المخ من أعلى إلى أسفل، فإنها تؤثر على الوظائف الأرقى في المخ ثم الأقل، لذا فإننا نجد أن أول شيء يتأثر في الإنسان بشرب الخمر، ولو بكمية قليلة منها، هو الإرادة وضبط النفس، والسلوك الاجتماعي، فإذا زادت الكمية، تأثرت قدرته على التركيز الذهني، وهكذا..

وقد جاء في تقرير المجلس الوطني لمكافحة الخمور في بريطانيا، أن شرب الخمر لمدة طويلة يؤدي إلى تحلل الشخصية، ويسبب ضعف الإرادة، وشرود الذهن..

وأن مدمن الخمر، لا يمكن الثقة بأقواله، أو بوعوده، حتى في صحوته، كما أنه لا يمكن الاعتماد عليه في المسائل القيادية، أو ضبط المسائل المالية..

ويصاحب مدمن الخمر نقص شديد في الفيتامينات في الجسم خصوصًا فيتامين (أ)، وفيتامين (ب) بأنواعه المختلفة، وفيتامين (جـ) وهذا يؤدي إلى ظهور أمراض خطيرة مثل «البلازما» ومرض «البري بري» الذي قد يسبب تورمًا وهبوطًا في القلب، ومرض الإسقربوط أيضًا الذي يتسبب في جفاف الجلد والعشى الليلي والتهاب الفم واللسان، والتهاب قرنية العين.

(١) رواه أبو داود، وضعفه الألباني وقال: شطره الأول صحيح.

آثار خطيرة أخرى للخمر: ينتج عن تعاطي الخمور نقص كبير في الزنك في جسم الإنسان، مما يسبب كثيرًا من الأمراض الجلدية. يؤدي تعاطي الخمور إلى تفاقم المرض الجلدي المعروف باسم «البورفيريا» الذي يجعل الجلد شديد الحساسية لأشعة الشمس.

هناك علاقة وطيدة بين الخمر والطفح الجلدي الناتج عن احتكاك الجلد والضغط عليه بالملابس، حيث جرت الأبحاث وتأكد للخبراء أن هذه الحالات تتحسن كثيرًا بامتناع أصحابها عن شرب الخمور.

وللخمر تأثير خطير على الكليتين، فهو يصيبهما بتحول دهني، كما أنه يؤدي إلى إصابتهما بمرض «الدوزيما» الذي يؤدي إلى التسمم البولي ومن ثم إلى الوفاة.. وتؤدي الخمر إلى هبوط القدرة الجنسية لشاربها إلى مستوى متدن حتى ينتهي أمره عادة بالاسترخاء التام، وذلك نتيجة رد فعل شديد في أعصاب المراكز العليا والسفلى في الجسم، كما أثبتت الأبحاث أن الخمر تحدث ضمورًا شديدًا في الخصية، وأن إدمانها يجعل الحيوانات المنوية نادرة الإفراز.

الخمر يحدث التهابات كثيرة بمنطقة الحلق والحنجرة إما حادة أو مزمنة، فضلاً عما تحدثه من الالتهابات التي تسبب ضيقًا في البلعوم، فيعاني متعاطيها من حالات الاختناق المتكررة..

الخمر والأثر الاجتماعي:

للخمر دور هدام خطير في المجتمع، فمتعاطي الخمر الذي يظن أنه بتعاطيها سيصبح اجتماعيًا مرحًا ودودًا، سرعان ما يكتشف أن هذا كان في البداية فقط، نتيجة تخدير العقل الواعي الذي تحدثه الخمر، ثم لا يلبث أن يتحول الإنسان إلى الانعزال والانطواء مع تلاشي هذا الوهم، وكثيرًا ما يتحول مدمن الخمر إلى شخص عدواني ناقم على المجتمع شديد الحقد، كما أن قدرته على العمل والإنتاج تتضاءل جدًّا حتى يصبح عالة حقيقية على مجتمعه.

هناك مشكلة اجتماعية أخرى تسببها الخمور، فأولاد المدمنين يكونون عادة معتلي الجسم، ناقصي العقل، ذوي ميل فطري إلى الإجرام ودوافع معقدة لارتكاب الخطيئة.

وهكذا نرى أن الأجيال التي تنشأ في جو عام يبيح شرب الخمر تكون أجيالاً فاسدة لا يمكن أن يعهد إليها ببناء مجتمع قوي ولا حتي بيت سليم..

أيضًا هناك أثر خطير لشرب الخمر على قيادة السيارات والمركبات، فقد أثبتت مجموعة من العلماء البريطانيين أن حوادث المرور سببها الرئيسي شرب الخمر، وأنه من الممكن تجنب وقوع الكثير فيها لو تم التشديد على منع مدمني الخمور من قيادة السيارات..

يحكي (س.أ) من إحدى البلدان العربية: «كنت أشعر دائمًا بفتور تام في علاقاتي مع كل من حولي حتى والدي، وكان يلفني شعور دفين بالإحباط وعدم الفهم، كانت قدرتي على التركيز تكاد تكون منعدمة، فإذا أردت قراءة مقالة كان علي أن أعيد قراءة السطر مرات ومرات، وعندما أتحدث مع الناس كنت لا أتذكر ما كنت قد قلته قبل قليل، كما كنت أحس بضعف شديد في عضلات جسمي مع بذل أي مجهود..

ذهبت إلى الطبيب النفسي دون علم والديّ، واحتار في أمري فهو صديق أبي، وتعجب كيف لم يلحظ والديّ كل هذه التغيرات التي حدثت لي في الشهور الأخيرة، حاصرني بأسئلته ولم يكن هناك بد من الاعتراف له بأني أدمنت الخمر، فوجئت به يقول أنه توقع ذلك ولكنه أرادني أن أعترف لنبدأ طريق العلاج..

أول نصيحة نصحني بها الطبيب الذي وعدني أن يبقى الأمر سرًّا أن أقنع صاحبي الذي علمني شرب الخمر أن يأتي هو الآخر للعلاج مجانًا، فهمت أنه يخشى أن يعيدني صاحبي إلى الخمر بعد أن أهجرها، سخرت في نفسي من تصوره أني سأقلع عن الخمر، إنها الشيء الوحيد، الذي أرى أن له معنى، ودورًا جميلاً في حياتي..

جاء صديقي وأخذ الطبيب في إقناعه بترك الخمر وعلاج آثارها في جسده، وادعى صديقي موافقته، وما إن خرجنا من عند الطبيب حتى رحنا نضحك في هستيريا شديدة من هذا الطبيب الساذج، كيف يطلب منا هذا؟ كيف يجرؤ أن يتخيل أننا نستطيع أن نحيا بدونها؟ وانطلقنا سويًا في سيارتي الجديدة إلى الفندق الذي يعتلي أحد الجبال في مدينتنا والذي تعودنا الشرب فيه، وعند عودتنا قرب الفجر كانت ضحكاتنا تشق الظلام بدويها الرنان، وتذكرت فجأة تحذيرات الطبيب لنا وكلماته المؤلمة عن

الخمر، ومر شريط الذكريات في عقلي المنهك سريعًا، رأيتني وأنا أمد يدي إلى نقود والديَّ دون علمهما، وأنا أسرق شيئًا من مصوغات أمي، وهي تضرب الخادمة الصغيرة بقسوة حتى تخبرها عن مكان المسروقات، لم أشعر إلا بالسيارة تنحرف أثناء دوراني في أحد المنحنيات الحادة ناحية الهاوية، والحمد لله لم تكن السرعة كبيرة فقفزت منها وكذلك فعل صاحبي من قبلي. وقد أكد لي صديقي ونحن نلقي نظرة أخيرة من أعلى على سيارتي المشتعلة أنه صاح بي أن انتبه ولكني لم أسمعه تمامًا..

وفي إحدى مصحات علاج مدمني الخمور أرقد الآن، أقسمت لوالدي أني لن أقربها ثانية، وذلك بعد أن علما بحكايتي مع الخمر كاملة، وأنا على يقين بإذن الله من أني سأفي بقسمي، فإن رؤية الموت والخوف من لقاء الله يفعلان في النفس ما لا تفعله الكلمات والنصائح، وهناك سبب آخر يجعلني أكره الخمر طول عمري، فقد مات صديقي زياد في نفس اللحظة التي كنا ننظر فيها إلى سيارتي المحترقة، وقال الأطباء إنه أصيب بهبوط مفاجئ في القلب نتيجة انفعال شديد، أما أنا فأقول لا ليس الخوف أو الانفعال هو سبب موت زياد، وإنما هي إرادة الله لأظل طول عمري أشعر بأني السبب في موته».

أحبتي الكرام..

وأما الميتة، فهي مفارقة الروح للجسد بغير ذكاة شرعية، كأن يموت حتف أنفه من غير سبب، أو لسبب فعل الآدمي..

وقد أجمع العلماء على تحريم الميتة في حال الاختيار، سوى ميتة السمك والجراد.. قال ﷺ: «**أحلت لنا ميتتان ودمان: أما الميتتان فهما السمك والجراد، وأما الدمان فهما: الكبد والطحال**»[1].

والميتة يعافها الطبع السليم ويستقذرها، والعقلاء يعدون أكلها مهانة تنافي كرامة الإنسان..

---

(١) صحيح: رواه أحمد وابن ماجة والدارقطني، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١١١٨)، و«صحيح الجامع» (٢١٠).

والحكمة من تحريم الميتة - والله أعلم - أنها تكون في الغالب ضارة، لأنها لابد وأن تكون ماتت بمرض، أو نسمة خفية - وهو ما يسمى الآن بالميكروب .. وهو يولد فيها سمومًا.. وكذلك ما فيها من احتباس الدم والرطوبة التي لا تزول منها إلا بالذكاة الشرعية.. فالدم إذا احتبس في الجسد بكل رواسبه وسمومه، وقد يتخلل جميع الأنسجة اللحمية، وتبدأ السموم عملها في كل خلايا الجسم، فتكسب الميتة اللون الداكن، وتمتلئ الأوردة السطحية بالدماء، وتتوقف الدورة الدموية دون أن يتسرب إلى خارج الجسم شيء ولو قليل من هذه الدماء، فتصبح الميتة كلها بؤرة فاسدة للأمراض، ومجمعًا خبيثًا للميكروبات.. وقد وضحت آية سورة المائدة (رقم ٣) أنواعًا من الميتة وهي:

(١) المنخنقة:

وهي التي تموت بالخنق، إما قصدًا، وإما عرضًا، كأن تتعثر مثلاً في وثاقها، فتموت، وقد ثبت علميًا أنَّ الحيوان إذا مات مختنقًا أي بمنع الأكسجين عن الدخول إلى الرئتين، فإنه يتراكم إلى جسده غاز ثاني أكسيد الكربون السام، كما تتراكم جميع الإفرازات السامة التي تخرج عادة مع التنفس في عملية الزفير، وهذه المواد إذا احتبست ولم تخرج عادت لتمتص في الجسم ويحدث التسمم في كل الأنسجة، فتؤدي إلى الوفاة. وبالتالي فإن أكل لحوم هذه الحيوانات معناه انتقال هذه المواد السامة إلى جسم آكلها فتسبب أمراضًا خطيرة، أيسر كثيرًا من علاجها أن نتجنب أكل هذه اللحوم كما أمرنا العليم الحكيم.

(٢) الموقـوذة:

الموقوذة هي التي تضرب بعصا أو خشبة أو حجر حتى الموت، وهذه الحيوانات تفسد لحومها لتلف الأنسجة، واحتوائها على الكثير من الميكروبات نتيجة احتقان الدم فيها وعدم ذبحها بالطريقة التي أمر بها الله جل وعلا.

(٣) المترديـة:

المتردية هي التي تموت من السقوط من مكان عال أو تسقط في بئر أو من جراء حادث كصدمة سيارة، وهذه الحيوانات تفسد لحومها وتتلف ولا تكون صالحة لغذاء البشر؛ لما تحتويه من جراثيم وميكروبات تسبب أمراضًا شتى.

(٤) النطيحة:

النطيحة هي التي تموت بسبب نطح حيوان آخر لها، وقد قال ابن عباس: « النطيحة هي ما نطحت فماتت فما أدركته يتحرك بذنبه أو بعينه فاذبح وكل » ولحومها تحتوي على ميكروبات مختلفة نتيجة موتها بهذه الطريقة وعدم تخلصها من الدماء الفاسدة.

(٤) ما أكل السبع:

وقد حرمت لحوم ما أكل السبع لحكمة إلهية عظيمة، اكتشف الطب الحديث جانبًا منها، حيث ثبت أن الجراثيم والميكروبات التي تكون في أظافر السبع حين تنهش فريستها تنتقل إليها وتسبب أمراضًا لمن يأكل لحومها بعد ذلك، كما أن السبع أو الحيوانات البرية بشكل عام قد تكون مصابة بمرض تظهر آثاره في فمه ولعابه، وينتقل بدوره إلى جسم الفريسة، فتتسبب في أضرار بالغة لآكل لحومها.

أحبتي الكرام..

وأما عن لحم الخنزير، فقد قال الإمام الفخر الرازي - رحمه الله -: **أجمعت الأمة الإسلامية على أن الخنزير بجميع أجزائه محرم، وإنما ذكر الله تعالى اللحم، لأن معظم الانتفاع يتعلق به**[(١)].

ويؤكد الإمام أبو الفرج الجوزي - رحمه الله - هذا المعنى، فيقول: **فأما لحم الخنزير، فالمراد جملته، وإنما خص اللحم، لأنه معظم المقصود**[(٢)].

وقد ورد في صحيح مسلم عن بريدة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **« من لعب النردشير، فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه »**[(٣)].

قال ابن كثير - رحمه الله -: **فإن كان هذا التنفير لمجرد اللمس، فكيف التهديد والوعيد، لمن أكله، وتغذى به، وفيه دلالة على شمول التحريم لجميع أجزائه من لحم**

---

(١) « مفاتيح الغيب » (٣/ ٣٣) للفخر الرازي.

(٢) « زاد المسير » (١/ ١٦٢) لابن الجوزي.

(٣) رواه مسلم.

وشحم وغيره.. ويذكر ابن كثير أن الخنزير يشمل المستأنس منه، والوحشي (البري)[١]..

وقال ابن حزم - رحمه الله -: أجمعت أقوال العلماء على حرمته، فلا يحل أكل شيء منه، سواء في ذلك لحمه، أو شحمه أو عصبه، أو غضروفه، أو حشوته، أو مخه، أو أطرافه، أو غير ذلك منه[٢].

وحكمه في الإسلام القتل والإتلاف، وعندما ينزل سيدنا عيسى ﷺ آخر الزمان، ويحكم بشريعة الإسلام، يقتل الخنزير، ويضع الجزية، كما قال ﷺ: « **والذي نفسي بيده، ليوشكن ابن مريم أن ينزل فيكم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ...** »[٣].

قال ابن حجر: « **ويقتل الخنزير** »: أي يأمر بإعدامه، مبالغة في تحريم أكله، وفيه توبيخ للنصارى الذين يدعون أنهم على طريقة عيسى ﷺ، ثم يستحلون أكل الخنزير، ويبالغون في محبته..

ويقول في موضع آخر: ويستفاد منه: تحريم اقتناء الخنزير، وتحريم أكله، أنه نجس..

أحبتي الكرام..

إنَّ العالم اليوم يكاد في هذه الآونة يجتمع على مصيبة واحدة.. ضجت منها شعوب العالم الغربي وغيره، ومشكلة من أعظم المشاكل.. لأنها احتلت وغزت الشعوب.. إنه مرض [أنفلونزا الخنازير]..

لقد أتت هذه المصيبة لبلاد الغرب من حيث لا يحتسبون.. لقد أصبحت حكومات العالم الآن تعلن حالات الطوارئ، وقد رصدوا الملايين بل المليارات من المبالغ لصدّ هذا الوباء الخطير، والوقاية منه، ولخطورة الوضع وسرعة تفشي هذا المرض، الذي شارف على التحول إلى وباء عالمي، دقت منظمة الصحة العالمية، ومازالت تدق ناقوس

(١) « تفسير ابن كثير » (٣/ ١٦).

(٢) « المحلى » لابن حزم.

(٣) رواه البخاري وأحمد.

الخطر، وتؤكد أن محاولة احتوائه أصبح غير ممكن، لتأخر الوقت، ورفعت درجة تأهبها إلى الدرجة الخامسة من أصل ست درجات، وتم الإبلاغ عن حدوث عشرات حالات وفاة ومئات من حالات الإصابة.. وإذا كانت الأنفلونزا العادية تودي بحياة ما بين (٢٥٠) ألفًا إلى (٥٠٠) ألف شخص سنويًا، فكيف يكون الحال مع فيروس تنفسي لدى الخنازير، يمكن أن ينتشر بسرعة فائقة، قد يودي بحياة الملايين..

وليس هذا بغريب، فمنذ (٤٢) سنة انتشر هذا الفيرس في بلاد الصين فقتل مليون شخص في مختلف أنحاء العالم..

وهذا الفيروس الذي أصاب أكبر دول العالم قوة، وأعلاها تقدمًا، ذعرًا وهلعًا وخوفًا.. لم تستطع مواجهته بسهولة، رغم ما أوتيته من وسائل الهجوم والدفاع.. ورغم إنتاجها لأخطر وأدق وأكبر أنواع الأسلحة الفتاكة المختلفة.. رغم هذا لم تستطع صد هذا الفيروس الخطير، وبقيت أمامه عاجزة حائرة..

إنها فيروسات دقيقة.. وكائنات عجيبة.. وحالات تحول وبائي في هذه الفيروسات التي حيرت البشرية، ورغمت أنوف قوم تباهوا فخرًا وخيلاءً بما عندهم من علم، ولا يزال الله يحدث لهم من خلقه، ما يقال لهم إزاءه: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١].

قال ابن القيم - رحمه الله -: وأكثر هذه الأمراض والآفات العامة بقية عذاب، عذبت به الأمم السالفة، ثم بقيت منها بقية مرصدة، لمن بقيت عليه بقية من أعمالهم، حكمًا قسطًا، وقضاءً عدلاً، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا بقوله في الطاعون: «إنه بقية رجز أو عذاب أرسل على بني إسرائيل»[1].

فسبحان الله مرض واحد، لو شاء الله ﷻ أن يقضي به عليهم لفعل، ولا تستطيع قوة أن ترده.. لا أسلحة، ولا دبابات.. ولا طائرات ولا صواريخ.. ولا ما شابه ذلك.. ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢] لو شاء ربنا ﷻ أن يبيدهم في لحظة واحدة لأبادهم..

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني برقم (١٠٦٥)، و«صحيح الجامع» (٣٩٤٥).

أيها المسلمون..

كونوا أقوياء بدينكم.. كونوا أقوياء بعقيدتكم.. كونوا أقوياء بربكم.. لقد بعث إليهم فيرس أنفلونزا الخنازير.. وسبقه جنون البقر، ثم تبعه أنفلونزا الطيور.. ثم أنفلونزا الخنازير.. ألم يحرم الله ﷻ الخنازير؟ ولذا نجد أن المسلمين بحمد الله ﷻ قد أغناهم الله هذا الهم والمرض، وكفاهم بما شرع لهم من تحريم الخنزير أصلاً وابتداءً.. لكن قد يسأل سائل ويقول: ما الحكمة في تحريم الإسلام للخنزير؟

نقول: إنَّ الأصل في المسلم أن يطيع ربه ومولاه فيما أمره، وينتهي عما نهاه عنه، سواء ظهرت حكمة ذلك أم لم تظهر.. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٥١].

والله تعالى أباح لنا الطيبات، ولم يحرم علينا إلا الخبائث، ولحم الخنزير معدود في الإسلام من الخبائث.. لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ ﴾ والرجس يطلق على ما يستقبحه الشرع، وتستقذره الفطرة السليمة..

والحلال بيِّن، والحرام بيِّن، ولم يحلل الله ﷻ شيئًا إلا فيه فائدة للإنسان، ولم يحرم عليه شيء إلا وفيه ضرر عليه.. رحمة بهم، وهو أعلم بما ينفعهم وما يضرهم..

قال أهل العلم عن الخنزير: الخنزير حيوان لاحم عشبي تجتمع فيه الصفات السبعية والبهيمية، فهو وباء يمشي على أربعة أرجل، خبيث قذر، آكل كل شيء، نهمٌ يكنس الحقل والزريبة، فيأكل القمامات والفضلات والنجاسات بشراهة، وهو سيئ الطباع، جلاَّل، يفترس، فيأكل الجرزان والفئران وغيرها، كما يأكل الجيف، حتى جيف أقرانه، وهذا ما تأباه النفوس السوية، وتعافه..

وقالوا: بأن الخنزير مرتع خصب لأكثر من ٤٥٠ مرضًا وبائيًا، ويختص بمفرده بنقل (٢٧) مرضًا وبائيًا إلى الإنسان.. وهذه الأوبئة يمكن أن تنتقل من الخنزير إلى الإنسان بطرق مختلفة: إما عن طريق مخالطته أثناء تربيته أو التعامل معه، وهي لا تقل عن (٣٢) وباء تصيب في الأغلب عمال الزرائب، والمجازر والبيطريون..

وإما عن طريق تلوث الطعام والشراب بفضلاته، وهي لا تقل عن (٢٨) مرضًا منها: الزحار، والإسكاريس، والديدان القنفذية والكبدية، والمفلطحة، وشوكية الرأس، والدودة المسلحة الخنزرية، والمشعرة الحلزونية، وغيرها.

وإما عن طريق تناول لحومه أو أي شيء من محتوياته، وهي أكثر من (١٦) مرضًا منها: داء المبيضات، وداء الحويصلات، والحمى المالطية، والدودة الكبدية، وداء وايل.. وغيرها من الأمراض..

أحبتي الكرام..

وأكل لحم الخنزير، أو أي مشتقاته أو لمسه يصيب الإنسان بأمراض خطيرة جدًّا لا أستطيع حصرها في هذه الصفحات القليلة.. غير أن نقول: إن علماء الغرب مثل البروفيسور (ROFF) روف، من قاموا بتحليل المواد الموجودة في الخنزير، فوجدوا دهونه تحتوي على نسبة عالية من الكولسترول الذي يؤدي إلى ارتفاع الضغط الدموي، وإلى تصلب الشرايين، وهما من عوامل الخطورة التي تمهد لاحتشاء العضلة القلبية..

كما وجدوا بأن لحومه تحتوي على نسب عالية من الكبريت، والتي ترسب وتساعد على تراكم المواد المخاطية في الأوتار والأربطة، والغضاريف، مما يجعلها رخوة مما يؤدي بالإصابة إلى الالتهابات المفصلية، وخاصة المفاصل التي بين الفقرات وإلى تنكس في العظام.. وتساعد على الإصابة بمرض السرطان..

ويؤكد أبحاث د. (هانس هاتيرش) احتواء لحم الخنزير على كمية عالية من الهستامين التي تحدث أمراضًا جلدية مثل: الإكزيما، والتهاب الجلد العصبي والحكة، وغيرها من الأمراض..

أحبتي الكرام..

ولقد أشار الرسول ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان إلى أن الطعام يكون له الأثر على خلق أكيله.

وقال الفخر الرازي - رحمه الله -: قال أهل العلم: الغذاء يصير جزءًا من جوهر المغتذي، فلابد أن يحصل له أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلاً في الغذاء،

والخنزير مطبوع على حرص عظيم، ورغبة شديدة في المشتهيات فحرم أكله، لئلا يتكيف بتلك الكيفية.

ويقول ابن خلدون - رحمه الله -: أكلت الأعراب لحم الإبل، فاكتسبوا الغلظة وأكل الأتراك لحم الفرس، فاكتسبوا الشراسة، وأكل الإفرنج، لحم الخنزير، فاكتسبوا الدياثة.

وقد تبين أن الخنزير هو الحيوان الوحيد، الذي لا يغار على أنثاه، فمن أكله، كان مثله..

وهكذا أحبتي الكرام.. تبين لنا بجلاء ووضوح حرمة الخنزير، والحكمة من وراء ذلك نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلنا ممن يحل حلاله، ويحرم حرامه..

اللهمَّ يا عظيم العفو.. يا واسع المغفرة.. يا قريب الرحمة.. يا ذا الجلال والإكرام هب لنا العافية والسلامة في الدنيا، والعفو والمغفرة في الآخرة..

اللهمَّ ارحم ضعفنا.. وتول أمرنا.. وأحسن خلاصنا.. وبلغنا مما يرضيك آمالنا..

اللهمَّ إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى..

اللهمَّ إنا نعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء، وعضال الداء..

اللهمَّ اشفنا من الأمراض ما ظهر منها وما بطن.. واغفر لنا ذنوبنا يا أرحم الراحمين.

۞۞۞

الوصية رقم (٢٨)

زوروا القبور فإن فيها عبرة

عن أنس بن مالك ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها، فإنه يرق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجرًا** »[١].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي الكرام..

هذه الوصية الكريمة المباركة التي أوصانا بها حبيبنا وأستاذنا محمد ﷺ قد جاءت بروايات متعددة، فعند الطبراني وأحمد من حديث أم سلمة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: « **نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإن لكم فيها عبرة** »[٢]. وعند النسائي وابن ماجة وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ: « **فإنها تذكركم الموت** »[٣]. وعند أحمد والترمذي والنسائي من حديث بريدة: « **تذكركم زيارتها خيرًا** »[٤]. وعند ابن ماجة عن ابن مسعود ﷺ: « **فإنها تزهد في الدنيا، وتذكر الآخرة** »[٥]. وكل ذلك حاصل من زيارة القبور..

وقد كان نهيه ﷺ عن زيارة القبور في أول الإسلام صيانة لجانب التوحيد، وقطعًا للتعلق بالأموات، وسدًا لذريعة الشرك، التي أصلها تعظيم القبور وعبادتها، كما قال ابن عباس، فلما تمكن التوحيد من قلوبهم، واضمحل الشرك، واستقر الدين، أذن في زيارة يحصل بها مزيد الإيمان، وتذكير ما خلق العبد له من دار البقاء، فأذن حينئذ في زيارتها، فكان نهيه عنها للمصلحة، وإذنه فيها للمصلحة.

---

(١) صحيح: رواه الحاكم في « المستدرك » (١٣٤٢)، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٤٥٨٤).

(٢) حسن صحيح: رواه أحمد في مسنده، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٣٥٤٣)، و« صحيح الجامع » (٦٧٨٩).

(٣) صحيح: رواه الحاكم (١٣٣٧)، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٦٧٩٠).

(٤) رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي.

(٥) رواه ابن ماجة (١٥٧١) وفيه ضعف.

وقد كان النبي ﷺ يأتي قبور الشهداء عند رأس الحول، فيقول: السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، وكان أبو بكر وعمر وعثمان ﷺ يفعلون ذلك، وزار النبي ﷺ قبر أمه يوم فتح مكة في ألف مقنع كما ذكره ابن أبي الدنيا.

وكانت فاطمة - رضي الله عنها - تزور قبر حمزة ﷺ كل جمعة، وكان ابن عمر يزور قبر أبيه، فيقف عليه، ويدعو له، وكانت عائشة - رضي الله عنها - تزور قبر أخيها عبد الرحمن، وقبره بمكة، ذكره عبد الرزاق في مصنفه، ونقله عنه ابن بطال في شرح البخاري.

ونعم الدواء لمن قسى قلبه، ولزمه ذنبه، فإن انتفع بالإكثار منها فذاك، وإلا أكثر من مشاهدة المحتضرين..

أحبتي في الله..

هل رأيتم القبور؟ هل رأيتم ظلمتها؟ هل رأيتم وحشتها؟ هل رأيتم شدتها؟ هل رأيتم ضيقها؟ هل رأيتم هوامها وديدانها؟ .

أما رأي كل منكم صاحبه وحبيبه، وذوي رحمه.. لقد نقلوا من القصور إلى القبور.. ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود.. ومن ملاعبة الأهل والولدان إلى مقاساة الهوان والديدان.. ومن التنعم بالطعام والشراب، إلى التمرغ في التراب.. ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة.. ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل.. فأخذهم الموت على غرة، وسكنوا القبور بعد حياة الترف واللذة، وتساووا جميعًا بعد موتهم في تلك الحفرة.. تساووا جميعًا في قبورهم لا يُعرف الغني من الفقير..

أتيت القبور فناديتها … فأين المعظم منها والمحتقر؟!
وأين المذل بسلطانه … وأين القوي إذا ما افتخر؟!
تفانوا جميعًا فما مخبر … وماتوا جميعًا ومات الخبر
فيا سائلي عن أناس مضوا … أما لك فيما مضى معتبر؟
تروح وتغدو بنات الثرى … فتمحو محاسن تلك الصور!

القبور فيها أهوال، نسأل الله العلي العظيم، رب العرش الكريم أن يجعل قبورنا روضة من رياض الجنة، وأن لا يجعلها حفرة من حفر النار..

يقول هانئ مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه: كان عثمان إذا وقف على قبر، بكى حتى تبتل لحيته، فقيل له: تُذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟ فقال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: « **القبر أول منازل الآخرة، فإن ينج منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه، فما بعده أشد منه** » ثم قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما رأيت منظرًا إلا والقبر أفظع منه** »[١].

وفي حديث جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: « **لا تمنوا الموت، فإن هول المطلع شديد** »[٢].

أخي الحبيب..

تجهز إلى الأجداث ويحك والرمس ... جهازًا من التقوى لطول ما حبس

فإنك ما تدري إذا كنت مصبحًا ... بأحسن ما ترجو لعلك لا تمسي

شيع الحسن جنازة، فجلس على شفير القبر، فقال: إنَّ أمرًا هذا آخره، لحقيق أن يزهد في أوله، وإنَّ أمرًا هذا أوله، لحقيق أن يخاف آخره..

ووعظ عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - أصحابه، فكان من كلامه، أنه قال: إذا مررت بهم فنادهم إن كنت مناديًا، وادعهم إن كنت داعيًا، ومر بعسكرهم، وانظر إلى تقارب منازلهم.. سل غنيهم ما بقي من غناه؟ واسألهم عن الألسن التي كانوا يتكلمون بها، وعن الأعين التي كانوا للذات بها ينظرون، واسألهم عن الجلود الرقيقة، والوجوه الحسنة، والأجساد الناعمة، ما صنع بها الديدان تحت الأكفان؟!.. أكلت الألسن، وغيرت الوجوه، ومحيت المحاسن، وكسرت الفقار، وبانت الأعضاء، ومزقت الأشلاء فأين حجابهم وقبابهم؟ وأين خدمهم وعبيدهم؟ وجمعهم وكنوزهم؟ أليسوا في منازل

---

(١) حسن: رواه الترمذي وابن ماجة، وحسنه الألباني في «الترغيب» (٣٥٥٠)، و«صحيح الجامع» (٥٦٢٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد في مسنده (١٤٥٠٠)، وصححه حمزة الزين في تخريج المسند (١١/ ٤٨٤)، وضعفه الألباني في «المشكاة» (١٦١٣).

الخلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ أليسوا في مدلهمة ظلماء؟ قد حيل بينهم وبين العمل، وفارقوا الأحبة والمال والأهل..

فيا ساكن القبر غدًا! ما الذي غرك من الدنيا؟ أين دارك الفيحاء ونهرك المطرد؟ وأين ثمارك اليانعة؟ وأين رقاق ثيابك؟ وأين طيبك وبخورك؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك؟.. ليت شعري بأي خديك بدأ البلى.. يا مجاور الهلكات صرت في محلة الموت.. ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا.. وما يأتيني به من رسالة ربي.. ثم انصرف - رحمه الله - فما عاش بعد ذلك إلا جمعة.

إخوتي..

تفكروا في الذين رحلوا.. أين نزلوا؟ وتذكروا، القوم نوقشوا وسئلوا.. واعلموا أنكم كما تعذلون عذلوا.. ولقد ودوا بعد الفوات لو قبلوا.. ولكن هيهات هيهات وقد قبروا..

عن وهب بن الورد قال: بلغنا أن رجلاً فقيهًا دخل على عمر بن عبد العزيز فقال: سبحان الله! فقال له عمر: وتبينت ذلك فعلاً؟ فقال له: الأمر أعظم من ذلك! فقال له عمر: يا فلان! فكيف لو رأيتني بعد ثلاث، وقد أدخلت قبري.. وقد خرجت الحدقتان، وتقلصت الشفتان عن الأسنان.. وانفتح الفم.. ونتأ البطن فعلا الصدر.. وخرج الصديد من الدبر!!

وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: ويحك يا يزيد! من ذا يصلي عنك بعد الموت؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يترضى عنك بعد الموت؟ ثم يقول: أيها الناس! ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي دهركم ثم بكي رحمه الله.

وقال عبد الحق الأشبيلي: فينبغي لمن دخل المقابر أن يتخيل أنه ميت، وأنه لحق بهم، ودخل معسكرهم، وأنه محتاج إلى ما هم إليه محتاجون، وراغب فيما فيه يرغبون، فليأت ما يجب أن يؤتى إليه، وليتحفهم بما يجب أن يتحف به في حياتكم.. من الموت موعده.. والقبر بيته.. والثرى فراشه.. والدود أنيسه، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر.. كيف يكون حاله؟

وليتفكر في تغير ألوانهم، وتقطع أبدانهم.. ويتفكر في أحوالهم، وكيف صاروا بعد الأنس بهم، والتسلي بحديثهم إلى النفار من رؤيتهم، والوحشة من مشاهدتهم، وليتفكروا في انشقاق الأرض، وبعثرة القبور، وخروج الموتى، وقيامهم مرة واحدة، حفاة عراة، غرلاً مهطعين إلى الداعي، مسرعين إلى المنادي..

يا أيها المتسمن ... قل لي لمن تتسمن؟
سمنت نفسك للبلى ... وبطنت يا مستبطن
وأسأت كل إساءة ... وظننت أنك تحسن
ما لي رأيتك تطمئن ... إلى الحياة وتركن؟
يا ساكن الحجرات ما ... لك غير قبرك مسكن
اليوم أنت مكاثر ... ومفاخر تتزين
وغدًا تصير إلى القبور ... محنط ومكفن
أحدث لربك توبة ... فسبيلها لك ممكن
واصرف هواك لخوفه ... مما تسر وتعلن
فكأن شخصك لم يكن ... في الناس ساعة تدفن
وكأن أهلك قد بكوا ... عليك ورننوا
فإذا مضت لك جمعة ... كأنهم لم يحزنوا
والناس في غفلاتهم ... ورحى المنية تطحن

أحبتي الكرام..

القبر.. لا يملك العبارات المنمقة المصفوفة، ولكن منظره أعمق من كل عبارات الواعظ..

القبر.. لا تتحرك يديه، ولا يتلفت بوجهه ميمنة وميسرة؛ ليجذب جمهور المستمعين والمشاهدين بخطبته؛ لأن الجاذبية تركزت فيه تجذب القلوب قبل الأجساد..

القبر.. ما هو إلا تلك الحفرة التي سينام فيها الإنسان، عندما تتوقف الآلة التي كان يعمل من خلالها بعد أن ينتهي من أداء الاختبار الذي كان قد كلف بأدائه..

القبر.. الذي تظهر فيه النتائج الأولية للاختبار بعد أن يستقر بهذه الحفرة..

يقول الرافعي: «فتحنا القبر وأنزلنا الميت العزيز الذي شفي من مرض الحياة، ووقفت هناك بل وقف التراب المتكلم ينقل عن التراب الصامت، ويعرف منه أن العمر على ما يمتد محدود بلحظة، وأن القوة على ما تبلغ محدودة بخمود، وأن الغايات على ما تتسع محدودة بانقطاع، وحتى القارات جميعها محدودة بقبر».

فما ذلك الواعظ الصامت إلا تلك الحفرة التي تُسَمَّى القبر..

هو كما يناديه الرافعي أيضًا فيقول: احضر بقلبك ذكر من كان مترددًا في أغراضه كيف تهدمت رجلاه في قبره..

يقول الرافعي: كل من يهرب من شيء يتركه وراءه إلا القبر فما يهرب منه أحد إلا وجده أمامه، هو أبدًا ينتظر غير متململ، وأنت أبدًا متقدم إليه غير متراجع..

أخي في الله..

تأمل: صاحبك في القبر..

- كان يتلذذ بالنظر إلى ما حوله، فإذا به في قبره وقد سالت عيناه..
- كيف كان يصول ببلاغة نطقه، وقد أكل الدود لسانه..
- كيف كان يضحك لمواتاة دهره، قد أبلى التراب أسنانه..

تأمل وتذكر..

بل وتحقق وتأكد أن سيكون حالك كحاله، ومآلك كمآله، وعند هذا التذكر والاعتبار تزول عنك جميع الأغيار الدنيوية، وتقبل على الأعمال الأخروية، فتزهد في دنياك، وتقبل على طاعة مولاك، يلين قلبك، وتخشع جوارحك، فزيارة ذلك الواعظ من أكبر أسباب تقوية القلب، وإزالة تلك الغشاوة..

فأنت عندما تذهب إلى المسجد يوم الجمعة تستمع إلى واعظ واحد، فالمصلون كثيرون والواعظ واحد، ولكن الصورة تنقلب في المقبرة حيث تتحول كل القبور إلى وعاظ، وأنت تستمع إليهم في آن واحد، فالمستمعون قليل والوعاظ أكثر..

وهذه حالة فريدة لا تكون في أمور الدنيا إلا في ذلك المكان، فالقبر ما يفتأ صامتًا لا يتكلم، ولكن صوته في أعماق الناس أعلى من صوت ذلك الواعظ الجهوري الصوت في المسجد..

إخوتاه..

تعالوا بنا لنزور ذلك الواعظ الصامت، نقف عنده مليًّا لنتدبر حديثه الدائم، عسانا نعتبر.. تعالوا نتدبر حالنا في أول ليلة في القبر..

ليلتان لابد أن يجعلهما كل مسلم في عقله، وفي قلبه: ليلة وهو في بيته مع أبنائه.. مع زوجته.. مع أصحابه وأصدقائه.. منعمًا سعيدًا، في عيش رغيد.. في صحة وعافية.. يسامر أطفاله ويسامرونه..

والليلة التي تليها ليلة أن يأتيه الموت، فيوضع في القبر.. يوضع الإنسان وحيدًا فريدًا.. لا زوج.. لا أطفال.. لا أنيس ولا جليس..

أول ليلة في القبر، بكى منها العلماء، وشكا منها الحكماء، ورثا إليها الشعراء مات الحسن بن الحسن من أولاد سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ كان عنده زوجة وأطفال، وكان في الشباب.. وجاء الموت.. مات فجأة، فنقلوه إلى القبر.. فوجدت عليه امرأته، وحزنت عليه حزنًا لا يعلمه إلا الله.. فماذا فعلت؟ لقد أخذت أطفالها، وضربت خيمة حول القبر - وهذا ليس من عمل الإسلام، ولولا أن مؤرخو الإسلام ذكروه ما ذكرته.

ضربت خيمة حول القبر، وأقسمت بالله لتبكين هي وأطفالها على زوجها سنة كاملة.. هلع عظيم، وحزن بائس.. وبقيت تبكي، فلما تمت لها العام، أخذت أطناب الخيمة وحملتها، وأخذت أطفالها في الليل، فسمعت هاتفًا يقول لصاحبه في الليل: هل وجدوا ما فقدوا؟ هل وجدوا ما فقدوا؟ فرد عليه هاتف آخر قائلاً: لا.. بل يئسوا فانقلبوا.. ما كلمهم من القبر.. ما خرج عليهم ولا في ليلة واحدة.. ما قبَّل أطفاله.. ما رأى فتاته.. ما رأى زوجته..

أتى أبو العتاهية يقول لسلطان من السلاطين، غرته قصوره، وما تذكر أول ليلة ينزل فيها القبر..

عش ما بدا لك سالمًا في ظل شاهقة القصور
يجري عليك بما أردت مع الغدو مع البكور
فإذا النفوس تغرغرت بزفير حشرجة الصدور

فبكى السلطان حتى أغمي عليه..

وكان الربيع بن خثيم يتجهز لتلك الليلة، فماذا كان يفعل؟ لقد حفر في بيته حفرة، فكان إذا وجد في قلبه قسوة، دخل فيها، فكان يمثل نفسه أنه قد مات وندم، وسأل الرجعة فيقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ ...﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] ثم يجيب نفسه، فيقول: قد رجعت يا ربيع. فيُرى فيه أيامًا - أي الاجتهاد في العبادة والوجل والخشية لله ﷻ.

فماذا أعددنا لهذا المكان الموحش؟ ماذا أعددنا للقبر، الذي قال عنه الحبيب المصطفى ﷺ: «**القبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار**»[1].

والقبر روضة من الجنان أو حفرة من حفر النيران
إن يك خيرًا فالذي من بعده أفضل عند ربنا الرحمن
وإن يك شرًّا فما بعده أشدُ ويل لعبد عصى الرحمن

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الميت يصير إلى القبر، فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا مشعوف** - أي غير خائف ولا مذعور - **ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: كنت في الإسلام، فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله، فصدقناه، فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول: لا ينبغي لأحد أن يرى الله، فيفرج له فرجة قبل النار** - أي ناحيتها - **فينظر إليها، يحطم بعضها بعضًا، فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله، ثم يفرج له قبل الجنة، فينظر إلى زهرتها، وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك، ويقال له: على اليقين كنت وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله..**

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٠) وقال: حديث غريب وضعفه الألباني.

ويجلس الرجل السوء في قبره فزعًا مشعوفًا، فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري، فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلته، فيفرج له قبل الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: انظر إلى ما صرف الله عنك ثم يفرج له فرجة قبل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضًا، فيقال له: هذا مقعدك على الشك كنت وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله»[1].

والله لــو عــاش الفتــى في دهــره	**ألفًــا مــن الأعــوام مالــك أمــره**
متــنعمًا فــيها بكــل لذيــذة	**مــتلذذًا فــيها بــسكنى قــصره**
لا يعــتريه الهــم طــول حــياته	**كــلا ولا تــرد الهمــوم بــبابه**
مــا كــان ذلــك كلــه في أن يفــي	**فــيها بــأول لــيلة في قــبره**

يا إخوتاه..

ألا تبكون من الموت وسكرته؟!

ألا تبكون من القبر وضمته؟!

ألا تبكون خوفًا من العطش يوم الحسرة والندامة؟!

خطب عليٌّ بن أبي طالب ﷺ فقال: يا عباد الله، إنَّ من ورائكم طالبًا حثيثًا وهو القبر، ألا وإنَّ القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران، ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات، فيقول: أنا بيت الظلمة.. أنا بيت الوحشة.. أنا بيت الدود.. ألا وإن وراء ذلك اليوم يومًا أشد من ذلك اليوم، يومًا يشيب فيه الصغير، ويسكر فيه الكبير.. ﴿ **وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ** ﴾ [الحج: ٢].

وروى أسيد بن عبد الرحمن أنه قال: بلغني أنَّ المؤمن، إذا مات فحمل، قال: أسرعوا بي، فإذا وضع في لحده، كلمته الأرض، فقالت: كنت أحبك وأنت على ظهري، فأنت الآن أحب إليَّ في بطني، وإذا مات الكافر، فحمل قال: ارجعوا بي، فإذا وضع في لحده، كلمته الأرض، فقالت: كنت أبغضك، وأنت على ظهري، فأنت الآن أبغض إليّ في بطني..

---

(١) صحيح: صححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجة» (٤٢٦٨)، و«المشكاة» (١٣٩).

ويقال: إنَّ الأرض تنادي كل يوم فتقول:

يا ابن آدم، تمشي على ظهري ومصيرك في بطني!

يا ابن آدم، تأكل الألوان على ظهري، وتأكلك الديدان في بطني!

يا ابن آدم، تضحك على ظهري، فسوف تبكي في بطني!

يا ابن آدم، تفرح على ظهري، فسوف تحزن في بطني!

يا ابن آدم، تذنب على ظهري، فسوف تعذب في بطني!

وعن عبيد بن عمير قال: ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التي يدفن فيها: أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد، فإن كنت في حياتك لله مطيعًا، كنت اليوم عليك رحمة.. وإن كنت لربك في حياتك عاصيًا، فأنا عليك نقمة، أنا البيت الذي من دخله مطيعًا، خرج منه مسرورًا، ومن دخله عاصيًا، خرج مثبورًا..

وعن محمد بن صبيح، قال: بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره، فعُذِّب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى: أيها المتخلف في الدنيا بعد إخوانه، أما كان لك فينا معتبر؟ أما كان لك في تقدمنا إياك فكرة؟ أما رأيت انقطاع أعمالنا هنا وأنت في المهلة؟ فهلا استدركت ما فات؟! وتناديه بقاع الأرض: أيها المغتر بظهر الأرض، هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن الأرض، ممن غرته الدنيا قبلك، ثم سبق به أجله إلى القبور..

يا من بدنياه اشتغل ... وغره طول الأمل

الموت يأتي بغتة ... والقبر صندوق العمل

إخواني..

كم من ظالم تعدى وجار، فما راعى الأهل ولا الجار، بينما هو عقد الإصرار حل به الموت، فحل من حلته الأزرار ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

ما صحبه سوى الكفن، إلى بيت البلى والعفن، ولو رأيته وقد حل به المحن، وشين ذلك الوجه الحسن، فلا تسأل كيف صار.. ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

أين عيشته الصافية؟ أين لذته الخالية، كم تسفى على قبره سافية، ذهبت العين وأخفيت الآثار.. ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٢].

تقطعت به جميع الأسباب، وهجره القرناء والأتراب، وصار فرشه الجندل والتراب، وربما فتح له في اللحد باب إلى النار.. ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٢].

اللهمَّ إنا نسألك فرجًا عاجلاً للمسلمين مما هم فيه..

اللهمَّ اكشف كروبنا.. ونفس همومنا.. واقض حاجتنا..

اللهمَّ هبنا عطاءك.. ولا تكشف عنا غطاءك.. ورضنا بقضائك..

اللهمَّ اغفر لجميع موتى المسلمين..

اللهمَّ اجعل قبورهم من الجنة رياضًا..

اللهمَّ إنهم عبيدك بنو عبيدك.. بنو إمائك.. احتاجوا لرحمتك، وأنت غني عن عذابهم..

اللهمَّ زد في حسناتهم، وتجاوز عن سيئاتهم، فأنت أرحم بهم من أمهاتهم.. لا إله غيرك.. ولا معبود سواك.. لك الحمد حتى ترضى.. ولك الحمد إذا رضيت.. ولك الحمد بعد الرضا..

وصلِّ اللهمَّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..



الوصية رقم (٢٩)

تفكروا في خلق الله وآلائه

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **تفكروا في خلق الله عز وجل ولا تفكروا في الله** »[١].

وفي رواية عن ابن عمر: « **تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله** »[٢].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

هذه الوصية القليلة الكلمات عددًا، لكنها والله كثيرة المعاني، وقد ورد في سبب هذه الوصية أن الرسول الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ معلم البشرية وهاديها وناصحها، خرج في يوم من الأيام على أصحابه الكرام، فقال لهم: « **ما لكم لا تتكلمون؟** »، فقالوا: نتفكر في الله، فقال لهم: « **تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله** ».

قال المناوي في « فيض القدير »[٣]:

« **تفكروا في خلق الله** » أي في مخلوقاته التي يعرف العباد وأصلها جملة لا تفصيلاً، كالسموات بكواكبها، وحركتها، ودورانها في طلوعها وغروبها، والأرض بما فيها من جبالها ومعادنها، وأنهارها وبحارها، وحيوانها ونباتها، وما بينهما، وهو الجو بغيومه، وأمطاره ورعده وبرقه وصواعقه، وما أشبه ذلك، فلا تتحرك ذرة منه إلا ولله ﷻ نوع من الحكمة فيه، شاهدة له بالوحدانية، دال على عظمته وكبريائه.

وفي كـل شيء لـه آيـة   تـدل عـلى أنـه الـواحد

---

(١) حسن: رواه ابن حبان، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٢٩٧٦).

(٢) حسن: رواه الطبراني في « الأوسط »، وأبو الشيخ وغيرهما، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٩٧٥)، و« الصحيحة » (١٧٨٨).

(٣) « فيض القدير » (٣/ ٣٤٥).

ألا ترى إلى نصب السماء ذات الطرائق؟ ورفعه الفلك فوق رءوس الخلائق؟ وإجرائه الماء بلا سائق؟ وإرساله الريح بلا عائق؟ فالسموات تدل على نعته - أي عظمته وكبريائه - والفلك يدل على حسن صنعته، والرياح نشر نسيم رحمته، والأرض تدل على تمام حكمته، والأنهار تفجرت بعذوبة كلمته، والأشجار تخبر بجميل صنعته.

أحبتي الكرام..

التفكر في خلق الله ﷻ عبادة من أجل العبادات شأنًا، وأعظمها قدرًا، وقد حثنا ربنا ﷻ عليها وأمرنا بها، كما أمرنا بها رسولنا وحبيبنا ﷺ. قال تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝** ﴾ [ق: ٦-٨].

وقال سبحانه: ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝** ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

وجعل صفة التفكر من أجل صفات عباد الرحمن وأحبائه، كما أثنى به عليهم، فقال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ** ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وعاب على الذين لا يستخدمون عقولهم، ولا يتفكرون فقال: ﴿ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ...** ﴾ [الروم: ٨].

وتوعد رسول الله ﷺ من لم يتفكر في الكون بالويل، والوعيد الشديد. فقد جاء عبيد بن عمير إلى أمنا السيدة عائشة - رضي الله عنها - ليسألها عن أعجب شيء رأته من رسول الله ﷺ فبكت وقالت: كل أمره كان عجبًا، أتاني في ليلة، حتى مس جلدي جلده، ثم قال: « **ذريني أتعبد لربي عز وجل** ».

فقالت: قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما يسرك..

قالت: فقام وتطهر ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بل حجره، ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، وجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله، تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: « **أفلا أكون عبدًا شكورًا؟**

لقد نزلت عليَّ الليلة آيات، ويلٌ لمن قرأها، ولم يتفكر فيها[١]: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

فقيل للأوزاعي: ما غاية التفكير فيهن؟

قال: يقرؤهن ويعقلهن[٢].

ومازال المؤمنون من أولي الألباب يتفكرون فيما خلق لهم ربهم، حتى أيقنت قلوبهم وحتى كأنما عبدوا الله ﷻ عن رؤيته، وما رأى العارفون شيئًا من الدنيا حسنًا إلا تذكروا به ما وعدهم ربهم من جنسه في الجنة، وما رأوا شرًا وقبيحًا إلا وتذكروا ما وعد به ربهم في جهنم - والعياذ بالله -.

فهذا سيدنا أبو ذر الغفاري ﷺ يروي محمد بن واسع أن رجلاً من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موت أبي ذر، فسألها عن عبادته، فقالت: كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر[٣].

وعن الحسن قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة.

وعن الفضيل بن عياض قال: الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك..

وقيل لإبراهيم بن أدهم: إنك تطيل الفكرة؟

فقال: الفكرة مخ العقل.

وكان لقمان الحكيم يطيل الجلوس وحده، فكان يمر به مولاه، فيقول: يا لقمان، إنك تديم الجلوس وحدك! فلو جلست مع الناس، كان آنس لك.

فيقول لقمان: إن طول الوحدة أفهم للفكرة، وطول الفكر دليل على طريق الجنة.

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٨)، و«صحيح الترغيب» (١٤٦٨).

(٢) «الإحياء» للغزالي.

(٣) «الحلية» (١/ ٨٦) لأبي نعيم.

ورحم الله الشافعي حين قال: استعينوا على الكلام بالصمت، وعلى الاستنباط بالفكر[١].

وكان سفيان بن عيينة - رحمه الله - كثيرًا ما كان يتمثل بقول القائل:

إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة[٢]

وقال الحسن: من لم يكن كلامه من حكمة، فهو لغو، ومن لم يكن سكوته تفكرًا، فهو سهو، ومن لم يكن نظره اعتبارًا، فهو لهو.

وقال في قول الله ﷻ: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] أي أمنع قلوبهم التفكر في أمري.

فأعطوا أعينكم حظها من العبادة، وذلك بالنظر في المصحف، والتفكر فيه، والاعتبار عند عجائبه..

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرون

أحبتي الكرام..

وعن فضل التفكر وفائدته، يحدثنا هذا الإمام العظيم - الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - فيقول: « إنه من أفضل أعمال القلب، وأنفعها له، حتى قيل: تفكر ساعة، خير من عبادة سنة، فالفكر هو الذي ينقل من موت الفطنة إلى حياة اليقظة.

ومن المكاره إلى المحاب، ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة، ومن سجن الدنيا إلى فضاء الآخرة، ومن ضيق الجهل، إلى سعة العلم ورحبه، ومن مرض الشهوة والإخلاء إلى هذه الدار، إلى شفاء الإنابة إلى الله، والتجافي عن دار الغرور ومن مصيبة العمى والصمم والبكم، إلى نعمة البصر والسمع والفهم عن الله ﷻ، والعقل عنه، ومن أمراض الشبهات إلى برد اليقين، وثلج الصدور، وبالجملة فأصل كل طاعة، إنما هي الفكر، وكذلك أصل كل معصية، إنما يحدث من جانب الفكرة »[٣].

---

(١) « إحياء علوم الدين » (٤/ ٤٢٥).

(٢) « الحلية » (٣/ ٢٩٨) لأبي نعيم.

(٣) « مفتاح دار السعادة » لابن القيم (١/ ١٨٣).

والتفكر جرعة من جرعات الدواء الشافية الثمينة، في علاج القلوب من أدوائها، كما ذكره ابن عطاء الله السكندري - رحمه الله - في حكمه، فقال: ما نفع القلب مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة..

وقد تابعهما الإمام الغزالي - رحمه الله - في إحيائه، فقال: ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار، ومبدأ الاستبصار، وهو شبكة العلوم، ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته، لكن جهلوا حقيقته وثمرته، ومصدره ومورده، ومجراه ومسرحه، وطريقه وكيفيته..

ولدوره العظيم، ومكانته العالية الرفيعة بين سائر العبادات، جعله سيد التابعين سعيد بن المسيب - رحمه الله - هو العبادة نفسها، فقال: « ليست العبادة بكثرة الصلاة، ولا الصوم، إنما العبادة، التفكر في أمر الله، والورع عن محارم الله ».

وقد جعل العالم الرباني - يحيى بن معاذ الرازي - رحمه الله - أشهى المجالس وأحلاها وأعظمها، وأحلى لحظات العاقلين، هي مجالس التفكر، فقال عندما قيل له: أي مجلس أشهى وألذ؟

قال: الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد، تشم من رائحة المعرفة، وتسقى بكأس المحبة، سبحان الله! ما ألذه من مجلس، وأعذبه من شراب[١].

ومن أعظم ثمرات التفكر، أنه مفتاح الرحمة، والتوبة إلى الله ﷻ، لأن من تفكر، فقد صنع مفتاحًا مباركًا، يفتح به باب الرحمة الإلهية، ليدخل بإذن الله، ساحة الغفران، مأجورًا مرحومًا.. لأنه يتفكر فيما ارتكبه من ذنوب ومعاصي، وسيئات، فيدرك بتفكيره عواقبها، فيزداد يقينًا بوقوع الجزاء، فيقلع ويتوب.

كما قال سفيان بن عيينة - رحمه الله -: « التفكر مفتاح الرحمة، ألا ترى أنه يتفكر فيتوب »[٢].

---

(١) « شعب الإيمان » (٢/ ٩) للإمام البيهقي رقم (٤٦٨).

(٢) « الحلية » (٣/ ٢٩٨) لأبي نعيم.

أحبتي الكرام..

والتفكر أنواع متعددة، ذكرها الإمام ابن القيم - رحمه الله - فقال: «وأنفع الفكر أي التفكر: الفكر في مصالح المعاد - أي الآخرة - وفي طرق اجتلابها، وفي دفع مفاسد المعاد، وفي طرق اجتنابها، فهذه أربعة أفكار هي أجل الأفكار. ويليها أربعة: فكر في مصالح الدنيا، وطرق تحصيلها، وفكر في مفاسد الدنيا، وطرق الاحتراز منها، فعلى هذه الثمانية دارت أفكار العقلاء، ورأس القسم الأول: الفكر في آلاء الله ونعمه، وأمره ونهيه، وطرق العلم به، وبأسمائه وصفاته من كتابه وسنة نبيه ﷺ وما والاهما ...».

١- أول هذه الأنواع: التفكر في الآخرة:

والتفكر في الآخرة يحتاج إلى علم، وهذا العلم مأخوذ من السماع، ممن لا ينطق عن الهوى. وقد أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ عن أحوالها وأهوالها، وأخبرنا عن الصراط وصفته، وساحة العرض يوم الحشر، ورهبة الموقف يوم الفزع، وعذاب النار وأهوالها، ونعيم الجنة وسعادة من يفوز بها..

وهكذا كان السلف - رضوان الله عليهم - يتفكرون في أمور الآخرة..

قال عبد الله بن المبارك - رحمه الله - يومًا لسهل بن عليٍّ، وقد رآه ساكتًا متفكرًا أين بلغت؟ قال: الصراط.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت رابعة العدوية تقول: ما سمعت الأذان إلا ذكرت منادي القيامة، ولا رأيت الثلج إلا رأيت تطاير الصحف، ولا رأيت جرادًا إلا ذكرت الحشر[1].

وقال يوسف بن أسباط: قال لي سفيان الثوري - وأنا وهو في المسجد: يا يوسف، ناولني المطهرة أتوضأ منها، فناولته. فأخذها بيمينه، ووضع يساره على خده يقول: فنمت واستيقظت، وقد طلع الفجر، فنظرت إليه، فإذا بالمطهرة في يده على حالها، فقلت: يا أبا عبد الله، قد طلع الفجر!!

قال: والله إني لم أزل منذ ناولتني المطهرة، أتفكر في الآخرة إلى هذه الساعة[2].

(١) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/ ٤٩٢).

(٢) «حلية الأولياء» (٧/ ٥٣) لأبي نعيم.

وكان طاوس اليماني له طريقان إلى المسجد، طريق في السوق، وطريق آخر، فكان يأخذ في هذا يومًا، وفي هذا يومًا، فإذا مر في طريق السوق، ورأى تلك الرءوس المشوية، لم يتعش تلك الليلة[1].

وكان هرم بن حيان - رحمه الله - مصاحبًا لحممة ﷺ صاحب رسول الله ﷺ فكانا يأتيان سوق الريحان، فيسألان الله الجنة ويدعوان، ثم يأتيان الحدادين، فيتعوذان من النار، ثم يتفرقا إلى منزلها[2].

وعن سلام قال: أُتي إلى الحسن بكوز من ماء ليفطر عليه، فلما أدناه إلى فيه بكى، وقال: ذكرت أمنية أهل النار، حين قالوا لأهل الجنة: ﴿ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ﴾ [الأعراف: ٥٠]، وذكرت ما أجابوا عليهم، ﴿ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٠][3].

وهذا عمرو بن عتبة - رحمه الله - كان يخرج على فرسه ليلاً، فيقف على القبور، فيقول: يا أهل القبور، قد طويت الصحف، وقد رفعت الأعمال، ثم يبكي.. حتى يصبح، فيرجع، فيشهد صلاة الصبح[4].

وعن أبي وائل قال: خرجنا مع عبد الله بن مسعود ﷺ ومعنا الربيع بن خثيم فمررنا على حداد، فقام عبد الله ينظر حديده في النار، فنظر إليها الربيع، حتى كاد يسقط، فمضى عبد الله حتى أتينا على أتون على شاطئ الفرات، فلما رآه عبد الله، والنار تلتهب قرأ هذه الآية: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الفرقان: ١٢، ١٣].

فصعق الربيع بن خثيم، فلم يفق إلا في اليوم التالي[5].

---

(١) «الحدائق» (٣/ ١٩٧) لابن الجوزي، و«الحلية» (٤/ ٤).

(٢) «الزهد» لأحمد (٢/ ١٨٣)، و«الحدائق» (٣/ ١٩٧) لابن الجوزي.

(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ١٨٩) لأبي نعيم.

(٤) المرجع السابق (٤/ ٥٨).

(٥) «الزهد» للإمام أحمد (٢/ ٢١٣)، و«الحلية» (٢/ ١١٠).

كل هؤلاء يتفكرون في أمور الآخرة.. يتفكرون تارة في أصحاب القبور وما فيها من أهوال.. يتفكرون في الجنة والنار.. يتفكرون في الصراط..

وعن فوائد التفكير في الآخرة يقول ابن القيم - رحمه الله -: «وهذا الفكر يثمر لصاحبه المحبة والمعرفة، فإذا فكر في الآخرة وشرفها ودوامها، وفي الدنيا وخستها وفنائها، أثمر له ذلك الرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا. وكلما فكر في قصر الأمل، وضيق الوقت، أورثه ذلك الجد والاجتهاد، وبذل الوسع في اغتنام الأوقات ..».

ويقول ابن القيم - رحمه الله -: «فإذا صحت فكرته، أوجبت له البصيرة، فهي نور في القلب، يبصر به الوعد والوعيد، والجنة والنار، وما أعد الله في هذه لأوليائه، وفي هذه لأعدائه، فأبصر الناس وقد خرجوا من قبورهم، مهطعين لدعوة الحق، وقد نزلت بهم ملائكة السماء، فأحاطت بهم ..»[1].

قلت: مثل هذا قد حدث لحارثة ﷺ فقد سأله الأستاذ الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ: «**كيف أصبحت يا حارثة؟**».

قال: أصبحت مؤمنًا حقًا.. قال: «**انظر ما تقول، إن لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟**»، قال: عزفت نفسي عن الدنيا، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها، قال: «**يا حارثة، عرفت فالزم**» قالها ثلاثًا.. وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال عنه: «**عبدٌ نور الإيمان في قلبه، إن عرفت فالزم**»[2].

أحبتي في الله..

النوع الثاني: التفكر في عظمة الخلق:

فهل تفكر الإنسان يومًا في حقيقة وجوده؟ هل تفكر يومًا كيف حملته أمه، فجاء إلى هذا العالم، ولم يك شيئًا؟

هل تأمل يومًا كيف نبتت تلك الأزهار المزروعة، التي يفوح عطرها، وكانت من قبل يابسة؟ هل تفكر يومًا بأن قشور الفاكهة المهملة، التي نلقي بها في القمامة، هي في

(١) «مدارج السالكين» (١/ ١٢٣) لابن القيم.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان رقم (١٠١٩٥) (جـ٢٢/ ١٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٢٦).

حقيقتها أغلفة حافظة عالية الجودة، وبأن هذه الفاكهة كالموز والبطيخ والبرتقال مثلاً، منسقة في داخلها بطريقة تحفظ طعمها وشذاها؟

سل الواحة الخضراء والماء جاريًا ... وهذه الصحاري والجبال الرواسيا

سل الروض مزدانًا سل الزهر والندى ... سل الأنسام والأرض والسما

سل كل شيء تسمع الحمد ساريًا ... فلو جن هذا الليل وامتد سرمدا

فمن غير ربي يرجع الصبح ثانيًا

فليتأمل المسلم وليتفكر في ملكوت السموات والأرض، وما فيها من إبداعات حيرت العقول.. يتفكر في الشمس التي تمد الأرض بالدفء، تفكر في ضيائها وحرارتها التي تحتاج إليها كل الكائنات من طير وإنسان وحيوان، وشجر ونبات.. تفكر في حرارتها التي تبخر المياه، فتسوق السحاب، وترفعه فوق الجبال الرياح، وتقوده إلى بلد ميت فينبت الله به الزرع، ويدر به الضرع.. ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل: ١٢].

ثم ليتفكر في البحار وأمواجها، وما فيها من مخلوقات وكائنات، وعجائب.. وما فيها من اللؤلؤ والمرجان، وأنواع الأسماك.. وغيرها من مخلوقات الله ﷻ..

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٤].

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ [النحل: ٨١].

التقى زنديق بالإمام الشافعي يومًا، فقال له: يا شافعي، ما الدليل على وجود الله؟ فقال الشافعي: ورقة التوت. فقال الزنديق: كيف ذلك يا شافعي؟

قال الشافعي: انظر إليها، أليس لونها واحد؟ وطعمها واحد؟ وريحها واحد؟

قال الزنديق: بلى.

فقال الشافعي: تأكلها دودة القز، فتخرجها حريرًا ناعمًا، وتأكلها النحلة، فتخرجها عسلاً شهيًّا، وتأكلها الغزالة، فتخرجها مسكًا زكيًا، وتأكلها الشاة فتخرجها لبنًا صفيًّا.. المادة واحدة، لكن الصنعة مختلفة فمن الصانع؟!

أحبتي الكرام..

هكذا كان سلف الأمة يتفكرون ويتأملون، فيعتبرون ويتعظون..

يقول عبد الأعلى بن زياد الأسلمي: رأيت داود الطائي يومًا، قائمًا على شاطئ الفرات مبهوتًا، فقلت له: يا أبا سليمان، ما يوقفك هنا؟ قال: انظر إلى الفلك كيف تجري في البحر مسخرات بأمره[١].

وهذا خليفة العبدي - رحمه الله - يقول: لو أن الله ﷻ لم يعبد إلا عن روية، ما عبده أحد، ولكن المؤمنون تفكروا في مجيء هذا الليل إذا جاء، فملأ كل شيء، وغطى كل شيء، وفي مجيء سلطان النهار إذا جاء، فمحا سلطان الليل، وفي السحاب المسخر بين السماء والأرض، وفي النجوم، وفي الشتاء وفي الصيف.. والله مازال المؤمنون يتفكرون فيما خلق ربهم، حتى أيقنت قلوبهم بربهم، وحتى كأنما عبدوا الله ﷻ عن روية»[٢].

والنوع الثالث: التفكير في عيوب النفس:

قال الفضيل بن عياض يوضح لنا ويبين ثمرة من ثمرات هذا النوع من التفكر: «الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك».

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: التفكر في الخير يدعو إلى العمل به، والندم على الشر يدعو إلى تركه[٣].

وبينما أبو شريح يمشي، إذ جلس فتقنع بكسائه، فجعل يبكي، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: تفكرت في ذهاب عمري، واقتراب أجلي.

فالعاقل الفطن هو الذي يتفكر دائمًا في عيوب نفسه، ويتهمها، ويحاسبها..

---

(١) «حلية الأولياء» (٧/ ٣٥٦).

(٢) المرجع السابق (٦/ ٣٠٣).

(٣) «شعب الإيمان» للبيهقي.

النوع الرابع: التفكر في عواقب الأمور:

ويحدثنا الإمام ابن القيم - رحمه الله - عن هذا النوع فيقول: إذا فكر في عواقب الأمور وتجاوز فكره مبادئها، وضعها مواضعها، وعلم مراتبها، فإذا ورد عليه وارد الذنب والشهوة، فتجاوز فكره لذة وفرح النفس به إلى سوء عاقبته، وما يترتب عليه من الألم والحزن الذي لا يقاوم تلك اللذة والفرحة، ومن فكر في ذلك، فإنه لا يكاد يقدم عليه.. وكذلك إذا ورد على قلبه وارد الراحة، والدعة والكسل، والتقاعد عن مشقة الطاعات وتعبها، حتى عبر بفكره إلى ما يترتب عليها من اللذات والخيرات والأفراح التي تغمر تلك الآلام في مبادئه بالنسبة إلى كمال عواقبها، وكلما غاص فكره في ذلك اشتد طلبه لها، وسهل عليه معاناتها، واستقبلها بنشاط وقوة وعزيمة.

والنوع الخامس: التفكر في كل ما حولك:

وعن هذا النوع يقول ابن الجوزي - رحمه الله - في كتابه (المدهش): لوصفت لك فكرة، كان لك في كل شيء عبرة، كل المخلوقات بين مخوف ومشوق: حر الصيف، يذكرك حر جهنم وبرد الشتاء محذرًا من زمهريرها، والخريف ينبه على اجتناء ثمار الأعمار، والربيع يحث على طلب العيش الصافي»[1].

قال إسحاق بن خلف: كان داود الطائي - رحمه الله - على سطح في ليلة مقمرة، فتفكر في ملكوت السموات والأرض، وهو ينظر إلى السماء ويبكي، حتى وقع في دار جار له..

قال: فوثب صاحب الدار من فراشه عريانًا، وبيده سيف، وظن أنه لص، فلما نظر إلى داود، رجع ووضع السيف، وقال: من ذا الذي طرحك من السطح..

قال: والله ما شعرت بذلك..

وهذا هشام الدستوائي - رحمه الله -: كان لا يطفئ السراج إلى الصبح ويقول: إذا رأيت الظلمة، ذكرت ظلمة القبر!!

وصب على رأس بعض الصالحين ماء، فوجده شديد الحر، فبكى، وقال: تذكرت قوله تعالى: ﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾.

---

(١) «المدهش» لابن الجوزي (ص٣٩١).

والنوع السادس: التفكر في الدنيا:

لقد أراد النبي ﷺ أن يحث الأمة على أن يتفكروا في حقيقتها ومائلها ومتاعها فمرَّ يومًا ومعه الصحب الكرام على السوق، فمروا بجدي أسك - أي صغير الأذن - ميت فأخذ بأذنه، ثم قال لأصحابه: « **أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم؟** »، قالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به، ثم قال: « **أتحبون أنه لكم؟** »، قالوا: والله لو كان حيًّا، كان عيبًا أنه أسك، فكيف وهو ميت؟!

فقال: « **فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم** »[١].

فالدنيا أنفاس معدودة في أماكن محدودة، وأن هذه الحياة بحر، والأنفاس مراكب، تقربنا إلى الشاطئ، وأن الحياة سفر، وهو إن طال العمر أو قصر لابد أن ينتهي إلى المنزل والمستقر في نهاية المطاف: إما إلى جنة أبدًا، أو إلى نار أبدًا.

بكى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يومًا، فسأله أصحابه عن ذلك، فقال: فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها، فاعتبرت منها بها، ما تكاد شهواتها تنقضي، حتى تكدرها مرارتها، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر، إن فيها مواعظ لمن ادكر.

النوع السابع: التفكر في نعم الله ﷻ:

وأعظم نعمة وأشرف وأجل النعم كلها، نعمة الإسلام..

قال ابن عيينة: ما أنعم الله على العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله، وأن لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا، ولأجلها أعدت دار الثواب، ودار العقاب في الآخرة[٢].

وعن زبدة أخت بشر بن الحارث قالت: دخل بشر عليَّ ليلة من الليالي، فوضع إحدى رجليه داخل الدار، والأخرى خارج الدار، وبقى كذلك يتفكر حتى أصبح، فلما أصبح قلت له: في ماذا تفكرت طول الليلة؟

قال: تفكرت في بشر النصراني، وبشر اليهودي، وبشر المجوسي، ونفسي، واسمي بشر.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) « رسائل ابن رجب » (٢/ ٣١٥).

فقلت: ما الذي سبق منك حتى خصك؟ فتفكرت في تفضله عليّ، وحمدته على أن جعلني من خاصته، وألبسني لباس أحبائه»[١].

أحبتي الكرام..

قال الربيع بن خثيم - رحمه الله - واعظًا ومذكرًا: إذا تكلمت، فاذكر سمع الله إليك، وإذا هممت، فاذكر علمه بك، وإذا نظرت، فاذكر نظره إليك، وإذا تفكرت فاذكر اطلاعه عليك، فإن الله يقول: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦][٢].

اللهمَّ إنا نتوسل إليك بما توسل به عبادك الصالحون، وأولياؤك المقربون أن تجعل لنا من الفهم عنك وعن رسولك ما نبلغ به منازل الصديقين، ونحشر به في زمرة العلماء العاملين..

اللهمَّ اجعلنا من عبادك السعداء.. ولا تجعلنا من الأشقياء الظالمين..

اللهمَّ ارحمنا فإنك بنا راحم.. ولا تعذبنا فأنت علينا قادر، والطف بنا يا مولانا فيما جرت به المقادير..

اللهمَّ اسلك بنا الطريقة المثلى.. واجعلنا على ملة خليلك نموت ونحيا..

اللهمَّ اجعلنا من أهل السداد، ومن أهل الرشاد، ومن صالحي العباد.. وارزقنا فوز المعاد، وسلامة المرصاد..

اللهمَّ أنت عدتنا إن حزنا، وأنت ملجؤنا إن حرمنا، وبك استغاثتنا إن كربنا..

اللهمَّ نزه قلوبنا عن الشرك والنفاق، ووفقنا لما تحبه وترضاه.. يا رب العالمين..

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٢٥٣) لابن الجوزي.

(٢) المرجع السابق (١/ ٣١٦).

الوصية رقم (٣٠)

كونوا من أولئك الأكياس

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أي المؤمنين أفضل؟

قال: « **أحسنهم خُلقًا** »، قال: فأي المؤمنين أكيس؟

قال: « **أكثرهم للموت ذكرًا، وأحسنهم لما بعده استعدادًا، أولئك الأكياس** »[(١)].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي الكرام..

الرسول الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ في هذا القبس النبوي الشريف يوضح فيه بأسلوب بليغ وفصيح، بأسلوب السؤال والجواب، وهذا أسلوب يرسخ العلم في النفس والقلب.. فقد سأله الرجل أولاً عن أفضل المؤمنين وأكثرهم ثوابًا في الآخرة، فقال له: « **أحسنهم خلقًا** ».

ثم سأله عن أي المؤمنين أعقل وأكيس، فبين أن الأكياس الفطناء، هم الذين يكثرون من ذكر الموت، وأكثرهم استعدادًا للموت..

فهل نكون من أولئك الأذكياء الفطناء..

إنَّ للـــه عـــبادًا فطـــنًا ... طلقـــوا الدنـــيا وخافـــوا الفتـــنا

نظـــروا فـــيها فلـــما علمـــوا ... أنهـــا ليـــست لحـــي وطـــنًا

جعلـــوها لجـــة واتخـــذوا ... صـــالح الأعـــمال فـــيها ســـفنًا

علموا أن الموت لا ريب فيه، ويقين لا شك فيه.. ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]، فمن يجادل في الموت وسكرته؟ ومن يخاصم في القبر وضمته؟ ومن يقدر على تأخير موته، وتأجيل ساعته؟! ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] لما جاء رجل إلى إبراهيم بن

(١) حسن: رواه ابن ماجة والبيهقي في « الزهد »، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (٣٣٣٥).

أدهم - رحمه الله - وقال له: إني مسرف على نفسي من كثرة المعاصي، فأعرض عليَّ ما يكون لها زاجرًا..

قال إبراهيم: إن قبلت مني خمس خصال، فقدرت عليها، لم تضرك المعصية..

قال الرجل: هات يا أبا إسحاق..

قال إبراهيم: أما الأولى: إن أردت أن تعصي الله ﷻ، فلا تأكل رزقه؟ قال: فمن أين آكل، وكل ما في الأرض من رزقه؟ قال: أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتعصيه؟ قال: لا.. هات الثانية.. قال: إذا أردت أن تعصى الله، فانظر موضعًا لا يراك فيه.. فاعصه فيه.. قال: يا إبراهيم، كيف وهو يطلع على السر وأخفى؟! قال: يا هذا، أفيحسن بك أن تأكل رزقه، وهو يعلم ما تسر وما تخفي وتعصيه؟! قال: لا.. هات الثالثة.. قال: إذا أردت أن تعصيه، فلا تسكن شيئًا من بلاده.. قال: يا إبراهيم، هذه أعظم من الأولى والثانية، إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له، فأين أسكن؟ فقال: يا هذا، أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟! قال: لا، هات الرابعة.. وهي ما نود أن نؤكد عليه.. قال: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك، فقل له: أخرني حتى أتوب إلى الله.. قال: لا يقبل مني.. قال: يا هذا إذا كنت لا تقدر أن تدفع عنك الموت حتى تتوب فكيف ترجو الخلاص؟! قال: هات الخامسة.. قال: إذا جاءك الزبانية يوم القيامة، ليأخذوك إلى جهنم فلا تذهب معهم.. قال: إنهم لا يقبلون مني.. قال: فكيف ترجو النجاة إذن؟ قال: يا إبراهيم، حسبي.. حسبي.. أنا أستغفر الله، وأتوب إليه..

نعم أيها الأحبة الكرام..

هل يستطيع أحد منكم إذا جاءه ملك الموت أن يطلب منه أن يؤخره إلى أجل قريب بالطبع لا.. لماذا؟ لأن الأجل محتوم.. والعمر محدود..

إنه الموت.. إنه أعظم تحدٍّ تحدى الله ﷻ به جميع البشر.. تحدى به الملوك والأمراء.. والحجاب والوزراء.. تحدى به الشرفاء والوضعاء.. والأغنياء والفقراء.. الجميع ضعف وعجز كل العجز أن يثبتوا أمام هذا التحدي الإلهي.. ﴿ **قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

أين الملوك؟! أين أصحاب السلطان؟ أين أصحاب الأموال؟ أين أصحاب العمارات؟ أين فرعون وهامان وقارون؟ أين الأكاسرة؟ أين القياصرة؟ أين الزعماء؟ أتى على الكل أمر لا مرد له، حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٧].

يا أبنائي.. يا من عملت لأجلكم.. يا من أنفقت ما لي عليكم.. وبذلت جهدي وروحي ووقتي وكل ما أملك من أجلكم افدوني.. احضروا لي الطبيب.. لكن هيهات هيهات..

إن الطبيب له في الطب معرفة ... مادام في أجل الإنسان تأخير

حتى إذا انقضت أيام مدته ... حار الطبيب وخانته العقاقير

مرض أبو بكرة ﷺ واشتد مرضه، فعرض عليه أبناؤه أن يأتوه بطبيب، لكنه أبى ورفض الطبيب.. فلما نزل به الموت، صرخ بأبنائه، وقال: أين طبيبكم، ليردها إن كان صادقًا؟ لكن والله لو جاءه أطباء الدنيا كلها، ما ردوا روحه إليه..

إنه هاذم اللذات.. ومفرق الجماعات.. وميتم البنين والبنات، ومؤيم الأزواج والزوجات.. ومنغص العيشات..

المنايا تجوس كل البلاد ... والمنايا تبيد كل العباد

لتنالن من قرون أراها ... مثل ما نلن من ثمود وعاد

هل تذكرت مَنْ خلا من نبي ... الأصغر أهل القباب والأطواد

هل تذكرت مَنْ خلا من نبي ... ساسان أرباب فارس والسّواد

أين داود أين سليما ... ن المنيع الأعراض والأجناد؟!

أين نمرود وابنه أين قارو ... ن وهامان أين ذو الأوتاد؟

وردوا كلهم حياض المنايا ... ثم لم يصدروا عن الإيراد

تناسيت أم نسيت المنايا؟ ... أنسيت الفراق للأولاد؟

أنسيت القبور إذ أنت فيها ... بين ذلٍّ ووحشة وانفراد

لأجل هذا يجب علينا أن نتذاكر دائمًا الموت.. قال ﷺ: «**أكثروا من ذكر هازم اللذات..**» قالوا: وما هازم اللذات يا رسول الله؟ قال: «**الموت**»(١).

وفي رواية للبزار والبيهقي عن أنس أن رسول الله ﷺ مرَّ بمجلس وهم يضحكون، فقال: «**أكثروا من ذِكر هاذم اللذات**» أحسبه قال: «**فإنه ما ذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه، ولا في سعة إلا ضيقه عليه**»(٢).

الموت.. قادم لا محالة.. الموت.. آت لا مرد له..

الموت.. يأتي بغتة.. الموت.. لا يطرق ببابك ولا يستأذنك..

﴿ **قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ [الأحزاب: ١٦].

الموت قدر الله.. وقدر الله حتمٌ لازم.. فهل يستطيع أحدٌ أن يرده؟ إننا نتداوى بالدواء إذا مرضنا، لكن هل يشفي من الموت الدواء؟ إنا نختار الطبيب إذا سقمنا، ولكن هل طبيب يؤخر ما يقره القضاء؟

أحبتي في الله..

أنفاسنا محسوبة ومعدودة.. وحركاتنا مرصودة.. وحياتنا الدنيوية إلى فناء..

إذا كان أمر الله أمرًا يقدر فكيف يفر المرء منه ويحذر؟
ومن ذا يرد الموت أو يدفع القضا وضربته محتومة ليس تعثر

﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝** ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه، والطبراني في «الأوسط»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٣٣٣).

(٢) **حسن**: رواه ابن حبان في صحيحه، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٣٣٤)، و«صحيح الجامع» رقم (١٢١١).

أحبتي الكرام..

فجدير بمن كان الموت مصرعه.. والتراب مضجعه.. والدود أنيسه.. ومنكر ونكير جليسه.. والقبر مقره.. وبطن الأرض مستقره.. والقيامة موعده.. والجنة والنار مورده.. ألا يكون له فكر إلا في الموت.. ولا ذكر إلا له.. ولا استعداد إلا لأجله.. ولا تدبير إلا فيه.. ولا تطلع إلا إليه.. ولا تعريج إلا عليه.. ولا اهتمام إلا به.. ولا انتظار ولا تربص إلا له.. وحقيق على كل إنسان أن يعد نفسه من الموتى، ويراها في أصحاب القبور.. وإلا كان من الهلكى، وقد غره الغرور..

لقد خاطب ربنا ﷻ خير البشر، وأعظم الرسل، وأكمل الخلق ﷺ بما خاطب به سائر البشر، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠].

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٤، ٣٥].

فالله ﷻ كتب على نفسه البقاء، وكتب على جميع خلقه الموت والفناء..

فقال سبحانه: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

وقال: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨].

الموت ضيف فاستعد له ... قبل النزول بأفضل العُدد

واعمل لدار أنت جاعلها ... دار المقامة آخر الأمد

يا نفس موردك الصراط غدًا ... فتأهبي من قبل أن تردي

دخل ملك الموت على سليمان بن داود - عليهما السلام - فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه، فلما خرج، قال الرجل لسليمان عليه السلام: من هذا الذي كان يديم النظر إليَّ؟ قال سليمان: إنه ملك الموت..

قال: لقد رأيته ينظر إليَّ وكأنَّه يريدني.. قال: فماذا تريد؟

قال: أريد أن تخلصني منه، فتأمر الريح، حتى تحملني إلى أقصى بلاد الهند، وكان سليمان عليه السلام ببيت المقدس، ففعلت الريح ذلك، فقال سليمان لملك الموت لما رجع إليه

ثانيًا رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائي، فلماذا؟ قال: نعم، لأني كنت أتعجب منه، لأن الله ﷻ أمرني أن أقبضه بأقصى بلاد الهند في ساعة قريبة، وكان عندك، فتعجبت من ذلك، فلما ذهبت إلى بلاد الهند، وجدت الرجل هناك ينتظر أجله، الذي أجله الله له.. وصدق مولانا إذ يقول: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ...﴾ [النساء: ٧٨].

الموت لا يفرق بين كبير ولا صغير.. ولا غني ولا فقير.. ولا عبد ولا أمير..

هارون الرشيد، ذاك الذي كان يرفع رأسه، فيقول للسحابة: أمطري في الهند أو الصين، أو حيث شئت، فوالله ما تمطرين في أرض إلا وهي تحت ملكي..

هارون الرشيد خرج يومًا في رحلة صيد، فمرَّ برجل يقال له بهلول..

فقال هارون له: عظني يا بهلول..

فقال بهلول: يا أمير المؤمنين، أين آباؤك وأجدادك، من لدن رسول الله إلى أبيك؟

قال هارون: ماتوا..

قال: فأين قصورهم؟ قال هارون: تلك هي قصورهم..

قال: وأين قبورهم؟ قال: هذه قبورهم..

قال بهلول: تلك قصورهم، وهذه قبورهم، فما نفعتهم قصورهم في قبورهم؟

قال: صدقت.. زدني يا بهلول..

قال: أما قصورك في الدنيا فواسعة، وليت قبرك بعد الموت يتسع.. فبكى هارون وقال: زدني.. قال: يا أمير المؤمنين، هب أنك ملكت كنوز كسرى، وعمرت السنين فماذا بعد ذلك كله؟

أليس القبر غاية كل حيٍّ وتسأل بعده عن كل هذا؟

قال: بلى.. ثم رجع هارون، وانطرح على فراشه مريضًا، ولم تمض عليه أيام حتى نزل به الموت.. فلما حضرته الوفاة.. وعاين السكرات.. قال: اللهمَّ يا من لا يزول ملكه.. ارحم من قد زال ملكه.. ثم لم يزل يبكي حتى مات.. فلما مات أخذوا هذا

الخليفة الذي ملك الدنيا، وأودعوه حفرة ضيقة (قبره) لم يصاحبه فيها وزراؤه، ولم يساكنه ندماؤه.. لم يدفنوا معه طعامًا.. ولم يفرشوا له فراشًا.. ما أغنى عنه ملكه ولا ماله..

سل الخليفة إذا وافت منيته ... أين الجنود أين الخيل والخول؟
أين الكنوز التي كانت مفاتحها ... تنوء بالعصبة المقوين لو حملوا؟
أين الجيوش التي أرصدتها عددًا ... أين الحديد وأين البيض والأسل؟
لا تنكرن فما دامت على أحد ... إلا أناخ عليه الموت والوجل

فيا إخواني..

تفكروا في الموت وسكرته، وصعوبة كأسه ومرارته.. فيا للموت من وعد ما أصدقه! ومن حاكم ما أعدله! كفى بالموت مقرحًا للقلوب، ومبكيًا للعيون، ومفرقًا للجماعات، وهاذمًا للذات، وقاطعًا للأمنيات..

فيا جامع المال، والمجتهد في البنيان، ليس لك والله من ملك إلا الأكفان.. بل هي والله للخراب والذهاب. وجسمك للتراب والمآب، فأين الذي جمعته من المال؟ هل أنقذك من الأهوال؟ كلا.. بل تركته إلى من لا يحمدك.. وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك.. ولقد أحسن من قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ...﴾ [القصص: ٧٧] هو الكفن.. فكأنه قال: لا تنسى أن تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن..

اقنع بما أعطاك الله، وبما قدره لك..

هي القناعة لا تبغ بها بدلا ... فيها النعيم وفيها راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن؟!

فأين استعدادكم للموت وسكرته؟ وأين استعدادكم للقبر وضمته؟ بل وأين استعدادكم لمنكر ونكير؟ وأين استعداكم للقاء العلي القدير؟

تزود من التقوى فإنك لا تدري ... إذا جنَّ ليل هل تعيش إلى الفجر؟
فكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من سقيم عاش حينًا من الدهر

وكـم مـن صـبي يرتجـى طـول عمـره　　وقـد نـسجت أكفانـه وهـو لا يـدري
وكـم مـن عـروس زيـنوها لـزوجها　　وقـد قبـضت أرواحهـم لـيلة القـدر

ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - في كتابه « عدة الصابرين »:

عن يزيد بن ميسرة، قال: كان رجل ممن مضى، جمع مالاً فأوعى، ثم أقبل على نفسه وهو في أهله، فقال: أنعمُ سنين!! فأتاه ملك الموت، فقرع الباب في صورة مسكين، فخرجوا إليه، فقال: ادعوا لي صاحب الدار، فقالوا له: يخرج سيدنا إلى مثلك؟ ثم مكث قليلاً، ثم عاد، فقرع الباب، وصنع مثل ذلك، وقال: أخبروه أني ملك الموت، فلما سمع سيدهم، قعد فزعًا، وقال: لينوا له الكلام.. قالوا: ما تريد غير سيدنا بارك الله فيك؟ قال: لا، فدخل عليه، فقال له: قم فأوصي ما كنت موصيًا، فإني قابض نفسك قبل أن أخرج..

قال: فصرخ أهله وبكوا، ثم قال: افتحوا الصناديق، وافتحوا أوعية المال، ففتحوها جميعًا، فأقبل على المال يلعنه ويسبه.. يقول: لعنك الله من مال، أنت الذي أنسيتني ربي، وشغلتني عن العمل لآخرتي، حتى بلغت أجلي..

فتكلم المال، وقال له: لا تسبني، ألم تكن وضيعًا في أعين الناس، فرفعتك؟! ألم يُرى عليك من أثري؟ أما كنت تحضر مجالس الملوك والسادة فتدخل، ويحضر عباد الله الصالحون فلا يدخلون؟ ألم تكن تخطب بنات الملوك والسادة، فتنكح، ويخطب عباد الله الصالحون فلا ينكحون؟ ألم تكن تنفقني في سبيل الخبث فلا أتعاصى؟ ولو أنفقتني في سبيل الله لم أتعاصى عليك.. أنت ألوم مني.. يا بني آدم، إنما خلقت أنا وأنتم من تراب، فمنطلق ببر.. ومنطلق بإثم.. هكذا يقول المال فاحذروا..

فيا أخي الحبيب..

حاسب نفسك في خلوتك.. وتفكر في سرعة انقراض مدتك.. واعمل بجد واجتهاد في زمان فراغك، لوقت حاجتك وشدتك، وتدبر قبل الفعل ما يملي في صحيفتك.. فأين الذي جمعته من الأموال؟ أأنقذك من البلى والأهوال؟ كلا بل تتركه إلى من لا يحمدك.. وتقدم بأوزار على من لا يعذرك..

قال يزيد بن تميم - رحمه الله -: من لم يردعه الموت والقرآن، ثم تناطحت عنده الجبال لم يرتدع..

اللهمَّ آنس وحشتنا في القبور.. وآمن فزعنا يوم البعث والنشور..

اللهمَّ اغفر لجميع موتى المسلمين..

اللهمَّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا.. وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر..

اللهمَّ إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع..

اللهمَّ أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وانصر عبادك الموحدين..

اللهمَّ اهد شبابنا وشباب المسلمين..

اللهمَّ حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم.. وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا من الراشدين.. واجعلنا من المقبولين، واجعلنا من التائبين، ومن المتطهرين بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين.. يا رب العالمين..



الوصية رقم (٣١)
اترك ما لا يعنيك

عن عليٍّ بن حسين - رضي الله عنهما - أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ من حسن إسلام المرء، تركه ما لا يعنيه**»(١).

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

لقد أرشدنا أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ وهو الحريص على كل خير لأمته، الرءوف الرحيم بها..

أرشدنا إلى أدب جامع، وخصلة شريفة، وخلة محمودة، وخلق كريم يحسن به إسلام المرء، ويبلغ به الغاية من رضوان الله ﷻ.

رضاك يا رب خير من الدنيا وما فيها — يا مالك النفس قاصيها ودانيها

فليس للروح آمال تحققها سوى رضاك — فذا أقصى أمانيها

فنظرة منك يا سؤلي ويا أملي — أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها

كل هذا في وصية النبي ﷺ الذي قال لنا فيها بأسلوب كله ترغيب.. وبأسلوب أبلغ ما تكون البلاغة والفصاحة.. «**من حسن إسلام المرء، تركه ما لا يعنيه**».

لقد جعل ترك ما لا يعني مقياس الأدب، ودليل الورع، ومظهر التقويم والتقوى..

قال أهل العلم عن هذه الوصية، أو عن هذا القبس النبوي: هذا الحديث أصل عظيم من أصول تهذيب النفس وتزكيتها، وقد عده بعضهم ثلث العلم وقد جمعها بعضهم في قوله:

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣١٨) ألباني و«صحيح سنن ابن ماجة» (٣٩٧٦)، وصححه الألباني كذلك في «صحيح الجامع» برقم (٥٩١١).

عمــــدة الـــدين عــندنا كلـــهات أربـــع مـــن كـــلام خـــير الـــبرية

اتـــق الــشبهات وازهـــد ودع مـــا لـــيس يعنـــيك واعملـــن بنـــية

ويقصد بها حديث: « **الحلال بين والحرام بين** »[1]، وحديث: « **ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس** »[2]، وهذا الحديث: « **من حسن إسلام المرء، تركه ما لا يعنيه** »[3]، وحديث: « **إنما الأعمال بالنيات** »[4].

فهذه الوصية التي نعيش معها تعتبر على هذا ربع العلم، لماذا؟ لأن فيها الورع كله.. لماذا يا عباد الله؟

لأن ترك ما لا يعني لا تقوى عليه إلا القلوب السليمة، والنفوس الزاكية.. النفوس التي تنطوي سرائرها على النقاء والصفاء.. لذلك فإننا نجد أن أصحاب النفوس في راحة، والناس منهم في سلامة..

دخل رجل على أبي دجانة، وهو في مرضه، ووجهه يتهلل فرحًا وبشرًا، ويقول: « ما من عمل أوثق عندي من شيئين: لا أتكلم في ما لا يعنيني، وقد كان قلبي سليمًا للمسلمين ».

وهذه الخلة العظيمة، والخصلة الحميدة هي التي بَلغت بلقمان الحكيم مكانة عالية عند الله ﷻ، وعند الناس..

فعن عبد الرحمن بن أبي يزيد قال: إن الله رفع لقمان الحكيم لحكمته، فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك، فقال له: ألست عبد ابن فلان، الذي كنت ترعى غنمه بالأمس؟ قال: بلى، قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: قدر الله، وأداء الأمانة، وصدق الحديث، وترك ما لا يعنيني[5].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجة في « الزهد » (٤١٠٢)، والحاكم (٤/ ٣٨) وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني.

(٣) تخرج في أول الوصية.

(٤) رواه البخاري.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ١٤٧).

وقال وهب بن منبه: كان في بني إسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما، أن مشيا على الماء، فبينما هما يمشيان في البحر، إذ هما برجل يمشي على الهواء، فقالا له: يا عبد الله، بأي شيء أدركت هذه المنزلة؟ قال: بيسير من الدنيا: فطمت نفسي عن الشهوات، وكففت لساني عما لا يعنيني، ورغبت فيما دعاني إليه، ولزمت الصمت، فإن أقسمت على الله أبر قسمي، وإن سألته أعطاني[١].

وقال الإمام مالك - رحمه الله -: لا يفلح الرجل، حتى يترك ما لا يعنيه، ويشتغل بما يعنيه، فإذا فعل ذلك، يوشك أن يُفتح له قلبه.

وقال الحافظ ابن عبد البر - رحمه الله -: هذا الحديث من الكلام الجامع للمعاني الكثيرة الجليلة، في الألفاظ القليلة، وهو مما لم يقله أحد قبله، لأن مَنْ حسُن إسلامه، ترك ما لا يعنيه من الأقوال، والأعمال، إذ الإسلام يقتضي فعل الواجبات، وترك المحرمات.. وإذا حسن الإسلام، استلزم ذلك ترك ما لا يعني من المحرمات والمشتبهات والمكروهات، وفضول المباحات، وهي القدر الزائد على الحاجة.. فإن هذا كله لا يعني المسلم، إذا كمل إسلامه، وبلغ درجة الإحسان، الذي أوضحها الرسول ﷺ ظاهرة جلية في حديث جبريل عليه السلام عندما سأله عن الإحسان، فقال له: «**أن تعبد الله، كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[٢].

قال ابن رجب الحنبلي - رحمه الله - في جامع العلوم والحكم: فمن عبد الله عز وجل على استحضار قربه، ومشاهدته بقلبه، أو على استحضار قرب الله منه، وإطلاعه عليه، فقد حسن إسلامه، ولزم من ذلك أن يترك كل ما لا يعنيه في الإسلام، ويشتغل بما يعنيه فيه، فإنه يتولد من هذين المقامين: الاستحياء من الله عز وجل، وترك كل ما يستحي منه كما وصى النبي ﷺ رجلاً: «**أن يستحي من الله، كما يستحي من رجل من صالحي عشيرته، لا يفارقه**»[٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**استحيوا من الله حق الحياء**»، قالوا: يا رسول الله، إنا نستحي والحمد لله..

---

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص١٤٩).

(٢) رواه مسلم وغيره.

(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص١٤٧).

قال: « **ليس ذاك، وإنما الحياء من الله، فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة، ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء** »[1].

وقال بعضهم: استحي من الله على قدر قربه منك، وخف الله على قدر قدرته عليك.

وقال بعض العارفين: إذا تكلمت، فاذكر سمع الله لك، وإذا سكت، فاذكر نظره إليك..

أحبتي في الله..

وترك المسلم ما لا يعنيه، تصرف العقلاء، وشأن النبهاء، وخلق الأذكياء، وحلية الأولياء، فلا عجب أن يكون هذا الخلق على حسن الإسلام دليلاً، وإلى النجاة والسلامة سبيلاً..

قال ابن رجب: وأكثر ما يراد بترك ما لا يعني حفظ اللسان من لغو الكلام، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ **إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾** ﴾ [ق: ١٧، ١٨].

وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ** ﴾ [يونس: ٦١].

وقال تعالى: ﴿ **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ** ﴾ [الزخرف: ٨٠].

وفي صحيح ابن حبان وغيره عن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال: « كان في صحف إبراهيم عليه السلام: وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله أن تكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها، وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنًا إلا

---

(١) حسن: رواه أحمد في مسنده والترمذي والحاكم، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٩٣٥).

لثلاث: تزود لمعاد، أو حرفة لمعاش، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيرًا بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظًا للسانه، ومن حسب كلامه من عمله، قلّ كلامه إلا فيما يعنيه»[1].

إن العاقل هو الذي يتحرى قبل الإقدام على القول أو العمل، فيوجه السؤال إلى نفسه: هل هذا القول أو هذا العمل يهمه أو يعنيه، فإن رأى أنه يهمه ويعنيه، أقدم عليه، وإن رأى أنه لا يهمه ولا يعنيه، امتنع وأحجم.. والأقوال والأفعال التي تصدر عن الإنسان منها ما هو ضروري.. بل منه ما هو طاعة وعبادة، ومنه كذلك ما هو فضل وزيادة.. وصاحب الوعي اليقظ، والفكر العميق، هو الذي يجعل كلامه وأفعاله خاضعة للفحص والتحقيق قبل أن تصدر عنه.. فإذا كانت تهمه، أخرجها، ملاحظًا الوقت المناسب لأفعاله أو أقواله.. فهناك بعض الناس يتكلمون فيما يعنيهم ويخصهم لكنهم لا يختارون موقعها، ولا يحسنون وقتها، فلذلك يعابون ويذمون وهذا عيب قادح، وخطأ فادح.. فمن تدخل فيما لا يعنيه، لقي ما لا يرضيه، بل لقي ما يضره ويؤذيه، ومن كثر لغطه، كثر خطأه..

يقول حبر الأمة عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: خمس لهن مثل الدهم الموقفة - أي الخيل التي في قوائمها بياض -: لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل، ولا آمن عليك الوزر، ولا تتكلم فيما يعنيك، حتى تجد له موضعًا، فإنه ربَّ متكلم في أمر يعنيه، قد وضعه في غير موضعه، فعيب.. ولا تمار حليمًا ولا سفيهًا فإن الحليم يقليك، وإن السفيه يؤذيك، واذكر أخاك، إذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به، وأعفه مما تحب أن يعفيك منه، واعمل عمل رجل يرى أنه مجازى بالإحسان، مأخوذ بالإجرام».

أحبتي الكرام..

إنَّ المسلم الذي يضبط نفسه حين يُقدم على قول أو عمل، فإن عمله يقع متقنًا رشيدًا، وقوله متزنًا سديدًا، فبذلك يصلح عمله، ويتحقق أمله، قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٤٤٩٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٩٧٩٠).

التدخل فيما لا يعني يبعد صاحبه عن دخول الجنة.. إذن الأمر جد خطير، وشر مستطير، وبقدر التنزه عن هذا التصرف المعيب، تكون مكانته، ودرجته عند الله ﷻ.. فعن أنس بن مالك ﷺ قال: توفي رجل، فقال رجل آخر - ورسول الله ﷺ يسمع - أبشر بالجنة، فقال رسول الله ﷺ: «**أولا تدري، فلعله تكلم فيما لا يعنيه**»[(١)].

وفي رواية ابن أبي الدنيا وأبي يعلى أن أنس قال: استشهد رجل منا يوم أحد، فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع، فمسحت أمه التراب عن وجهه، وقالت له: هنيئًا لك الجنة، فقال النبي ﷺ: «**ما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه، ويمنع ما لا يضره**»[(٢)].

وفي رواية عند البيهقي من حديث أبي هريرة ﷺ أن أمه بكت عليه فقالت: واشهيداه، فقال لها رسول الله ﷺ: «**وما يدريك أنه شهيد؟ لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه، أو يبخل بما لا ينقصه**»[(٣)].

فنلاحظ أن هذا الحديث برواياته يدل ويؤكد على أمر هام كما ذكرنا في كلام ابن رجب، وهو أن التدخل فيما لا يعني أكثره بالقول.. أكثره بالكلام والحديث، والخوض باللسان في أعراض الناس، ونهش لحومهم.. وقد خفى خطر الكلام.. وخطر اللسان على الصحابي الجليل معاذ بن جبل ﷺ حين سأل معلم البشرية ﷺ قائلاً له: أنؤاخذ بما نتكلم به؟ قال: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس على مناخيرهم في النار، إلا حصائد ألسنتهم؟**»[(٤)]. وقد تنوعت الكلمة في زماننا، واتسع ميدانها، وتنوعت وسائلها.. فهي مسموعة.. ومكتوبة.. ومرئية في الصحف والمجلات والإذاعات والقنوات، وغيرها، في فضول كلام ولغو، وخوض في أعراض الناس، وتتبع لعوراتهم، والاشتغال بعيوبهم، والفرح بسقطاتهم، والتلذذ بالإشاعات..

ويزداد الأمر سوءًا وشرًّا، إذا كان الخوض في أعراض أهل الخير والصلاح والعفاف..

---

(١) صحيح لغيره: ذكره الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٨٨٢)، وقال المنذري: رواته ثقات.

(٢) حسن: رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٨٨٣).

(٣) حسن: حسنه الألباني في «صحيح الترغيب».

(٤) صحيح: رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٨٦٦)، و«صحيح الجامع» برقم (٥١٣٦).

ناهيكم إذا كان من غايتهم وهدمهم التحريش بينهم، ويزداد الأمر خطرًا وبلاء إذا قاد ذلك إلى نشر الشائعات والأكاذيب الملفقة، والأخبار المفتراة الآثمة..

أحبتي الكرام..

احذروا أن تدخلوا في شئون غيركم، لأن ذلك جالب للمذمة، ولا يأتي بخير على الإطلاق، خاصة إذا كان هذا التدخل لا حاجة له، ولا ضرورة بل إنه يزداد شناعة، ويتدنى وضاعة، إذا قصد من ورائه الإفساد لا الإصلاح، كفعل الكثير من ضعاف النفوس، فإنهم ينتهزون فرصة خلاف أو شقاق بين الرجل وزوجته، أو بين الصديق وصديقه، فتراهم يفرضون أنفسهم ويتدخلون دون دعوة، وغرضهم وهدفهم: اتساع الفجوة وتضخيم أسباب الاختلاف، فإذا بهم ينفخون في الجمر، وهذا تصرف صفيق، يقطع سبل الإصلاح، ويسد الطريق أمامهم..

وقد حذر الإسلام من ذلك أشد التحذيرات، واعتبر ذلك ظلمًا وبهتانًا وبغيًا وعدوانًا، يقذف بصاحبه إلى عذاب يخلد فيه مهانًا، قال الله ﷻ: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن قتادة أنه قال في هذه الآية: إياكم وأذى المؤمنين، فإن الله يحوطهم، ويغضب لهم..

وفي مسند الإمام أحمد من حديث ثوبان عن النبي ﷺ أنه قال: « **لا تؤذوا عباد الله، ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عوراتهم، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم، طلب الله عورته، حتى يفضحه في بيته** »[١].

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النور: ١٩].

وعن خالد بن معدان قال: من حدّث بما أبصرت عيناه، وسمعت أذناه، فهو من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا[٢].

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده برقم (٢٢٣٠١) بإسناد صححه حمزة الزين.

(٢) « الدر المنثور » (٧/ ٢٦٩) للسيوطي.

وقد أخرج الحاكم وصححه من حديث أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة، وهو منها بريء، كان حقًّا على الله أن يذيبه يوم القيامة في النار، حتى يأتي بنفاذ ما قال**»[1].

أحبتي في الله..

إن مما يعين على ترك المسلم ما لا يعنيه أن يتذكر أن ما عليه من واجبات أكثر من الأوقات، وأن العمر قصير، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك**»[2]. فمثل هذا العمر الذي لا يكاد يتسع لما يلزم الإنسان ويجب عليه - كما قال بعض أهل العلم - أفيتسع للفضول وما لا يعني؟

وغـدًا تـوفى الـنفوس مـا كـسبت ... ويحـصد الـزارعون مـا زرعـوا

إن أحـسنوا أحـسنوا لأنفـسهم ... وإن أسـاءوا فبـئس مـا صـنعوا

فاحذر أن تضيع أوقات عمرك فيما لا يعنيك.. لا تضيع نفيس أنفاسك، ولا دقيق دقات قلبك فيما لا يعنيك ولا يعود عليك بالنفع..

دقـات قلـب المـرء قائلـة لـه ... إنَّ الحـياة دقائـق وثـوانِ

وقال آخر:

نـح عـلى نفـسك يـا مـسكين ... إن كـنت تـنوح

لـست بالباقـي ... وإن عمـرت كـنوح

﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا** ﴾ [الإسراء: ٣٦].

موعظة:

أخي الحبيب..

إذا نطقت فاذكر من يسمع، وإذا نظرت فاذكر من يرى، وإذا عزمت فاذكر من يعلم..

---

(١) المرجع السابق (٦/ ٢٧٣).

(٢) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٧٣).

قال سفيان الثوري - رحمه الله - يومًا لأصحابه: أخبروني لو كان معكم من يرفع الحديث إلى السلطان، أكنتم تتكلمون بشيء؟ قالوا: لا..

قال: فإن معكم من يرفع الحديث إلى الله ﷻ..

يا هذا، كلامك مكتوب.. وقولك محسوب.. وأنت يا هذا مطلوب، ولك ذنوب وما تتوب، وشمس الحياة قد أخذت في الغروب، فما أقسى قلبك من بين القلوب!

يا هذا.. أمس أجل.. واليوم عمل.. وغدًا أمل، فلا يلهنك الأمل عن العمل.. فهل آن الأوان لكي تبادر وتشمر في جمع الغنائم الباردة قبل أن تمنعها؟!

قال أحمد بن عاصم الأنطاكي: هذه غنيمة باردة: أصلح ما بقي من عمرك، يغفر لك ما مضى..

ولله در القائل:

إذا كنت أعلم يقينًا ... بأن جميع حياتي كساعة

فلم لا أكون ضنينًا بها ... واجعلها في صلاح وطاعة؟!

طوبى لمن سمع ووعى، وحقق ما ادعى، ونهى النفس عن الهوى، وعلم أن الفائز من ارعوى، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى..

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد.. اللهمَّ ارزقنا محبته واتباعه ظاهرًا وباطنًا.. اللهمَّ توفنا على ملته، واحشرنا في زمرته، واسقنا من حوضه، وأدخلنا في شفاعته.. اللهمَّ اجمعنا به في جنات النعيم مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين..

اللهمَّ أعز الإسلام وانصر المسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واكفنا وإخواننا المسلمين في كل مكان كيد الكائدين، ومكر الماكرين، وحسد الحاسدين.. بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين..

الوصية رقم (٣٢)

عليكم بالجماعة

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوحة الجنة، فليلزم الجماعة**»[1].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

هذه وصية من أعظم الوصايا النبوية للأمة المحمدية، فيها حثنا أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ بلزوم الجماعة، وحذرنا من الفرقة، وعلل لذلك بأن الشيطان، وهو أعدى الأعداء.. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا** ﴾ [فاطر: ٦] الشيطان يكون مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد..

ثم يرغب النبي ﷺ في الجماعة ولزومها، بأعظم شيء تتمناه النفس البشرية، وهي دخول الجنة.. يقول: « **ومن أراد بحبوحة الجنة ...** » أي من أراد أن يسكن وسطها وأخصبها وأحسنها وأوسعها مكانًا.. ماذا يفعل؟ من أراد ذلك، **فليلزم الجماعة**..

فكأن من أعظم ثمرات لزوم الجماعة، الحصول على الدرجات العلى في الجنات يوم القيامة.. ومع ذلك، فإن لها ثمرات دنيوية عديدة..

من ثمرات الاجتماع: تهذيب الأخلاق، والتدرب على كثير من الفضائل والآداب، واقتباس الثمرات المفيدة النافعة، التي يتوصل إليها الآخرون، سواء كانت علمية أم عملية..

الاجتماع يدفع إلى الحركة، ويطلق كثيرًا من الطاقات النفسية الكمينة. بخلاف الانعزالية والانفراد، فإنه يميل بصاحبه إلى التوحش والحذر من كل شيء، ويغذي الأنفس بكثير من رذائل الأخلاق.

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده والحاكم والترمذي، وصححه الألباني في « صحيح سنن الترمذي » برقم (٢١٦٥)، و« صحيح الجامع » (٢٥٤٦).

لذلك حث النبي ﷺ على الجماعة في هذه الوصية، وغيرها كثير، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **إنَّ الله يرضى لكم ثلاثًا، ويسخط لكم ثلاثًا: يرضى لكم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم.. ويسخط لكم ثلاثًا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال** »[١].

وقد وصف الرسول ﷺ المؤمن بأنه يألف ويؤلف، فقال: « **المؤمن مألفة، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف** »[٢].

فالإنسان الذي لا يألف الناس، ولا يألفه الناس، لا خير فيه، لأنه مفرط في أنانيته، محروم من فضائل الأخلاق، التي تحببه إلى الناس، وتقربه إليهم. وتعميقًا لوحدة جماعة المؤمنين، شبه الرسول الأعظم ﷺ المؤمنين بالبنيان، يشد بعضه بعضًا.. ففي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا** » وشبك بين أصابعه[٣].

ففي هذا الحديث دعوة إلى الوحدة الجماعية بين أفراد المسلمين، وفيه بيان للفائدة العظيمة، التي تجنيها الجماعة من وحدتها وتماسكها، إنها القوة التي تظفر بها الجماعة، حينما يترابط أفرادها، ويشد بعضهم أزر بعض، إنهم بذلك يكونون شيئًا يشبه البنيان، ألسنا نرى القصر العظيم، وما فيه من أبراج عالية، مؤلف من حجارة صغيرة، جمع بعضها إلى بعض، وبنيت وفق نظام خاص يمنحها مجتمعة قوة عجيبة، ترتقي حتى تنطح السحاب؟! وفي التصوير المادي، الذي فعله الرسول ﷺ إذ شبك بين أصابعه، لتجسيد الوحدة المعنوية، ووضعها في مثال حسي مشاهد، والفكرة المعنوية هنا هي وحدة الجماعة وقوتها..

ويزيد الرسول ﷺ في تعميق معنى وحدة الجماعة، فمثلهم كمثل الجسد الواحد، الذي تتعاون أعضاؤه في كل شيء.. في الألم والمسرة..

---

(١) رواه مسلم بنحوه وأحمد، وذكره الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد والبيهقي في « شعب الإيمان »، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٦٦٦١).

(٣) متفقٌ عليه.

روى الإمام مسلم من حديث النعمان بن بشير ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **المؤمنون كرجل واحد، إن اشتكى عينه، اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه، اشتكى كله** »[١].

وفي رواية: « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى** »[٢].

فقد وضع رسول الله ﷺ فكرة وحدة جماعة المؤمنين، في صورة رجل واحد، فالرجل الواحد.. جسد ذو أعضاء مترابطة، يجمعها عصب واحد، ويديرها فكر واحد، وتحركها عواطف واحدة، وانفعالات واحدة، ويغذيها دمٌ واحد، وتسير جميعًا إلى غاية واحدة، فإذا نزل الألم بالبعض، فقد نزل الألم بالكل على سبيل المشاركة.. وإذا تمتع البعض بلذة من اللذات، شاركه الجميع..

أحبتي في الله..

وللاهتمام بشأن الجماعة، أقام الإسلام مناسبات دينية كثيرة قائمة على الجماعة، وحث المسلمين على شهودها، وشدد النكير على من يتخلف عنها، ومن أهمها:

١- **حضور صلاة الجماعة**: فعند النسائي وابن ماجة من حديث أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **ما من ثلاثة في قرية، ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة** - أي صلاة الجماعة - **إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب القاصية** »[٣]، يأكل الذئب الشاة المبتعدة عن أخواتها من الأغنام.. فكذلك المبتعد عن الجماعة المؤمنة، يُعرض نفسه لذئاب الشر، وشياطين الإفساد الذين يغوونه ويضلونه..

٢- **حتى في الطعام** أمر الحبيب ﷺ أتباعه أن يجتمعوا على الطعام، لكي يبارك الله ﷻ لهم فيه..

روى أبو داود عن وحشي بن حرب عن أبيه عن جده، أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، إنا نأكل ولا نشبع، قال: « **فلعلكم تفترقون؟** »، قالوا: نعم،

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم وأحمد، وهو في « صحيح الجامع ».

(٣) حسن: رواه النسائي وابن ماجة، « صحيح سنن النسائي » برقم (٨٤٧).

قال: « **فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله يبارك لكم** »[١].

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **أحبُّ الطعام إلى الله، ما كثرت عليه الأيدي** »[٢].

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « **كلوا جميعًا ولا تتفرقوا، فإن طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الثمانية** »[٣].

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية** »[٤]. وزاد البزار في روايته من حديث سمرة: « **ويد الله على الجماعة** ». وعند الطبراني: « **فاجتمعوا عليه ولا تفرقوا** »[٥].

٣- ومن حرص الإسلام على الحث على الجماعة أن شرع لهم صلاة الجماعة، وجعلها تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، فقد ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة** »[٦]. والفذ: أي المنفرد.

وبلغ من حرصه على الجماعة في الصلاة اليومية، أن همَّ الرسول ﷺ بتحريق بيوت أقوام لا يحضرون صلاة الجماعة، فقد روى البخاري - رحمه الله - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب، فيحطب، ثم آمر بالصلاة، فيؤذن لها، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم ...** »[٧]. ومن حرصه على صلاة الجماعة تدعيمًا

---

(١) حسن: حسنه الألباني في « صحيح سنن أبي داود » (٣٧٦٤)، و« صحيح سنن ابن ماجة » (٣٢٨٦)، و« الصحيحة » (٦٦٤).

(٢) حسن: رواه أبو يعلى والطبراني وأبو الشيخ، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢١٣٣)، و« صحيح الجامع » (١٧١).

(٣) حسن: رواه الطبراني في « الأوسط »، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » برقم (٢١٣٢).

(٤) رواه مسلم والترمذي وابن ماجة.

(٥) حسن: حسنه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٣٩٠٩).

(٦) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٧) رواه البخاري.

للروح الجماعية بين المسلمين، نجد في الفقه الإسلامي، أنه لو ترك أهل بلد مسلم صلاة الجماعة، كان من حق المسلمين تحت لواء قائدهم العام أن يقاتلوهم على ذلك، لأنهم قد تركوا شعيرة ظاهرة في الإسلام.

ولما اعتذر عبد الله بن أم مكتوم الأعمى، لأنه لا يجد قائدًا يقوده لشهود صلاة الجماعة وسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له بالصلاة في بيته، أذن له أولاً، ثم دعاه، فقال: «**هل تسمع النداء بالصلاة؟**»، قال: نعم.. قال: «**فأجب**»[1]..

٤- ولتقوية روح الجماعة في نفوس المسلمين، شرع صلاة الجمعة الأسبوعية، وحث عليها ورغب في حضورها، وجعلها فريضة لازمة على جماعة المسلمين، وحضورها فرض لازم، على كل مكلف ذكر، لا عذر عنده من سفر أو مرض أو نحوهما.

٥- وكذلك شرع صلاة عيدي الفطر والأضحى، حتى شرع حضور النساء والصغار، وحتى ذوي الأعذار اللاتي لا يصلين بسبب أعذارهن المشروعة، فالكل يجتمع إبرازًا لمعنى الجماعة، وتعميقًا لروحها في قلوب المسلمين.

٦- وكذلك فريضة الحج، فهو أعظم شعيرة دينية تشهد أكبر تجمع من الأقطار على اختلاف الأجناس واللغات..

أحبتي الكرام..

وكما حث الإسلام على الجماعة ولزومها، نفر وحذر من التفرق أشد التحذير، فقال البشير النذير ﷺ: «**من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات مات ميتة جاهلية**»[2].

قال النووي - رحمه الله -: أي على صفة موتهم من حيث هم فوضى، لا إمام لهم.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**من كره من أميره شيئًا، فليصبر عليه، فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرًا فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية**»، وعند أحمد: «**... فليصبر، فإنه ما أحد يفارق الجماعة شبرًا فيموت، إلا مات ميتة جاهلية**»[3].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح: رواه مسلم.

(٣) صحيح: رواه البيهقي وأحمد، وهو في «صحيح الجامع» برقم (٦٢٤٩).

فقد أمرنا في هذا الحديث بالصبر على ما نكره، من أمرائنا المؤمنين، الذين لا يأمروننا بمعصية الله ﷻ، وأن نحرص على لزوم الجماعة..

ولخوف الفرقة والتنازع، اللذان يؤديان إلى الضعف والوهن، بل والفشل.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ ... ﴾ [الأنفال: ٤٦].

قال ﷺ: « **إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما** »[١].

فقد جعل عقوبة القتل هي العقوبة الإسلامية للذين يحاولون تفريق صف الجماعة، وبث الخلاف، والتنازع بينهم.. وقال ﷺ: « **إنه سيكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة، وهي جميع** - أي مجتمعة - **فاضربوه بالسيف كائنًا من كان** »[٢].

والهنات: جمع هنة، وتطلق على كل شيء، والمراد بها هنا: الفتن، والأمور الحادثة.

وفي رواية: « **ستكون بعدي هنات وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو يريد أن يفرق بين أمة محمد، كائنًا من كان، فاقتلوه، فإن يد الله مع الجماعة، وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض** »[٣].

قال المناوي - رحمه الله - معلقًا على هذا الحديث:

فإن الله تعالى جمع المؤمنين على معرفة واحدة، وشريعة واحدة، ألا تراه يقول: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴾ [الحجرات: ١٠]. فمن فارقهم، فقد خالف أمر الرحمن، فلزم الشيطان. قال أبو شامة: حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلاً، والمخالف كثيرًا[٤].

وجاء في مسند الإمام أحمد والترمذي عن الحارث الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: « **آمركم بخمس: بالجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيله، وإنه من خرج من الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، إلا أن يراجع، ومن دعا**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم وأحمد.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقي والديلمي.

(٤) « فيض القدير » (٤/ ١٣١) للمناوي.

بدعوى الجاهلية، فهو من جُثي جهنم، وإن صام وصلى، وزعم أنه مسلم »[١].

أحبتي في الله..

وقد حث الإسلام على تثبيت الجماعة، وتقوية معانيها في نفوس المسلمين، بالتآخي والتحابب، والتوادد في الله..

روى الإمام مالك عن معاذ بن جبل ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ** »[٢].

وفي رواية عند الترمذي، قال: « **يقول الله تعالى: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء** »[٣].

وروى أبو داود بسنده عن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **إنَّ من عباد الله لأناسًا، ما هم بأنبياء، ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله** ».

قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم؟

قال: « **هم قوم تحابوا بروح الله، على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس**، ثم قرأ: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ ... ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤] »[٤].

اللهمَّ اجمع صفوف المسلمين، واجمع كلمتهم، واجمع قلوبهم على التآلف والمحبة..

اللهمَّ اجعل جمعنا هذا جمعًا مرحومًا، واجعل تفرقنا من بعده تفرقًا معصومًا.. ولا تجعل فينا ولا بيننا شقيًا، ولا محرومًا..

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني في « المشكاة » (٣٦٩٤).

(٢) صحيح: رواه مالك في الموطأ، وصححه الألباني.

(٣) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني.

(٤) صحيح: رواه أبو داود.

اللهمَّ ألف بين قلوب المسلمين، ووفق ولاة أمور المسلمين إلى ما فيه الخير والرشاد.. واجعل هذا البلد سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين..

اللهمَّ اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين..

۞۞۞۞

الوصية رقم (٣٣)

عليكم بسلامة الصدور

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **لا تباغضوا ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانًا، لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث** »[1].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

هذه الوصية الكريمة من الرسول الكريم ﷺ رغم قلة كلماتها، وصغر حجمها إلا أنها اشتملت على الخير كله..

أولاً: نهت عن التباغض في قوله: « **لا تباغضوا** » أي لا تتعاطوا أسباب البغض، لأن البغض لا يكتسب ابتداء.

ثانيًا: نهت عن التحاسد في قوله: « **ولا تحاسدوا** » أي لا يتمنى بعضكم زوال نعمة بعض، سواء أرادها لنفسه أم لا..

ثالثًا: نهى عن التهاجر في قوله: « **ولا تدابروا** » أي لا تتهاجروا، فيهجر أحدكم أخاه، مأخوذة من تولية الرجل للآخر دبره، إذا أعرض عنه حين يراه.

رابعًا: نهت عن التقاطع في قوله: « **ولا تقاطعوا** » أي لا يقاطع بعضكم بعضًا، والتقاطع ضد التواصل.

خامسًا: أمرت بأن يكون جميع المسلمين إخوانًا متحابين في الله..

قال القرطبي - رحمه الله -: أي كونوا كإخوان النسب في الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة، والمعاونة والنصيحة.

سادسًا: حرمت أن يهجر المسلم أخاهُ مدة تزيد عن ثلاثة أيام فقال: « **ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث** ».

---

(١) رواه مسلم والترمذي وأحمد، وذكره الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٧١٩٩).

أحبتي في الله..

لقد حرص الإسلام الحنيف حرصًا شديدًا على تأليف قلوب الأمة، فلا يكون بين أفرادها إلا المحبة والإخاء، والتناصح البناء، الذي يكون فيه إصلاح الخطأ مع صفاء القلوب وتآلفها دون الوقوع في التباغض والتحاسد والتقاطع، قال تعالى يوضح لنا أن سلامة الصدر كانت صفة من أعظم صفات أصحابه الكرام ﷺ: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الحشر: ١٠].

وقد ورد في حديث أنس بن مالك ﷺ قال: كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فقال: « **يطلع عليكم رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال** »، فلما كان الغد، قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث، قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال له: إني لاحيت أبي، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت.. قال: نعم..

قال أنس: وكان عبد الله يُحدِّث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئًا، غير أنه إذا تعارَّ، وتقلب على فراشه، ذكر الله ﷻ، وكبَّر حتى يقوم لصلاة الفجر..

قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا، فلما مضت الثلاث ليالٍ وكدت أن أحتقر عمله..

قلت: يا عبد الله، إني لم يكن بيني وبين أبي غضب، ولا هجر ثَمَّ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرار: « **يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة** » فطلعت أنت الثلاث مرارٍ، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك، فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟

فقال: ما هو إلا ما رأيت.

قال عبد الله: فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًّا، ولا أحسد أحدًا على خيرٍ أعطاه الله إياه..

فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك - أي شهادة الرسول الأعظم بأنك من أهل الجنة - وهي التي لا نطيق[1].

وسلامة الصدر من أعظم النعم التي يتكرم بها الله ﷻ على أهل الجنة حينما يدخلونها، قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧] فأهل الجنة لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد، ومن كان على هذه الصفة في الدنيا، فإنه قد ذاق بعض عيش أهل الجنة ومسراتهم، وعسى أن تكون من المبشرات له بأن يكون من أهلها يوم القيامة.. ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من برد القلب وسلامة الصدر؟! وهل العيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم؟

إن سلامة الصدر راحة في الدنيا، وغنيمة في الآخرة، لأن صاحب النية الخبيثة لا يحصل له شيء مما يتمناه، بل إنه يتعجل لنفسه الشقاء والهم والتعب مع عظيم الإثم الموجب للنار في الآخرة.. على العكس من ذلك.. لوصفت نيته، وصلح قلبه، وسلم صدره من الأحقاد والأغلال، لحصلت له الراحة والتفرغ لمصالحه مع ما يحصل من عظيم الأجر، وحسن العاقبة.

قال قاسم الجوعي - رحمه الله -: أفضل العبادة مكابدة الليل، وأفضل طريق للجنة: سلامة الصدر[2].

وقال السقطي - رحمه الله : من أجل أخلاق الأبرار، سلامة الصدر للإخوان والنصيحة لهم..

والسنة المطهرة مليئة بالترغيب والحث على سلامة الصدر، فمن المعلوم أن صاحب الصدر السليم هو الذي ينصر أخاه المسلم، ويدافع عن عرضه، قال - صلوات ربي وسلامه عليه -: « **ما من امرئ يخذل امرأً مسلمًا في موطن تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله عز وجل في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر**

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده برقم (١٢٦٣٢)، وصححه حمزة الزين في تخريج المسند (٢٠/ ٥٣٦).

(٢) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/ ٤٧٢).

مسلمًا في موضع ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله عز وجل في موضع يحب فيه نصرته »[1]. ومن الذي يقوم بهذا؟ من الذي ينتصر لأخيه المسلم؟ من الذي يدرأ عن عرضه؟ إنه الرجل المحب في الله، الذي امتلأ قلبه بالإيمان، فصار قلبه وصدره منشرحًا.. أسأل الله أن يجعلنا منهم..

وقال ﷺ: « على كل سلامَى من الناس صدقة »[2]. والسلامى هي الأعضاء والمفاصل في الجسد.. وعلى المسلم صدقة، لأن تركيب هذه العظام وسلامتها من أعظم نعم الله تعالى على عبده، فيحتاج كل عظم منها إلى صدقة من ابن آدم يتصدق بها ابن آدم عنه..

وفي بعض ألفاظ هذا الحديث المشهور، المتفق عليه، يقول النبي ﷺ « **الإنسان ثلاثمائة وستون عظمًا، أو ستة وثلاثون سلامى، عليه في كل يوم صدقة** »، قالوا: فمن لم يجد؟ قال: « **يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر** »، قالوا: فمن لم يستطع؟ قال: « **يرفع عظمًا عن الطريق** »، قالوا: فمن لم يستطع؟ قال: « **فليعن ضعيفًا** »، قالوا: فمن لم يستطع ذلك؟ قال: « **فليدع الناس من شره** »، وفي لفظ: « **فليمسك عن الشر، فإن له صدقة** ».

إذن هذا الذي يمسك عن الشر، لأنه لم يستطع أن يفعل الخير، دليل على سلامة صدره، لأنه أمسك عن الشر.. فالنفس إن لم تشغلها بالحق، شغلتك بالباطل..

وصاحب الصدر السليم يوجه صاحبه وأعضاءه وأتباعه إلى كل خير، وإلى الاستقامة وإلى عدم إيذاء الناس، والنيل منهم..

وفي الصحيحين من حديث أبي ذر ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: « **الإيمان بالله والجهاد في سبيله** ».

قلت: فإن لم أفعل؟ قال: « **تعين صانعًا، أو تصنع لأخرق** ».

قلت: أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟

قال: « **تكف شرك عن الناس، فإنها صدقة** »[3].

---

(١) ضعيف: رواه أبو داود، وضعفه الألباني.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٣) رواه مسلم.

أحبتي في الله..

سلامة الصدر، وإصلاح ذات البين من لوازم التقوى، ولهذا نرى القرآن الكريم قد جمع بينهما، في قوله تعالى: ﴿ **فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ** ﴾ [الأنفال: ١].

وأخبرنا النبي المصطفى، والرسول المجتبى ﷺ أن دخول الجنة لا يكون إلا بالصفاء والمحبة بين المؤمنين، فقال: « **والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم** »(١).

فبالتحابب يكون كمال الدين، ولقد أبرز النبي ﷺ مكانة سليم الصدر، وأعلى من شأنه، فحين سئل النبي ﷺ عن أفضل الناس ذكر من صفاتهم سلامة الصدر، ففي حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قيل للرسول ﷺ: يا رسول الله، أيُّ الناس أفضل؟

قال: « **كل مخموم القلب، صدوق اللسان** ».

قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟

قال: « **هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل ولا حسد** »(٢).

هذه رواية ابن ماجة والبيهقي في شعب الإيمان، وزاد ابن عساكر: قالوا: فمن يليه يا رسول الله؟ قال: « **الذي يشنأ الدنيا، ويحب الآخرة** » أي يبغض الدنيا.. قالوا: فمن يليه؟ قال: « **مؤمن في خلق حسن** ».

وقال ﷺ في صفة أولئك الأطهار قلوبهم، السليمة صدورهم من الغل والحقد والحسد: « **المؤمن غرٌّ كريم، والفاجر خبٌّ لئيم** »(٣).

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة.

(٢) صحيح: صححه الألباني في « الصحيحة » (٩٤٨)، وفي « صحيح الترغيب » (٢٨٨٩)، و« صحيح سنن ابن ماجة » (٤٢١٦).

(٣) حسن: رواه أحمد والترمذي وأبو داود، وحسنه الألباني في « الصحيحة » (٩٣٢)، و« صحيح الجامع » (٢٦٠٩)، و« صحيح الترغيب » (٢٦٠٩).

قال الألباني في « السلسلة الصحيحة »:

« الغرُّ في كلام العرب، هو الذي لا غائلة، ولا باطن له يخالف ظاهره، ومن كان هذا سبيله، أمن المسلمون من لسانه ويده، وهي صفة المؤمن.

والفاجر ظاهره خلاف باطنه، لأن باطنه هو ما يكره، وظاهره مخالف لذلك كالمنافق الذي يظهر شيئًا غير مكروه منه، وهو الإسلام، الذي يحمده أهله عليه، ويبطن خلافه، وهو الكفر الذي يذمه المسلمون عليه »[١].

وقال المناوي - رحمه الله - في « فيض القدير »:

« **المؤمن غرٌّ** » أي يغره كل أحد، ويغره كل شيء، ولا يعرف الشر، وليس بذي مكر ولا فطنة للشر، فهو ينخدع لسلامة صدره، وحسن ظنه، وينخدع لانقياده ولينه « **كريم** » أي شريف الأخلاق.

« **والفاجر** » أي الفاسق « **خب لئيم** » أي جريء، فيسعى في الأرض بالفساد. فالمؤمن المحمود، من كان طبعه الغرارة، وقلة الفطنة للشر، وترك البحث عنه، وليس ذلك منه جهلاً.. والفاجر من عادته الخبث والدهاء، والتوغل في معرفة الشر، وليس ذلك منه عقلاً.

قال بعض العارفين: « كن عُمري الفعل، فإن الفاروق عمر يقول: من خدعنا في الله، انخدعنا له.. فإذا رأيت من يخدعك، وعلمت أنه مخادع فمن مكارم الأخلاق أن تنخدع له، ولا تفهمه أنك عرفت خداعه، فإذا فعلت ذلك، فقد وفيت الأمر حقه، لأنك إنما عاملته بالصفة التي ظهر لك فيها، والإنسان إنما يعامل الناس لصفاتهم لا لأعيانهم »[٢].

أحبتي الكرام..

والعبد لا ينال درجة الإيمان الحقيقي النافع لصاحبه إلا إذا سلم صدره تجاه كل أخ مسلم، وحقق الشرط، الذي أخبرنا به طبيب القلوب، وحبيب علام الغيوب ﷺ في

---

(١) « السلسلة الصحيحة » (٢/ ٦٠٧).

(٢) « فيض القدير » (٦/ ٣٣٠) للمناوي.

قوله: «**والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[١].

قال ابن رجب الحنبلي - رحمه الله -: هذا الحديث يدل على أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن، ويريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير، وهذا إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد[٢].

والمتأمل في سير الأنبياء والصالحين يظهر له جليًّا صفاء السريرة وسلامة الصدر. وقدوتنا في ذلك سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ وله مواقف جليلة تبرز فيها سماحته، وسلامة صدره، سواء كان ذلك مع أعدائه أم مع غيرهم، ومن هذه المواقف ما روته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم أشد من يوم أُحد؟ فقال: «**لقد لقيت من قومك ما لقيته، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل - عليه السلام - فناداني، فقال: إنَّ الله - عز وجل - قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت، فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال له رسول الله: بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا**»[٣]. وفي غزوة الطائف، لما قيل له: يا رسول الله، ادع الله على ثقيف، فقال: «**اللهمَّ اهدِ ثقيفًا، وائت بهم**»[٤].

وتأملوا حاله ﷺ حين ضربه قومه، ورموه بالحجارة حتى أدموا قدميه، فجعل يسلت الدم، وهو يقول: «**اللهمَّ اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون**»[٥]. فإذا كان هذا حاله مع أعدائه، فكيف يكون حاله مع أصحابه الأبرار؟

قالت أمنا عائشة - رضي الله عنها -: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا، ولا متفحشًا، ولا صخابًا في الأسواق، ولا يجزى بالسيئة، ولكنه يعفو ويصفح. وكان ﷺ

---

(١) رواه البخاري، ونحوه في صحيح مسلم، والحديث متفقٌ عليه.

(٢) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب في الحديث الثالث عشر.

(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٤) رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح غريب.

(٥) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

يقول: « **لا يبلغني أحد عن أصحابي شيئًا، فإني أحب أن أخرج إليكم، وأنا سليم الصدر** »[١].

وإذا تأملنا سير الصالحين، وجدنا العفو وسلامة الصدر من أهم صفاتهم، وعلى رأسهم صحابة الرسول الأكرم ﷺ.

قال إياس بن قرة: « كان أفضلهم عندهم - أي عند الصحابة - أسلمهم صدرًا، وأقلهم غيبة ».

وعن سفيان بن دينار قال: قلت لأبي بشر: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟

قال: كانوا يعملون يسيرًا، ويؤجرون كثيرًا.

قال: قلت: ولم ذاك؟ قال: لسلامة صدورهم.

فهذا ابن عباس - حبر الأمة - رضي الله عنهما - يقول: « إني لأسمع أن الغيث قد أصاب بلدًا من بلدان المسلمين، فأفرح به، ومالي به من سائمة »[٢].

وهذا لأن صدره وقلبه سليم من الأحقاد والأغلال.

وهذا أبو دجانة ﷺ لما دخل عليه وهو مريض، فكان وجهه يتهلل فقيل له في ذلك، فقال: ما من عمل أوثق عندي من اثنين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى، كان قلبي للمسلمين سليمًا.

وسيدنا عبد الله بن سلام ﷺ لما قالوا له: أخبرنا عن أوثق عمل في نفسك ترجو به، فقال: إني لضعيف، وإن أوثق ما أرجو به الله، سلامة الصدر[٣].

ومن هؤلاء الأبرار، الذين سلمت صدورهم من الحقد والغل والحسد أحمد بن حنبل ﷺ ذلكم الإمام الفاضل، التقي الورع، إمام أهل السنة في عصره. ماذا كان موقفه من خصومه؟ لقد جعل كل من آذاه في حلٍّ إلا أهل البدعة. وكان يتلو في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ... ﴾ [النور: ٢٢].

---

(١) ضعيف: رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وضعفه الألباني في « ضعيف الجامع » (٦٣٢٢).

(٢) « صفة الصفوة » (١/ ١٦٧) لابن الجوزي.

(٣) « الإحياء » (٢/ ٣١٣) للغزالي.

وكان يقول: ما ينفعك أن يعذب أخوك المسلم بسببك؟ ثم يقول: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠].

هكذا كانت حياتهم هؤلاء الأتقياء الأبرار، نسأل الله ﷻ أن يلحقنا بهم على أخلاقهم وعلى دربهم وهديهم..

اللهمَّ نقِّ صدورنا من الغل والحقد والحسد..

اللهمَّ املأ صدورنا بالحب والأمن والأمان، والسلامة والإسلام..

اللهمَّ اجعلنا نخشاك كأننا نراك، وأسعدنا بتقواك.. ولا تجعلنا بمعصيتك مطرودين.. ورضنا بقضائك وقدرك يا أكرم الأكرمين..

اللهمَّ كن لنا مؤيدًا وناصرًا، وكن بنا رءوفًا رحيمًا، يا خير المسئولين.. نشكو إليك ضعف قوتنا، وقلة حيلتنا.. يا أرحم الراحمين..

اللهمَّ اجعلنا إلى جمال آياتك ناظرين، وإلى روائع قدرتك مبصرين..

اللهمَّ اغفر لنا ذنوبنا.. وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار..

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين..



الوصية رقم (٣٤)

عليكم بالوصية قبل أن يدرككم الموت

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « **ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده** »[١].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله تعالى..

إن الله ﷻ قد بعث رسوله وحبيبه محمدًا ﷺ هاديًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا..

صلوات ربي وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله.. يا من بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وكشفت الغمة، وتركتنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.. لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتبعها إلا كل منيب سالك..

لقد أرشدنا هذا الرسول العظيم ﷺ لما فيه الخير لنا في حياتنا وبعد مماتنا.. لقد شرع لنا دستورًا قويمًا يملأ حياتنا بهجة وسعادة.. وبعد مماتنا ثوابًا ونعيمًا.. فشرع الوصية، وحث على فعلها، وندب إلى التعجيل بكتابتها، خشية أن يفاجئ الموت الإنسان، أو تباغته المنية، فتضيع عليه تلك الفرصة الطيبة، التي يستطيع بها كل مقصر أن يتدارك ما فاته فعله من البر، وعمل الخير، وأن يصل بها أقاربه غير الوارثين له، أو يرفع بها ظلمًا عن شخص تسبب في إلحاق الأذى به، أو يواسي بها فقراء معدومين..

وها نحن في عصرنا الحاضر نجد أنفسنا في أمس الحاجة إلى العمل بموجب هذه الوصية النبوية الشريفة.. وهذا الموضوع له أهمية شرعية كبيرة، ومطلب إسلامي حيوي، خاصة بعد أن تكالبت النفوس على حطام الدنيا الزائف وتمكن منها التنازع والتجاحد، حتى وصل بنا الحال إلى درجة نسيان معظم القيم الإسلامية والإنسانية في سبيل جمع المال، ومحاولة الاستئثار به.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

أحبتي في الله..

ما هي الوصية؟ ولماذا؟ وما أنواعها؟ وما موقف المسلم منها؟ ومتى تحرم؟ وما مقدارها؟

كل هذه الأسئلة سوف نجيب عنها بمشيئة الله تعالى وعونه وتوفيقه في ظلال هذه الوصية التي نعيش معها..

أما الوصية في اللغة فهي بمعنى الوصل.. قال أبو عبيد كما في القاموس المحيط: وصيت الشيء، ووصلته سواء.. فهي في اللغة الإيصال، فكأن الموصي وصل خير دنياه بخير عقباه..

أما تعريفها شرعًا، فهي: ما يتقدم به الغير من قول أو فعل، لإرادة الإصلاح والقربة إلى الله تعالى، سواء كان في حالة عافية، أو عند الاحتضار، وإن كان الغالب إطلاق لفظ الوصية على ما يكون في حال الاحتضار، وينبغي أن يعلم: أن للمسلم أن يوصي عند احتضاره، ليستدرك ما فاته من الطاعات والقربات، قال تعالى: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ [البقرة: ١٨٠].

قال القرطبي - رحمه الله - في تفسيره: قوله ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمْ** ﴾ هذه آية الوصية، ليس في القرآن الكريم ذكر للوصية إلا في هذه الآية، وفي النساء: ﴿ **مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ ...** ﴾ [النساء: ١٢]، وفي المائدة: ﴿ **حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ...** ﴾ [المائدة: ١٠٦]. والتي في البقرة أتمها وأكملها، ونزلت قبل نزول الفرائض والمواريث. ثم قال في المسألة الرابعة: قوله تعالى: ﴿ **خَيْرًا** ﴾ الخير هنا: المال من غير خلاف، واختلفوا في مقداره، فقيل: المال الكثير.. وقالوا: سبعمائة دينار، وعن الحسن: الخير ألف دينار فما فوقها.

وقال الشعبي: ما بين خمسمائة دينار إلى ألف..

وقال: والوصية عبارة عن كل شيء يؤمر بفعله، ويعهد به في الحياة، وبعد الموت وخصصها العرف بما يعهد بفعله وتنفيذه بعد الموت[1].

---

(١) «تفسير القرطبي» (٢/ ٢٥٩).

أحبتي في الله..

ويرى بعض العلماء أن الوصية واجبة للآية السابقة، وحديث الوصية.. « **ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين، إلا ووصيته مكتوبة عنده** » قال ابن عمر: ما مرت عليَّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك، إلا وعندي وصيتي..

وبعضهم يرى أن الوصية غير واجبة، وهذا ما عليه أكثر العلماء..

وقال أبو ثور: ليست الوصية واجبة إلا على رجل عليه دين، أو عنده مال لقوم، فواجب عليه أن يكتب وصيته، ويخبر بها عليه..

فأما من لا دين عليه ولا وديعة عنده، فليست بواجبة عليه، إلا أن يشاء..

قال ابن المنذر: وهذا حسن، لأن الله ﷻ فرض أداء الأمانات إلى أهلها، ومن لا حق عليه، ولا أمانة قِبله، فليس واجب عليه أن يوصي[1].

وقال الشافعي - رحمه الله تعالى - معنى الحديث:

« ما الحزم والاحتياط للمسلم، إلا أن تكون وصيته مكتوبة عنده، ويستحب تعجيلها، وأن يكتبها في صحيفة، ويشهد عليه فيها، ويكتب فيها ما يحتاج إليه، فإن تجدد له أمر يحتاج إلى الوصية به، ألحقه بها »[2].

أحبتي الكرام..

أما لماذا الوصية؟ فإنه لابد من الوصية لأمرين:

أولاً: لأن الآجال مجهولة، فلا يدري أحدنا متى يأتيه أجله.. قال الله ﷻ: ﴿ **وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ** ... ﴾ [لقمان: ٣٤]، لذلك ينبغي أن تكون الحقوق محفوظة معلومة، مالك، وما عليك من الحقوق والديون، والأمانات، وغيرها.

ثانيًا: لابد من الوصية حتى لا يُعذب الإنسان بسبب فعل غيره، فينبغي للمسلم

(١) المرجع السابق (٢/ ٢٦٠)، و« شرح ابن بطال » (١٥/ ١٥٥).

(٢) « تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي » (٥/ ٤٠٠) رقم (٢٠٤٤).

أن يوصي بأنه بريء من كتاب كتبه وطعنت في الإسلام جهلاً، أو في فتوى خالفت صريح الكتاب والسنة، أو من الأفعال الجاهلية التي سننتها، أو اتبعت فيها آخرون، ففي الحديث: «**من سن في الإسلام سنة سيئة، فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**»[١].

وقد ورد حديث: «**الميت يعذب في قبره بما نيح عليه**»[٢].

قال الشوكاني - رحمه الله -: قال ابن المرابط: إذا علم المرء ما جاء في النهي عن النواح وأن أهله من شأنهم أن يفعلوا ذلك، ولم يعلمهم بتحريمه، ولا زجرهم عن تعاطيه، فإذا عذب على ذلك، عذب بفعل نفسه، لا بفعل غيره[٣].

والوصية تكون في الثلث، أو ما دون الثلث، لحديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: جاء رسول الله ﷺ يعودني، قلت: يا رسول الله، أوصى بمالي كله؟ قال: «**لا**» قلت: فالشطر - أي النصف -؟ قال: «**لا**».. قلت: الثلث؟ قال: «**الثلث، والثلث كثير، إنك إن تدع ورثتك أغنياء، خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس**»[٤].

وتتأكد المبادرة بالوصية، إذا كان المسلم في حالة خطرة، كاستقبال سفر، أو اشتداد مرض، أو ركوب بحر، ومثله الجو، والمراكب الخطرة، ودخول المعركة..

أحبتي في الله..

ومن الوصية ما تجب كتابته، ومنها ما يستحب..

فأمَّا ما تجب كتابته، فيجب على المسلم أن يوصي بوفاء - أو بأداء - ما عليه من الديون أو الحقوق، سواء كانت تلك الحقوق للعباد كالديون التي ليس عليها إثبات، ولا يعلمها إلا الشخص نفسه، وكذلك ما عنده من الودائع والأمانات.. أو كانت هذه الحقوق لله ﷻ، مثل كفارة النذر، أو كفارة اليمين، أو زكاة لم يخرجها، أو حج أو عمرة، أو نحو ذلك فيوثق ذلك بالكتابة، حتى لا يضيع حق غيره، ولا يدخل على الورثة مالاً

---

(١) رواه مسلم والنسائي وابن ماجة والترمذي.

(٢) رواه البخاري ومسلم وابن ماجة والنسائي.

(٣) «نيل الأوطار» للشوكاني (٤/ ١٥٧).

(٤) متفقٌ عليه.

ليس من حقهم.. وكذلك لو كان له مال عند أحد، ولم يستوفه منه، ولم يسامحه به في حال صحته، فيجب أن يوثقه في وصيته، حتى لا يضيع على ورثته..

وأمَّا حالة استحبابها، فيستحب أن يوصي المسلم من ماله لنفسه، إذا كان له مال، ليجري ثوابه بعد موته، لحديث: « **إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له** »[1]. فمن الصدقة الجارية الوصية.. هي التبرع بالمال بعد الموت..

أمَّا إن كان ماله قليل، وورثته فقراء، فيكره له أن يوصي بشيء من ماله.. وأما الوصية لأحد الورثة فمحرمة، لحديث: « **إنَّ الله أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث** »[2]، وإن أجازها الورثة، نفذت.

إنَّ بعض الناس يخص بعض ورثته بشيء من ماله، كاستئجار عقار، أو منخة أو منح مال أو غيره، ومن فعل ذلك، فقد عصى الله ورسوله، وتعدى حدود الله، وظلم نفسه، وظلم ورثته، حيث اقتطع من حق بعضهم لبعض. ومن أوصى بوقف شيء من ماله على بعض ورثته دون البعض، فقد أوصى لوارث، حيث خص بعض ورثته باستقلال بما أوقفه عليهم دون الآخر، وإذا كان لا يجوز أن يوصي لبعض ورثته باستقلال بالتصرف في العقار أو بسكن الدار شهرًا، فكيف يجوز له أن يوصي بوقف ثلثه على أولاده أو ذريته دون غيرهم من بقية الورثة؟ فإن هذه وصية جائزة، يجب إبطالها والرجوع عنها، حتى ولو كانت مكتوبة أو مشهود عليها.

كيف يرضى الإنسان لنفسه أن يغادر الدنيا بمعصية الله ورسوله؟

ماذا يكون الجواب، إذا وقف بين يدي رب العزة والجلال، فسأله ذو الجلال والإكرام عن ماله، من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟

يا نفس إني قائل فاسمعي ... مقالة من مشفق ناصح

لا ينفع الإنسان في قبره ... غير التقى والعمل الصالح

(١) رواه مسلم وغيره عن أبي هريرة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود وابن ماجة والترمذي، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١٧٢٠).

وتحرم الوصية كذلك إذا وقع منها مضارة، لقول ربنا ﷻ: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِ ... ﴾ [النساء: ١٢].

ولحديث النبي ﷺ: « **إنَّ الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله عز وجل ستين سنة، ثم يحضرهما الموت، فيضار بالوصية، فتجب لهما النار** »(١). ثم قرأ أبو هريرة ﷺ: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ ... ﴾ الآية.

ويستحب تعجيل الوصية قبل أمارات الموت، لحديث أبي منحة قال: قال رجل يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرًا؟ قال: « **أن تصدّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر، وتأمل الغني، ولا تمهل، حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان كذا** »(٢).

أحبتي في الله..

لكن ما موقف المسلم من الوصية؟

ينبغي أن يحرص كل مسلم على أن يبرئ ذمته من كل تبعة، ولنا في سيد الخلق، وحبيب الحق أسوة حسنة، فقبل وفاته بأيام قلائل، قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى، صعد المنبر، ونادى: « **من أخذت منه مالاً، فهذا مالي، فليستقد منه، ومن جلدت له ظهرًا، فهذا ظهري، فليستقد منه، لا تقولوا فضوح، فإن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة** »(٣).

ولحديث النبي ﷺ: « **من كان عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم** »(٤).

وينبغي أن يعلم المسلم أنه ليس كل وصية قائلها صادق، فكثير ما يلبس الباطل ثوب الناصح الأمين زورًا وكذبًا، قال تعالى حكاية عن إبليس: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٢١].

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي.

(٢) رواه البخاري.

(٣) ضعيف: رواه الطبراني عن الفضل، وضعفه الألباني في « ضعيف الجامع » (٣٩٨٦).

(٤) رواه البخاري وأحمد والترمذي.

قال ابن كثير - رحمه الله -: نادى الله آدم عليه السلام: يا آدم، أمني تفر؟ قال: لا، ولكني أستحي منك يا رب، قال: أما كان لك فيما منحتك في الجنة وأبحتك منه مندوحة عما حرمت عليك؟ قال: بلى يا رب، ولكن وعزتك ما حسبت أن أحدًا يحلف بك كاذبًا.

وينبغي للمسلم أن يعرض كل وصية له على كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ فما وافقهما اتبعه، وما خالفهما تركه.

أيها المسلمون..

والوصية لا تنفذ إلا بعد موت الموصي، ولهذا قال العلماء: تبطل الوصية برجوع الموصي فيها قبل الموت، لقول عمر رضي الله عنه: يغير الرجل ما شاء في وصيته.. فللموصي أن يغير في وصيته ويبدلها بما شاء حال حياته. حكى ابن المنذر الإجماع على بطلانها بذلك.

وتثبت الوصية، إذا وجدت بخط الموصي الثابت ببينة، أو إقرار الورثة، أو تثبت بالبينة.. ويستحب الإشهاد عليها، سواء كتبها بنفسه، أو كتبها غيره حسب إملائه.

ويستحب أن يعين الموصي شخصًا يتولى جميع تركته، وإخراج الواجب عليه، وتنفيذ وصاياه.. وينبغي أن يكون المعين مسلمًا، بالغًا، عاقلاً، عدلاً، رشيدًا، سواء كان من أولاد الموصي أو أقاربه، أو كان بعيدًا عنه. ويستحب قبول الوصية لمن قوي عليها، ووثق من نفسه القيام بها، لأن قبولها فيه نفع للموصي، وإحسان إليه.

وينبغي أن تشتمل كتابة الوصية على بيان حالة الموصي وقت الوصية، من حيث الصحة والعافية في بدنه، وبيان معتقده، وبيان ما له وما عليه، وتعيين الوصي.

وقد بين الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه ما كان يكتبه السلف رضوان الله عليهم في وصاياهم، حيث قال: كانوا يكتبون في صدور وصاياهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أُوصي به فلان ابن فلان.. وأنه يشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبد الله ورسوله، وأن الساعة آتية، لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأوصى من تركت من أهلي أن يتقوا الله، ويصلحوا ذات بينهم.. وأن يطيعوا الله ورسوله، إن كانوا مؤمنين، وأوصيهم بما أوصى إبراهيم بنيه ويعقوب: إن الله اصطفى لكم الدين، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون.. ثم يوصي بما شاء بعد هذه المقدمة..

وينبغي للمسلم أن يتحرى أفضل الأعمال لوصيته من أعمال البر، كمياه الشرب وبناء المساجد وخدمتها، وقضاء ديون الفقراء، والصدقة عليهم وعلى طلاب العلم، وتعليم القرآن الكريم، ونحو ذلك من أعمال الخير..

الله العظيم أسأله أن يحسن ختامنا..

اللهمَّ اختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.. وتوفنا وأنت راضٍ عنا يا رب العالمين..

اللهمَّ اقضِ حوائجنا يا قاضي الحاجات.. يا كاشف الكربات.. يا مجيب الدعوات..

اللهمَّ أمدنا بمدد من عندك..

اللهمَّ برحمتك عمنا، وفرج عنا همنا وغمنا.. وأكفنا ما أهمنا.. وأذقنا برد عفوك، وحلاوة مناجاتك.. ولذة النظر إلى وجهك الكريم..

اللهمَّ زينا بالعلم، ودثرنا بالحلم، وكملنا بالتقوى.. وجملنا بالعافية.. وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.. واغفر لنا يا أرحم الراحمين..



الوصية رقم (٣٥)

عليكم بالتعاون على البر والتقوى

عن أبي موسى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**على كل مسلم صدقة**» قالوا: فمن لم يجد؟ قال: «**يعمل بيده، فينفع نفسه ويتصدق**». قالوا: فمن لم يجد؟ قال: «**يعين ذا الحاجة الملهوف**». قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «**فليعمل بالمعروف، وليمسك عن الشر، فإنها صدقة**»[1].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي الكرام..

هذه وصية من الحبيب ﷺ من أبلغ الوصايا، ومن أشملها في الدلالة على أعمال الخيرات، وترك المنكرات مع إيجاز عباراتها، فهي حقًا من جوامع كلمه ﷺ فتأملوا يرعاكم الله ما فيها من الحكم..

يقول ابن أبي جمرة - رحمه الله تعالى -: ترتيب هذا الحديث أنه ندب إلى الصدقة، وعندالعجز عنها، ندب إلى ما يقرب منها، أو يقوم مقامها، وهو العمل والانتفاع، وعند العجز عن ذلك، ندب إلى ما يقوم مقامه، وهو الإغاثة، وعند عدم ذلك، ندب إلى فعل المعروف، أي من سوى ما تقدم، كإماطة الأذى، وعند عدم ذلك ندب إلى الصلاة، فإن لم يطق، فترك الشر، وذلك آخر المراتب[2].

ومعنى الشر هنا: ما منعه الشرع، ففيه تسلية للعاجز عن فعل المندوبات، إذا كان عجزه عن ذلك من غير اختيار.. وأشار بالصلاة إلى حديث أبي ذر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمره بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**»[3]. أي صلاة الضحى.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٢) فتح الباري لابن حجر.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

وحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس، يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته، فيحمله عليها، أو يرفع عليها متاعهُ صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة**»[1].

وقال ابن بطال في شرحه لهذه الوصية: وفي هذا الحديث تنبيه للمؤمن المعسر على أن يعمل بيده، وينفق على نفسه، ويتصدق من ذلك ولا يكون عالة على غيره..

وقال مالك بن دينار - رحمه الله -: قرأت في التوراة: «طوبى للذي يعمل بيده ويأكل، طوبى لمحياه، وطوبى لمماته».

وروي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: «يا معشر القراء، خذوا طريق من كان قبلكم، وارفعوا رءوسكم، ولا تكونوا عيالاً على الناس».

وفيه: أن المؤمن إذا لم يقدر على باب من أبواب الخير، ولا فتح له فعله، أن ينتقل إلى باب آخر يقدر عليه، فإن أبواب الخير كثيرة، والطريق إلى مرضاة الله غير معدومة[2].

وفيه: الحث على فعل الخير مهما أمكن.

أحبتي في الله..

الإنسان كما يقول العلماء مدني بطبعه - أي اجتماعي بغيره، لقضاء مصالحه، ونيل مطالبه.. هذا لا يتم إلا بالتعاون مع غيره..

فالطبيب لا يستطيع أن يجلب لنفسه الفاكهة أو الخضروات إلا إذا كان هناك رجل يشق الأرض، ويروي الزرع، ويغرس الشجر..

والمهندس لا يستطيع أن يقيم عمارة إلا إذا توافرت لديه المواد التي يستطيع أن يرفع بها البناء كالطوب والرمل والأسمنت وغيرها..

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٢) «شرح ابن بطال» (١٧/ ٢٧٢).

وكل إنسان في هذه الحياة مهما كانت صناعته أو مهنته وضيعة، فهناك حاجة إليه، وهو في احتياج إلى الآخرين.

وهذا كله لا يتم إلا بالتعاون، الذي أمرتنا به هذه الوصية الجليلة وآيات القرآن العظيمة، التي تأمرنا بالتعاون فيما بيننا بالبر والخير. قال سبحانه: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢].

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: اشتملت هذه الآية على جميع مصالح العباد في معاشهم ومعادهم فيما بينهم بعضهم بعضًا، وفيما بينهم وبين ربهم، فإن كل عبد لا ينفك عن هاتين الحالتين، وهذين الواجبين: واجب بينه وبين الله، وواجب بينه وبين الخلق، فأمَّا الذي بينه وبين الخلق من المعاشرة والمعاونة والصحبة، فالواجب عليه فيها أن يكون اجتماعه بهم وصحبته لهم تعاونًا على مرضاة الله، وطاعته التي هي غاية سعادة العبد وفلاحه، ولا سعادة له إلا بها، وهي البر والتقوى اللذان هما جماع الدين كله..

والرسول الأعظم ﷺ في سنته الغراء حث أمته على التعاون فيما بينهم فقال ﷺ: « **المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا** » وشبك بين أصابعه الشريفة[١]..

وقال: « **أحب الناس إلى الله عز وجل أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى: سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهرًا، ومن كف غضبه، ستر الله عورته، ومن مشى مع أخيه في حاجة، حتى يتهيأ له، أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام** »[٢].

وقال: « **من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه** »[٣].

---

(١) متفقٌ عليه.

(٢) حسن: رواه ابن أبي الدنيا والأصبهاني، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (١٧٦)، و« صحيح الترغيب » (٢٦٢٣).

(٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان والحاكم.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عنه ضيعته، ويحوطه من ورائه** »(١).

والضيعة هنا تأتي بمعنيين: الأول: الصنعة والحرفة، وما يكتسب به الإنسان معاشه، ومن ذلك التجارة والأراضي الزراعية، وغير ذلك..

الثاني: الضياع المفضي إلى الهلاك والتلف.. وهذا المعنى هو الأنسب للمراد، فيكف المؤمن عن أخيه ضيعته، بمعنى يدفع عنه الضياع والهلاك.

أحبتي في الله..

إن نبي الله وكليمه موسى ﷺ لما أرسله الله ﷻ إلى فرعون، ليرفع يده عن بني إسرائيل، التمس من الله ﷻ المعين والنصير، والمساعد من أهله، ومضى في الالتماس والرجاء أن يكون هذا المعين له على أمر دعوته، هو أخوه هارون ﷺ. قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ ... ﴾ [طه: ٢٥-٣٢].

ولقد قامت دولة الإسلام الأولى على التعاون، فقد مكث إمام هذه الأمة وكاشف الغمة بمكة المكرمة ثلاث عشرة سنة يبث الدعوة في مكة، لكنها أغلقت قلوبها عن التوحيد، فأخذ رسول الله ﷺ يبحث عن قلب آخر ليبث فيه التوحيد والإيمان، فكان قلوب أهل المدينة، فهاجر إليهم، وكان التعاون قائمًا فيهم من أول لحظة، فقد آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار.. واقتسم الأنصار معهم الأموال والديار..

آخى بين المهاجري العظيم عبد الرحمن بن عوف ﷺ وبين الأنصاري الكريم سعد ابن الربيع، فماذا حدث؟

حدثت صورة خارقة لمألوف البشر، وعاداتهم وتقاليدهم، وما تعارفوا عليه صورة بلغت الذروة في الحب والإيثار والتعاون..

---

(١) حسن: حسنه الألباني في « السلسلة الصحيحة » (٩٢٦).

قال سعد بن الربيع: أنا أكثر أهل المدينة مالاً، فخذ شطر مالي، ولي امرأتان، فانظر أيهما أعجب إليك، أطلقها لتتزوجها.. وذلك قبل الحجاب..

لم يكن عبد الرحمن نهازًا للفرص، ولم يسارع بقبول العرض، ولكنه ارتفع شاهقًا بإنسانيته، وتناسى العرض، وقال: دلني على سوق بني قينقاع.. فتاجر.. وراجت تجارته.. وصار من أثرياء المدينة.. وقد أنزل الله ﷻ في ذلك قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة.. قال تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ...** ﴾ [الحشر: ٩].

وعن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: قال المهاجرون: يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم، أحسن في قليل، ولا أحسن بذلاً في كثير، لقد كفونا المئونة وأشركونا في المهنأ، حتى لقد حسبنا أن يذهبوا بالأجر كله.

قال: « **لا، ما أثنيتم عليهم، ودعوتم الله عز وجل لهم** »[١].

وتعاون الصحب الكرام ﷺ وتعاون معهم الحبيب المصطفى ﷺ في بناء المسجد المبارك، وكان النبي ﷺ يرتجز قول القائل:

اللهـــمَّ إنَّ الأجـــر أجـــر الآخـــرة   فـــارحم الأنـــصار والمهاجـــرة

وقد كان الحبيب المصطفى ﷺ وصحبه الكرام في يوم من الأيام في سفر فأمرهم بإصلاح شاة للطعام..

فقال رجل: يا رسول الله، عليَّ ذبحها، وقال آخر: عليّ سلخها..

وقال ثالث: عليَّ طبخها، وقال رسول الله ﷺ: « **وأنا عليَّ جمع الحطب** »..

فقالوا: يا رسول الله، نكفيك العمل..

قال: « **علمت أنكم تكفونني ذلك، ولكني أكره أن أتميز عليكم، وأن الله يكره من عبده أن يراه متميزًا** »[٢]..

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده.

(٢) « كشف الخفاء » للعجلوني.

وروي أن ابنة خباب بن الأرت قالت: خرج خباب في سرية للقتال فكان النبي ﷺ يتعاهدنا حتى يحلب عنزة لنا في جفنة فتمتلئ الجفنة حتى تفيض، فلما قدم خباب حلبها، فعاد حلابها إلى ما كان[١].

وضرب الصحابة - رضوان الله عليهم - الرقم القياسي في التعاون العملي، فكان خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ يحلب أغنام الحي، فلما صار خليفة للمسلمين، قالت جارية منهم: الآن لا يحلبها.. فقال أبو بكر: بلى، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن شيء كنت أفعله..

قال ابن رجب - رحمه الله - في جامع العلوم والحكم:

وإنما كانوا يقومون بالحلاب، لأن العرب كانت لا تحلب النساء منهم، وكانوا يستقبحون ذلك، فكان الرجال إذا غابوا، احتاج النساء إلى من يحلب لهن. وكان عمر يتعاهد الأرامل، فيستقي لهن الماء بالليل، فرآه طلحة بالليل يدخل بيت امرأة، فدخل إليها طلحة نهارًا، فإذا هي عجوز عمياء مقعدة، فسألها: ما يصنع هذا الرجل عندك؟

قالت: هذا له منذ كذا وكذا يتعاهدني، ويأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى..

فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة، عثرات عمر تتبع؟!

وكان أبو وائل يطوف على نساء الحي وعجائزهم، كل يوم، فيشتري لهن حوائجهن، وما يُصلحهن[٢].

فتأملوا رعاكم الله - وهداني الله وإياكم - كيف كان هؤلاء يحبون التعاون وكان خلقهم الأكبر..

ولما أراد البعض قتل الصحابي الجليل عثمان بن عفان ﷺ يوم الدار جاء عبد الله بن سلام ﷺ فقال له عثمان: ما جاء بك؟ قال: جئت في نصرتك، قال: اخرج إلى الناس، فاطردهم عني، فإنك خارجًا خير لي منك داخلاً، فخرج عبد الله إلى الناس، وكان مما

---

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي (ص٣٤١).

(٢) «حلية الأولياء» (١/ ٤٧) لأبي نعيم، و«جامع العلوم والحكم».

قال ﷺ: إنَّ لله سيفًا مغمودًا عنكم، وإنَّ الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه نبيكم.. فالله الله في هذا الرجل أن تقتلوه، فوالله إن قتلتموه، لتطردن جيرانكم من الملائكة، ولتسلن سيف الله المغمود عنكم، فلا يغمد إلى يوم القيامة ولما ضرب ابن ملجم عليَّ بن أبي طالب ﷺ دخل منزله، فاعترته غشية، ثم أفاق، فدعا الحسن والحسين - رضي الله عنهما - وقال: أوصيكما بتقوى الله ﷻ، والرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا، ولا تأسفا على شيء فاتكما منها، فإنكما عنها راحلان، افعلا الخير، وكونا للظالم خصمًا، وللمظلوم عونًا.. ثم دعا محمدًا ولده، وقال له: أما سمعت ما أوصيت به أخويك؟ قال: بلى، قال: فإني أوصيك به..

ويذكرون أن امرأة صرخت حين وقعت في الأسر، وانتهكت حرمتها قالت: وامعتصماه.. ولما علم المعتصم بذلك، ركب فرسه، ولم ينتظر بل تبعه الجيش يعدو في أثره، حتى فتح عموريه.. ثم سأل المعتصم: أين التي كانت تستصرخ؟

ومن قبله كان عمر بن الخطاب ﷺ يتخوف من أن تتعثر شاة بوادي الفرات فيُسأل عنها يوم القيامة: لِمَ لم تمهد لها الطريق يا عمر؟!

وكان أويس بن عامر - رحمه الله - سيد سادات التابعين يعتذر إلى ربه من أن يبيت شبعانًا، وفي الأرض ذو كبد رطبة جائع..

أحبتي الكرام..

إنه لولا التعاون لما ظهرت في عالم الناس جلائل الأعمال الكبرى، سواء ما كان منها علميًّا أو عمليًّا..

ومن ذلك سد ذي القرنين، الذي حدثنا القرآن عنه، فهو عمل من أضخم الأعمال التي قام بها الناس في العصور القديمة بفضل التعاون..

وقصة ذلك أن الصينيين من سكان البلاد الواقعة من دون موقع السد، اشتكوا للفاتح العظيم المؤمن (ذي القرنين) ما تفعله قبائل يأجوج ومأجوج فيهم، من إغارات مستمرة عليهم، وإفساد كبير في الأرض، وعرضوا عليه أن يقيم لهم بين مواقعهم ومواقع يأجوج ومأجوج سدًا عظيمًا تحجز هذه القبائل عن أعمال الإغارة

والإفساد، وذلك مقابل أجر يدفعونه له، ووافق ذو القرنين على طلبهم هذا إلا أنه طلب منهم أن يعينوه بقوة، ليقيم لهم هذا السد العظيم، ففعلوا، وأتم ذو القرنين عمله الكبير بفضل الله ﷻ، ثم بفضل التعاون الجماعي، قال الله عنهم: ﴿ **قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾** ﴾ [الكهف: ٩٤، ٩٥].

ومن التعاون الجماعي: **الشورى**، فهي تعاون في مجال البحث الفكري، لذلك أمر الله ﷻ بها رسوله ﷺ وجعل الشورى من صفات المؤمنين..

ومن التعاون الجماعي: **الزكاة في الإسلام**، لذلك سميت ماعونًا، اشتقاقًا من كلمة المعونة، قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾** ﴾ [الماعون: ٦، ٧] يمنعون الماعون: أي المعونة، والزكاة رأس المعونات الواجبة المفروضة.

ومن التعاون الجماعي: **التواصي بالحق، والتواصي بالصبر**..

﴿ **وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾** ﴾ [العصر: ١-٣].

وهناك تعاون **بالشفاعة الحسنة**، ففي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه طالب حاجة، أقبل على جلسائه، فقال: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء**»[1].

ففي هذا الحديث حث على المعونة بالشفاعة الحسنة، والمعونة ترجع إلى خلق حب العطاء، كما ترجع أيضًا إلى الدافع الجماعي.

والشفاعة تقوية لطلب صاحب الحاجة بطلب شفيع له ذي مكانة عند من لديه تلبية الطلب.. فربما يكون صاحب الحاجة ضعيف التأثير على من تكون حاجته عنده، لأنه مجهول لديه، أو لأنه مذنب تجاهه، أو لأن بينهما جفوة، أو لغير ذلك من الأسباب..

---

(١) صحيح: متفقٌ عليه.

أحبتي في الله..

وقد لوحظ أن الناس إن لم يجمعهم الحق، شعبهم الباطل، وإن لم توحدهم عبادة الله، فرقتهم عبادة الشيطان، وإن لم يستهوهم نعيم الآخرة، تناطحوا وتنازعوا على متاع الدنيا الزائلة.. وهذه وللأسف الشديد هي حالة بعضنا اليوم، فالبعض يضمر العداوة للبعض، وإن حدث خلاف ذلك، فهو مجرد مجاملة عابرة، والسبب في ذلك هو ضعف العقل ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر: ١٤].

إن الرابطة التي تصير بها كالجسد الواحد، هي رابطة الإسلام.. رابطة التعاون. قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ... ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

إن أعداءنا يتربصون بنا الدوائر، هم يريدون أن نكون مفككين، يريدون أن نكون شيعًا متنازعين.. فلابد أن نتعاون ونكون يدًا واحدة لعلنا نتقوى على أعدائنا.. أعداء الدين.. الذين أعلنوا الحرب على الإسلام وأهله، وهذا هو شأنهم قديمًا وحديثًا، فقد تنادوا يومًا وقالوا: ﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾ [طه: ٦٤].

وهم يتعاونون الآن من أجل إنفاذ مخططاتهم..

أحبتي في الله..

لنا في رسولنا وحبيبنا محمد ﷺ وصحابته الكرام القدوة والمثل، والأسوة الحسنة، فقد كانوا متعاونين، كانوا متخلقين بأخلاق القرآن، فنكس الزمان لهم هامته، وأخضعت لهم الأيام أعناقها، وملكوا العروش، وصافحتهم تيجانها، فلنترسم خطاهم، لنعانق القوة، التي يحبها الله ورسوله.. قوة تحمي ولا تهدد.. وتصون ولا تبدد، وترد كيد العدو..

موعظة:

يا نفس، بادري بالأوقات قبل انصرامها، واجتهدي في حراسة ليالي الحياة وأيامها فكأنك بالقبور وقد تشققت، وبالأمور وقد تحققت وبوجوه المتقين وقد أشرقت، وبرؤوس العصاة وقد أطرقت.. ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ

رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ١٢]..

إذا منَّ الله عليك بالبصيرة التي تفرق لك بين أحوال أهل الدنيا الغافلين، وأهل الآخرة الناجحين، وما ينبغي عليك فعله، لتتجنب طريق الغافلين الهالكين، والفوز بطريق الفالحين، فخر ساجدًا لله، والهث بحمده أن اصطفاك بهذه البصيرة..

اللهمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا..

اللهمَّ عافنا واعف عنا.. وأكرمنا ولا تهنا، وكن لنا ولا تكن علينا.. واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.. ووسع أرزاقنا، ووفق ولاة أمورنا إلى ما فيه صلاح العباد والبلاد يا رب العالمين..



الوصية رقم (٣٦)
عليكم بحسن الخلق

عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده، ما تجمل الخلائق بمثلها**»[١]..

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي الكرام..

هكذا نرى أستاذنا ومعلمنا ومرشدنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور - **سيدنا محمد** ﷺ - دائمًا يوصي أمته بكل خير وبر، بأعظم أسلوب، وأبلغ كلام، وأوجز عبادة، وبأحسن طريقة..

وفي هذه الوصية الكريمة التي يوصي بها الأمة الإسلامية في شخص الصحابي الجليل أنس بن مالك ﷺ خادمه المبارك.. يوصي بشيئين عظيمين هما: حسن الخلق، وطول الصمت..

وقد ورد في بعض روايات الوصية عن أنس قال: لقى رسول الله ﷺ أبا ذر ﷺ فقال: «**يا أبا ذر، ألا أدلك على خصلتين، هما أخف على الظهر، وأثقل في الميزان من غيرهما؟**»..

قال: بلى يا رسول الله..

قال: «**عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده ما تجمل الخلائق بمثلها**»..

وفي رواية: «**ألا أدلك على أحسن العمل، وأيسره على البدن؟**»[٢]، وذكره..

---

(١) حسن: حسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٩٣٨)، و«صحيح الجامع» (٤٠٤٨).

(٢) حسن: رواه الطبراني في الأوسط، وابن أبي الدنيا، والبزار، وحسنه في «صحيح الترغيب» (٢٧٤٥)، و«الصحيحة» (٤/ ٤٣٧).

أحبتي الكرام..

لقد بلغ من عظم مكانة الأخلاق في الإسلام أن حصر رسول الله ﷺ مهمة بعثته، وغاية دعوته بكلمة عظيمة جامعة، فقال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[١].. وفي رواية: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[٢]..

وهذا أكبر دليل على أن رسالة الإسلام، حققت الكمال، وقمة الخير والفضيلة والأخلاق، كما أن قدوة هذه الأمة ﷺ المثل الأعلى للأخلاق الكريمة النبيلة، فقد أثنى عليه ربه تبارك وتعالى بقوله: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: ٤].

قال ابن القيم - رحمه الله -: أي إنك لعلى الخلق الذي آثرك الله به في القرآن.

وفي الصحيحين أن هشام بن حكيم سأل عائشة - رضي الله عنها - عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن[٣]..

وصف موجز وبليغ تصف به أم المؤمنين الفقيهة العالمة، رسول الله ﷺ إنه وصف شامل وجامع.. «كان خلقه القرآن»..

قال العلماء: فيه رمز غامض، وإيماء خفي إلى الأخلاق الربانية، فاحتشمت السيدة عائشة من الحضرة الإلهية أن تقول: كان متخلقًا بأخلاق الله تعالى، فعبرت عن المعنى بقولها: «كان خلقه القرآن» استحياء من سبحات الجلال، وسترًا للحال بلطف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال أدبها[٤].

فكما أن معاني القرآن لا تتناهى فكذلك أوصافه وأخلاقه الجميلة لا تتناهى. وقد وصف الله ﷻ خلقه بالعظم في قوله: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ مع أن الغالب وصف الخلق بالكرم، لأن كرم الخلق يراد به السماحة والدماثة، ولم يكن خلقه ﷺ مقصورًا على ذلك، بل كان رحيمًا بالمؤمنين، رفيقًا بهم شديدًا على الكفار، غليظًا عليهم..

---

(١) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في سننه، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه أحمد في مسنده، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٤٥).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) «المواهب اللدنية» للقسطلاني.

قال الجنيد: وإنما كان خلقه عظيمًا، لأنه لم يكن له همة سوى الله ﷻ.

قال أبو ذر ﷺ لأخيه لما بلغه مبعث النبي ﷺ: اركب إلى هذا الوادي، فاسمع من قوله، فرجع، فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق[١].

وقال الصحابي الجليل - راوي هذه الوصية التي نعيش في ظلالها (أنس بن مالك) ﷺ -: كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناس خلقًا[٢].

وقال: ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي قط: أف، ولا قال لشيء فعلته: لِمَ فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا؟

ويقول ﷺ: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا.. ولقد أرسلني يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به رسول الله ﷺ فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا برسول الله ﷺ بقفاي من ورائي، فنظرت إليه، وهو يضحك، فقال: «**يا أنيس، ذهبت حيث أمرتك؟**» فقال أنس: أنا أذهب يا رسول الله[٣]..

وهذه خديجة - رضي الله عنها - تقول له حينما قال لها: «**لقد خشيت على نفسي**»، تقول: «كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر»[٤].

وقد كان رسولنا وحبيبنا ﷺ حريصًا على حسن الخلق، فقد كان يدعو ربه ومولاه أن يهديه لأحسن الأخلاق، ويصرف عنه سيئها، فيقول: «**اللهمَّ اهدني لأحسن الأخلاق، فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف عني سيئها إلا أنت**».

ومن شدة اهتمامه ﷺ بحسن الخلق، أنه عدَّه أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقد سئل ﷺ عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة؟ فقال: «**تقوى الله وحسن الخلق**».

---

(١) رواه البخاري (٣٨٦١)، ومسلم (٢٤٧٤).

(٢) رواه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠).

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: « **الفم، والفرج** »[١]..

ومن اهتمامه بحسن الخلق أن حث أمته عليه في كثير من أقواله وأفعاله ﷺ يقول أنس: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُردٌ نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال الأعرابي: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه، فضحك، ثم أمر له بعطاء[٢].

وقد جعل حُسن الخلق أثقل شيء في ميزان صاحبه يوم القيامة، فقال ﷺ : « **أثقل شيء في الميزان: الخلق الحسن** »[٣].

وقال: « **أثقل شيء في ميزان المؤمن، خلق حسن، إن الله يُبغض الفاحش المتفحش البذيء** »[٤].

وجعل أحسن الناس خلقًا، أحبهم إلى ربه ومولاه، فقال: « **أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقًا** »[٥].

وأفضل المؤمنين عند الله ﷻ، وأكثرهم ثوابًا عند الله ومكانة، أحسن الناس أخلاقًا.. فقال: « **أفضل المؤمنين، أحسنهم خلقًا** »[٦].

وقال: « **أكمل المؤمنين إيمانًا، أحسنهم خلقًا، الموطئون أكنافًا** ».

أحبتي في الله..

ولأجل مكانة حسن الخلق، وأهميته في حياة المسلم فقد كان النبي ﷺ يوصي أصحابه بذلك، فقد قال لأحدهم: « **استقم، وليحسن خلقك للناس** »[٧].

---

(١) حسن: رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد، وحسنه الألباني في « الصحيحة » (٩٧٧).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٣) صحيح: رواه أحمد وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (١٣٤).

(٤) صحيح: رواه ابن حبان والبيهقي في سننه، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٦٤١).

(٥) صحيح: رواه الطبراني في الكبير والحاكم، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١٧٩).

(٦) صحيح: رواه أبو داود والترمذي وأحمد، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١١٢٨).

(٧) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط وابن حبان، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٦٥٤).

وقال لأبي ذر ﷺ موصيًا: « **اتق الله حيث ما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن** »[١].

وقال كما في وصيتنا هذه: « **عليك بحسن الخلق ...** ».

ووضح لأصحابه، بل للأمة جمعاء أن أقرب الناس إليه، وأحبهم إليه يوم القيامة أحسن الناس خُلقًا، فقال: « **إنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة: الثرثارون** - وهم الذين يكثرون الكلام تكلفًا - **والمتشدقون، والمتفيهقون** » والمتشدقون هم الذين يتكلمون بملء أفواههم، ليظهروا فصاحتهم..

قالوا: يا رسول الله، ما المتفيهقون؟ قال: « **المتكبرون** »[٢].

وإن من أراد أن يصل بعون الله ومشيئته إلى درجة الصائم الذي لا يفطر، والقائم الذي لا يفتر، فعليه بحسن الخلق.. قال ﷺ: « **إنَّ الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل، صائم النهار** »[٣].

وفي رواية عند الطبراني: « **إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل، الظامئ بالهواجر** »[٤]. وفي المسند من حديث عبد الله بن عمرو: « **إنَّ المسلم المسدد، ليدرك درجة الصوّام القوام بآيات الله، بحسن خلقه، وكرم ضريبته** »[٥] **أي بحسن** طبيعته وسجيته.. ومن أراد أن يطول عمره، أو يبارك الله له فيه، وتعمر دياره، فعليه بحسن الخلق - قال ﷺ: « **صلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار، يعمران الديار، ويزيدن في الأعمار** »[٦].

فأين أمة الحبيب الآن من حسن الخلق؟! أين هم من الاقتداء بأخلاقه، وترسم

---

(١) حسن: رواه أحمد والترمذي، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٩٧).

(٢) حسن: رواه الترمذي، وحسنه الألباني في « الصحيحة » (٧٩١).

(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٧٩٥).

(٤) حسن: رواه الطبراني، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (١٦٢١).

(٥) صحيح: رواه أحمد في مسنده، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (١٩٤٩).

(٦) صحيح: رواه أحمد في مسنده (٢٤٧٣١) من حديث عائشة - رضي الله عنها -، وصححه الألباني في « السلسلة الصحيحة » برقم (٥١٩).

خطاه، والتمسك بسنته؟ إن أردنا الخير والأمن والنصر والسلام والأمان، فعلينا أن نقتدي به، ونسير على دربه وهديه.. وهدي الصحابة من بعده، ثم سلف الأمة وصالحيها.. فإنهم كانوا يولون الأخلاق اهتمامًا كبيرًا قولاً وعملاً وسلوكًا..

قال الحسن البصري - رحمه الله -: حسن الخلق: بسط الوجه، وبذل الندى، وكف الأذى[1].

وقال بعض البلغاء: الحسن الخلق في نفسه في راحة، والناس منه في سلامة، والسيئ الخلق، الناس منه في بلاء، وهو من نفسه في عناء..

وقال عبد الله بن المبارك: حسن الخلق في ثلاث خصال: اجتناب المحارم، وطلب الحلال والتوسعة على العيال.. حتى قال بعضهم: لئن يصحبني عاص حسن الخلق، أحب إليّ من عابد سيئ الخلق.

وقال أهل العلم في علامة ذي الخلق الحسن: أن يكون كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، برًّا وصولاً وقورًا، صبورًا شكورًا، رضيًّا حليمًا، وفيًّا مؤثرًا، عفيفًا، لا لعانًا ولا طعانًا، ولا مغتابًا ولا نمامًا، ولا فاحشًا ولا متفحشًا، لا كذابًا ولا غاشًّا، ولا خائنًا، ولا حقودًا ولا حسودًا، ولا متكبرًا، هاشًّا باشًّا يحب في الله ويبغض في الله، حكيمًا في الأمر، قويًا في الحق[2]..

هذه أخلاق أهل الإيمان..

أحبتي الكرام..

وصحابة الرسول ﷺ كانوا مضرب المثل في حسن الخلق، ولا عجب فقد رباهم البشير النذير، والسراج المنير ﷺ على حسن الأخلاق، وورثوا عنه كل خلق حسن، فهو القائل لهم: «**أنا زعيم بيت في الجنة لمن حسن خلقه**»[3].

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٧٥).

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٣٧) للماوردي.

(٣) حسن: رواه أبو داود والضياء في «المختارة» عن أبي أمامة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٤٦٤).

وعندما أثنى الله ﷻ عليهم، أثنى عليهم بالأخلاق الحسنة، فقال سبحانه: ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤].

ووصفهم بالرجولة، فقال: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [النور: ٣٧]، والرجولة صفة كمال في الذكر.

وهذا أبو الدرداء ﷺ يقول: «إنَّ العبد المسلم يحسن خلقه، حتى يدخله حسن خلقه الجنة، ويسيء خلقه، حتى يدخله سوء خلقه النار».

وحينما شتم رجل أبا ذر ﷺ قال له: «إنَّ بيني وبين الجنة عقبة إن جزتها، فأنا خير مما تقول، وإن عرج بي دونها إلى النار، فأنا شر مما قلت فانته أيها الرجل، فإنك تصير إلى من يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور».

وشتم رجل سيدنا عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - فلما قضى مقالته، قال ابن عباس: يا عكرمة، هل للرجل حاجة، فنقضيها له، فنكس الرجل رأسه واستحى..

كان رجل يشتم عمر بن ذر، فلقيه عمر، فقال له: يا هذا، لا تفرط في شتمنا، وأبق للصلح موضعًا، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا، بأكثر من أن نطيع الله فيه..

وقيل: إنَّ رجلاً خاصم الأحنف بن قيس، وقال: لئن قلت واحدة لتسمعنَّ عشرًا.. فقال: لكنك إن قلت عشرًا، لم تسمع واحدة..

والربيع بن خثيم - رحمه الله تعالى - حينما سرقت فرسه، وكانت تقدر بعشرين ألفًا، فقيل له: ادع الله على السارق، فقال: اللهمَّ إن كان غنيًّا، فاغفر له، وإن كان فقيرًا، فأغنه[1].

وابن عون - رحمه الله - كان له ناقة يغزو عليها ويحج، وكان بها معجبًا، فجاء غلام له، فضربها على وجهها وفقأ عينها، فتوقع الحاضرون أن يغضب ابن عون غضبًا شديدًا، ولكنه حينما رآها، قال: سبحان الله! أفلا غير الوجه - بارك الله فيك - اخرج عني، واشهدوا أنه حرٌّ لوجه الله.

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٢٥٤) لأبي نعيم، و«صفة الصفوة» (١/ ٣١٣) لابن الجوزي.

وقال بكار بن محمد: كان ابن عون لا يغضب، وإذا أغضبه الرجل قال: بارك الله فيك[١]..

وعمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: سمر عنده رجاء بن حيوة، فانطفأ السراج وكان خادم عمر - رحمه الله - نائمًا، فقال رجاء: أوقظه ليصلح السراج..

فقال عمر: لا.. فقال رجاء: أصلحه أنا.. فقال عمر: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه.. فقام عمر، وأخذ البطة، وملأ المصباح زيتًا، وأصلح السراج..

فقال الضيف: قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين؟! فقال: ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر، ما نقص مني شيء[٢].

والنماذج في ذلك كثيرة..

قال الماوردي - رحمه الله - في أدب الدنيا والدين: إذا حسنت أخلاق الإنسان، كثر مصافوه، وقل معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب..

أحبتي في الله..

لقد جاء دين الإسلام لتهذيب النفوس، وتقويم الأخلاق، وإصلاح المجتمع، ونشر الخير والفضيلة بين الأفراد والمجتمعات، ومحاربة الشر والرذيلة، فسلامة المجتمع، وقوة بنيانه، وعزة أبنائه بتمسكه بفاضل الأخلاق.. إنَّ فقراء الأخلاق من الناس هم أكثر خطرًا على الأمة حين ساءت منهم الأخلاق، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.. إنَّ الأجرب لا يشفى من علته إذا لبس ثوبًا من حرير، والأعمى لا يبصر الطريق إذا وضعت على عيونه منظارًا من ذهب.. وقد قال العلماء: إنَّ علل القلوب تداوى بما يستغسلها بما يطهرها من الرذائل والأوساخ.. فالبخل يداوى بالتدريب على العطاء، ولو ظل يصوم الدهر كله دون هذا التدريب ما ظل إلا بخيلاً..

والجبن يداوى بتعلم الجراءة والإقدام..

وكذلك عديم الأخلاق لابد أن يدرب على حسن الخلق..

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٣٧٨).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٢/ ٤١) للغزالي.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أحبتي الكرام..

وحسن الخلق أوسع وأشمل مما نظن، وتأملوا قول الرب العلي جل في علاه: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]..

فقد عرف الله ﷻ البر بأنه الإتيان بكل هذه الاعتقادات والعبادات..

فإذا جمعنا بين هذه الآية الكريمة، وبين قول النبي ﷺ: «**البر حسن الخلق**» علمنا أن حسن الخلق له مفهوم أوسع وأشمل مما نظن ونعتقد.

وسنجد أن حسن الخلق يشتمل على:

١ - حسن الخلق مع الله ﷻ.

٢- حسن الخلق مع الرسول الأعظم ﷺ.

٣- حسن الخلق مع الملائكة الكرام.

٤- حسن الخلق مع الناس.

فأما مع الله ﷻ، فيكون بتحقق العبودية لله تبارك وتعالى، وعدم الإشراك به، والامتثال لأوامره، والانتهاء عما نهي عنه، فإذا جاء الأمر من عند الله، فليكن شعارنا (سمعنا وأطعنا) وإذا جاء النهي من عند الله، فليكن شعارنا: [سمعنا وانتهينا] ولنتق الله ﷻ في سرنا وفي علانيتنا..

وأما حسن الخلق مع رسولنا وحبيبنا فهو بالحب والاتباع، والامتثال لأوامره، والسير على منهجه، وملازمة سنته..

وأما مع الملائكة الأطهار، فبأن نعلم أن مع كل واحد منا ملائكة لا تفارقه، وتكتب عليه أقواله وأفعاله، فيتولد الحياء من أن يفعل المسلم معصية يكتبها عليه الملك

الموكل بذلك.. بل يحرص على فعل الحسنات التي تقربه من الله..

وأمَّا مع الناس، فيكون بطلاقة الوجه، والتسامح واللين، مع البر والفاجر..

فقد قال الله ﷻ لموسى وهارون - عليهما السلام - حين أمرهما بالذهاب إلى فرعون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤] فهيا بنا نتخلق بأحسن الأخلاق..

هيا بنا نتخلق بأخلاق القرآن.. وأخلاق الرسول وأصحابه الكرام..

اللهمَّ اهدنا لأحسن الأخلاق، فإنه لا يهدي لأحسن الأخلاق إلا أنت.. واصرف عنا سيئها فإنه لا يصرف عنا سيئها إلا أنت..

اللهمَّ كما حسنت خلقنا، فحسن أخلاقنا..

اللهمَّ أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة..

اللهمَّ ألهمنا رشدنا، وأعذنا من شر أنفسنا..

اللهمَّ إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات، وحب المساكين..

اللهمَّ أعنا على ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك يا أرحم الراحمين..



الوصية رقم (٣٧)

كن ورعًا تكن من أعبد الناس

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة، كن ورعًا تكن من أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس**»[١].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

هل تحبون أن تكونوا من جلساء الله ﷻ يوم القيامة؟ بلى إنكم لتحبون ذلك.. إنه والله لمقام كريم وعظيم أن يكون العبد كذلك يوم القيامة، لكن أنى لنا أن نصل إلى هذه المكانة السامقة، وهل من اليسير أن نرتقي إلى هذه القمة؟!

إن أردتم بلوغ هذه المكانة.. إن أردتم الوصول إلى هذه الدرجة العالية، فعليكم أن تعملوا بهذه الوصية الكريمة المباركة..

لقد أضاء لنا الصحابي الجليل أبو هريرة ﷺ المشعل ورفعه عاليًا للناظرين عندما أوصاه أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ فقال له: «**يا أبا هريرة، كن ورعًا تكن من أعبد الناس ...**».

وقال أبو هريرة ﷺ: جلساء الله غدًا، أهل الورع والزهد[٢]..

وقد سُئل الحسن: ما تقول في الورع؟ قال: ذلك رأس الأمر كله.

وقال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار، لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز[٣].

ومثله قول سيدنا عيسى ﷺ: لو صليتم حتى تصيروا مثل الحنايا، وصمتم حتى

---

(١) حسن: رواه الترمذي وغيره، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٣٣).

(٢) «الرسالة القشيرية» (ص٥٤).

(٣) «الإحياء» (١/ ٤٣٧) للغزالي.

تكونوا أمثال الأوتار، وجرى من أعينكم الدمع أمثال الأنهار ما أدركتم ما عند الله ﷻ، إلا بورع صادق.

وقالت السيدة عائشة - رضي الله عنها -: إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة هو الورع.

أحبتي في الله..

إذًا فما هو الورع؟

اختلفت عبارات أهل العلم في تعريف الورع، ومن تلك الأقوال:

يقول إبراهيم بن أدهم - رحمه الله -: الورع ترك كل شبهة، وترك ما لا يعنيك[١]..

وقال شاه الكرماني - رحمه الله تعالى -: علامة التقوى: الورع، وعلامة الورع: ترك الشبهات.

وقال يونس بن عبيد - رحمه الله -: الورع هو الخروج من كل شبهة، ومحاسبة النفس كل طرفة عين.

وقال الشبلي: الورع أن يتورع عن كل ما سوى الله ﷻ.

وقيل: الورع الخروج من الشهوات، وترك السيئات..

وقال يحيى بن معاذ الرازي - رحمه الله -: الورع على وجهين: ورع في الظاهر، وورع في الباطن.. فورع الظاهر: أن لا يتحرك إلا لله، وورع الباطن، هو أن لا تُدخِل قلبك سوى الله[٢].

وقال سفيان الثوري - رحمه الله -: ما رأيت أسهل من الورع، ما حاك في نفسك، فاتركه ... وهذا تأكيد لكلام خير خلق الله ﷺ حين سُئل عن الإثم فقال: «**ما حاك في النفس، وكرهت أن يطلع عليه الناس**»[٣].

---

(١) «الرسالة القشيرية» (ص٥٣).

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) رواه مسلم والترمذي.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: إنَّ الدين ليس بالطنطنة من آخر الليل، ولكن الدين: الورع[١]..

وقال الحسن: مثقال ذرة من الورع للسالم، خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة[٢]..

وأوحى الله تعالى إلى كليمه موسى ﷺ: إنه لم يتقرب إليَّ المتقربون بمثل الورع والزهد[٣].

وقال إبراهيم بن أدهم: أطب مطعمك، ولا حرج عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار.

وبعد أن عرفنا أقوال العلماء في الورع، فما الطريق إليه؟

إنَّ الطريق إلى الورع يسير على من يسره الله ﷻ.. وقد جمع النبي المصطفى، والرسول المجتبى ﷺ الورع في كلمة واحدة، فيما رواه الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: « **من حسن إسلام المرء، تركه ما لا يعنيه** »[٤]. فترك ما لا يعني هو الورع، وهو عام في الكلام والنظر، والاستماع والبطش والأكل والشرب، وغير ذلك..

ويبين النبي ﷺ هذا المعنى بتعبير أوضح عن طريق ضرب المثل، لكي يترسخ المعنى المراد في الذهن فقال كما روى عنه النعمان بن بشير - رضي الله عنهما -: « **إنَّ الحلال بينٌ، والحرام بينٌ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات، وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه** ... »[٥].

فصيانة الدين والعرض، وصلاح القلب بترك الأمور المشتبهات، وهي المسائل التي ليست بواضحة الحل والحرمة، فلهذا لا يعرفها كثير من الناس، ولا يعلمون

---

(١) « الزهد » للإمام أحمد (٢/ ١٩٠) رقم (٦٧٠).

(٢) « مدارج السالكين » (٢/ ٢٥) لابن القيم.

(٣) « الرسالة القشيرية » (ص٥٤).

(٤) صحيح: رواه مالك وأحمد والترمذي وصححه الألباني.

(٥) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

حكمها، بخلاف العلماء..

وبين أستاذ البشرية ومعلمها أن للملوك أماكن يحمونها عن الناس ويمنعونهم من الدخول فيها، فمن دخلها، فقد عرّض نفسه للعقوبة، فقال: « **ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه** » فمن احتاط، فقد نأى بنفسه من مقاربة حماهم..

ولله ﷻ حمى، وهي المعاصي والمحرمات، فمن ارتكب المحرمات، استحق العقوبة ومن احتاط لنفسه، فلم يقربها، ولا يتعلق بأمر يقربه منها.. **لذلك قال ميمون** ابن مهران - رحمه الله -: لا يتم للرجل الحلال، حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزًا من الحلال..

ولأجل هذا كان أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم من الصالحين، كانوا يتركون أبوابًا كثيرة من الحلال، خوفًا من الوقوع في شيء من الحرام..

قال بعض الصحابة: كنَّا ندع سبعين بابًا من الحلال، مخافة أن نقع في باب من الحرام..

فهذا رسول الله ﷺ يربي الحسن والحسين، بل وأصحابه جميعًا على الورع.. روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - أخذ تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فمه، فقال له رسول الله ﷺ : « **كخ كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة؟** »[1].

وعند البخاري: مرَّ النبي ﷺ بتمرة في الطريق، فقال: « **لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة، لأكلتها** »[2].

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: إنكم لتعملون أعمالاً، هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنَّا لنعدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات[3].

إنه يقول ذلك مخاطبًا جيل التابعين، فماذا يقول لو رأى زماننا؟!

---

(١) متفقٌ عليه.

(٢) رواه البخاري وغيره.

(٣) رواه البخاري.

أحبتي الكرام..

تأملوا ورع الصحابي الجليل.. صدِّيق هذه الأمة.. أبو بكر الصديق ﷺ روى البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يومًا بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟

قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أني خدعته، فلقيني، فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فقاء كل شيء في بطنه.. وفي بعض الروايات، أنه قال: اللهمَّ إني أعتذر إليك مما حملت العروق، وخالط الأمعاء(١)..

وذكر الإمام أحمد في الزهد، قال: قدم على عمر مسك وعنبر من البحرين، فقال عمر: والله لوددت أين وجدت امرأة حسنة الوزن تزن لي هذا الطيب حتى أقسمه بين المسلمين، فقالت له امرأته (عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل) أنا جيدة الوزن، فهلم أزن لك! قال: لا.. قالت: لِمَ؟ قالت: إني أخشى أن تأخذيه، فتجعليه هكذا - وأدخل أصابعه في صدغيه - وتمسحين به عنقك، فأكون قد أصبت فضلاً على المسلمين(٢).

وهذه امرأة بلغت أقصى مراتب الورع، تعلم منها الرجال الورع، إنها أخت بشر الحافي - رحمه الله - تأتي إلى الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - لتسأله وتقول له: إنا نغزل على سطوحنا، فيمر بنا مشاعل الظاهرية - الحرس - أفيجوز لنا الغزل في شعاعها؟ فيسألها الإمام: من أنت يرحمك الله؟ قالت: أخت بشر الحافي، فبكى، وقال لها: من بيتكم يخرج الورع الصادق.. إنها أخت بشر الحافي، الذي اشتهى الباقلاء سنين، فلم يأكله، فرؤي في المنام بعد وفاته، فقيل له: ما فعل الله بك؟

فقال: غفر لي، وقال: كل يا من لم يأكل، واشرب يا من لم يشرب(٣)..

وهذا هو الإمام الحارث بن أسد المحاسبي - رحمه الله - قيل: إنه ورث من أبيه

---

(١) رواه البخاري بنحوه وغيره.

(٢) رواه أحمد في الزهد.

(٣) رواه أحمد في الزهد.

سبعين ألف درهم، فلم يأخذ منها شيئًا، قيل: لأن أباه كان يقول بالقدر.. فرأى من الورع أن لا يأخذ من ميراثه شيئًا، وقال: صحت الرواية[1] عن النبي ﷺ أنه قال: « لا يتوارث أهل ملتين شتى »[2].

وقال أبو علي الدقاق - رحمه الله -: كان الحارث المحاسبي، إذا مد يده على طعام فيه شبهة، تحرك على أصبعه عرق، فكان يمتنع منه.

وسقط من كهمس - رحمه الله - دينار، ففتش عنه، فلما لقيه، لم يأخذه فقيل له: لِمَ لم تأخذه؟ قال: لعله غيره.

ويروي الحسن بن عرفة عن ابن المبارك، قال: استعرت قلمًا بأرض الشام فذهبت على أن أرده، فلما قدمت مرو، نظرت فإذا هو معي، فرجعت إلى الشام، حتى رددته على صاحبه.

وروى ابن أبي الدنيا في الورع عن امرأة من الصالحات أتاها نعي زوجها، وهي تعجن، فرفعت يدها من العجين، وقالت: هذا طعام قد صار لنا فيه شريك لأن هذا الطعام قد صار للورثة، وأخرى أتاها نعي زوجها، والسراج يتقد، وقالت: هذا زيت قد صار لنا فيه شريك[3].

وشرب سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ غلطًا، فأدخل أصبعه وتقيأ. وهناك أمثلة من التربية الفذة على الورع، فعن حماد بن زيد، قال: كنت مع أبي، فأخذت من حائط تبنة، فقال لي: لِمَ أخذتها؟

قلت: إنما هي تبنة.

قال: لو أن الناس أخذوا تبنة، هل كان يبقى في الحائط تبن؟ يعلم ولده عدم استصغار التبنة، حتى لا يستصغر في المستقبل ما هو أكبر منها.

وهذا هو الحسن بن عبد العزيز - رحمه الله - شيخ الإمام البخاري، لم يقبل من

---

(١) « الرسالة القشيرية » (ص١٠).

(٢) حسن صحيح: رواه أبو داود والترمذي وأحمد، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٧٦١٤).

(٣) « الرسالة القشيرية » (ص١٠).

إرث أبيه شيئًا، لشبهة خالطته.

فهذه نماذج من ورع السلف، والأمثلة على ذلك كثيرة، فهل نحاول أن نسير على طريق الورع حتى نلحق بهذا الركب العظيم المبارك، ونعيد لأمتنا سالف مجدها.. هذا الطريق واضح، فأين السالكون؟

أحبتي في الله..

هل ربينا أبناءنا على الورع؟ هل ربيناهم على معرفة الحلال والحرام؟ هل ربيناهم على التقوى والالتزام؟ هل ربينا هذا الجيل على معرفة الكتاب والسنة؟ إنه جيل محاط بفتن الشهوات، وفتن الشبهات، ومحاط بوسائل تصده عن سبيل الله ﷻ وتفتنه، إن هؤلاء وأولئك، لو تربوا على الورع والإيمان والتقوى والصلاح، لسمت نفوسهم، ولاستطاعوا بإذن الله وتوفيقه اجتياز هذه الابتلاءات بالمعاصي والشهوات والشبهات..

أحبتي في الله..

الورع منه ما هو واجب، ومنه ما هو مستحب، فما معنى ذلك؟

إنَّ كثيرًا من الناس حينما يذكر أمامهم مصطلح الورع، فإن أذهانهم تنصرف إلى أن الورع مقام للخاصة والصالحين، وليس واجبًا على أحاد الناس.

قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله -: فأما الورع المشروع المستحب، الذي بعث الله به محمدًا ﷺ فهو اتقاء ما يخاف أن يكون سببًا للذم والعذاب عند عدم المعارض الراجح، ويدخل في ذلك أداء الواجبات والمشتبهات التي تشبه الواجب، وترك المحرمات والمشتبهات التي تشبه الحرام، وإن دخلت فيه المكروهات، قلت: يخاف أن يكون سببًا للنقص والعذاب، وأما الورع الواجب، فهو اتقاء ما يكون سببًا للذم والعذاب، وهو فعل الواجب، وترك المحرم..

والفرق بينهما (أي بين الورع الواجب والمستحب) فيما استبه، أمن الواجب أم ليس منه؟ وما اشتبه تحريمه أمن المحرم أم ليس منه؟

وهناك قاعدة تقول (أن ما لا ريب في حله، ليس فيه ورع، بل الورع فيه من التنطع).

موعظة:

أخي الكريم..

إنَّ النفس إذا أُطمعت، طمعت.. وإذا أُقنعت باليسير، قنعت، فإذا أردت صلاحها، فاحبس لسانها عن فضول كلامها، وغض طرفها عن محرم نظراتها وكف كفها عن مؤذي شهواتها.. هذا إن أردت أن تسعى في نجاتها..

وعجبًا لمؤثر الفانية على الباقية، ولبائع البحر الخضم بساقية، ولمختار لدار الكدر على الصافية، ولمقدم حب الأمراض على العافية..

يا هذا لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رق أملك من الشهوة، ولا مصيبة كموت القلب ولا نذير أبلغ من الشيب..

ميزان العدل يوم القيامة تتبين فيه الذرة، فيُجزى العبد على الكلمة قالها في الخير، والنظرة نظرها في الشر.. فيا من زاده من الخير طفيف.. احذر ميزان عدل لا يحيف.. خاطب نفسك وقل لها:

يا نفس، ما أصعب الانتقال من البصر إلى العمى، وأصعب منه الضلالة بعد الهدى، والمعصية بعد التقى.. كم من وجوه خاشعة، وقعت على قصص أعمالها عاملة ناصبة، تصلى نارًا حامية!

وكم من شارف مركبه ساحل النجاة، فلما هم أن يرتقي، لعب به موج، فغرق الخلق كلهم تحت هذا الخطر.. فقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء..

ما العجب ممن هلك كيف هلك، إنما العجب ممن نجا كيف نجا؟!

اللهمَّ.. يا حي يا قيوم.. ارزقنا علمًا نافعًا.. وقلبًا خاشعًا.. وعملاً متقبلاً..

اللهمَّ زدنا بك علمًا.. ولك حبًّا.. ومنك خشية..

اللهمَّ أعز الإسلام والمسلمين.. واجعل كلمتك هي العليا إلى يوم الدين.. واخذل الكفرة والمشركين، وأصلح من فيه صلاح الإسلام والمسلمين..

اللهمَّ لا تجعل الدنيا أكبر همنا.. ولا مبلغ علمنا.. ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.. ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا..

اللهمَّ اغفر لنا وارحمنا.. واغفر اللهمَّ لآبائنا وأمهاتنا، وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم.. يا رب العالمين..



الوصية رقم (٣٨)

أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**أعطوا الأجير أجره، قبل أن يجف عرقه**»[١].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي الكرام..

من الناس من يتساهل في هذا الأمر، فيؤخر أجرة عامله عمدًا، وربما لا يقدر أن يشكوه أو يقاضيه، أو يقوم بشكايته، لعدم وجود ما يثبت أجره أو حقه.. وهذا ما حذر منه النبي ﷺ تحذيرًا شديدًا.. وقبل أن يحذر، أوصانا أن نعطي الأجير حقه المتفق عليه دون بخس أو نقص قبل أن يجف عرقه.. ثم حذر من ظلمه، وأكل شيء من حقه.. قال ﷺ: «**ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًّا، فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه، ولم يوفه أجره**»[٢].

فهذا وعيد شديد من الله ﷻ على هذه الثلاثة، ومنها: رجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه، ولم يوفه أجرته..

من الممكن أن يعطيه، ولكنه يعطيه جزءًا ويبقى له جزء آخر مع إمكان إعطائه أجرته كاملة.. وهذا عين الظلم.. فهذا الأجير يحتاج إلى طعام، ويحتاج إلى الكساء، ويحتاج إلى الدواء.. وأبناؤه وزوجته قد يكونوا في حاجة إلى ذلك المال، أو إلى تلك الأجرة..

وبعض أرباب الأعمال يؤخر أجرة عماله، حتى إذا ما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وتكاثرت عليهم الديون، وصاح أولادهم وأهليهم من الحاجة والفاقة

---

(١) صحيح: رواه أبو يعلى عن أبي هريرة وابن ماجة عن ابن عمر واللفظ له والطبراني، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجة» (٢٤٤٣)، و«صحيح الجامع» (١٠٥٥)، و«صحيح الترغيب» (١٨٧٧).

(٢) رواه البخاري.

يرضون حينئذٍ أن يتنازلوا بعد مساومة مع رب العمل عن جزء من حقوقهم مقابل أن يحصلوا على الجزء الباقي.. فهذا ليس من الإسلام في شيء..

أحبتي الكرام..

ألا تذكرون قصة هؤلاء الثلاثة، الذين دخلوا الغار، فانطبقت عليهم الصخرة ووقعوا في مأزق كبير وشدة لا يعلمها إلا من وقعهم فيها، وهو الله ﷻ فما كان حالهم أو شأنهم؟

لقد توسلوا إلى الله ﷻ بأحب الأعمال التي تقربوها بها خالصة لله ﷻ وكان من بينهم هذا الرجل، الذي وفى أجيره حقه، بل نماه له أعظم النماء، قال ﷺ : « **وقال الآخر: اللهمَّ إني كنت استأجرت أجيرًا بفرق أرز، فلما قضى عمله، قال: أعطني حقي، فعرضت عليه حقه، فتركه ورغب عنه، فلم أزل أزرعه، حتى جمعت منه بقرًا وراعيها، فقال: اتق الله، ولا تظلمني، وأعطني حقي، فقلت: اذهب إلى ذلك البقر وراعيها، فقال: اتق الله، ولا تهزأ بي.. فقلت: إني لا أهزأ بك، فخذ ذلك البقر وراعيها، فأخذ فانطلق بها ...** »[1]. ففرج الله عنهم ببركة هذا العمل الطيب الخالص لله.. والوصية التي نعيش في ظلالها تأمرنا بإعطاء الأجير أجرته، وإن لم يعط أجرته يكون المؤجر له ظالمًا.. وقد حرم الله ﷻ الظلم.. قال الله تعالى في حديثه القدسي الجليل: « **يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته محرمًا بينكم فلا تظالموا** .. »[2]. فالظالم الذي لم يعط الأجير حقه.. يمحق الله ﷻ البركة من بيته، بل يخرب الله بيته.. قال تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ ﴾ [النمل: ٥٢]. وفي التوراة: « ابن آدم، لا تظلم، يخرب بيتك، لا تأكل حق الأجير ولا تظلمه، فتأتي يوم القيامة مع المفلسين، قال النبي الأمين ﷺ يومًا لأصحابه: « **أتدرون من المفلس؟** ».

قالوا: من لا درهم له ولا دينار..

فقال: « **المفلس من أمتي يوم القيامة، من أتى بصلاة وصيام، وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من**

---

(١) متفقٌ عليه.

(٢) رواه مسلم.

حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم، ثم طرح في النار»[1].

أعطِ الأجير حقه إن كنت أكلته أو ظلمته، واطلب منه أن يسامحك قبل أن لا يكون درهم ولا دينار.. قبل أن يكون التعامل بالحسنات والسيئات لا بالدرهم والدينار.. قال ﷺ: « **من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه وماله، أو شيء، فليتحلله منه اليوم قبل أن يؤخذ منه، حين لا يكون دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح، أخذ منه بقدر مظلمته، وإلا أخذ من سيئات صاحبه، فحملت عليه** ».

يقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ: يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة، فينادي منادٍ على رءوس الأولين والآخرين:

« هذا فلان بن فلان، من كان له الحق، فليأت إلى حقه، فتفرح المرأة أن يكون لها الحق على أبيها، أو أمها، أو أخيها، أو زوجها، ثم قرأ: ﴿ **فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١٠١] فيغفر الله ﷻ من حقه ما شاء، ولا يغفر من حقوق العباد شيئًا، فينصب للناس، فيقول: ائتوا إلى حقوقكم، فيقول: فنيت الدنيا، فمن أعطيهم حقوقهم؟

فيقول: خذوا من أعماله الصالحة، فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر مظلمته، فإن كان وليًّا لله، ففضل له مثقال ذرة، ضاعفها الله له، حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ...** ﴾ [النساء: ٤٠]. وإن كان عبدًا شقيًّا، قال: يا رب، فنيت حسناته، وبقي طالبون كثير.. قال: خذوا من سيئاتهم، فأضيفوها إلى سيئاته، ثم صكوا له صكًّا إلى النار[2]. فخلص نفسك الآن.. لا تظلم أجيرًا ولا غيره..

أحبتي الكرام..

وهذه الوصية أيضًا تثبت، وتكون دليلاً من أدلة مشروعية الإجارة.. لأنها من المعاملات الهامة في حياة البشر.. ويحتاجون إليها.. يحتاج إليها كل فئات البشر.. يحتاج

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الأهوال » (١٤٩)، وابن جرير في تفسيره (٥/ ٥٨).

إليها الوزير والخفير، والكبير والحقير.. لأن الإنسان لا يعيش لنفسه، أو بمعزل عن البشرية.. بل يحتاج إليهم ويحتاجون إليه.. فإذا كان ذلك كذلك فلابد من معرفة فقه هذا الباب يحتاج إليها الموظف، الذي يتقاضي أجرة على عمله..

يحتاج إليها الطبيب، الذي يوقع الكشف على المرضى بالأجرة.. يحتاج إليها الجراح، الذي يقوم بإجراء العمليات الجراحية بالأجرة.. يحتاج إليها المهندس المعماري أو التنفيذي، الذي يقوم بالإشراف على بناء العمارات بالأجرة.

يحتاج إليها المهني كالنجار، والحداد، والكهربائي.. يحتاج إليها السباك الذي يقوم بتركيب السباكة بالأجرة..

يحتاج إليها أصحاب السيارات، الذين يؤجرون سياراتهم.. وغير ذلك..

فما هي الإجارة؟ وما دليل مشروعيتها من الكتاب والسنة؟ وما شروط صحتها؟ وما أنواعها؟ وما هي مبطلاتها؟

أما الإجارة فهي في اللغة: الإثابة.. قال تعالى: ﴿ **فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ٧٤]، أي نثيبه عليه، ونبذله له.

وفي الشرع: عقد على منفعة مقصودة معلومة، قابلة للبذل الإباحة، بعوض معلوم.

وقد دل عليها القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿ **فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ** ﴾ [الطلاق: ٦]. وقال: ﴿ **قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ** ﴾ [القصص: ٢٦]. والحكمة من مشروعيتها أن الحاجة داعية إليها..

ومن السنة قوله ﷺ في الوصية: « **أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه** »[١].

فما هي شروط صحتها؟

أولاً: أن تكون ممن يصح تصرفه، ولا يصح التصرف إلا من: البالغ، العاقل الرشيد، فلا تصح من الصبي الصغير، ولا من المجنون، ولا من السفيه، لحديث: « **رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يفيق** »[٢].

---

(١) تخرج في أول الوصية.

(٢) صحيح.

ثانيًا: أن تكون الإجارة منفعة، وتكون المنفعة معلومة، مباحة، وليست طاعة مطلوبة.

فمن استأجر أحدًا ليصنع له شيئًا لابد أن يبين له ما يزيد:

١- فإن استأجر ظهرًا للسقي لم يصح عقد الإجارة، حتى يعرف الظهر..

٢- وإن استأجر ظهرًا للحرث، لم يصح، حتى يعرف الأرض، لأنه يختلف ذلك بصلابة الأرض ورخاوتها..

٣- وإن استأجر رجلاً ليرعى له مدة لم يصح حتى يعرف جنس الحيوان، لأن لكل جنس من الماشية تأثيرًا في إتعاب الراعي..

٤- وإن استأجر رجلاً ليحفر له بئرًا لم يصح العقد، حتى يعرف الأرض، لأن الحفر يختلف، ولا يصح حتى يذكر الطول والعرض والعمق، لأن الغرض يختلف باختلافها..

٥- وإن استأجر لبناء حائط لم يصح العقد حتى يذكر الطول والعرض، ونوع الطوب الذي يبني به..

٦- وإن استأجره لضرب الطوب، لم يصح حتى يعرف موضع الماء والتراب، ويذكر مقاس الطوب ونحو ذلك..

٧- وإن استأجر شيخًا ليلقنه سورة من القرآن الكريم لم يصح، حتى يعرف السورة لأن الغرض يختلف باختلافها، وإن كان على تلاوة عشر آيات من القرآن لم يصح حتى يعينها، لأن آيات القرآن تختلف..

٨- وإن استأجر للحج والعمرة، لم يصح، حتى يذكر أنه إفراد أو قران أو تمتع[1]..

ولقد قسم الفقهاء المنفعة إلى قسمين:

(١) إجارة على الوقت..

(٢) إجارة على عمل..

---

(١) «المهذب» للشيرازي.

فالإجارة على وقت: كمن يعمل موظفًا براتب شهري، أو أسبوعي، أو يومي من الساعة الثامنة مثلاً صباحًا حتى الساعة الثانية ظهرًا، فهذا أجير على وقت يجب أن يحبس وقته لمصلحة العمل طوال هذه المدة سواء كان هناك عمل أم لم يكن.. فلا يجوز أن يخرج من العمل قبل انتهاء هذا الوقت إلا بإجازة رسمية..

فإن قال قائل: إن المرتب لا يكفي.. فأنا أخرج قبل نهاية العمل بساعتين لأعمل عملاً آخر.. فهل يجوز ذلك؟

الجواب: لا يجوز، لأنك يوم تقدمت هذا العمل، علمت الراتب الذي سوف تتقاضاه، ووافقت على ذلك.. فيجب أن تحبس نفسك طوال هذه المدة لأجل هذا العمل.. لكي يكون راتبك الذي تتقاضاه حلالاً..

فإن قال قائل: إذا كان العمل ليس في حاجة إليّ في هذا الوقت فهل يجوز لي ذلك؟

الجواب: يجوز لكن بشروط:

(١) أن لا تتعطل مصالح المسلمين.

(٢) أن يكون ذلك بإذن رئيس عملك.

(٣) أن تحسب الساعات التي تتغيب فيها عن عملك، ثم تقتطعها من راتبك ثم تتصدق بها، حتى لا تأكل حرامًا..

فإن قال قائل: لو سمح لي رئيس العمل فهل يجوز لي أخرج دون أن أقتطع ثمنًا هذا الوقت الذي أستأذن فيه..

الجواب: نعم.. إذا كان رئيسك في العمل هو صاحب العمل ومالكه.. كصاحب المصنع، أو صاحب المدرسة الخاصة ونحو ذلك..

أما الإجارة على عمل: فتتوقف على إنجاز ذلك العمل المتفق على إنجازه، ولا علاقة لها بالوقت.. كمن ذهب إلى الخياط لكي يخيط له ثيابًا له، أو أعطى الساعاتي ساعة لإصلاحها.. فهذه الإجارة تتوقف على إنجاز العمل في الموعد المحدد والمتفق عليه..

ثالثًا: من شروط صحتها: معرفة الأجرة التي يتقاضاها المستأجَر على العمل الذي

يقوم به.. فقد ورد: « **من استأجر أجيرًا، فليعلمه أجره** »[(١)].

ولحديث الوصية: « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » **فلابد أن يتفق المؤجر مع المستأجر على الأجرة، فلو كان كهربائيًا فيتفق معه على سعر تركيب اللمبة، تكون** بكذا.. أو السباك، الحنفية بكذا، أو النجار أجرة تركيب الباب كذا..

- رابعًا: أن تكون المنفعة مباحة: لقوله تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة: ٢].

فلو كانت الإجارة على منفعة لكنها غير مباحة فلا تجوز الإجارة، كمن يؤجر دكانًا لبيع الخمور، أو شقة للدعارة، ونحو ذلك فلا يصح..

أحبتي الكرام..

ما أنواع الإجارة؟

(١) إجارة على عين موصوفة:

أي غير مرئية، ولا مشاهدة في مجلس العقد، كإجارة **سيارة بصفات معينة، كأن** تسع عشرين راكبًا، فقال رجل: أنا عندي سيارة بهذه المواصفات التي ذكرتها، وتم عقد الإجارة بالوصف، ودفع المستأجر أجرة السيارة مقدمًا، فلما استلم السيارة ورآها، وجدها لا تسع إلا عشرة ركاب، أو وجدها بلا فرامل، أو بلا كراسي.. **فحينئذ تكون** الإجارة باطلة.. ويقاس على ذلك كل مستأجر كشقة، ودابة، وغيره..

(٢) إجارة على عين معينة مرئية:

كأن يكون في بيت رجل يجلس معه، فيقول له: **أجر لي هذا البيت أو هذه الشقة** بـ٥٠٠ جنيه في الشهر، فرآها وعاينها وشاهدها، **فتلك إجارة صحيحة، لأنه عاينها..**

(٣) إجارة على منفعة في الذمة:

كأن يتفق مع رجل أن ينقل له كمية معينة من **الطوب أو الرمل إلى الطابق الثالث** مثلاً أو الرابع بأجرة كذا ٢٠٠ جنيه مثلاً **فهذه إجارة على منفعة في الذمة، وهي** صحيحة.

---

(١) أخرجه الدارقطني، وضعفه الألباني.

فمتى تبطل الإجارة؟

تبطل الإجارة بعدة أمور:

(١) تلف العين المستأجرة[1]: فإذا حدث تلف للعين المؤجرة، بطلت الإجارة، كمن استأجر بيتًا لمدة عشر سنوات، بعشرة آلاف جنيه، فانهدم بعد ٣ سنوات، بطلت الإجارة، ويدفع أجرة ٣ سنوات فقط، ولا يكلف المالك ببناء بيت آخر مثله، ليسكن فيه المستأجرة المدة الباقية.

لكن هناك حالة أخرى وهي:

إذا كانت الإجارة كما ذكرنا على منفعة في الذمة، وليست على عين معينة، كمن استأجر سيارة لتوصيله من القاهرة إلى الإسكندرية بمبلغ ٥٠٠ جنيه، لكن السيارة تعطلت في ثلث أو منتصف الطريق، فيلزم المؤجِّر مثلها لتوصيل المستأجر إلى المكان المتفق عليه، ليستحق الأجرة كاملة، وإلا فلا أجرة له ولا يقول له: أوصلتك إلى منتصف الطريق، فأستحق نصف الأجرة.. لا لأن الاتفاق كان على منفعة في الذمة، فلم يأت بها على وجهها، فلا شيء له.

(٢) تبطل إذا وجد المستأجر بالعين المستأجرة عيبًا، جاز له أن يرده، لأن الإجارة كالبيع، والعيب يكون مما تنقص به المنفعة، كتعثر الدابة في المشي، أو العرج، وضعف بصرها، أو استأجر سيارة فوجد أنها ليس بها فرامل، أو عجلاتها تالفة، أو كمن استأجر شقة بصفات معينة، كأن تكون مفروشة، وبها ماء وكهرباء لمدة سنة بـ ١٥٠٠ جنيه فلما سكنها وجدها مفروشة، وبها ماء، لكن ليس بها كهرباء، فإما أن يصلح المالك الكهرباء، وإلا بطلت الإجارة، وجاز للمستأجر أن يفسخ الإجارة، ولا يعطي لصاحب الشقة شيئًا..

(٣) الإقالة: فالإجارة عقد لازم، لا يجوز لأحد الطرفين أن يفسخه إلا برضا الطرف الآخر.. فلو استأجر شقة لمدة ١٠ سنوات بعشرة آلاف، ثم قال المستأجر للمالك بعد ٧ سنوات انتقل من هذه البلدة، وسأترك لك الشقة فأعطني أجرة ٣

---

(١) وإن تلفت العين المستأجرة ينظر هل التلف بتفريط منه أم لا؟ فإن كان بتفريط منه، ضمن المؤجر العين، كمن استأجر على تأديب غلام، فضرب فمات، ضمنه. وإن كان التلف بغير تفريط ففيه تفصيل.

سنوات، فمن حق المالك أن لا يعطيه شيئًا، وتظل الشقة ولو مغلقة على حساب المستأجر مدة العقد.

لكن يستحب حينئذ للمالك أن يقيل المستأجر، أي يسامحه، ويأخذ شقته لحديث: « **من أقال مسلمًا، أقال الله عثرته** »(١).

(٤) انقضاء المدة: فإذا اتفق المؤجر والمستأجر على مدة معينة، بطلت الإجارة بعد هذه المدة المحددة.. لقول النبي ﷺ: « **المسلمون على شروطهم** »(٢).

هذا ومن أراد المزيد فعليه بالرجوع إلى كتاب « المجموع » للإمام النووي، وكتاب « المهذب » للشيرازي، و« المغني » لابن قدامة..

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يلهمنا القيام بحقه، وأن يبارك لنا في الحلال من رزقه.. وأن لا يفضحنا بين خلقه..

اللهمَّ أمنا يوم الفزع الأكبر.. يوم الزحف والزلزال..

اللهمَّ إنا نسألك إيمانًا نهتدي به.. ورزقًا حلالاً نكتفي به.. يا رزاق يا ذا القوة المتين..

اللهمَّ اختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.. واكفنا شر ما أهمنا وغمنا.. وتوفنا وأنت راضٍ عنا يا كريم يا رب العالمين..

---

(١) صحيح: رواه أبو داود وابن ماجة وأحمد في مسنده وابن حبان، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٦٠٧١).

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن ماجة، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٦٧١٤).

الوصية رقم (٣٩)

اصبروا لتنالوا أعلى الدرجات

عن محمد بن خالد السلمي عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إنَّ العبد إذا سبقت له من الله منزلة، لم يبلغها بعمله، ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده، ثم صبره على ذلك، حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله ﷻ** »[1].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

هذه وصية جليلة من أعظم أستاذ، وأنبل معلم، يحثنا فيها على الصبر على الابتلاءات، لأنها من قبل الله ﷻ..

يقول الإمام المناوي - رحمه الله - في شرحها:

« **إذا سبقت للعبد من الله منزلة** » أي إذا منحه في الأزل مرتبة متعالية في الآخرة، لم ينلها بعمله، لقصوره عن إبلاغه إياها، لضعفه وقلته وسموها - أي المكانة - ورفعتها، ابتلاه الله ﷻ في جسده بالأسقام والآلام، وفي أهله بالفقد، أو عدم الاستقامة، وفي ماله بالفقد أو غيره ثم ألهمه الصبر على ما ابتلاه، حتى ينال بسبب ذلك تلك المنزلة، التي استوجبها بالقضاء الأزلي، واستحقها بالحكم القديم الإلهي..

روى البيهقي والحاكم أن موسى مر برجل في متعبد له، ثم مر به بعد وقد مزقت السباع لحمه، فرأس ملقي، وفخذ ملقي، وكبد ملقي.. فقال: يا رب، كان يطيعك، فابتليته بهذا، فأوحى الله إليه، أنه سألني درجة لم يبلغها بعمله، فابتليته، لأبلغه تلك الدرجة.

قال: والمقصود بالحديث الإعلام بفضل البلاء، وأنه منحة لرفع درجات العبد، وإن قل عمله[2]..

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والطبراني في الأوسط وأبو يعلى، وصححه الألباني في « صحيح سنن أبي داود » برقم (٣٠٩٠)، والصحيحة رقم (٢٥٩٩).

(٢) « فيض القدير » (١/ ٤٧٦) للمناوي.

أحبتي في الله..

لقد قدر الله المقادير والآجال، ونسخ الآثار والأعمال، وخلق السموات والأرض، والموت والحياة للابتلاء ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود: ٧].

- فجبلت الدنيا على الأخطار والأكدار.. هذا مبتلى بالجوع، وهذا بالخوف، وذلك بنقص النفس، وذلك بالأموال.. والمحن لا تعرف زمانًا ولا مكانًا، ولا جنسًا، ولا سنًّا ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]. والمؤمن ثابت عند الشدائد والعظائم، لا تزعزعه البلايا والمحن.. يسير مع القضاء حيث ما كان.. مؤمنًا به، مفوضًا أمره إلى الله ﷻ..

والابتلاء مسلك العظماء، قال النبي ﷺ: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، إن كان في دينه صلابه، زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة، خفف عنه**»[1].

والوصية تدل على أن ابتلاء المؤمن لتمام أجره، وعلو منزلته، قال ﷺ: «**وما يزال البلاء بالعبد، حتى يتركه على ظهر الأرض وما عليه خطيئة**»[2].

قال ابن رجب الحنبلي - رحمه الله -: إنما يعرف قدر البلاء، إذا كشف الغطاء يوم القيامة..

والمسلم عزيز لا ينكسر أمام البلايا، قال ﷺ: «**مثل المؤمن كالخامة من الزرع، تفيئها الريح مرة، وتعدلها مرة**» وقال ﷺ: «**ومثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع من حيث أتتها كفأتها، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء**»[3]. والابتلاء دليل على الخيرية بالنسبة للمبتلى.. قال ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا، يصب منه**»[4].

قال الزمخشري: أي ينل منه بالمصائب ويبتليه بها، ليثيبه عليها..

---

(١) **صحيح**: «صحيح الجامع» (٩٩٣)، ورواه البخاري وأحمد بنحوه.

(٢) **صحيح**: رواه ابن [illegible] وابن أبي الدنيا والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٤٠٢).

(٣) رواه البخاري وأحمد [illegible]رهما.

(٤) رواه البخاري عن أبي هريرة ومالك في الموطأ.

وقال القاضي: أي يوصل إليه المصائب، ليطهره من الذنوب، ويرفع درجته.

وكان نهج الأنبياء - عليهم السلام - القوة والثبات عند البلاء، وعند المحن، وقد كان من دعاء الحبيب المصطفى ﷺ: « **اللهمَّ إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد** »[1].

أحبتي في الله..

إن الابتلاء سنة ماضية، والمؤمن يعلم أن هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان وأنه لا راحة إلا في الجنة ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ۝١٥٧ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

والله ﷻ يبتلي العبد - أو أي إنسان - في ثلاثة مواطن: في الدنيا.. وفي القبر.. وفي المحشر..

ففي الدنيا يكون الابتلاء والامتحان بشيئين: بالسراء والضراء.. بالخير والشر، وذلك ليعلم الله ﷻ الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر، والمؤمن من المنافق.. ﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]. فمن صبر وأطاع الله ﷻ، فقد فاز.. ومن جزع وعصا، فقد خاب وخسر.

فهذا إبراهيم الخليل عليه السلام لما ابتلاه الله ﷻ بقومه، فأصروا على عبادة الأصنام والكفر، اعتزلهم وما يعبدون من دون الله، عوضه الله ﷻ بأن وهب له إسماعيل وإسحاق ويعقوب، ولم يبعث نبيًا من بعده إلا من نسله.. ويوسف عليه السلام، لما ابتلي بامرأة العزيز، وصبر وعصم نفسه من الوقوع في الغواية، وطلب السجن ليبتعد عن

---

(١) « السلسلة الصحيحة » رقم (٣٢٢٨).

الفتنة، عوضه الله ﷻ بأن مكن له في الأرض، واستمتع بما أحل الله له من الأموال والنساء والسلطان.. وأهل الكهف لما ابتلاهم، فاعتزلوا قومهم وما يعبدون من دون الله، نشر لهم من رحمته، وجعلهم سببًا لهداية من بعدهم..

ومريم ابنة عمران، لما أحصنت فرجها، أكرمها الله، ونفخ فيها من روحه، واصطفاها وطهرها، وجعلها وابنها آية للعالمين..

والمهاجرون الأولون الذين هجروا أوطانهم، وتركوا أموالهم، **لأن الله** ﷻ ابتلاهم، وأراد أن يختبر إيمانهم.. لما صبروا على الابتلاء، عوضهم الله ﷻ الرزق الواسع في الدنيا، والعز والتمكين في الأرض، والجنة في الآخرة. ومن ترك ما تهواه نفسه من الشهوات لله تعالى.. عوضه الله من محبته وعبادته، والإنابة إليه، ما يفوق لذات الدنيا كلها..

أيها الأحبة الكرام..

والله ﷻ جعل ابتلاء المؤمن نعمة من النعم.. وتلك النعمة مستورة لا يراها إلا أولو الألباب.. قال ﷺ: « **عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمره كله خير: إن أصابه بلاء فصبر، كان خيرًا له، وإن أصابته سراء، شكر فكان خيرًا له** »[1].

وقال صلوات ربي وسلامه عليه: « **يود أهل العافية يوم القيامة، حين يعطى أهل البلاء الثواب، لو أنَّ جلودهم كانت قُرضت في الدنيا بالمقاريض** »[2]. وما من شيء ضيعته عوض، وما من الله إن ضيعته عوض.. قال ﷺ: « **إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط، فله السخط** »[3]. وقال ﷺ: « **إذا أراد الله بعبده الخير، عجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر، أمسك عنه بذنبه، حتى يوافى به يوم القيامة** »[4]. فإذا أصيب الإنسان ببلاء أو مصيبة، فليحمد الله ﷻ أنها لم تكن في دينه.. فقد كان النبي ﷺ يدعو، ويقول: « **ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) حسن: رواه الترمذي وابن أبي الدنيا، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (٣٤٠٤).

(٣) حسن: رواه ابن ماجة والترمذي، وحسنه في « صحيح الترغيب » (٣٤٠٧).

(٤) صحيح: رواه الترمذي، وحسنه الألباني في « الصحيحة » (١٢٢٠)، و« صحيح الجامع » (٣٠٨).

تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا ...»[١].

ويحمده على أنها لم تكن من أكبر أو أعظم من ذلك، ويحمده أنها كانت في دنياه، وليست في أخراه، وأنه لم يحرم الرضا بها، وأنه يرجو الثواب عليها، وبها تكمل عبودية الصبر، وينال الثواب العظيم، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [الزمر: ١٠].

أحبتي الكرام..

فينبغي على المؤمن أن يصبر على البلاء، مهما اشتد، فإن مع العسر يسرًا، وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.. يقول أنس ﷺ: دخل النبي ﷺ على شاب، وهو في الموت، فقال له: « **كيف تجدك؟** ». قال: أرجو رحمة الله يا رسول الله، وأخاف ذنوبي، فقال: « **لا يجتمعان في قلب عبدٍ في مثل هذا الموطن، إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف** »[٢]. فلا ينبغي للعبد أن يسيء العمل وهو صحيح بحجة هذا الحديث، فلعل الموت يأتيه بغتة.. وعلى كلٍّ فالمؤمن يصبر ويرضى بقضاء الله، فإن عاش لم يحرم الأجر وإن مات، فإلى رحمة الله ﷻ..

وينبغي للعبد أن يعلم أن الابتلاء فيه تهذيب للنفس، وتصفية لها من الشر الذي فيها، قال تعالى: ﴿ **وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ...** ﴾ [الشورى: ٣٠]. فإذا أصيب العبد، فلا يقل: من أين هذا؟ ولا من أين أتى؟ فما أصيب إلا بذنوبه.. وفي هذا تبشير وتحذير إذا علمنا أن مصائب الدنيا عقوبات لذنوبنا، ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عن خطاياه** »[٣].

فإذا كان للعبد ذنوب، ولم يكن له ما يكفرها، ابتلاه الله بالحزن أو المرض، وفي هذا بشارة، فإن مرارة ساعة وهي الدنيا، أفضل من احتمال مرارة الأبد..

---

(١) صحيح: رواه النسائي والحاكم عن ابن عمر، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١٢٦٨).

(٢) حسن: رواه الترمذي وابن ماجة، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٣٣٨٣).

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

يقول بعض السلف: لو لا مصائب الدنيا، لوردنا القيامة مفاليس..

والله ﷻ بعباده خبير بصير، وهو أرحم الراحمين، ورحمته وسعت كل شيء وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها..

فإذا أصيب الإنسان بمصيبة، فالله ﷻ يعلم أن فيها مصلحة للعبد محققة.. ولو علم العبد ذلك لحمده على ذلك.. ولكنه لجهله يشكو ويتسخط، واللائق بالعبد أن يساير قضاء ربه، سواء سرته أو أساءته، فالله أعلم بمصلحته، وسوف يوفه أجره وثوابه، إن صبر وشكر ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

أليس الإنسان إذا أصيب بمرض في بدنه، ذهب إلى الطبيب ليجري له عملية ويستخرج من بدنه الأشياء الفاسدة، لتزول العلة، ويحصل الشفاء، ويدفع للطبيب مقابل ذلك مبلغًا من المال، مع أن الجراحة تؤلمه، ولكنه يتحملها لحسن عاقبتها.

فكذلك المصائب تطهر العبد من الذنوب، تستحق من العبد الحمد والشكر، ويدرك هذا من حقق معنى (لا إله إلا الله).

والله ﷻ يربي عباده بهذه الابتلاءات.. وأول هذه التربية الإلهية ابتلاء وامتحان، وأوسطها صبر ويقين وتوكل.. وآخرها هداية ونصر وتمكين.. وعاقبتها الجنة ورضوان رب العالمين، كما قال سبحانه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢].

والله تبارك وتعالى ابتلى الأنبياء بما شاء من أذى الكفار لهم ليستوجبوا كمال كرامته، ويتوجهون إلى ربهم في كشف ما نزل بهم من ضر.. وليتلى بهم من بعدهم من أممهم وحلفائهم إذا أوذوا من الناس.. فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء.. صبروا ورضوا وتأسوا بهم.. ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [الأنعام: ١٧].

وكما ذكرنا حديث رسول الله ﷺ أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.. يبتلي الرجل على حسبه دينه..

فقد ابتلى الله ﷻ إبراهيم الخليل ﵇ بقومه الذين كذبوه، وألقوه في النار، كما ابتلاه بذبح ولده وفلذة كبده إسماعيل ﵇، فما كاد يأنس به حتى ابتلى بذبحه ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢].

إنها إشارة، وليست وحيًا صريحًا، ولا أمرًا مباشرًا، ولكنها إشارة من ربه.. وهذا يكفي.. فلبى دون أن يعترض أو يسأل..

إنه لم يلبِّ في انزعاج ولا جزع، بل استجاب مطمئنًا راضيًا واثقًا بربه.. إنَّ الأمر شاق على النفس جدًّا.. فالله ﷻ لم يطلب منه أن يرسل بابنه الوحيد إلى معركة القتال، ولم يطلب منه أمرًا تنتهي به حياته، كأن يرمي نفسه من علو أو نحوه.. بل كلفه أن يتولى ذبحه بنفسه وبيده.. ومع ذلك تلقى الأمر بالصبر والثبات..

ثم يعرض الخليل ﵇ على ولده إسماعيل ويطلب إليه أن يرى فيه رأيه فلم يأخذه على غرة.. لكي ينفذ الإشارة الربانية وينتهي الأمر، ولكنه يعرض عليه الأمر كأنه شيء مألوف.. إنه يريد أن يلقن ابنه درسًا وهو أن يأخذ الأمر طاعة واستسلامًا.. لا قهرًا واضطرارًا.. ربه يريد، فليكن ما يريد، لكي يتذوق حلاوة التسليم والرضا لأمر ربه.

إنه يحب لإسماعيل أن يتذوق حلاوة الإيمان، ولذة الطاعة التي ذاقها.. فماذا كان من أمر الغلام الذي يعرض عليه الذبح تصديقًا لرؤيا رآها أبوه؟ ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

لقد تلقى الأمر ليس بالطاعة فحسب، بل بالرضا واليقين والصبر.. فما أعظم هذا الابتلاء؟! ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦]. لقد كب إبراهيم ابنه على جبينه، ليذبحه، والغلام استسلم للذبح، فلم يتحرك اقتناعًا.. استسلما - الأب والابن - لقضاء الله ﷻ.. ولم يبق إلا الذبح.. لم يبق إلا أن يسيل الدم، وتزهق الروح.. فالابتلاء قد تم.. ولم يبق إلا الألم البدني، والله ﷻ عندما يبتلي عباده لا يريد دماءهم ولا أجسادهم في شيء.. فلم ظهر صدقهما.. اعتبرهما قد أديا، وأثمر الصدق والنجاة. ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الصافات: ١٠٤، ١٠٥].

لقد فدى الله ﷻ هذه النفس البشرية التي استسلمت ورضيت.. ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠٧] ومضت بذلك سنة النحر في الأضحى، تذكيرًا بهذا الحدث العظيم، الذي تجلت فيه حقيقة الإيمان، وجمال الطاعة، وجمال التسليم، وجمال الرحمة، وجمال البذل، وكمال التضحية..

- وهذا نبي الله أيوب ؈، ابتلاه الله ﷻ، ليمتحن صبره، فكان يعيش في نعمة من المال والأهل والصحة.. فسلبه الله حتى لم يبق لديه شيء، وسلبه الأهل والأولاد، حتى لم يبق إلا زوجته، ثم سلبه الصحة، وابتلاه بالمرض، حتى أصبح لا يستطيع أن يخدم نفسه، ونفخ الشيطان في جسده، ثم يأتيه في كل حال، ليذكره بالمال والأهل، والعافية، ولكنه لا يبالي به، صابرًا لله ﷻ، حتى رحمه الله ﷻ من البلاء، وقال له: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [ص: ٤١].

ثم جاء الشيطان إلى زوجته، وذكرها بحالها الأولى، فاعترضت مرة على أيوب، فعلم أن الشيطان سول لها، فحلف ليضربنها مائة سوط، فلما شفاه الله، وكانت امرأته من الصالحات القانتات، أفتاه الله ﷻ أن يضربها بضغث فيه مائة شمراخ ضربة واحدة، ليبر قسمه، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٤٤].

لما صبر أيوب ؈ على البلاء، شفاه الله، لأنه كمل مراتب العبودية فأمره مولاه أن يضرب الأرض برجله، لينبع منها ماء ليغتسل منه ويشرب، فيذهب عنه الضر، ففعل، فذهب عنه ضره، وشفاه الله، ووهب له أهله ومثلهم معهم، وأغناه وأعطاه مالاً عظيمًا، وعافاه في بدنه، لكمال صبره على البلاء، وقوة يقينه بربه ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝٤٢ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٤٣ ﴾ [ص: ٤٢، ٤٣].

وكما ابتلى أيوب ؈ ابتلى نبي الله عيسى ؈ باليهود، الذين كذبوه وأرادوا قتله وصلبه.. وابتلى حبيبه ومصطفاه ﷺ بأذى الكفار له، وتكذيبهم إياه، ومطاردتهم له، وإخراجه من مكة.. وغير ذلك..

أحبتي الكرام..

والمصطفين الأخيار كثير.. وأخبارهم في الصبر على الابتلاء جليلة وعظيمة..

فهذا **عروة بن الزبير** - رحمه الله -:

قال ابن القيم - رحمه الله -: قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك، ومعه ابنه محمد، وكان من أحسن الناس وجهًا، فدخل يومًا على الوليد في ثياب وشي، وله غديرتان، وهو يضرب بيده، فقال الوليد: هكذا تكون فتيان قريش، فعانه - أي حسده - فخرج من عنده متوسنًا، فوقع في اصطبل البهائم، فلم يزل الدواب تطؤه بأرجلها حتى مات، ثم إن الأكلة وقعت في رجل عروة، فبعث إليه الوليد الأطباء، فقالوا: إن لم نقطعها، سرت إلى باقي الجسد، فتهلك، فعزم على قطعها، فنشروها بالمنشار، فلما صار المنشار إلى القصبة، وضع رأسه على الوسادة ساعة، فغشي عليه، ثم أفاق والعرق يتمدد على وجهه، وهو يهلل ويكبر، فأخذها وجعل يقلبها، وهو يقول: أما والذي حملني عليك، إنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام، ولا إلى معصية، ولا إلى ما لا يرضى الله، ثم أمر بها، فغسِّلت وطُيِّبت، وكفنت في قطيفة، ثم بعث بها مقابر المسلمين.. فلما قدم من عند الوليد المدينة، تلقاه أهل بيته وأصدقاؤه يعزونه، فجعل يقول: ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف: ٦٢].

قال ابن القيم - رحمه الله -: ولما أرادوا قطع رجله، قالوا له: لو سقيناك شيئًا، كي لا تشعر بالوجع.. فقال: إنما ابتلاني، ليرى صبري، أفأعارض أمره[١]؟!

إن سلبت، فلطالما أعطيت، وإن أخذت فطالما أبقيت، وأبقيت لنا فيك الأمل.. يا بر.. يا وصول..

وأصيب **مُطرِّف بن عبد الله** في ابن له، فأتاه قوم يعزونه، فخرج إليهم أحسن ما كان بشرًا، ثم قال: إني لأستحي من الله أن أتضعضع لمصيبة..

وهذا هو **فتح الموصلي** - رحمه الله -: قال إبراهيم بن عبد الله: صدع فتح الموصلي فقال: يا رب، ابتليتني ببلاء الأنبياء فشكر هذا أن أصلي الليلة أربعمائة ركعة[٢]..

---

(١) «عدة الصابرين» (ص٩١) لابن القيم الجوزية.

(٢) «الحلية» (٨/ ٢٩٢) لأبي نعيم.

وإذا كانت ليالي الشتاء، جمع عياله وقام بكسائه عليهم، ثم قال: اللهمَّ أفقرتني وأفقرت عيالي، وجوعتني وجوعت عيالي، وأعريتني وأعريت عيالي، بأي وسيلة توسلتها إليك، وإنما تفعل هذا بأوليائك وأحبابك، فهل أنا منهم حتى أفرح؟!

وهذه امرأة فتح الموصلي - رحمها الله - يفضل صبرها صبر الملايين من الرجال انقطعت إصبعها، فضحكت، فقال لها بعض من معها: أتضحكين وقد انقطع أصبعك؟ فقالت: أخاطبك على قدر عقلك، حلاوة أجرها أنستني مرارة قطعها..

قال ابن القيم - رحمه الله -: إشارة إلى أن عقله لا يحتمل ما فوق هذا المقام، من ملاحظة المبتلى، ومشاهدة حسن اختياره لها في ذلك البلاء، وتلذذها بالشكر له، والرضا عنه، ومقابلة ما جاء من قبله بالحمد والشكر، كما قيل:

لـــئن ســـاءني أن نلتنـــي بمـــساءة فقـــد سرني أني خطـــرت بـــبالكا[1]

فلله درها من عابدة تقية..

أحبتي الكرام..

فما أجمل، وما أعظم أن نتأسى بتلك النخبة الطاهرة الزكية..

فاللهمَّ رضنا على قضائك.. واجعلنا من الصابرين على بلائك.. والشاكرين لنعمائك.. اللهمَّ توفنا وأنت راض عنا..

اللهمَّ يا أقرب شهيد، ويا أدنى حفيظ.. يا من أخذت بالنواصي، خذ بناصيتنا إليك.. ولا تذلنا إلا إليك يا أكرم مسئول..

اللهمَّ أعتق رقابنا من النار، وأسكنا دار القرار مع الأنبياء والشهداء الأبرار.. يا رب العالمين..

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ١٦٨) لابن القيم الجوزية.

الوصية رقم (٤٠)

لا تأمنوا مكر الله عز وجل

عن عقبة بن عامر ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **إذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج.. ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾** [الأنعام: ٤٤] »[1].

آحبتي في الله..

الأعمال بخواتيمها، والسعيد من ختم له بخير، والشقي البعيد من رحمة الله ﷻ من ختم له بسوء، وحرم من جنة عرضها السموات والأرض، ولم تسعه رحمة الله التي وسعت كل شيء، وهذا مقضي ومقدر بما سبق عليه الكتاب وحكم به رب العباد، كما ورد في حديث الصادق المصدوق ﷺ المتفق عليه: « **فوالله الذي لا إله غيره، إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها، فكل ميسرٌ لما خلق له** »[2].. **﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝ ﴾** [الليل: ٥-١٠].

وهذا الحديث يبين لنا أن الإرادة هي إرادة الله ﷻ والمشيئة هي مشيئته والقضاء والقدر كل ذلك بيده، وهو الذي خلق العباد، وهو الذي يتصرف في شئونهم، وأن العبد لابد أن يكون دائمًا وأبدًا محاذرًا من مكر الله ﷻ.. وكذلك الوصية التي نعيش في ظلالها، إنها تحذرنا تحذيرًا شديدًا أن نأمن مكر الله ﷻ..

---

(١) صحيح: رواه أحمد والطبراني، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٤١٣)، و« صحيح الجامع » (٥٦١).

(٢) رواه البخاري وأبو داود والترمذي.

وما الذي يؤمننا مكر الله ﷻ، وقد حذرنا ربنا العلي العظيم، الحكيم الكريم مغبة ذلك، وبين أن ذلك خلق القوم الخاسرين، فقال: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩].

ما الذي يؤمننا وقد خاف ذلك أسلافنا الصالحون؟

ما الذي يؤمننا وقد أغلق الخوف من سوء الخاتمة الأتقياء من المؤمنين؟

فرعون استرسل حتى قال: أنا ربكم الأعلى.. ولما أمر الله موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه، فضرب موسى البحر، فانفلق البحر فلقتين بينهما أرض يابسة يستطيع أي أحد أن يلحق من خلالها أن يلحق بنبي الله موسى عليه السلام، ولكنهم جهلوا ما كتبه الله عليهم من الذل والشقاء، فنجى الله كليمه موسى ومن معه من المؤمنين، وأمر البحر أن ينطبق على فرعون، فأدركه الموت، فقال: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠].

فقال له ربنا جل في علاه: ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٩١]. فكان الإجماع أن فرعون لم تقبل توبته، فهو لم يعرف كيف جزاء الله ومعاقبته للكافرين.. فرعون أراد أن يبطش بموسى.. ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤].

فالمكر بالنسبة للإنسان هو الخداع.. إذا قيل عن إنسان « ماكر » معناها أنه مخادع.. أما بالنسبة لله ﷻ فمعناه أنه يوصل الجزاء والعقوبة للماكرين من حيث لا يشعرون، كما أوصل الجزاء والعقوبة إلى فرعون من حيث لا يشعر.. ولما مكر بإبليس اللعين – وكان مع الملائكة الكرام يعبد الله معهم – طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام، فقال الله ﷻ لهما: ما لكما تبكيان؟ قالا: يا رب، ما نأمن مكرك.. فقال الله تعالى: هكذا كونا، لا تأمنا مكري..

وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « إنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل النار، وإنه من أهل الجنة، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم »[1].

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

وقد قص الله ﷻ علينا في كتابه العزيز قصة بلعام بن باعوراء، وأنه قد سلب منه الإيمان بعد العلم والمعرفة.. قال الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

اقصص أيها الرسول على أمتك خبر رجل من بني إسرائيل، أعطيناه حججنا وأدلتنا، فتعلمها، ثم كفر بها، ونبذها وراء ظهره، فاستحوذ عليه الشيطان، فصار من الضالين الهالكين، بسبب مخالفته أمر ربه، وطاعته الشيطان.

ولو شئنا أن نرفع قدره بما آتيناه من الآيات، لفعلنا، ولكنه ركن إلى الدنيا واتبع هواه، وآثر لذاته وشهواته، وامتنع عن طاعة الله، وخالف أمره.. وكذلك كان برصيصا العابد، قد وهبه الله العبادة والصلاح، فنزعهما منه ومات على الكفر - والعياذ بالله -.

وبرصيصا العابد قد عبد الله ﷻ ستين سنة، وإن الشيطان أراده، فأعياه فعمد إلى امرأة فأجنَّها، ولها إخوة، فقال لإخوتها: عليكم بهذا القس فيداويها، قال: فجاءوا بها إليه، فداواها، وكانت عنده، فبينما هو يومًا عندها إذ أعجبته، فأتاها، فحملت، فعمد إليها، فقتلها، فجاء إخوتها، فقال الشيطان للراهب: أنا صاحبك، إنك أعييتني، أنا صنعت بك هذا، فأطعني، أنجك مما صنعت بك.. فاسجد لي سجدة، فسجد له، فلما سجد له، قال: إني بريء منك، إني أخاف الله رب العالمين[1]..

وروي أن رجلاً بمصر كان ملتزم المسجد للأذان والصلاة، وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة، فصعد يومًا المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دار لنصراني ذمي، فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار، وكانت جميلة، فافتتن بها، فترك الأذان، ونزل إليها، فقالت له: وما شأنك وما تريد؟ فقال: أنت أريد.. قالت: لا أجيبك إلى ريبة.

قال لها: أتزوجك، قالت له: أنت مسلم، وأبي لا يزوجني بك.. قال: أتنصر، قالت له: إن فعلت، أفعل، فتنصّر ليتزوج بها، وأقام معهم في الدار، فلما كان في أثناء ذلك

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٧٥).

اليوم رقي إلى سطح كان في الدار، فسقط، فمات، فلا هو فاز بدينه، ولا هو تمتع بها، نعوذ بالله من الفتن، وسوء العاقبة، وسوء الخاتمة.

ولذلك كان النبي ﷺ يقول كثيرًا: «**يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على طاعتك**»[١]. فقالت له عائشة - رضي الله عنها - يا رسول الله، إنك تكثر أن تدعو بهذا، فهل تخشى؟ قال: «**وما يؤمنني يا عائشة، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، إذا أراد أن يقلب قلبَ قلبه**»[٢]. وعند أحمد من حديث النواس بن سمعان أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن رب العالمين، إذا شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه**»[٣].

وفي رواية لأحمد أيضًا من حديث أنس بن مالك ؓ قال: كان النبي ﷺ يكثر أن يقول: «**يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك**».

قال: فقلنا: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «**نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله تعالى يقلبها**»[٤].

وفي القرآن الكريم: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤].

قال السدي: يحول بين الإنسان وقلبه، فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه.

وقال قتادة: هو كقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦][٥].

أحبتي الكرام..

رحم الله الحسن البصري حين قال: المؤمن يعمل بالطاعات، وهو مشفق وجل خائف.. والفاجر يعمل بالمعاصي، وهو آمن..

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجة، وصححه الألباني في «المشكاة» (١٠٢)، و«صحيح الجامع» (٤٨٠١).

(٢) رواه مسلم وابن ماجة.

(٣) صحيح: رواه أحمد والنسائي وابن ماجة، وصححه الألباني.

(٤) صحيح: رواه أحمد في مسنده والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٤٧).

(٥) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٥).

كيف يأمن المؤمن مكر ربه والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء؟ كيف يأمن العبد وقد قيل: إن قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، يقولون: بماذا يختم لنا؟ وقلوب المقربين معلقة بالسوابق، يقولون: ماذا سبق لنا؟

ويحكى أن بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - خاف عند موته، فسئل عن ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام قبض قبضتين، فقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي**»[1].

فلا أدري من أي القبضتين أكون؟!

فاحذروا مكر الله ﷻ.. ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨** ﴾ [الانفطار: ٦-٨].

ما الذي جرأك على مولاك العظيم؟ أنسيت نفسك؟ أغفلت عن ضعفك؟

أما تذكرت ما فعل بك منذ أن خلقك؟

أيها الضعيف.. إنه القوي..

أيها الفقير.. إنه الغني..

أيها المسكين.. إنه القدير..

أيها الجاهل.. إنه العليم..

أيها المهين.. إنه المهيمن..

أيها المخلوق.. إنه الخالق.. ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧** ﴾ [فاطر: ١٥-١٧].

عطاياه إليك نازلة.. وخطاياك إليه صاعدة..

يمهلك، فتغفل.. يحلم عليك، فتجهل.. يلطف بك، فتستكبر.. يناديك إلى التوبة فتتمادى.. يحذرك من العقوبة، فتتمرد.. يدعوك إلى رحمته، فتعرض.. ويذكرك بنعمه، فتجحد..

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده من حديث معاذ رضي الله عنه.

هل استغنيت عنه؟ هل لك رب سواه فتدعوه؟ هل لك إله غيره فترجوه؟ هل غير الله للذنوب غافر؟ هل غير الله للعيوب ساتر؟ هل غير الله لدفع الكروب قاهر؟ هل غير الله لكسر القلوب جابر؟

من تقصد غير الله.. وهو الرب المقصود؟ ومن ترجو سواه.. وهو صاحب الكرم والجود؟ ما أعظم الله! وما أجله وما أكرمه؟! وما أحلمه وأرحمه! وما أكثر جوده وبره! وما أكبر عطائه وإحسانه!

موعظة:

عبد الله.. إذا كانت الهداية من الله معروفة، والاستقامة على مشيئته موقوفة، والعاقبة مغيبة، والإرادة غير مغالبة، فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وصومك، وجميع قربك.. ذلك إن كان من كسبك، فإنه من خلق ربك، وفضله الدار عليك.. فمهما افتخرت بذلك، كنت مفتخرًا بمتاع غيرك، ربما سلبه عنك، فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف العير، فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم، أضحت وزهرها يابس هشيم، إذ هبت عليها الريح العقيم.. كذلك العبد.. يمسي وقلبه بطاعة الله مشرق سليم.. ويصبح وهو بمعصية الله مظلم سقيم.. ذلك تقدير العزيز العليم..

ابن آدم..

الأقلام عليك تجري وأنت في غفلة لا تدري.. فدع المغاني والأوتار، والمنازل والديار، والتنافس في هذه الدار، حتى ترى ما فعلت في أمرك الأقدار.. ينادي مناد من قبل العرش: أين فلان بن فلان؟ فلا يسمع أحد ذلك الصوت إلا وتضطرب فرائصه.. فيقول الله لذلك الشخص: أنت المطلوب، هلم إلى العرض على خالق السموات والأرض، فيشخص الخلق بأبصارهم تجاه العرش ويوقف ذلك الشخص بين يدي الله ﷻ، فيلقى الله ﷻ من نوره يستره عن المخلوقين، ثم يقول له: عبدي، أما سمعت بنقمتي وعذابي لمن عصاني؟ فيقول: بلى يا رب.. فيقول الله تعالى: أما سمعت بجزائي وثوابي لمن أطاعني؟ فيقول: بلى يا رب..

فيقول الله تعالى: يا عبدي، عصيتني؟ فيقول: يار ب، قد كان، فيقول الله: فما ظنك اليوم بي؟ فيقول: يا رب ظني فيك أن تعفو عني..

فيقول الله ﷻ: تحققت أني أعفو عنك، فيقول: نعم يا رب، لأنك رأيتني على المعصية وسترتها عليَّ..

فيقول الله ﷻ: قد عفوت عنك، وغفرت لك، وحققت ظنك، خذ كتابك بيمينك، فما كان فيه من حسنة فقد قبلتها، وما كان من سيئة فقد غفرتها لك، وأنا الجواد الكريم..

إلهنا.. لولا محبتك للغفران، ما أمهلت من يبارزك بالعصيان.. ولولا عفوك وكرمك ما سُكنت الجنان..

اللهمَّ حقق بالرجاء آمالنا.. وحسن في جميع الأحوال أعمالنا.. وسهل في بلوغ رضاك سبلنا.. وخذ إلى الخيرات بنواصينا.. وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة.. وقنا عذاب النار..



الوصية رقم (٤١)

الحث على العمل وإتقانه

عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**»[(١)].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي الكرام..

إن هذه الوصية الكريمة المباركة، التي أوصانا بها أستاذ البشرية، وفقيه الإنسانية ﷺ تحثنا على العمل، وتحضنا على إتقانه، وإخلاصه، أي عمل.. ولو دققنا النظر في بعض ألفاظ الوصية (عملاً) هكذا منكرًا دون تعريف، ليفيد العموم، فلا تحديد لنوع العمل.. لأن العمل معنى من معاني الحياة الإنسانية، يتخذ منه الإنسان سببًا لرزقه، ومظهرًا للتعبير عن نشاطه، وإسهامه في حركة الحياة..

إنَّ دين الإسلام دعوة حماسية لمحاربة البطالة، والحض على العمل، واختيار النافع منه.. وهل تقاس عظمة الأمة إلا بقدر تقديس أفرادها وجماعتها للعمل؟ فالمؤمن لا راحة له دون لقاء ربه، فأمر هذا التشريع أتباعه إلى العمل إلى آخر رمق في الحياة.. قال تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ** ﴾ [الملك: ١٥].

وقال: ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ...** ﴾ [الجمعة: ١٠].

ورسولنا وحبيبنا ﷺ في غير هذه الوصية حثنا على العمل في أحاديث كثيرة، فقال: «**ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده**»[(٢)]. وقد خص نبي الله داود ﷺ بالذكر، لأن أكله

---

(١) صحيح: رواه البيهقي في «الشعب» وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٨٠)، و«الصحيحة» (١١١٣).

(٢) رواه البخاري وأحمد.

من عمل يده، لم يكن لحاجة، لأنه ملك..

وقال: « **لأن يغدو أحدكم، فيحتطب على ظهره، فيتصدق منه، ويستغني به عن الناس، خير من أن يسأل رجلاً، أعطاه أو منعه** »(١).

وقال في رواية: « **لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خير له من أن يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه** »(٢).

وصحابة النبي ﷺ يحثون على العمل، والسعي في طلب الرزق.. يقول أبو بكر الصديق ﷺ: « دينك لمعادك، ودرهمك لمعاشك، ولا خير في امرئ بلا درهم ».

وسيدنا عمر فاروق الإسلام يقول: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهمَّ ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، وإنما يرزق الله الناس بعضهم من بعض..

ورأى سائلاً يسأله، ومعه من الطعام فوق كفايته، فأخذ الزائد منه، وأطعمه لأهل الصدقة..

وكان ﷺ يقول: ما من موضع يأتيني الموت فيه أحب إليَّ من موطن أتسوق فيه لأهلي أبيع وأشتري، ولأن أموت بين شعبتي رحلي أضرب في الأرض، أبتغي من فضل الله أحب إليَّ من أن أموت شهيدًا في سبيله، لأن الله قدم ذاك على هذا في كتابه، فقال سبحانه: ﴿ **وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ...** ﴾ [المزمل: ٢٠].

وسيدنا علي بن أبي طالب ﷺ يقول: لم يكن في بيتي يومًا شيء آكله ولو كان في بيت النبي ﷺ شيء لبلغني، فانطلقت إلى يهودي في بستان له ببعض نواحي المدينة، واطلعت عليه من ثغرة في جدار فقال: مالك يا أعرابي؟ هل لك في دلو بتمرة؟ قلت: نعم، افتح لي البستان فدخلت، فجعلت أنزع الدلو، ويعطيني تمرة، حتى ملأت كفي..

وهو القائل ﷺ:

---

(١) رواه مسلم والترمذي.

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ومالك.

لحملي الصخر من قمم الجبال أحب إليَّ من منن الرجال
يقول الناس لي في الكسب عار فقلت العار في ذاك السؤال

ولما آخى الرسول ﷺ بين الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف المهاجري، وبين الصحابي الأنصاري سعد بن الربيع ﷺ آثره بالمال والنفس..

فقال له عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك وفي مالك، ولكن دلني على السوق لأعمل وأبيع، فدله، فأخذ يبيع ويشتري الجبن والزبد، حتى صار من أغنى أغنياء الصحابة - رضوان الله عليهم -.

وكان أصحاب النبي ﷺ لا يأنفون من أن يعمل أحدهم حمَّالاً أو يشتغل بعضهم غزالاً بمغزله، ليعيش منها..

وحسبنا تشجيعًا على العمل أن نعلم أن جميع الأنبياء كانوا يعملون.. فعلى سبيل المثال لا الحصر..

نبي الله آدم عليه السلام كان زرّاعًا..

ونبي الله نوح عليه السلام كان نجّارًا..

ونبي الله إدريس عليه السلام كان خيَّاطًا..

ونبي الله إبراهيم عليه السلام كان بزازًا - أي تاجرًا للقماش -..

ونبي الله إسماعيل عليه السلام كان قنَّاصًا..

ونبي الله داود عليه السلام كان حدادًا يصنع السيوف والدروع..

ونبي الله سليمان عليه السلام كان يصنع المكاتل.. أي المقاطف..

وكليم الله موسى عليه السلام كان راعيًا للأغنام.. وكذلك كان نبي الله شعيب..

وكان كذلك نبي الله إسحاق ويعقوب - عليهما السلام -..

وإلياس عليه السلام كان نسَّاجًا..

وكان رسولنا ﷺ راعيًا للأغنام، واشتغل بالتجارة في مال السيدة خديجة - رضي الله عنها -.

وكذلك كان أصحابه الكرام - رضوان الله عليهم - فسيدنا أبو بكر الصديق كان يبيع القماش والثياب، وسيدنا عمر بن الخطاب كان دلالاً، ويعمل فلاحًا للأرض.. وعثمان كان تاجرًا، وكذلك عبد الرحمن بن عوف..

وكان الزبير بن العوام ﷺ خيَّاطًا..

وسيدنا لقمان الحكيم كان عبدًا يعمل عند سيده راعيًا للأغنام.. أو قصَّابًا..

ويوصي ولده بأن يكسب من عمل يده، فيقول:

« يا بني.. استغن بالكسب الحلال عن الفقر، فإنه ما افتقر أحد قط، إلا أصابه ثلاث خصال: رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب في مروءته، وأدهى من ذلك استخفاف الناس به ».

والنبي ﷺ شجع على الزراعة، فيقول: « **ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا، فيأكل منه إنسان أو حيوان أو طير إلا كان له به صدقة** »[1].

وقال مشجعًا على ذلك حتى آخر رمق في الحياة الدنيوية: « **إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة، فليغرسها** »[2].

وقد رفع الإسلام شأن الحرف عندما قال عن نبي الله داود ﷺ، وكان ملكًا من ملوك الدنيا.. ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وقال ﷺ عن رعي الأغنام: « **ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم، وأنا كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط** »[3].

يقول سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: أرى الرجل فيعجبني، فأسأل هل له من كسب؟ فإذا قيل: لا، سقط من عيني..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) صحيح: رواه أحمد في مسنده والبخاري في « الأدب المفرد » ورواه ابن ماجة، وصححه الألباني في « الصحيحة » برقم (٩)، و« صحيح الجامع » (١٤٢٤).

(٣) رواه البخاري.

ورحم الله أبا سُليمان الداراني حين قال: ليست العبادة أن تصف قدميك وغيرك يمونك، ولكن ابدأ برغيفيك فأحرزهما، ثم تعبد..

أحبتي الكرام..

هكذا عالج الإسلام البطالة والفاقة، لكن الصدقة، فإنها مهما بلغت فوائدها، لا تعمل مع محاربة الفقر والنجاة من شروره. فقد سئل فورد المثري الأمريكي الكبير عما يقدم من ماله في معونة الفقراء، والأخذ بأيديهم فقال: إن علاج الفقر في تقديري، ليس بالشفقة والصدقة، فإن ما يأخذه الفقير لا ينفعه كثيرًا، حقًا إنه يخفف عنه بعض مصاعب الحياة، ومتاعب العيش، ولكنه لا يلبث قليلاً حتى يعود إلى حاله من الحاجة والفاقة، وإنما خير السبل نحو الرجل الذي يحتاج إلى مساعدة أن تفتح له الباب لمساعدة نفسه، فإذا استطعت حمله على تحصيل رزقه، وهيأت له الانتفاع بجهده، وبمواهبه فقد استطعت أن تجعله سعيدًا في محيط المجتمع.

وقد سخر مولانا ﷻ كل شيء في هذا الوجود لخدمة هذا الإنسان، الذي جعله الله تعالى خليفة في الأرض ليعمرها، حتى لا يجد عناء في تحصيل رزقه، وحتى يكون شاكرًا له سبحانه، وفي ذلك يقول الله ﷻ في كتابه:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٢، ٣٣].

ويقول: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الجاثية: ١٢، ١٣].

والشيخ جمال الدين الأفغاني ألقى محاضرة عن الصناعة شبه فيها الأمة بجسم حي، والصناعات بأعضاء ذلك الجسم، وقال:

كما أنه لا حياة للجسم بدون الأعضاء، كذلك لا حياة للأمة بدون الصناعات ثم شبه الملك بالمخ، الذي هو مركز التدبير والإرادة، والحدادة بالعضد، والزراعة بالكبد، والملاحة بالرجلين.. ومضى في تعداد سائر الصناعات والأعضاء، حتى أتى على جميعها

ببيان ضافٍ مبينًا أهمية كل منها - ثم قال: هذا ما يتألف منه جسم السعادة الإنسانية، ولا حياة لجسم إلا بروح، وروح هذا الجسد: إمَّا النبوة، وإما الحكمة..

وقال في موضع آخر: من لم يكن ذا عمل حقيقي يفيد المجتمع الإنساني، فهو كالعضو الأشل، لا فائدة منه على البدن، إلا تكلف حمل ثقله مع عدم التألم من إزالته، فالأولى إبانته وقطعه..

أحبتي في الله..

إن الإسلام يدعو إلى العمل الصادق الجاد، ويدعو إلى الإحسان في العمل وإتقانه، ويجعل من الله ﷻ رقيبًا على كل منًا في عمله، كما يجعل المجتمع كله رقيبًا على أعمالنا.. قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥]..

وقد سُئل النبي ﷺ أي الكسب أطيب؟

قال: « **عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور** »[(١)].

وقال: « **من أصبح آمنًا في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها** »[(٢)].

هذا وإن على العامل واجبات منها:

(١) أن يكون قويًا أمينًا:

والقوة تتحقق بأن يكون عالمًا بالعمل الذي يسند إليه، وقادر على القيام به، وأن يكون أمينًا على ما تحت يده.. قال تعالى في صفة نبي الله وكليمه موسى ﵇: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦]، والمؤمن القوي الذي يعمل ويجتهد، ويجد ويكسب، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف..

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده والطبراني في « الكبير » و« الأوسط » والبزار وغيرهم، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١١٢٦).

(٢) حسن: رواه الترمذي وابن ماجة والبخاري في « الأدب المفرد » ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٦٠٤٢).

(٢) إتقان العمل:

والإتقان سمة أساسية في الشخصية المسلمة، يربيها الإسلام فيه منذ أن يدخل فيه، وهي التي تحدث التغيير في سلوكه ونشاطه، وهو مطالب بالإتقان في كل عمل تعبدي أو سلوكي أو معاشي، لأن كل عمل يقوم به المسلم بنية العبادة هو عمل مقبول عند الله تعالى يجازى عليه، سواء كان عمل دنيا أم آخرة.. قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝** ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]..

والإتقان متمثل في مراقبة الله ﷻ والخوف منه في جميع ما نقوم به من أعمال وسلوكيات..

والبون شاسع بين من يعمل خوفًا من إنسان يغيب عنه أكثر مما يتواجد، وخداعه ما أيسره، وبين آخر يعمل تحت رقابة من لا يغيب عنه لحظة، ومن لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء؟!

(٣) التوكل على الله:

فالمسلم في سعيه يجب عليه أن يحسن التوكل على الله، ثم يأخذ بالأسباب، فقد مرَّ عمر بن الخطاب ﷺ بقوم، فقال: من أنتم؟ قالوا: المتوكلون.. فقال: أنتم المتواكلون، إنما المتوكل، رجل ألقى حبة في بطن الأرض، وتوكل على ربه.

والنبي ﷺ قال: « **لو توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خِمَاصًا وتروح بطانًا** »[1]. والتوكل لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب، فقد قال ﷺ للرجل الذي ترك الناقة على باب المسجد دون أن يعقلها على أنه متوكل قال له: « **اعقلها وتوكل** »[2].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجة، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٣١٠)، و« صحيح الجامع » (٥٢٥٤).

(٢) حسن: رواه الترمذي عن أنس، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (١٠٦٨).

(٤) التجمل في طلب الرزق:

فالمسلم يمارس عمله في حكمة وأناة وتعفف وتجمل، ويوقن أن رزقه لن يفوته، قال ﷺ: « **لا يستبطئن أحد منكم رزقه، فإن جبريل عليه السلام نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب** »[١].

أحبتي في الله..

وكما أن على العامل واجبات فكذلك له حقوق وواجبات عند من يقوم بالعمل لديهم.. ومن هذه الحقوق:

(١) **إعطاء العامل أجره كاملاً غير منقوص**، وفق ما تم الاتفاق عليه، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: « **ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: منهم رجل استأجر أجيرًا، فاستوفى منه، ولم يعطه أجره** »[٢].

والرسول ﷺ ذكر في قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار، وأطبقت عليهم صخرة، فتوسل كل واحد بعمله، فقال الثالث:

« **اللهمَّ إني استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرتهم غير رجل واحد، ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره، حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال لي: يا عبد الله، أدِّ إليَّ أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق.. فقال: يا عبد الله، لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله فساقه، فلم يترك منه شيئًا.. اللهمَّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون** »[٣]. وقال: « **أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه** »[٤].

(٢) **احترام العامل، وحسن معاملته**: تنفيذًا لأوامر الإسلام في الإحسان إلى الناس، قال تعالى: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣].

---

(١) صحيح: رواه البيهقي والبزار وغيرهما، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٧٠٢)، و« صحيح الجامع » (٢٠٨٥).

(٢) رواه البخاري ورواه أحمد في مسنده.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) حسن: « صحيح الجامع » (١٠٥٥).

لأن الأمر كله بيد الله ﷻ.. والناس خدم بعضهم لبعض.. لكن الله ﷻ ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ...﴾..

(٣) أن يكون أجر العامل عادلاً: بحيث يوفر له الحياة الكريمة من الطعام والشراب، والملبس والمسكن.. قال ﷺ: «**إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يطعم، وليلبسه مما يلبس**»[١].

(٤) عدم تكليف العامل ما لا يطيق: وعدم إرهاقه بالأعمال الشاقة التي لا يقدر على إنفاذها، فإن فعلنا شيئًا من ذلك، أعناه بأنفسنا، أو بغيرنا، لقوله ﷺ: «**ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم**»[٢].

أحبتي الكرام..

هذا هو الإسلام العظيم، الرحيم، العادل - ما أعظم هذا الدين، الذي يجعل حق العامل على صاحب العمل أن يمنحه من الأجر ما يمكنه من أن يكفي نفسه ومن يعول من الطعام والشراب والكساء، وأن يمكنه من العلاج، وتعليم أبنائه، ولا يكون ذلك إلا بمراعاة العدل في توزيع عائد العمل.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يوفقنا إلى العمل الصالح النافع، الذي ينفعنا وينفع أمتنا.. ونسأله أن يوفق شبابنا إلى أن يعملوا ما فيه الخير للإسلام والمسلمين..

اللهمَّ ارفع البأس والضر عن إخواننا المستضعفين..

اللهمَّ عليك باليهود والغاصبين فإنهم لا يعجزونك.. إنك سميع قريب..

اللهمَّ يا سامع كل نجوى، ويا منتهى كل شكوى، ويا رافع كل بلوى.. يا أمان الخائفين وملاذ الهاربين.. يا ناصر المستضعفين.. يا قوي يا عزيز كن للإسلام والمسلمين..

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده وأبو داود والبيهقي والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٣٨).

(٢) نفس الحديث.

اللهمَّ انصرهم، واجمع شملهم، ووحد كلمتهم، وادحر عدوهم، واجعله غنيمة سائغة للمسلمين..

اللهمَّ اغفر ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار.. يا قوي يا قهار يا غفار.. برحمتك يا أرحم الراحمين..

الوصية رقم (٤٢)
ربوا أولادكم على الإيمان والدين

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع** »[(١)].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

الأولاد من أعظم نعم الله على الإنسان في هذه الحياة، فهم منحة إلهية، وهبة ربانية، يختص الله بها من يشاء من عباده، ولو كان فقيرًا، ويمنعها عمن يشاء من خلقه، ولو كان غنيًا، قال تعالى: ﴿ **لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝** ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

وإذا أردت أن تعرف عظيم منة الله عليك بهذه النعمة، فانظر إلى من حرمها كيف يحترق ويتمنى أن يرزقه الله ولدًا يملأ عليه دنياه فرحًا وسرورًا.

فهم زينة الحياة الدنيا، كما قال الله ﷻ: ﴿ **ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا** ﴾ [الكهف: ٤٦] وهم زهرتها.. يخففون عن آبائهم متاعب الحياة وهمومها، وجودهم في البيت كالأزهار، يضفون عليهم البهجة والسرور.. وهم بسمة الأمل.. وأريج النفس، وريحان القلب، وهم أكبادنا التي تمشي على الأرض..

إنما أولادنا بيننا أكبادنا ... تمشي على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم ... لامتنعت عيني من الغمض

---

(١) حسن صحيح: رواه أحمد والحاكم، وصححه الألباني في « صحيح سنن أبي داود » (٤٩٥)، و« صحيح الجامع » برقم (٥٨٦٨).

الأولاد في نظرة الإسلام جوهرة ثمينة نفيسة.. لذا حرص دين الإسلام على تربية الأولاد تربية صالحة، وتنشئتهم تنشئة طيبة من بداية الأمر.. بل في مرحلة مبكرة، بل قبل أن يولدوا ويخرجوا إلى هذه الحياة..

ورسولنا ﷺ في هذه الوصية المباركة قد ركز على سن معين وفترة زمنية معينة، لتعليم هؤلاء الأبناء، وترشيدهم.. فقال ﷺ: «**مروا** - أي على سبيل الوجوب - والأمر للأولياء، لأن الصبي غير مخاطب، **أولادكم**.. ذكورًا أو إناثًا **بالصلاة** - أي المفروضة أو المكتوبة - **وهم أبناء سبع سنين**، ليتعودوا عليها، ويستأنسوا بها، فإذا بلغوا عشر سنين، فاضربوهم على تركها.. ثم فرقوا بينهم في المضاجع أي في مكان نومهم، إذا بلغوا عشرًا حذرًا من غوائل الشهوة، وإن كن أخواته..

قال الطيبي - رحمه الله -:

جمع بين الأمر بالصلاة، والتفريق بينهم في المضاجع في الطفولية تأديبًا، ومحافظة لأمر الله كله، وتعليمًا لهم، والمعاشرة بين الخلق، وأن لا يقفوا مواقف التهم، فيجتنبوا المحارم[(١)]..

وكما أوصانا رسول الله ﷺ أوصانا الله ﷻ في قرآنه بالأولاد وبالاهتمام به غاية الاهتمام.. قال تعالى: ﴿ **يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ...** ﴾ [النساء: ١١].

وقال سبحانه مناديًا على أهل الإيمان: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم: ٦].

ويقول: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ [طه: ١٣٢].

فأوصانا الله ﷻ في أولادنا وذوينا خيرًا، بأن ننشئهم على الطاعات وفعل المأمورات، وتجنب المعاصي، والمنهيات..

---

(١) «فيض القدير» للمناوي (٥/ ٦٦٥)، و«عون المعبود شرح سنن أبي داود» رقم (٢١٨).

وصلاح الذرية كان محل اهتمام الأنبياء - عليهم السلام - لهذا نرى خليل الرحمن إبراهيم ﷺ، يدعو الله ﷻ أن يرزقه الولد الصالح، فيقول: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٠]، ويقول: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ويقول: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، ويقول هو وولده إسماعيل - عليهما السلام - عند بناء البيت: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ... ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وهذا نبي الله زكريا ﷺ يتوجه إلى ربه متضرعًا أن يرزقه الولد الصالح فيقول: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ [آل عمران: ٣٨].

فهذا اهتمام من أولئك الأنبياء - عليهم السلام - بشأن الذرية قبل وجودها.. أما بعد وجود الذرية، فكانت جهودهم متضاعفة، وأول ما ينصب اهتمامهم إلى إصلاح عقائدهم، كما قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

حتى عند الوفاة نجد أن يعقوب ﷺ يريد الاطمئنان على عقيدة أبنائه بعد وفاته.. ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وهذا هو الحكيم لقمان ﷺ يوجه إلى ابنه وصايا عظيمة، فينهاه عن الشرك، ويبين له قبحه، لينفره منه، ويأمره بإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.. ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧] إلى آخر تلك الوصايا الطيبة التي سجلها لنا القرآن الكريم، في سورة كريمة، سماها بسورة لقمان..

أحبتي في الله..

لقد أخبر النبي ﷺ أنَّ الطفل حين يولد، يولد على الفطرة السليمة القابلة للخير، فإذا بودرت بالخير، قبلته من غير صعوبة، ولا كلفة وتلاءمت معه، وألفته، لأن الله جعل فيها قابلية له، ولأنه يوافق أصلها الذي فطرت عليه، وإنما تنحرف هذه الفطرة

وتتغير عن خلقتها بسوء التربية، والقدوة السيئة، قال ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[١]. والطفل في أول نشأته لا يدرك الأمور، قال تعالى: ﴿ **وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ...** ﴾ [النحل: ٧٨].

ولذلك عندما يولد الطفل يستحب أن يؤذن له في أذنه اليمنى، ويقام للصلاة في اليسرى، كما ورد بذلك عن عبيد الله بن أبي رافع، قال: «رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن عليٍّ حين ولدته فاطمة»[٢].

وسر التأذين - والله أعلم - أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها..

وغير مستنكر وصول التأذين إلى قلبه وتأثيره به وإن لم يشعر، مع ما في ذلك من فائدة أخرى: وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان، وهو كان يرصده حين يولد، فيقاومه للمحنة التي قدرها الله تعالى وشاءها، فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به..

وفيه معنى آخر: وهو أن يكون أول دعوته إلى الله، وإلى دينه (الإسلام) وإلى عبادته سابقة على دعوى الشيطان، كما كانت فطرة الله التي فطر عليها سابقة على تغيير الشيطان لها، ونقله عنها[٣]..

فلابد أن يغرس الآباء الإيمان بالله ﷻ في نفوس الأطفال بكل طريق يناسبهم.. بالأقصوصة الخفيفة، بالكلمة الحانية.. باللفتة إلى آثار صنع الله ﷻ، وتشجيعهم على الصلاة، وقراءة القرآن الكريم، ومنحهم الجوائز، والمكافآت على الحفظ، وتعليمهم

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ورواه أبو داود رقم (٥١٠٥)، والترمذي (١٥١٤) وقال: حسن صحيح.

(٣) «تحفة المودود بأحكام المولود» (ص٣٩، ٤٠) لابن القيم.

شيئًا من سيرة السلف الصالح - رضوان الله عليهم - قال أحدهم: كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله ﷺ كما نعلمهم السورة من القرآن.

والطفل في هذه المرحلة عنده من الإقبال والطواعية ما يجعله مستعدًا للتكوين.. والاستعداد والتعلم.. في سن الطفولة عنده استعداد وقابلية..

قال الشاعر:

وإن من أدبته في الصبا كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقًا ناضرًا بعد الذي أبصرته من يبسه

وقال آخر:

قد ينفع الأدب الأطفال في صغر وليس ينفع عند الشبية الأدب
إنَّ الغصون إذا قومتها اعتدلت ولن تلين إذا قومتها الخشب

ولذا يقال: إنَّ التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، وإن التعليم في الكبر كالنقش على الماء، أو في الهواء.

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: لاعب ولدك سبعًا، وأدبه سبعًا، وصاحبه سبعًا.. لأجل هذا أوصانا الأستاذ الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ أن نأمر أبناءنا وفتياتنا بالصلاة، وهم أبناء سبع سنين، ونضرب عليها إلى أن يبلغوا عشر سنين.. فمن شب على شيء شاب عليه.. وأوصانا أن نأمر بالصلاة.. لماذا الصلاة بالذات؟

لأن الصلاة عماد الدين.. من أقامها فقد أقام الدين.. ومن هدمها فقد هدم الدين.. لأن الصلاة كما قال النبي ﷺ: «**أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة.. فإن صلحت، فقد صلح سائر عمله، وإن فسدت فقد فسد سائر عمله**»[1].

وفي رواية: «**فإن صلحت، فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر**»[2].

---

(١) صحيح: رواه الطبراني، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٢٥٧٣)، و«الصحيحة» (١٣٥٨).

(٢) صحيح: أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٥٨).

الصلاة بالذات، لأن لها مكانة عظيمة.. فعن ابن مسعود ﷺ قال: من سره أن يلقى الله تعالى غدًا مسلمًا، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق، معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يُهادى بين الرجلين، حتى يقام في الصف »[1].

وأخبر المحدث الملهم أبو حفص عمر بن الخطاب عند موته قائلاً: « إنه لا حظ في الإسلام لمن أضاع الصلاة ».

لأن الصلاة عون للمرء في جميع المهمات، ونهيٌ له عن الفواحش والمنكرات..

قال الله ﷻ: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقال سبحانه وتعالى لرسوله ومصطفاه ﷺ والأمر له أمر لأمته: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ ... ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

أمرنا وأوصانا أن نأمرهم بالصلاة، لأن الصلاة نور في قلوب أصحابها ونور لهم في محشرهم، قال ﷺ: « **الصلاة نور** ».

ومن حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا، ونجاة يوم القيامة.. لذلك خص الصلاة من بين سائر العبادات..

خص الصلاة لأنها تعود الطفل النظام، وتعوده المحافظة على الأوقات وتعوده المحافظة على النظافة والطهارة.. وتجعله إنسانًا نشطًا غير كسلان..

فهذا شريح القاضي كان له صبي في نحو العاشرة من عمره، وكان الصبي يؤثر اللهو واللعب، فافتقده يومًا من الأيام، فإذا هو قد ترك الكُتاب ومضى يتفرج على الكلاب، فلما عاد إلى منزله، سأله أول ما سأله عن الصلاة.. فوجده لم يصلِّ، فدعا بقرطاس وقلم، وكتب إلى معلمه يقول:

---

(١) رواه مسلم.

تــرك الــصلاة لأكلــب يــسعى لهـــا يبغــي الهــراش مــع الغــواة الــرجس
فليأتيــــنك غـــدوة بــــصحيفة كتــبت لـــه كـــصحيفة المــتلمس
فــــإذا أتــــاك فــــداوه بملامـــــة أو عظــه مــوعظة الأديــب الأكــيس
وإذا همـــــت بـــضربه فـــبدرة وإذا بلغـــت بـــثلاثة لـــك فاحـــبس
واعلــم بأنـــك مـــا أتـــيت فنفـــسه مــع مـــا يجـــر عنـــي أعـــز الأنفـــس

أحبتي في الله..

فالتأديب مطلوب شرعًا للأولاد.. « **واضربوهم عليها** .. » لكن لابد من الرحمة.. ولابد من تجنب القسوة.. قال ﷺ : « **وانفق على عيالك من طولك** - أي من قدرتك - **ولا ترفع عنهم عصاك أدبًا، وأخفهم في الله** »[1]. وفي البخاري في الأدب عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ أمر بتعليق السوط في البيت.

وروى الحاكم أن رسول الله ﷺ خرج في عمرة وكان معه أبو بكر الصديق ﷺ وبعض أصحابه الكرام، وكان أبو بكر قد كلف غلامًا له بزاملة رسول الله ﷺ فنزل في مكان في الطريق، ومعه هؤلاء الصحابة وقد تأخر الغلام، ثم حينما ظهر إذا به يظهر وحده، فقام إليه أبو بكر، وكان محرمًا، فقال له: أين البعير؟ فقال: أضلني يا أبا بكر، فأخذ أبو بكر يضرب الغلام، والرسول ينظر، ويقول: « **انظروا إلى هذا المحرم يؤدب غلامه** »، وكان ينظر مبتسمًا - وهذا إقرار منه ﷺ بجواز التأديب بالضرب..

فتأديب الأبناء مطلوب شرعًا.. روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: « **لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع** » وحضهم على فعل الخير والصلاح مطلوب، وإبعادهم عن مواطن الشر هو الحصن له من الضياع والفساد، روى الإمام أحمد في مسنده عن عمه أبي رافع بن عمرو يقول عن نفسه: « كنت وأنا غلام أرمي نخلاً للأنصار، فأتى رسول الله ﷺ فقيل له: إن هاهنا غلامًا، فأُتي بي إليه، فقال: « يا غلام، لمَ ترم النخل؟ يقول: قلت: لآكل.. قال: « **لا ترمِ النخل، وكل مما يسقط في**

---

(١) حسن: رواه أحمد في مسنده والطبراني، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (٥٧٠).

أسافلها»، ثم مسح رأسي، وقال: «**اللهمَّ أشبع بطنه**»[١].

إذًا وقوع الأطفال في الخطأ غير المقصود وارد، ولذلك يجب علاجه، وعدم إهماله.. ومع الأسف فإننا نرى كثير من الآباء والمربين اليوم، إمَّا أن يتشددوا على الطفل عند وقوعه في الخطأ، فيخرجهم عن التربية الشرعية أو يهملون الصغير إذا أخطأ، حتى ولو كان خطؤه مؤذيًا، وهذا فيه إفساد لأخلاق الصبي، فالتأديب للصغير، ولو كان بالضرب مطلوب شرعًا.. شريطة أن لا يكسر عظمًا، أو يدمي وجهًا، أو يقطع لحمًا..

وقد ورد [الولد سبع أمير، وسبع أسير، وسبع وزير، ثم تشاوره ويشاورك] ما بين مولده وحتى السابعة من عمره، تلبي متطلباته، ولا تستخدم معه العنف، لأنه قد يفسد طاقاته ومواهبه.. وبين السابعة إلى الرابعة عشر، لابد أن يُشدد عليه، ولابد أن يفرض عليه الخلق فرضًا.. اصحب فلانًا.. لا تصاحب فلانًا.. اقرأ كذا.. ولا تقرأ كذا، فإن فلت منك في هذا السن، فلن تظفر به بعد ذلك.

يحدثني أحد الفضلاء من المدرسين أن ولدًا أمسك وهو يمارس الفاحشة في الحمام مع أحد الطلاب.. ولفداحة الأمر ولخطورته، اتصلوا بولي أمره في عمله، فلما جاء متلهفًا مسرعًا - وهذا أمر يحمد عليه - لكن تأملوا المصيبة الكبرى بعد ذلك.. لما عُرض عليه الأمر بعد تحرج، نظر إليهم نظرة المستهزئ، وقال: لمثل هذا طلبتموني، هل الأمر يستحق أن أترك عملي حتى تخبروني أن ولدي يمارس الفاحشة؟ هو يريد أن يلعب.. هو يريد أن يلهو.. فلماذا الاعتراض عليه؟

أهكذا تكون التربية؟! أهكذا يكون الحمد على النعمة؟ أهكذا يكون شكر المنعم.. فحولنا الفجور بدل العفة، والخلاعة بدل الحشمة، والجنون بدل العقل ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ** ﴾ [إبراهيم: ٢٨].

فبدل من أن نستقبل نعم الله بالشكر، وأن نزداد لله طاعة، تطيش العقول، ونفقد ديننا وأخلاقنا، ويصبح الدينار والدرهم ربًّا..

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة، وضعفه الألباني.

أحبتي الكرام الأفاضل..

ولا تنسوا باقي وصية الحبيب المصطفى ﷺ: « **وفرقوا بينهم في المضاجع ..** » أي إذا بلغ الطفل هذا السن، فاجعلوه ينام وحده، لا يختلط عند نومه بأخواته البنات.. فإن لذلك خطرًا عظيمًا.. نبهنا الرسول ﷺ إليه منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان..

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا إلى طاعته، ويوفقنا إلى صالح الأعمال..

وصلِّ اللهمَّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ ..

۞۞۞۞

الوصية رقم (٤٣)

استعيذوا بالله من فتنة القبر

عن أم مبشر الأنصارية - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: « **استعيذوا بالله من عذاب القبر، إنهم يعذبون في قبورهم عذابًا تسمعه البهائم** »[1].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

هذه الوصية الكريمة المباركة يوصينا فيها أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ أن نستعيذ بالله ﷻ من عذاب القبر، وقد جاءت الوصية بالاستعاذة من عذاب القبر في وصايا متعددة لسيدنا وحبيبنا ﷺ قال ﷺ: « **إنَّ هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر، الذي أسمع منه** » ثم أقبل على أصحابه بوجهه، ثم قال: « **تعوذوا بالله من عذاب القبر** » قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر.. قال: « **تعوذوا بالله من عذاب النار** » قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار..

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: دخلت عليَّ عجوز من عجائز يهود، فقالت: إنَّ أهل القبور يعذبون في قبورهم.. فكذبتها السيدة عائشة - رضي الله عنها - ولم تصدقها، ولما خرجت العجوز دخل النبي ﷺ عليها، فقالت له: يا رسول الله، إن عجوزًا من عجائز أهل المدينة، دخلت عليَّ، فزعمت أن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فقال النبي ﷺ: « **صدقت، إنهم يعذبون عذابًا يسمعه البهائم كلها** » تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها - فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: « **إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليقل: أعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال** ».

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده والطبراني، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٩٤٢)، و« الصحيحة » (١٤٤٤).

وفي صحيح مسلم وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن: « **اللهمَّ إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات** ».

وقد كتمه الله ﷻ عنا، حتى نتدافن بحكمته الإلهية ولطائفه الربانية، لغلبة الخوف عند سماعه، فلا نقدر على القرب من القبر للدفن، أو يهلك الحي عند سماعه إذ لا يطاق سماع شيء من عذاب الله ﷻ في هذه الدار، لضعف هذه القوى، ألا ترون أنه إذا سمع الناس صعقة الرعد القاصف أو الزلازل الهائلة، هلك كثير من الناس، وأين صعقة الرعد من صيحة الذي تضربه الملائكة بمطارق الحديد، التي يسمعها كل من يليه، وقد قال ﷺ عن الجنازة: « **لو سمعها الإنسان، لصعق** ».

وقد ثبت عذاب القبر بالكتاب والسنة والإجماع، ولا ينكر ذلك إلا مكابر ومعاند، قال تعالى: ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة: ١٠١]، وقال سبحانه: ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].

وتأملوا ماذا قال علماء أهل السنة والجماعة في عذاب القبر:

قال الإمام الطحاوي في « ذكر العقيدة الإسلامية »:

« ... **ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين، وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً،** وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران »[١].

قال الإمام أحمد:

وعذاب القبر حق يسأل العبد عن دينه ونبيه وعن الجنة والنار ومنكر ونكير حق وهما فتانا القبر نسأل الله الثبات.

---

(١) « شرح العقيدة الطحاوية في العقيدة السلفية » (٢/ ٤٦٧).

وقال الإمام القرطبي في «التذكرة»:

«الإيمان بعذاب القبر وفتنته واجب، والتصديق به لازم، حسب ما أخبر به الصادق، وأن الله تعالى يحيي العبد المكلف في قبره برد الحياة إليه، ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه ليعقل ما يسأل عنه، وما يجيب به، ويفهم ما أتاه من ربه، وما أعد له في قبره من كرامة أو هوان، وبهذا نطقت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وعلى آله آناء الليل وأطراف النهار، وهذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أهل الملة، ولم تفهم الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيهم عليه الصلاة والسلام غير ما ذكرنا، وكذلك التابعون بعدهم إلى هلم جرا» اهـ[1].

فإذا تبين لك هذا فاعلم أنَّ عقيدة أهل السنة والجماعة على أنَّ عذاب القبر ونعيمه على النفس والبدن جميعًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٢٨٢) لما سُئل عن هذه المسألة:

الحمد لله رب العالمين: بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين كما يكون للروح منفردة عن البدن[2].

ثم بين - رحمه الله - أن الفلاسفة وبعض الصوفية أنكروا معاد الأبدان وذهبوا إلى أن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح، وأن بعض المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة قالوا بأن الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب، وينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن، وذهب آخرون من المعتزلة إلى نفي ذلك جملة وقالوا: إن البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب، بل لا يكون ذلك حتى تقوم القيامة الكبرى. وكل ذلك باطلٌ.

يقول شيخ الإسلام: «فإذا عرفت هذه الأقوال الثلاثة الباطلة فليعلم أن مذهب «سلف الأمة وأئمتها» أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن

(١) «تاريخ دمشق» (٢١/ ٣١).

(٢) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» للقرطبي.

أحيانًا فيحصل له معها النعيم والعذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى أجسادها وقاموا من قبورهم لرب العالمين».

ثم ساق الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة ونحن نذكر ما يبين ما ذكرناه فأما أحاديث عذاب القبر ومسألة منكر ونكير فكثيرةٌ متواترةٌ عن النبي ﷺ مثل ما في الصحيحين عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: «أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله ثم دعا بجريدة رطبة فشقها نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة. فقالوا يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا».

وقد روى ابن حبان في صحيحه والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إنَّ الميت إذا وضع في قبره، فإنه يسمع خفق نعالهم، حين يولوا مدبرين، فإن كان مؤمنًا، كانت الصلاة عند رأسه وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قبل رأسه، فتقول الصلاة ما قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والمعروف، والإحسان إلى الناس؛ ما قبلي مدخل، فيقال له: اجلس فيجلس، وقد مثلت له الشمس، وقد دنت للغروب، فيقال له: أرأيتك هذا الذي كان قبلكم ما تقول فيه، وماذا تشهد عليه، فيقول: دعوني حتى أصلي، فيقولون: إنك ستفعل، أخبرنا عما نسألك عنه، أرأيتك هذا الرجل الذي كان قبلكم ماذا تقول فيه، وماذا تشهد عليه، قال: فيقول: محمد أشهد أنه رسول الله ﷺ وأنه جاء بالحق من عند الله، فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك مت، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: هذا مقعدك منها، وما أعد الله لك فيها، فيزداد غبطة وسرورًا، ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك، وما أعده الله لك فيها، لو عصيته، فيزداد غبطة وسرورًا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا، وينور له فيه، ويعاد الجسد كما بدأ منه، فتجعل نسمته في النسيم الطيب، وهي طير يعلق في شجر الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾

[إبراهيم: ٢٧]»[1] ثم ذكر حال الكافر وما عليه من الهول والعذاب. نسأل الله أن يجيرنا من عذاب القبر..

أحبتي في الله..

وعند دخول القبر يستوي الغني والفقير.. يستوي الوزير والخفير.. يستوي صاحب السلطان وغيره.. أين صاحب العزة والسلطان؟

أرى أهـل القـصور إذا أميـتوا ... بـنوا فـوق المقابـر بالـصخور

أبـوا إلا مـباهاة وفخـرًا ... عـلى الفقـراء حتـى في القـبور

لعمـرك لـو كـشفت الـتراب عـنهم ... فـما تـدري الغنـي مـن الفقـير

ولا الجلـد المـباشر ثـوب صـوف ... مـن الجلـد المـباشر للحريـر

إذا أكـل الثـرى هـذا وهـذا ... فـما فـضل الغنـي عـلى الفقـير؟

إذا دخل الإنسان قبره لم ينفعه سوى عمله.. إن كان خيرًا، فخير، وإن كان شرًّا فشر.. إذا مات ابن آدم، فإن له ثلاثة أصدقاء: صديق لا يغادر عتبة بيته، وهو ماله.. وصديق يذهب معه إلى قبره، ثم يرجع وهم أصحابه وأصدقاؤه وأهله وأحبابه، ما رأينا أحدًا دخل معه في قبره أبوه أو أمه، أو زوجته، أو أحد أولاده أو أحد أحبابه.. ويتبعه عمله.. عمله هو الذي يدخل معه في قبره.. قال ﷺ: «**يتبع الميت ثلاث: أهله، وماله، وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله، ويبقى عمله**»[2].

إذا كان الرجل صالحًا فكيف يأتيه عمله في قبره؟ يقول ﷺ: «**يأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول له: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: ربِّ أقم الساعة، ربِّ أقم الساعة، حتى أرجع إلى مالي وأهلي**». لكن إذا كان الميت غير صالح، كيف يأتيه؟ يقول ﷺ في نفس الحديث: «**ويضيق عليه قبره، حتى**

---

(١) حسن: رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣١٧٨)، والطبراني في «الأوسط»، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» برقم (٣٥٦١).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي عن أنس بن مالك.

تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: ربِّ لا تقم الساعة »[1].

وفي رواية:

« فيأتيه آتٍ قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بهوان من الله وعذاب مقيم، فيقول: بشرك الله بالشر من أنت؟ فيقول: أنا عملك الخبيث كنت بطيئًا عن طاعة الله، سريعًا في معصيته، فجزاك الله بشر، ثم يقيض له أعمى أصم، أبكم في يده مرزبة، لو ضرب بها جبل كان ترابًا، فيضربه ضربة فيصير ترابًا ثم يعيده الله كما كان، فيضربه الله ضربة أخرى، فيصيح صيحة، يسمعه كل شيء إلا الثقلين »[2].

القبر باب وكل الناس داخله ... والموت كأس وكل الناس شاربه

يا ليت شعري بعد الموت ما الدار ... الدار دار نعيم إن عملت بما يرضى الإله

وإن خالفت فالنار

هما محلان ما للمرء غيرهما ... فانظر لنفسك أي الدار تختار

ما للعباد سوى الفردوس إن عملوا ... وإن هفوا هفوة فالرب غفار

أحبتي في الله..

كان عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - أميرًا من أمراء الدولة الأموية يغير الثوب الحسن الجميل في اليوم أكثر من مرة.. عنده الذهب والفضة.. والخدم والعبيد والإماء.. والمطاعم والمشارب، كل ما تشتهي نفسه.. لما تولى الخلافة، انسلخ من ذلك كله.. لماذا؟ لأنه تذكر القبر وشدته، وهوله وضمته.. وقف على المنبر يوم الجمعة بعدما بايعه الناس، وبكى، وكان حوله العلماء والشعراء والوزراء وقواد الجيش، فقال: خذوا بيعتكم..

قالوا: ما نريد إلا أنت؟ فتولاها - أي الخلافة - فما مر عليه أسبوع إلا وقد هزل وضعف وتغير لونه.. وأصبح زاهدًا في الثياب والطعام والشراب.. فقالوا لزوجته:

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده، وصححه الألباني في « المشكاة » (١٦٣٠)، و« صحيح الجامع » (١٦٧٦).

(٢) صحيح: رواه ابن خزيمة والحاكم، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٣٥٥٨).

مال عمر قد تغير؟ قالت: والله ما ينام الليل، وإنه يأوى إلى فراشه يتقلب كأنه ينام على الجمر، ويقول: آه توليت أمر أمة محمد ﷺ يسألني يوم القيامة، الفقير والمسكين، والطفل والأرملة واليتيم. يسأله أحد العلماء: مالك قد تغيرت؟ فبكى حتى كادت أضلاعه تختلف، ثم قال: فماذا لو رأيتني في القبر بعد ثلاثة أيام.. يوم أجرد من الثياب وأوسد التراب.. وأفارق الأحباب، وأترك الأصحاب؟! لو رأيتني بعد ثلاث لوليت مني فرارًا، ولملئت مني رعبًا..

أحبتي الكرام..

للقبر ضمة، لو نجا منها أحدٌ، لنجا منها سعد بن معاذ رضي الله عنه، فعن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ قال: « **إنَّ للقبر ضغطة لو كان أحد ناجيًا منها، نجا سعد بن معاذ** ».

سعد بن معاذ - رضي الله عنه وأرضاه - هذا الشهيد، الذي يوم استشهد اهتز له عرش الرحمن جل جلاله.. لم ينج من ضمة القبر؟!

قال ﷺ: « **اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ** »[1].

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « **هذا العبد الصالح الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك، لقد ضُم ضمة ثم أفرج عنه** »[2].

لكن شتان ثم شتان بين ضم الأم الرءوم، وبين ضمة تختلف لها الأضلاع..

ومـــن يجعلــه روضًـــا مـــن نعـــيم ... ومـــن يـــشعله مـــن نـــار الـــشقاء

ومـــن يجعلـــه يلـــوى في ضـــلوع ... فتخـــتلف الـــضلوع مـــع الـــنواء

ومـــن يجعلـــه في ضـــم شـــفوق ... كـــضم الأم في حـــال الهـــناء

ومـــن يجمعـــك مـــع جـــار ســـعيدٍ ... ومـــن يحمـــيك مـــن جـــار الـــبلاء؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) صحيح: رواه النسائي (٤/ ١٠٠) في الجنائز باب ضمة القبر، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٦٩٨٧).

قال أبو القاسم السعدي: لا ينجو من ضغطة القبر صالح ولا طالح غير أن الفرق بين المسلم والكافر، دوام الضغطة للكافر، وحصول هذه الحالة للمؤمن في أول نزوله إلى قبره، ثم يعود إلى الانفساح له فيه.

وقال الحكيم الترمذي في نوادره: سبب هذه الضغطة، أنه ما من أحد إلا وقد ألمَّ بخطيئة ما، وإن كان صالحًا، فجعلت هذه الضغطة جزاء له، ثم تدركه الرحمة ولذلك ضغط سعد بن معاذ.. قال: وأما الأولياء والأنبياء فلا نعلم أن لهم في القبور ضمة، ولا سؤالاً لعصمتهم.

وأخرج ابن أبي الدنيا، وعن محمد التيمي قال: كان يقال: إنَّ ضمة القبر، إنما أصلها أنها أمهم، ومنها خلقوا، فغابوا عنها الغيبة الطويلة، فلما رد إليها أولادها ضمتهم ضم الوالدة غاب عنها ولدها، ثم قدم عليها، فمن كان لله مطيعًا، ضمته برأفة ورفق، ومن كان عاصيًا ضمته بعنف، سخطًا منها عليه لربها[1].

أحبتي الكرام..

ماذا بعد هذا كله؟ بقى أن نتساءل ما هي الأسباب المنجية من عذاب القبر؟ لقد ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - أن أسباب النجاة من عذاب القبر، هي أن يتجنب الإنسان تلك الأسباب التي تقتضي عذاب القبر، وهي جميع الذنوب والمعاصي.

وذكر - رحمه الله - أن من أنفع تلك الأسباب: أن يحاسب المرء نفسه كل يوم على ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدد التوبة النصوح بينه وبين الله، فينام على تلك التوبة، فإن من مات من ليلته مات على توبة، وإن استيقظ، استيقظ مستقبلاً للعمل، مسرورًا بتأخير أجله، حتى يستقبل ربه، ويستدرك ما فاته، ولا ينام إلا على طهارة.. ذاكرًا الله ﷻ، مستعملاً الأذكار والسنن التي وردت عن رسول الله ﷺ عند النوم، حتى يغلبه النوم، فمن أراد الله به خيرًا، وفقه إلى ذلك.

ثم ذكر - رحمه الله - بعض الطاعات التي ورد أنها مما ينجي من عذاب القبر ومنها:

---

(١) «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور» (ص١٤٥).

(١) قراءة سورة « المُلك » وحفظها:

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « **هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر** ».

وعن أبي هريرة ؓ أنه سمع رسول الله ﷺ قال: « **في القرآن سورة ثلاثون آية، شفعت لصاحبها، حتى غفر له، تبارك الذي بيده الملك** ».

(٢) نيل الشهادة في سبيل الله تعالى:

روى المقدام بن معديكرب أن النبي ﷺ قال: « **للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفقة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من العذاب الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين** »[١].

ويأتي رجل إلى النبي ﷺ فيقول: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟!

فقال ﷺ : « **كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة** »[٢].

(٣) من مات مبطونًا:

قال ﷺ : « **من يقتله بطنه، لم يعذب في قبره** »[٣].

وداء البطن: هو الاستسقاء وانتفاخ البطن، وقيل: هو الإسهال..

(٤) من مات يوم الجمعة أو ليلتها:

قال ﷺ : « **من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة، وقي فتنة القبر** »[٤].

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن ماجة والطبراني في « الكبير ».

(٢) صحيح: « صحيح سنن النسائي » (١٣٨٠)، و« صحيح الجامع » (٤٤٨٣).

(٣) صحيح: « صحيح سنن النسائي » (٢٠٥٢) ألباني.

(٤) حسن: رواه أحمد والترمذي، وحسنه الألباني في « المشكاة » (٣٦٧).

(٥) الرباط في سبيل الله:

وهو ملازمة ثغور المسلمين خشية هجوم الأعداء، قال ﷺ: « **كل ميت يختم على عمله، إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن من فتنة القبر** »[١].

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله، الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه، وأمن من الفتان** »[٢].

فالواجب على كل مسلم أن يستعيذ بالله تعالى من عذاب القبر، وأن يستعد له بالأعمال الصالحة قبل أن يدخل فيه، فإنه قد سهل عليه الأمر، مادام في الدنيا، فإن دخل القبر، فإنه يتمنى أن يؤذن له بحسنة واحدة، أو يؤذن له بصلاة ركعتين، أو بقول: لا إله إلا الله، ولو مرة واحدة، أو يؤذن له بتسبيحة، فلا يؤذن فيكون في حسرة وندامة، ويتعجب من الأحياء كيف هم في غفلة وبطالة.

أحبتي الكرام..

استعيذوا بالله من عذاب القبر، وتأملوا هذه الموعظة من عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في حال المرء في القبر..

قال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه: يا فلان لقد بت الليلة أتفكر في القبر وساكنه، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به، [illegible] بيتًا تجول فيه الهوام ويجرى فيه الصديد، وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب.

وعنه أيضًا أنه – رحمه الله – شيع جنازة فلما انصرفوا تأخر هو وأصحابه ناحية عن الجنازة، فقال له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين جنازة أنت وليها تأخرت عنها وتركتها. فقال: نعم ناداني القبر من خلفي: يا عمر بن عبد العزيز ألا تسألني ما صنعت

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وأبو داود، وصححه الألباني في « المشكاة » (٣٨٢٣).

(٢) رواه مسلم.

بالأحبة؟ قلت: بلى. قال: أخرقت الأكفان، ومزقت الأبدان، ومصصت الدم، وأكلت اللحم.

قال: ألا تسألني ما صنعت بالأوصال؟ قلتُ: بلى!

قال: نزعت الكتفين من الذراعين، والذراعين من العضدين، والعضدين من الكتفين، والوركين من الفخذين، والفخذين من الركبتين، والركبتين من الساقين، والساقين من القدمين، ثم بكى. ثم قال:

ألا إن الدنيا بقاؤها قليل، وعزيزها ذليل، وغنيها فقير، وشبابها يهرم، وحيها يموت، فلا يغرنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها، فالمغرور من اغترَّ بها.

أين سكانها الذين بنوا مدائنها، وشقوا أنهارها، وغرسوا أشجارها، وأقاموا فيها أيامًا يسيرة، غرتهم بصحتهم فاغتروا بنشاطهم، فركبوا المعاصي، وإنهم كانوا - والله - في الدنيا مغبوطين بالمال على كثرة المنع عليه محسودين على جمعه.

ماذا صنع التراب بأبدانهم والرمل بأجسادهم، والديدان بعظامهم وأوصالهم، كانوا في الدنيا على أسرة ممهدة، وفرش منضودة بين خدم يخدمون، وأهل يكرمون، وجيران يغصون، فإذا مررت فنادهم إن كنت مناديًا، وسر بعسكرهم، وانظر إلى تقارب منازلهم، واسأل غنيهم ما بقى من غناه، واسأل فقيرهم ما بقى من فقره، واسألهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون، وعن الأعين التي كانوا بها ينظرون، واسألهم عن الجلود الرقيقة والوجوه الحسنة والأجساد الناعمة ما صنع بها الديدان محت الألوان وأطلت اللحيان، وعفَّرت الوجوه، ومحت المحاسن، وكسرت الفِقَار، وأبانت الأحشاء، ومزقت الأشلاء، وأين حجابهم، وبوابهم؟ أين خدمهم وعبيدهم؟ وجمعهم ومكنونهم؟ والله ما فرشوا فراشًا، ولا وضعوا هنالك متكئًا، ولا غرسوا لهم شجرًا، ولا أنزلوهم من اللحد قرارًا.

أليسوا في منازل الخلوات والبلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ أليس هم في مدلهمة ظلماء؟ وقد حيل بينهم وبين العمل، وفارقوا الأحبة.

فكم من ناعم وناعمة أصبحت وجوههم بالية، وأجسادهم عن أعناقهم نائية، وأوصالهم متمزقة، وقد سالت الحدقات على الوجنات وامتلأت الأفواه دمًا وصديدًا،

ودبت دواب الأرض في أجسادهم، ففرقت أعضاءهم ثم لم يلبثوا والله إلا يسيرًا، حتى عادت العظام رميمًا.

قد فارقوا الحدائق، وصاروا بعد السعة إلى المضايق، وقد تزوجت نساؤهم، وترددت في الطرق أبناؤهم، وتوزعت الورثة ديارهم وتراثهم.

فمنهم: - والله - الموسع له في قبره الغض الناضر فيه المتنعم بلذته، ومنهم: المعذب في قبره المضيق عليه فيه، النادم على ما فرط.

يا ساكن القبر غدًا.. ما الذي غرك من الدنيا؟ هل تعلم أنك تبقى أو تبقى لك؟ أين دارك الفيحاء ونهرك المطرد؟ وأين ثمرتك الحاضر ينعها؟ وأين رقاق ثيابك؟ وأين طيبك وأين بخورك؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك؟

أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه دخلاً وهو يرشح عرقًا، ويتلظى عطشًا، يتقلب في سكرات الموت وغمراته، جاء الأمر من السماء، وجاء غالب القدر والقضاء، جاء من الأمر الأجل ما يمتنع من هيهات.

يا مغمض الوالد والأخ والولد وغاسله.. يا مكفن الميت وحامله.. يا مخليه في القبر وراجعًا عنه.. ليت شعري كيف كنت على خشونة الثرى.. ليت شعري بأي خديك يبدأ البلى.. وأي عينيك سالت أولاً.. يا مجاور الهلكات صرت في محل الموتى.. ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا وما يأتيني من رسالة ربي!

ثم انصرف فما بقي بعد ذلك إلا جمعة ثم مات - رحمه الله -.

أخي الحبيب..

توهم نفسك حين استطار قلبك فرحًا وسرورًا، أو مُلئ حزنًا وعبرة، وبفترة القبر وهول مطلعه وروعة الملكين وسؤالهما فيه عن إيمانك بربك، فمتثبت من الله - جل ثناؤه - بالقول الثابت، أو متحير شاك مخذول.

فتوهم أصواتهما حين يناديانك لتجلس لسؤالهما إياك؛ ليوقفاك على مسائلتهما، فتوهم جلستك في ضيق لحدك، وقد سقطت أكفانك على جفويك، فتوهم ذلك، ثم

شخوصك ببصرك إلى صورتهما وعظم أجسامهما، فإن رأيتهما بحسن الصورة، أيقن قلبك بالفوز والنجاة، وإن رأيتهما بقبح الصورةِ أيقن قلبك بالهلاك والغضب.

فتوهم أصواتهما وكلامهما بنغماتها وسؤالهما، ثم هو تثبيت الله إياك إن ثبتك أو تحييره إن خذلك.

فتوهم جوابك باليقين أو بالتحير أو بالشك، وتوهم إقبالهما عليك إن ثبتك الله ﷻ بالسرور، وضربهما بأرجلهما جوانب قبرك بانفراج القبر عن النار، ثم توهم وهي تتأجج بحريقها وإقبالها عليك، وأنت تنظر إلى ما صرف الله عنك، فيزداد لذلك قلبك سرورًا وفرحًا وتوقن بسلامتك من النار بضعفك.

ثم توهم ضربهما بأرجلهما جوانب قبرك وانفراجه عن الجنة بزينتها ونعيمها وقولهما لك: يا عبد الله انظر إلى ما أعدَّ الله لك فهنا منزلك، وهذا مصيرك، فتوهم سرور قلبك وفرحك بما عاينت من نعيم الجنان وبهجة ملكهما وعلمك أنك صائر إلى ما عاينت من نعيمها وحسن بهجتها.

وإن كانت الأخرى فتوهم خلاف ذلك كله، من الانتهار لك، ومن معاينتك الجنة، وقولهما لك: انظر إلى ما حرمك الله ﷻ ومعاينتك النار، وقولهما لك: انظر إلى ما أعد الله لك، فهذا منزلك ومصيرك، فأعظم بهذا خطرًا!! وأعظم به عليك في الدنيا غمًّا وحزنًا، حتى تعلم أي الحالتين في القبر حالك!!

أخي الحبيب..

قد كان عمرك ميلاً	**فأصبح الميل شبرا**
وأصبح الشبر عقدًا	**فاحفر لنفسك قبرًا**

اللهمَّ يا مالك الملك، يا من تؤتي الملك من تشاء، ويا من تنزع الملك ممن تشاء، ويا من تذل من تشاء، وتعز من تشاء.. يا من بيدك الخير، وأنت على كل شيء قدير..

يا حي يا قيوم.. يا فالق الحب والنوى.. يا ذا الجلال والإكرام.. يا هادي المضلين.. ويا راحم المذنبين.. يا من عنت له الوجوه، وخضعت له الرقاب.. وخشعت له الأصوات وفاضت له العبرات، نسألك أن تكفينا ما أهمنا وما أغمنا، وأن تجبر كسرنا،

وأن تعظم أجرنا، وأن تعيذنا من شرور أنفسنا، وأن ترحم موتانا، وأن ترحم غربتنا في الدنيا، ومصرعنا عند الموت، ووقوفنا بين يديك، وأن تقينا من ميتة السوء، ومن يوم السوء، وساعة السوء، وليلة السوء، وجار السوء، وصاحب السوء..

اللهمَّ اكشف كروبنا، واقض ديوننا، وارحم أمواتنا وأموات المسلمين.. برحمتك يا أرحم الراحمين.. يا رب العالمين..



الوصية رقم (٤٤)

إذا أصبت بمصيبة فاذكر مصيبتك بفقد الحبيب المصطفى

عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أصاب أحدكم مصيبة، فليذكر مصيبته بي، فإنها من أعظم المصائب**»[١].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

لهذه الوصية النبوية مناسبة، كما جاء في بعض الروايات عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: فتح رسول الله ﷺ بابًا بينه وبين الناس، أو كشف سترًا، فإذا الناس يصلون وراء أبي بكر الصديق ﷺ فحمد الله على ما رأى من حسن حالهم، ورجا أن يخلفه الله فيهم بالذي رآهم، وقال:

«**يا أيها الناس، ما أحد من الناس أو من المؤمنين، أصيب بمصيبة، فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحدًا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي**»[٢].

حقًّا لقد كانت وفاة الحبيب المصطفى ﷺ مصيبة من أعظم المصائب التي حلت بكل مسلم: «**إنَّ أحدًا من أمتي لن يُصاب بمصيبة بعدي أشد من مصيبتي**»، يعني مصيبته بموتي..

اصبر لكل مصيبة وتجلدِ واعلم بأن المرء غير مخلد

وإذا أتتك مصيبة تشجى بها فاذكر مصابك بالنبي محمد

فإذا كانت الجمادات تتصدع من ألم مفارقة الحبيب ﷺ فكيف بقلوب المؤمنين؟!

(١) صحيح: رواه الطبراني والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٧)، و«الصحيحة» (١١٠٦).

(٢) صحيح: صححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجة» (١٥٩٩)، و«صحيح الجامع» (٧٨٧٩).

لما فقده الجذع الذي كان يخطب إليه الحبيب المصطفى ﷺ قبل أن يتخذ منبره المبارك، حنَّ إليه، وصاح كما يصيح الصغير، حتى تصدع وانشق، فنزل النبي ﷺ من على المنبر، فاعتنقه، فجعل يهدؤه، كما يهدئ الطفل الصغير، وقال: «**لو لم أعتنقه، لحنَّ إلى يوم القيامة**»[١] حتى المحاريب تبكي وهي جامدة، حتى المنابر ترثى وهي عيدان.. فكان الحسن، إذا حدَّث بهذا الحديث بكى، وقال: هذه خشبة تحن إلى رسول الله ﷺ فأنتم أحق أن تحنوا إليه وتشتاقوا.. لقد جعل الحبيب ﷺ يعرض باقتراب أجله، فإنه لما خطب في حجة الوداع قال للناس: «**خذوا عني مناسككم فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**»[٢]. فما عاش النبي ﷺ بعد حجة الوداع إلا واحدًا وثمانين يومًا.

قال ابن جريج: مكث النبي ﷺ بعد أن نزلت هذه الآية، إحدى وثمانين ليلة، فهذا قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ... ﴾ [المائدة: ٣].

والسيدة فاطمة - رضي الله عنها - تقول: أسر لي النبي ﷺ أن جبريل ﷺ كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة واحدة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا أنه قد حضر أجلي[٣].

إنَّ النبي ﷺ يهيئ أصحابه الكرام لهذه اللحظات الشديدة، لئلا تفاجؤهم الواقعة، وتصيبهم الصدمة بمكروه.

وإنه لما رجع من حجة الوداع إلى المدينة المنورة، جمع الناس، فخطبهم قائلاً: «**أيها الناس، إنما أنا بشر، يوشك أن يأتي رسول ربي، فأجيب**»[٤].

ويدنو أجل النبي المصطفى ويقترب، فيأخذ بتذكير أصحابه بدنو أجله بتلطف، وكانوا كلما سمعوا منه شيئًا من هذا الحديث، أجهشوا بالبكاء.

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده وابن ماجة واللفظ له، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢١٧٤)، و«صحيح الجامع» (٥٣٠٠)، و«صحيح سنن ابن ماجة» (١٤١٥).

(٢) صحيح: رواه النسائي عن جابر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٧٨٨٢).

(٣) صحيح: رواه البيهقي وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٥٤)، و«الصحيحة» (٣٥٢٤).

(٤) صحيح: رواه أحمد في مسنده، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٣٥١).

فعن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال: أنبهني رسول الله ﷺ من الليل، فقال: «**يا أبا مويهبة، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع**» فرفع يديه، فاستغفر لهم طويلاً، ثم قال: «**ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها، الآخرة شرٌّ من الأولى.. يا أبا مويهبة، إني قد أعطيت مفاتيح خزائن الدنيا، والخلد فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك، وبين لقاء ربي والجنة**»(١).

فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، خذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة.. فقال: «**والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة**» ثم انصرف رسول الله، فلما أصبح ابتدى بوجعه الذي قبض فيه..

وكان ﷺ يكثر في تلك الفترة من تذكيرهم ووصيتهم بدينهم خيرًا، ولما بعث معاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن، خرج معه ﷺ يوصيه ومعاذ راكب، ورسول الله يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: «**يا معاذ، إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، أو لعلك تمر بمسجدي هذا، أو قبري**»(٢). فبكى معاذ خشية فراق الحبيب المصطفى ﷺ وكأنى به ﷺ يتلطف بإخبارهم ليودعهم بتلك الوصايا، فقد أخرج أبو داود عن العرباض ابن سارية ﷺ قال: صلى رسول الله ﷺ بنا ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، هذه موعظة مودع(٣). إذن فقد أدركوا عظمة الفادحة من طريقته في الوصية..

ويروي أبو سعيد الخدري ﷺ حديثًا آخر يبين فيه طريقة النبي ﷺ في تهيئة أصحابه لخبر وفاته قال: إن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: «**إنَّ عبدًا خيره الله بين أن يؤتيه الله ﷻ زهرة الدنيا، وبين ما عنده، فاختار ما عنده**»(٤).

فبكى أبو بكر وقال: «فديناك بآبائنا وأمهاتنا وأموالنا وأنفسنا يا رسول الله.. قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخـ ، وكان أبو بكر أعلمنا به».

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» بإسناد صحيح.

(٢) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (٢٤٩٧).

(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة، وصححه الألباني في «المشكاة» (١٦٥).

(٤) متفقٌ عليه.

ورأى العباس بن عبد المطلب ﷺ عم النبي ﷺ في المنام كأن الأرض تنزع إلى السماء بأشطان شداد - يعني حبال - فقصها على رسول الله ﷺ فقال له: « **ذاك وفاة ابن أخيك** »[1].

كل هذا توطئة لوفاة الحبيب النبي ﷺ ..

لقد بدأ المرض برسول الله في أواخر شهر صفر، وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يومًا أو قريبًا من ذلك، وكان أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من مرضه وجع رأسه بعدما خرج إلى بقيع الغرقد، وسلم عليهم، واستغفر لهم..

تقول عائشة - رضي الله عنها -: لما رجع رسول الله من البقيع وجدني وأنا أجد صداعًا في رأسي، وأنا أقول: وارأساه، فقال: « **بل أنا والله يا عائشة، وارأساه** »[2].

فقامت السيدة عائشة - رضي الله عنها - ترقي النبي ﷺ. ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات، ومسح عنه بيده، فلما اشتكى وجعه الذي توفِّي فيه، طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث وأمسح بيد النبي عنه[3].

وفي رواية في موطأ الإمام مالك: وأمسح بيد النبي على جسده رجاء بركتها..

وعند مسلم: وأمسح بيد رسول الله ﷺ لأنها كانت أعظم بركة من يدي[4]..

واشتد الوجع برسول الله ﷺ وفي بيت ميمونة - رضي الله عنها - فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيت عائشة، فأذن له..

واشتد به الوجع والألم حتى قلق الصحابة قلقًا شديدًا، وحزنوا حزنًا بليغًا فشعر النبي ﷺ بهذا الحزن، وبهذا القلق، فأمرهم أن يصبوا عليه الماء..

---

(١) حسن: رواه الطبراني.

(٢) صحيح: رواه الدارمي في « المقدمة »، وصححه الألباني في « صحيح ابن ماجة » (١١٩٧).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه مسلم.

كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري من حدث عائشة - رضي الله عنها - قالت: لما دخل رسول الله ﷺ بيتي، واشتد وجعه، قال: « **هريقوا عليَّ من سبع قرب، لعلي أعهد إلى الناس** »[١]. وفي رواية ابن إسحاق: « **حتى أخرج إلى الناس، فأعهد إليهم** ».

تقول عائشة - رضي الله عنها -: فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب، حتى طفق يشير إلينا بيده، أن قد فعلتن.. وفي رواية أنه قال: حسبكم.. حسبكم[٢]..

وقد كان ﷺ عليه قطيفة، فكانت حرارة الحمى، تصيب من وضع يده على القطيفة، ومن شدة وجعه، كان يغمى عليه في مرضه، ثم يفيق..

وكان بجواره السيدة عائشة - رضي الله عنها - فدخل عليه عبد الله بن مسعود ﷺ وقد اشتدت به الحمى، فقال له: إنك لتوعك وعكًا شديدًا يا رسول الله، قال: « **أجل يا عبد الله، إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم** » قال عبد الله: إن لك لأجرين، قال: « **نعم، والذي نفسي بيده، ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض مما سواه إلا حط الله عنه خطاياه، كما تحط الشجرة ورقها** »[٣].

تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها - كما روي في الصحيحين:

« إنَّ الله جمع بين ريقي وريقه ﷺ عند الموت، دخل عليّ عبد الرحمن بن أبي بكر، وبيده سواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ إلى صدري، فرأيته ينظر إلى السواك، وأنا أعرف أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك يا رسول الله؟ فأشار برأسه، أن نعم، فتناولته، فأخذته ومضغته ثم لينته، ثم طيبته، ثم أعطيته لرسول الله ﷺ فاستاك به جيدًا، فلما انتهى أخذت السواك وأخذت أمتص من السواك ريق رسول الله ﷺ فكان هذا هو آخر عهدي بريق المصطفى ﷺ فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة »[٤].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) صحيح: متفقٌ عليه.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

وكان ﷺ بين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يده في الماء، فيمسح بهما وجهه، ويقول: « **لا إله إلا الله إنَّ للموت لسكرات، اللهمَّ أعني على سكرات الموت** »[١]. ولم يقبض رسول الله ﷺ حتى خير بين الدنيا والآخرة، غشي عليه ساعة وهو على فخذ السيدة عائشة، وكانت تنظر إليه.. حبيبها بين يديها يموت، ولا تملك له نفعًا، ولا تدفع عنه ضرًّا، ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت، ثم قال: « **اللهمَّ الرفيق الأعلى** ».. وفي رواية: « **بل الرفيق الأعلى.. بل الرفيق الأعلى.. بل الرفيق الأعلى** » فعلمت أنه لا يختارنا[٢].

اختار لقاء ربه، وأصابته بحة شديدة، وقال: ﴿ **مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا** ﴾ [النساء: ٦٩].

اختار رسول الله ﷺ الآخرة على الدنيا، وأحب لقاء ربه..

والله لـــو أنـــك توجتنـــي بـــتاج كـــسرى ملـــك المـــشرق

وقلـــت لي: لا نلتقـــي ســـاعة اخـــترت يـــا مـــولاي أن نلتقـــي

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: نُعي إلينا حبيبنا ونبينا - بأبي هو ونفسي له الفداء - قبل موته بست، فلما دنا الفراق، جمعنا في بيت أمنا عائشة - رضي الله عنها - فنظر إلينا، فدمعت عيناه[٣].

حق والله لتلك العينين أن تدمع، إنها صعوبة الفراق، والنأي عن الأحباب..

أحبتي الكرام..

وفي أيامه الأخيرة، وقد عصب رأسه، قال للفضل: « **خذ بيدي** »، فأخذ الفضل بيد النبي ﷺ حتى انتهى إلى المنبر، ثم قال للفضل: « **خذ بيدي** »، فأخذ الفضل بيد النبي حتى انتهى إلى المنبر، فصاح الفضل في الناس، فاجتمعوا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: « **أيها الناس، إني قد دنا مني أجلي، فمن كنت جلدت له ظهرًا فهذا ظهري،**

---

(١) رواه البخاري، باب: مرض النبي ﷺ.

(٢) رواه البخاري، باب: آخر ما تكلم به النبي (٢/ ٦٣٨).

(٣) حسن: رواه البزار.

فليستقد منه، ألا ومن كنت شتمت له عرضًا، فهذا عرضي، فليستقد منه، لا يقولن رجل إني أخشى الشحناء من قبل رسول الله، ألا وإن الشحناء ليست من طبيعتي ولا من شأني، ألا وإن أحبكم إليَّ من أخذ حقًّا كان له، أو حللني، فلقيت الله وأنا طيب النفس»[1].

وفي اليوم الذي قُبض فيه الحبيب المصطفى ﷺ كشف الستر والناس يصلون الصبح خلف أبي بكر الصديق ؓ فكاد المسلمون أن يفتنوا من فرحهم برؤيته حين نظروا إلى وجهه المبارك، كأنه ورقة مصحف، وظنوا أنه سيخرج للصلاة وأنه شفي من مرضه، جعل النبي ﷺ ينظر إليهم وهم ينظرون إليه. لكنها كانت النظرة الأخيرة.. نظرة الوداع..

هممت بتوديع الحبيب فلم أطق فودعته بالقلب والعين تدمع

فأشار إليهم النبي ﷺ أن مكانكم، ثم أرخى الستر.. وتوفي رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى من يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول..

وروي أن ملك الموت استأذن النبي ﷺ في قبض روحه، فقال: «**امض لما أمرت به**». فقال جبريل ؑ: السلام عليك يا رسول الله، هذا آخر موطئي من الأرض.

ولما توفي رسول الله ﷺ اضطرب المسلمون، فمنهم من دُهش، ومنهم من أقعد، فلم يطق القيام.. ومنهم من اعتقل لسانه، فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية كعمر بن الخطاب ؓ فقد ظل يصرخ، ويقول: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله قد مات، وإنَّ رسول الله ﷺ والله ما مات، ولكنه ذهب إلى لقاء ربه، كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم، والله ليرجعن رسول الله ﷺ ولأقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه قد مات..

ولما علم أبو بكر الخبر، أقبل مسرعًا حتى دخل بيت عائشة - رضي الله عنها - ورسول الله مسجي، فكشف أبو بكر عن وجه حبيبه ﷺ وأكب عليه، وقبَّل وجهه مرارًا وهو يبكي، وهو يقول: وانبياه! واخليلاه! واصفياه! إنا لله وإنا إليه راجعون.. مات والله رسول الله. مات إمام الأنبياء.. مات إمام الأنبياء.. فداك أبي وأمي ونفسي يا

---

(١) ضعيف: تخرج في موضع آخر.

رسول الله، أمَّا الموتة التي كتبها الله عليك، فقد ذقتها ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدًا.. ثم ردَّ البرد على وجهه، وخرج إلى الناس فقال: على رسلك يا عمر، فأبى إلا أن يتكلم، فأقبل الناس على أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا** ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

فوالله كأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية قد نزلت، وأخذها الناس عن أبي بكر الصديق، ولما سمعها عمر، عُقر ووقع على الأرض لا تتحمله رجلاه، وعلم أن رسول الله قد مات.

وجاءت فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - تبكي وتقول: يا أبتاه، أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه.. إلى جبريل ننعاه.. يا أبتاه.. مَنْ جنة الفردوس مأواه[1]..

ثم غسلوه في ثيابه، وكفنوه، ودفنوه في حجرة عائشة - رضي الله عنها - والله إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنا لفراقك يا رسول الله لمحزونون، وإنا لله، وإنا إليه راجعون..

أحبتي في الله..

فإذا كان رسول الله ﷺ وهو من هو قد مات.. لقد مات رسول الله ﷺ وهو سيد الأولين والآخرين، وقائد الغرِّ المحجلين، قال عن نفسه: « **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع** »[2].

مات خير الأنبياء وخاتم المرسلين.. الذي كان رب العزة والجلال قد أخذ العهد والميثاق على كل نبي من الأنبياء أو رسول من الرسل، إلا أخذ عليه العهد والميثاق أن يؤمن به، وأن ينصره، إذا بعث كما قال الله ﷻ: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ** ﴾ [آل عمران: ٨١].

(١) صحيح: « صحيح سنن النسائي » (١٨٤٤)، والبخاري بنحوه.

(٢) صحيح: « صحيح سنن ابن ماجة » (٤٣٠٨)، و« الصحيحة » (١٥٧١).

أيـا عـبد كـم يـراك الله عاصـيًا حريـصًا عـلى الدنـيا وللمـوت ناسـيًا

أنـسيت لقـاء الله واللحـد والثـرى ويـومًا عبوسًـا تـشيب فـيه النواصـيا

لـو أن المـرء لم يلـبس ثـيابًا مـن التقـى تجـرد عـريانًا ولـو كـان كاسـيًا

ولـو أن الدنـيا تـدوم لأهلهـا لكـان رسـول الله حـيًّا وباقـيًا

فمن مات له أخ أو أب أو حبيب، فليتذكر مصابه بموت رسول الله، فإنه أعظم مصاب.. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

أحبتي الكرام..

ويوم أن انتقل الرسول الأعظم ﷺ إلى الرفيق الأعلى، أظلمت المدينة المنورة.. عن أنس ﷺ قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء[1]..

وأخرجه الدارمي بلفظ: ما رأيت يومًا قط كان أحسن، ولا أضوء من يوم دخل علينا به رسول الله ﷺ وما رأيت يومًا كان أقبح ولا أظلم من يوم، مات فيه رسول الله ﷺ[2].

أحبتي الكرام..

فمن مات له أخ أو ابن أو أب، أو فجع في أحد أحبابه، فليتذكر مصابه بالحبيب المصطفى ﷺ فليس في الوجود أعظم ولا أحب منه.. بأبي وأمي أنت يا رسول الله..

اللهمَّ هب لنا الصبر على ما كرهناه من قضائك، وارزقنا الرضا بذلك طائعين.. وهب لنا الشكر على ما جرى به قضاؤك.. والاستكانة لحسن قضائك متذللين خاضعين، رجاء المزيد من لطفك والزلفى لديك يا كريم..

---

(١) صحيح: صححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٦١٨)، و«صحيح سنن ابن ماجة» (١٦٣١).

(٢) صحيح: رواه الدارمي في «المقدمة» (٨٩) بإسناد صحيح.

اللهمَّ لا شيء أنفع لنا عندك من الإيمان بك، وقد مننت به علينا فلا تنزعه منَّا، حتى تتوفانا عليه..

اللهمَّ إنا نسألك خير المسألة، وخير الدعاء، وخير النجاح، وخير الثواب، وخير العمل، وخير الحياة، وخير المات، وثبتنا وثقل موازيننا، وارفع درجاتنا، وتقبل توبتنا، واغفر خطايانا يا رب العالمين..



الوصية رقم (٤٥)
اقضوا حوائج إخوانكم

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه** »[١].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

هذه الوصية الكريمة المباركة التي سنعيش معها ومع ما فيها من آداب وعظات.. يقول عنها الإمام النووي - رحمه الله -:

حديث أبي هريرة ﷺ حديث عظيم، جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب، ففيه: فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم، بما تيسر من علم أو مال، أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة أو غير ذلك.

وفضل الستر على المسلمين، وفضل إنظار المعسر، وفضل المشي في طلب العلم.. وهذه الوصية النبوية الكريمة تؤكد قاعدة جليلة، وهي أن الجزاء من جنس العمل.

وقد تكاثرت النصوص بهذه القاعدة، كقوله ﷺ: « **إنما يرحم الله من عباده الرحماء** »[٢] أو « **ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء** »[٣].

وقوله ﷺ: « **إنَّ الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا** »[٤]. والكربة هي الشدة العظيمة التي توقع صاحبها في الكرب، وتنفيسها أن يخفف عنه منها.. والتفريج أعظم

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٣) صحيح: رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٣٥٢٢).

(٤) رواه مسلم وأبو داود.

من ذلك، وهو أن يزيل عنه الكربة، فتنفرج عنه كربته، ويزول همه وغمه.. فجزاء التنفيس التنفيس، وجزاء التفريج التفريج..

وكرب الدنيا بالنسبة إلى كرب الآخرة لا شيء، فادخر الله ﷻ تنفيس الكرب عنده، لينفس به كرب الآخرة..

قال ﷺ: « **أيما مؤمن أطعم مؤمنًا على جوع، أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مؤمن سقى مؤمنًا على ظمأ، سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن كسا مؤمنًا على عرى، كساه الله من خضر الجنَّة** »[١].

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: « **يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط، وأجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط، فمن كسا لله عز وجل، كساه الله، ومن أطعم لله عز وجل، أطعمه الله، ومن سقى لله عز وجل، سقاه الله، ومن عفى لله، أعفاه الله** »[٢].

أحبتي في الله..

إن قضاء حوائج الناس خلق أصحاب الفطرة السليمة، ومن باب أولى أن تكون سجية المتقين والمؤمنين، فهذا رسولنا قبل بعثته ﷺ كان من ضمن شمائله الكريمة: قضاء حوائج الناس، وهذا ظاهر في ثناء زوجته الطاهرة السيدة الجليلة السيدة خديجة - رضي الله عنها - حيث قالت له يوم أن جاء فزعًا من الغار في بداية نزول الوحي عليه: « كلا والله لا يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق »[٣].

وكان هذا دأبه بعد ذلك، بل كان سعيه في قضاء حوائج الغير أشد، حيث كانت الجارية الصغيرة تأخذ بيده الشريفة، فتنطلق به في شوارع المدينة - وهو أكبر سلطة سياسية في ذلك الزمان - فيمضي معها حتى يقوم بقضاء حاجتها.. بأبي أنت وأمي يا رسول الله..

---

(١) رواه الترمذي وأبو داود، وضعفه الألباني.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » رقم (٣٠).

(٣) رواه البخاري.

زانتك في الخلق العظيم شمائل ... يُغرى بهن ويولع الكرماء
فإذا سخوت بلغت بالجود المدى ... وفعلت ما لم تفعل الأنواء
وإذا عفوت فقادرًا ومقدرًا ... لا يستعين بعفوك الجهلاء
وإذا رحمت فأنت أم أو أب ... هذان في الدنيا هما الرحماء

ومن قبله ﷺ كان كليم الله موسى ﵇ حين خرج من بلده بعد أن تآمر عليه القوم ليقتلوه، فخرج وهو خائف يترقب ويتوقع الشر في كل لحظة، خرج هاربًا يسعى بكل طاقته.. ليس معه مال، وليس معه متاع.. مشى حتى انتهى به المطاف إلى (مدين) وصل وقد أنهكه التعب، وأعياه الجوع والظمأ، وما كاد يجلس على الأرض، ليستريح من عناء السفر المتعب، حتى رأى منظرًا، استنفر شهامته، واستفز رجولته ونخوته ودينه، فماذا رأى الكليم ﵇؟

رأى فتاتين عفيفتين طاهرتين، تتحاشيان الاختلاط بالرجال، معهما أغنام وعلى الرغم من أنه لا يعرفهما، وليس له حاجة عندهما، إلا أنه رأى أنها فرصة، لأن يكسب الأجر العظيم، والثواب الكبير من الله ﷻ بقضاء حاجتهما.. وعلى الرغم من شدة حرارة الجو، وما كان يعانيه من تعب السفر إلا أنه بادر بقضاء حاجتهما، فسقى لهم أغنامهما، فلم يطلب منهما أجرًا ولم ينتظر منهما حتى ولو كلمة شكر.. إنما تولى إلى الظل، ليستظل من تلك الحرارة الشديدة.. إنه رسول من أولي العزم من الرسل.. إنه كليم الله موسى ﵇.. لقد خلد الله ﷻ عمله ذلك في كتابه.. في القرآن الكريم إلى يوم القيامة، ليظل علمًا للبشرية في مجال قضاء الحاجة للناس..

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [القصص: ٢٣، ٢٤].

أترون أن عمله قد ذهب هباء؟ لا والله ما ذهب ثمن عمله.. بل تكفل بثمن عمله هذا رب العالمين جل في علاه.. وتأملوا:

﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ ... ﴾ [القصص: ٢٥-٢٧].

ـ الله أكبر.. أمان بعد الخوف، ورزق بعد الفقر والجوع، وزوجة بعد العزوبة هذا مع ما سيلقاه في الآخرة من عظيم الأجر والثواب..

أحبتي الكرام..

بشروا من يسعى في قضاء حوائج الخلق، بأن حاجته مقضية إن شاء الله « **والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه** »..

فمن كان في حاجة أخيه أتظنون أنه يخيب؟ لا والله.. لن يخيب أبدًا.. بعض الناس قد يغره المنصب والوجاهة والمكانة، فيترفع عن قضاء حوائج الناس، فنقول له: هذا هو صديق الأمة الأكبر، هذا خير الأمة بعد نبيها محمد ﷺ كان يواظب على خدمة عجوز مقعدة، فبعد أن ولي خلافة الأمة ذهب عمر بن الخطاب ﷺ لقضاء حوائجها ظانًا أن أبا بكر ﷺ ستشغله الخلافة، ولو بشكل مؤقت عن ذلك العمل، فإذا به يجد أن الخليفة قد سبقه لقضاء حوائج المرأة العجوز المقعدة..

ولما صارت الخلافة إلى عمر بن الخطاب ﷺ كان يخرج في ظلام الليل ليقضي حوائج الناس..

روى الأوزاعي فقال: خرج عمر بن الخطاب في سواد الليل، فرأى طلحة بن عبيد الله، فذهب عمر، فدخل بيتًا، ثم دخل بيتًا آخر.. فلما أصبح طلحة، ذهب إلى ذلك البيت، فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى.. فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة، أعثرات عمر تتبع[1]؟!

لقد كان عمر بن الخطاب ﷺ يعلم ما عند الله ﷻ من الثواب العظيم أجرًا لمن قضى حوائج عباده.. فكان يجتهد في ذلك كل الاجتهاد..

---

(١) « حلية الأولياء » (١/ ٤٧) لأبي نعيم.

إنه يمر ذات ليلة ويعس في المدينة، يمر على بيت، فيسمع أنين امرأة فيسأل عنها، فإذا هي امرأة في المخاض، وليس عندها أحد، فينطلق إلى بيته ليأتي بامرأته أم كلثوم بنت عليٍّ رضي الله عنه فيقول لها: هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ قالت: وما هو؟

قال: امرأة غريبة تمخض ليس عندها أحد.. قالت: نعم إن شئت..

قال: فخذي معك ما يصلح المرأة لولادتها من الخرق والدهن، وجيئيني ببرمة وشحم وحبوب.. فحمل البرمة ومشت خلفه، حتى وصل إلى بيت المرأة..

فكانت هي في الداخل تمرضها وتقوم على شئونها، وهو في الخارج ينهمك في إنضاج الطعام بالنفخ على الحطب تحت القدر، والدخان يتخلل لحيته، وتفيض عيناه بالدمع، لا من أثر الدخان الكثيف فحسب، بل شكرًا لله أن هيأه وزوجته لقضاء حوائج الناس[1]..

فما أشد حرمان من لم يوفق لقضاء حوائج الناس، وأشد منه خسارة وبؤسًا من سعى في تعطيل حوائج الناس.. وإلى كل من جعل الله حوائج الناس إليه، فبدأ يتبرم ويضيق بتلك الحاجات..

نقول له: احمد الله أن جعل حوائج الناس إليك، ولم يجعل حاجتك إلى الناس..

قال طاوس - رحمه الله -: إذا أنعم الله على عبدٍ نعمة، ثم جعل إليه حوائجَ الناس، فإن احتمل وصبر، وإلا عرَّض تلك النعمة للزوال[2].

وقال الحسن: لأن أقضي لمسلم حاجة، أحب إليَّ من أن أصلي ألف ركعة[3]..

أحبتي الكرام..

أرسل الحسن البصري - رحمه الله - إلى ثابت البُناني - العابد الكبير، والتابعي الجليل، حيث جاءه رجل يريد أن يشفع له ثابت إلى رجل.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج»، وابن الجوزي في «مناقب عمر».
(٢) ابن أبي الدنيا رقم (٥٠).
(٣) المرجع السابق.

فذهب الرجل إلى الحسن البصري، فقال: أريد من فلان أن يقرضني مالاً، وأريد أن ترسل معي ثابتًا البناني، لأن عنده وجهًا - أي صاحب وجاهة عند الرجل - فقال الحسن: اذهبوا إلى ثابت في المسجد، فخذوه معكم، فذهبوا إلى ثابت فوجدوه يصلي، فلما انتهى أخبروه الخبر، فقال: أنا معتكف، ولن أخرج من المسجد، فرجعوا إلى الحسن فأخبروه، فقال لهم: قولوا له: يا أعمش، أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة؟! فرجعوا إلى ثابت، فترك اعتكافه، وذهب معهم[1]..

وكان أبو وائل يطوف على نساء الحي وعجائزهم كل يوم، فيشتري لهن حوائجهن، وما يصلحهن.

وقال مجاهد: صحبت ابن عمر - رضي الله عنهما - في السفر لأخدمه، فكان يخدمني[2].

وكان كثير من الصالحين يشترط على أصحابه في السفر أن يخدمهم، وصحب رجل قومًا في الجهاد، فاشترط عليهم أن يخدمهم، فكان إذا أراد أحد منهم أن يغسل رأسهُ أو ثوبهُ، قال: هذا من شرطي، فيفعله، فمات، فجردوه للغسل، فرأوا على يديه مكتوبًا: من أهل الجنة، فنظروا فإذا هي كتابة بين الجلد واللحم[3].. « **والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه** ».

أحبتي في الله..

وقضاء حوائج الناس كثيرة متعددة ذكرها النبي ﷺ في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -: « **أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة، أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في المسجد شهرًا، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، ثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام** »[4].

---

(١) « جامع العلوم والحكم » لابن رجب.

(٢) « حلية الأولياء » (٣/ ٢٨٥) لأبي نعيم.

(٣) « جامع العلوم والحكم » لابن رجب (ص٣٦).

(٤) حسن: رواه ابن أبي الدنيا والأصبهاني، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٦٢٣).

فهذه الأعمال المثبتة في هذا الحديث النبوي الرائع، تدلنا على أعمال رائعة بل صفقات رابحة، وعلى أثمان بالغة.. فاحذروا من فواتها..

والنبي ﷺ يقول: «**من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل**»[1].

ينفعه بأي شيء.. بقضاء حاجته.. ينفعه بماله؟ ممكن.. ينفعه بجاهه؟ ممكن ينفعه برأيه؟ ممكن.. ينفعه بقوته البدنية والجسمانية؟ ممكن.. فوجوه النفع متعددة..

والحديث الذي ذكرناه يثبت لنا أن من مشى مع أخيه المسلم في حاجته ليقضيها له، ثبت الله ﷻ قدمه على الصراط يوم تزل الأقدام..

والصراط فوق جهنم.. جسر مضروب فوقها.. وهو كما قال أهل العلم: أدق من الشعرة، وأحد من السيف.. وهو دحض مذلة.. له خطاطيف وكلاليب تخطف الناس..

قضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة، فجاءه بهدية، فقال: ما هذا؟ قال: لما أسديته إليَّ..

فقال: خذ مالك عافاك الله.. إذا سألت أخاك حاجة، فلم يجهد نفسه في قضائها، فتوضأ للصلاة، وكبر عليه أربع تكبيرات، وعده في الموتى..

أيها الأحبة الكرام..

إذا كان الله ﷻ قد شكر لامرأة زانية، وغفر لها، لأنها سعت في قضاء حاجة كلب عطش، فكيف بمن يقضي حاجة عبد مؤمن موحد؟!

كيف بمن يقضي حاجة جاره؟ كيف بمن يقضي حاجة زوجته وأولاده؟ كيف بمن يقضي حاجة والديه؟

وأبواب قضاء الحاجات كثيرة.. وأبواب الخير متعددة، وسهلة وميسورة لكل مسلم.. قال ﷺ: «**إنَّ أبواب الخير لكثيرة: التسبيح والتحميد، والتكبير والتهليل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتميط الأذى عن الطريق، وتسمع الأصم، وتهدي**

---

(١) رواه مسلم وأحمد وهو في الصحيحة للألباني برقم (٤٧٢).

الأعمى، وتدل المستدل على حاجته، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف، فهذا كله منك صدقة منك على نفسك»[١].

أحبتي الكرام..

إذًا قضاء الحاجات له صور متعددة، فمن الناس من يكون حاجته طعام أو شراب أو لباس.. ومن الناس من تكون حاجته إليه النصح والإرشاد، ومنهم من حاجته في وظيفة أو عمل من الأعمال.. فليبادر كل واحد منا في قضاء حاجة أخيه بقدر استطاعته، وبالحال التي يوفقه الله لها، ويعمل بقدر ما آتاه من منصب أو جاه أو سلطان..

ولتكن هممكم عالية في المسابقة إلى الخيرات، والمنافسة في الأعمال الصالحات..

نسأل الله رب الأرض والسموات.. أن يوفقنا إلى فعل الخيرات، وترك المنكرات.. وحب المساكين..

اللهمَّ أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين..

اللهمَّ من أراد بالمسلمين سوءًا أو كيدًا، فاجعل كيده في نحره، واجعل تدبيره تدميره يا سميع الدعاء..

اللهمَّ عليك بالمفسدين في الأرض، فإنهم لا يعجزونك..

اللهمَّ اكشف أمرهم واهتك سترهم، واجعلهم عبرة للمعتبرين.. يا رب العالمين..

❂❂❂❂

---

(١) حسن: رواه ابن حبان وغيره، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٩٧٠).

الوصية رقم (٤٦)

مروا نساءكم بالحجاب

عن عائشة - رضي الله عنها - أن أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها، وقال لها: « **يا أسماء، إنَّ المرأة، إذا بلغت المحيض، لن يصلح أن يُرى منها إلا هذا، وهذا** » وأشار إلى وجهه وكفيه[١].

صدق رسول الله ﷺ

أخي الحبيب..

هذا موقف حدث مع الأستاذ الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ المربي الذي علم المتعلمين.. والهادي الذي قاد سفينة العالم الحائرة في معترك الأمواج إلى شاطئ الله رب العالمين.. من علم الله به بعد الجهالة.. ووحد به بعد الفرقة.. تدخل عليه السيدة أسماء بنت صاحبه في الغار صديق الأمة الأكبر رضي الله عنه وأرضاه، وأخت زوجته أُمنًا السيدة عائشة - رضي الله عنها - فيجدها تلبس ثيابًا رقيقة صفيقة تكشف عن جسدها، وتحدد وتجسد بدنها، فوضع القانون، والدستور لكل امرأة صارت في سن أسماء - رضي الله عنها - أي امرأة بلغت المحيض، وبلغت مبلغ النساء، ماذا تفعل؟

قال: « **إنَّ المرأة إذا بلغت المحيض** - أي ذلك السن أو العمر - **لن يصلح أن يرى منها إلا هذا** - أي الوجه - **وهذا** - أي الكفين ».

صلى الله عليه وسلم وبارك عليك يا سيدي يا رسول الله.. إنك تشخص الداء والدواء تصف الدواء النافع في كل عصر من العصور.. تصف الدواء الناجع ودعاة الضلالة وأهل الفساد يحاولون دائمًا تشويه الحقائق، ويزعمون أن الإسلام يدعو المرأة إلى التخلف، وأنه كبت لها وتقييد لحريتها.. ويشجعونها على التبرج والسفور،

---

(١) حسن: حسنه الألباني في « صحيح سنن أبي داود » (٤١٠٤)، وفي « تخريج المشكاة » (٤٣٧٢٩، وفي « حجاب المرأة المسلمة » (٢٤)، و« صحيح الترغيب » (٢٠٤٥)، و« صحيح الجامع » (٧٨٤٧).

وذلك بدعوى التحرر والتحضر، وهم يريدون بذلك تدمير المرأة، والقضاء على حيائها وعفافها..

فلا ينبغي للمسلمة التقية النقية أن تنخدع بمثل هذه الأساطير، ولا بمثل هذه الشعارات الزائفة.. بل ينبغي عليها أن تكون معتزة بدينها، مستمسكة بحجابها، وتعليمات رسولها وحبيبها محمد ﷺ.

أحبتي الكرام..

إن الله ﷻ لما أمر المرأة بالحجاب، إنما أراد من وراء ذلك أن تكون طاهرة نقية بحفظ بدنها، وجميع جوارحها من أن يؤذيها أحد بأعمال دنيئة، أو أقوال مهينة.. وأراد بها العلو والرفعة..

الحجاب تشريف وتكريم للمرأة، وليس تضييقًا عليها.. وهو حلة جمال، وصفة كمال.. وهو أعظم دليل على إيمانها وأدبها، وسمو أخلاقها، وهو تمييز لها عن الساقطات المتبرجات..

الحجاب طاعة لمن بيده الأمر كله.. طاعة لله ﷻ، وطاعة لرسوله ﷺ.. فقد أمرها الله ﷻ به، فقال: ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا** ﴾ [النور: ٣١].

وقال سبحانه: ﴿ **وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ** ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال: ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ...** ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

شرف للمرأة أن تنضم إلى هذه القافلة الطيبة المباركة، أزواج النبي وبناته ونساء المؤمنين.

والرسول الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ قال: « **المرأة عورة** » يعني يجب سترها..

ونحن مأمورون بطاعة الله ورسوله، مأمورون بأن لا نعصيه ولا نخالف أمره.. قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].. الله ﷻ يشترط على المؤمنين والمؤمنات ألا يختاروا عند ورود الأمر من الله أو من وروده من الرسول ﷺ.. لأن المسلم محكوم من الله ورسوله.. المجتمع لا يحكم.. والعادات لا تحكم.. والتقاليد لا تحكم.. المجلات لا تحكم.. والجرائد لا تحكم.. والتليفزيون لا يحكم.. والأفلام والمسلسلات لا تحكم.. والموضة والأزياء لا تحكم.. ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠].

المؤمن يأخذ أوامره من الله ورسوله، حتى يفوز برضوان الله وجنته.. قال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» أي من رفض وامتنع، قالوا: وكيف يأبى أن يدخل الجنة يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني، فقد أبى**»[(١)].

الحجاب عفة وطهارة.. ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] فقد وصف الحجاب بأنه طهارة لقلوب المؤمنين والمؤمنات، لأن العين إذا لم تر شيئًا، لم يتشتت القلب، ولم يفكر في المعصية.. ومن هنا كان القلب عند عدم الرؤية أطهر وعدم الفتنة أطهر حينئذ، لأن الحجاب يقطع أطماع مرضى القلوب ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ... ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

الحجاب ستر للمرأة، والله ﷻ حييٌّ ستير، يحب الحياء والستر، قال ﷺ: «**أيما امرأة نزعت ثيابها في غير بيتها، خرق الله عز وجل عنها ستره**»[(٢)] والجزاء من جنس العمل..

وأعداء الإسلام يريدون أن يهتكوا ستر المرأة.. إنهم يريدون أن ينزعوا القرآن وتعاليم القرآن من صدور أهل القرآن..

يقول الحاكم الفرنسي في الجزائر بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها: يجب أن

---

(١) رواه مسلم وأحمد وغيرهما.

(٢) صحيح. رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٠٨).

نزيل القرآن العربي من وجدانهم.. ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم حتى ننتصر عليهم.. وقد أثار هذا المعنى حادثة طريفة جرت في فرنسا، وهي أن فرنسا من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر، قامت بتجربة عملية، قامت بانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات، أدخلتهن الحكومة الفرنسية، فأصبحن كالفرنسيات تمامًا..

- وبعد أحد عشر عامًا من الجهود، هيأت لهن حفلة تخرج رائعة، دعى إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون.. ولما ابتدأت الحفلة، فوجئ الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري.

فثارت ثائرة الصحف الفرنسية، وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر، بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عامًا؟!

أجاب (لاكوست) وزير المستعمرات الفرنسي: « وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟!» نعم القرآن أقوى من العالم كله.. أقوى من الدنيا بأسرها..

الحجاب تقوى وإيمان.. ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

والله ﷻ لما أراد أن يخاطب النساء بالحجاب، لم يخاطب إلا المؤمنات الفاضلات..

قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ وقال: ﴿ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ولما دخل بعض النسوة من بني تميم على أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وعليهن ثياب رقاق فقالت: « إن كنتن مؤمنات، فليس هذا بلباس المؤمنات، وإن كنتن غير مؤمنات، فتمتعن به ».

الحجاب حياء.. قال ﷺ: « إن لكل دين خلقًا، وإن خلق الإسلام الحياء ».

وقال: « الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة »[١].

وقال: « الحياء والإيمان قرنا جميعًا، فإن رفع أحدهما، رفع الآخر »[٢].

الحجاب غيرة.. وهو يتناسب مع الفطرة التي فطر الله الرجل السوي عليها،

---

(١) صحيح: رواه مالك في « الموطأ »، وابن ماجة في سننه، وصححه الألباني في « الصحيحة » برقم (٩٤٠).

(٢) صحيح: رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٦٣٦)، و« صحيح الجامع » (١٦٠٣).

الرجل الذي يأنف أن تمتد النظرات الخائنة إلى زوجته وبناته، وكم من حرب قامت في الجاهلية والإسلام غيرة على النساء، وحمية لحرمتهن..

قال عليٌّ بن أبي طالب ﷺ: بلغني أن نساءكم يزاحمن العلوج - أي الرجال الكفار العجم - في الأسواق، ألا تغارون؟ إنه لا خير فيمن لا يغار..

فيا من تزعمون أن حجاب المرأة المسلمة لا يتناسب مع هذا العصر، يا من تريدون أن تختلط المرأة بالرجال في كل مكان، أما قرأتم آيات القرآن، وأدلة النبي العدنان ﷺ؟ هذه آيات القرآن أمامكم فاقرءوها.. وأحاديث النبي بين أيديكم فادرسوها.. فإنها تدل على وجوب الحجاب فاعقلوه.. لا تتمادوا في الباطل.. وارجعوا إلى الحق، فالرجوع إلى الحق فضيلة، والإصرار على الباطل شرٌّ ورذيلة..

أما إذا كنتم من الصنف الذي وصفه الله ﷻ بقوله: ﴿ **وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ... ﴾ [النمل: ١٤] فإنكم لن تنقادوا أبدًا إلى الحق ولن ترجعوا إلى الصواب.. واعلموا أن التبرج والسفور، وعدم الستر يجلب اللعن والطرد من رحمة الله ﷻ..

قال ﷺ: « **سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات على رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، العنوهن، فإنهن ملعونات** »[١].

التبرج من صفات أهل النار.. قال ﷺ: « **صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات** »[٢].

التبرج سواد وظلمة يوم القيامة، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: « **مثلُ الرافلة في الزينة في غير أهلها، كمثل ظلمة يوم القيامة، لا نور لها** »[٣].

يريد المتمايلة في مشيتها، وهي تجر ثيابها، تأتي يوم القيامة سوداء مظلمة، والحديث وإن كان ضعيفًا إلا أن معناه صحيح..

التبرج نفاق، قال ﷺ: « **شر نسائكم المتبرجات المتخيلات وهن المنافقات، لا**

---

(١) حسن: رواه أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه واللفظ له، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٠٤٣).

(٢) رواه مسلم وأحمد، وذكره الألباني في « صحيح الجامع » (٣٧٩٩)، و« الصحيحة » (١٣٢٦).

(٣) ضعيف: رواه الترمذي، وضعفه الألباني في « ضعيف الجامع » (٥٢٣٦).

يدخلن الجنة، إلا مثل الغراب الأعصم»[1]. أي أحمر المنقار والرجلين، وهو كناية عن قلة من يدخل الجنة من النساء، لأن هذا الوصف في الغربان قليل.

التبرج فاحشة، لأن المرأة عورة، وكشف العورة فاحشة ومقت من الله ﷻ.. قال سبحانه: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف: ٢٨] والشيطان هو الذي يأمر أتباعه بالفحشاء ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ...﴾ [البقرة: ٢٦٨] وقصة سيدنا آدم ﷺ تكشف لنا مدى حرص عدو الله إبليس، على كشف السوءات، وهتك الأستار، والتبرج هدفه الأساسي.. قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ...﴾ [الأعراف: ٢٧].

فإبليس هو صاحب دعوة التبرج، والتكشف، وهو زعيم زعماء ما يقال عنهم: زعماء تحرير المرأة..

ألم تروا إلى هذه السيدة الجليلة المباركة، التي أتت الحبيب المصطفى ﷺ تقول له: يا رسول الله، إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «**إن شئت صبرت، ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**»، فقالت: أصبر، ولكني أتكشف، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها[2]..

فقد خشيت المرأة أن تنكشف عورتها وهي لا تشعر..

وعند البزار من وجه آخر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنها قالت: «إني أخاف الخبيث أن يجردني، فدعا لها فكانت إذا خشيت أن يأتيها تأتي أستار الكعبة فتتعلق بها ..».

التبرج عودة إلى الجاهلية العفنة المنتنة، ألم يقل مولانا سبحانه مخاطبًا نساء النبي ﷺ ونساء الأمة ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ...﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وقد وصف معلمنا ومرشدنا ﷺ دعوى الجاهلية بأنها منتنة أي خبيثة، فدعوى الجاهلية شقيقة تبرج الجاهلية، وقد قال ﷺ: «**كل شيء من أمر**

---

(١) **صحيح**: رواه البيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٣٠).

(٢) رواه البخاري.

الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين»[1]. سواء في ذلك تبرج الجاهلية، ودعوى الجاهلية وحمية الجاهلية..

أحبتي في الله..

التكشف والتعري فطرة حيوانية بهيمية، لا يميل إليها الإنسان إلا وهو ينحدر ويرتكس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان، الذي كرمه الله وفضله على سائر المخلوقات، ومن هناك كان التبرج علامة على فساد الفطرة، وانعدام الغيرة وتبلد الإحساس، وموت الشعور..

لحد الركبتين تشمرينا	**بربك أي نهر تعبرين**
كأن الثوب ظل في صباح	**يزيد تقلصًا حينًا فحينًا**
تظنين الرجال بلا شعور	**لأنك ربما لا تشعرينا**

التبرج والسفور علامة من علامات القيامة الصغرى.. ألم يقل النبي ﷺ مخبرًا بذلك: «**سيكون في آخر أمتي رجالاً يركبون سروجًا كأشباه الرحال ينزلون على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات على رءوسهن كأسنمة البخت العجاف، العنوهن، فإنهن ملعونات**»[2].

والسرج: جمع سرج، وهو ما يوضع على ظهر الدابة.. وهذا الوصف ينطبق الآن في عصرنا الحديث على السيارات.. ولا يخفى علينا أن هناك سيارات، وكأنها حجرات خاصة بأصحابها.. ومعنى كأسنمة البخت العجاف، أي تسرح المرأة منهن شعرها بطريقة معينة، فترفع المرأة شعرها على رأسها كما رفع السنام على ظهر البعير.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. وهذا ما يسمى الآن (بقصة الأسد) عند النساء، وهناك قصات أخرى مختلفة بحسب أحدث الموضات والموديلات..

وقد ورد حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من أشراط الساعة أن تظهر ثياب تلبسنها نساء كاسيات عاريات**».

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجة وغيره، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجة» برقم (٣٠٧٤).

(٢) **حسن**: رواه أحمد في مسنده، وقد تقدم في نفس هذه الوصية.

أحبتي الكرام..

مروا نساءكم وبناتكم بالحجاب الشرعي، الذي يتناسب مع وقارها.. ويتناسب مع ديننا وشرع ربنا، وسنة نبينا ﷺ..

مروا نساءكم بارتداء الحجاب، وحذروهن التبرج والتكشف، كفانا تقليدًا للغرب.. كفانا تقليدًا لأعدائنا.. وأعداء ديننا.. كفانا تقليدًا للنساء الكافرات..

قال ﷺ: «**لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه**». قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**»(١).

ولتكن نساؤنا كنساء الأنصار، والمهاجرات الأول..

فعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: «يرحم الله نساء المؤمنات الأول، لما أنزل الله ﷻ قوله: ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١] قمن على مروطهن فشققنها، ثم اختمرن بها»(٢).

وفي رواية: لقد أنزلت سورة النور - أي قوله تعالى: ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ...**﴾ فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل منها، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها، فأصبحن يصلين الصبح معتجرات، كأن على رؤوسهن الغربان.. فأي النساء كن هؤلاء؟ ما أن قرأ أزواجهن عليهن الآيات إلا سارعن بالعمل فورًا دون تكاسل أو تغافل.. أو تسويف..

فالحجاب أعظم معين للمرأة للمحافظة على عفتها وحيائها، وهو يصونها عن أعين السوء ونظرات الفحشاء، وقد أقر بذلك الذين ذاقوا مرارة التبرج والانحلال، واكتووا بنار الفجور والاختلاط.. والحق ما شهدت به الأعداء..

تقول الصحفية (هيلسيان ستاسنبري) بعد أن أمضت في إحدى العواصم العربية عدة أسابيع، ثم عادت إلى بلادها، تقول:

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري وأبو داود.

« إنَّ المجتمع العربي كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده، التي تفيد الفتاة والشباب في حدود المعقول، وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكي.. فعندكم أخلاق موروثة، تحتم تقييد المرأة، وتحتم احترام الأب والأم، وتحتم أكثر من ذلك، عدم الإباحية الغربية، التي تهدم اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا وأمريكا.. امنعوا الاختلاط.. وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا »..

فهذه أمريكية تدعو إلى الحجاب بعد أن رأت التمزق الأسري، والانحلال الخلقي يعصف بمجتمعها.. أمريكية توصينا بأن نتمسك بأخلاقنا الإسلامية الجميلة.. وعاداتنا الحسنة.. أمريكية تحذرنا من الاختلاط والإباحية التي أدت إلى فساد المجتمعات في أوروبا وأمريكا..

فيا من تريدون الدار الآخرة.. ويا من تتشوقون إلى جنة خالدة.. ويا من تخافون من عذاب الآخرة.. عذاب الجحيم.. كونوا فخورين بانتمائكم إلى هذا الدين، فوالله لا نجاة إلا به.. ولا فكاك من النار إلا باتباع تعاليمه، ولا قبول للأعمال إلا بامتثال أوامره.. ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]..

اللهمَّ احفظ بناتنا وبنات المسلمين.. واحفظ نساءنا ونساء المسلمين..

اللهمَّ جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن..

اللهمَّ اجعلنا بسنة نبيك محمد ﷺ مستمسكين وبقرآنك عاملين..

اللهمَّ عليك بأعدائك أعداء الدين..

اللهمَّ إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم.. يا رب العالمين..

○❁❁○

الوصية رقم (٤٧)

اثبتوا يا عباد الله

عن النواس بن سمعان ﷺ أن رسول الله ﷺ لما ذكر لأصحابه الدجال وصفته، قال لهم: « **يا عباد الله، اثبتوا** »[١].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

لما ذكر الرسول ﷺ لأصحابه أوصاف المسيخ الدجال، وقال لهم: « **إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج، ولست فيكم، فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه طافية، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف** ».

وفي رواية: « **فإنها جواركم من فتنته، إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاثٌ يمينًا، وعاثٌ شمالاً.. فلما وجدهم قلقين.. قال لهم: يا عباد الله، اثبتوا..** »[٢].

وهذه العبارة الأخيرة، هي التي اعتبرتها نصًا للوصية، لأننا أصبحنا في زمن كثرت فيه الفتن، وتوالت فيه المغريات، وأقبلت الدنيا حاشدة خيلها ورجلها وعسكرها، مغررة بالقلوب، ومغرية للأنفس بنعيم الدنيا الزائف، ومتاعها الفاني.. فما أحوجنا إلى تلك الوصية النبوية العظيمة: « **يا عباد الله، اثبتوا** » والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، كما قال بذلك أهل العلم.

أحبتي الكرام..

إنَّ الثبات أمام الشدائد والمحن والخطوب، وأمام تلوث الدنيا ومغرياتها سمة من سمات المؤمنين الراشدين، الذين يعلمون أن الفتن، إنما هي تمحيص للمؤمنين، وفتنة للغافلين اللاهين..

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، جزء من حديث.

(٢) هو نفس الحديث السابق.

فما هو الثبات؟ وما معناه؟ وما هي صور الثبات في حياة المسلم؟

والثبات هو عدم التحول، ولذلك كان النبي ﷺ إذا سافر يتعوذ من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور[١]..

والثبات معناه: أن يستمر المرء في طريق الهداية، والالتزام بمقتضيات هذا الطريق، والمداومة على الخير، والسعي الدائم للاستزادة..

ولقد ذكر الله ﷻ في محكم التنزيل صورًا متعددة للثبات في حياة المسلم، ومن تلك الصور التي ذكرها القرآن الكريم، صورة الثبات في المعركة، أمام جحافل أعداء الله ورسوله، فالمؤمنون الصادقون، لا يزيدهم صليل السيوف، وزمجرة الموت إلا ثباتًا وتضحية، وانطراحًا بين يدي الواحد الأحد، مؤملين في عونه ومدده ومغفرته.. ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾** ﴾ [آل عمران: ١٤٦، ١٤٧].

نعم في أحلك ساعات الخوف والشدة والكربة ثبات على الحق، وإيمان عميق، يقود إلى تماسك وتمسك، وعبودية مطلقة للواحد الأحد، وهكذا هم رجال الموقف ورجال الحسم، الذين لا تعصف بهم الرياح، كما تعصف بغيرهم من أصحاب الإيمان الواهن الضعيف ﴿ **وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

لقد كانت نتيجة ذلك الصبر، والثبات حميدة سعيدة في الدنيا، مع ما ينتظر أصحابها من حسن الجزاء في الآخرة.

لقد كانت مسألة الثبات على دين الله ﷻ الشغل الشاغل لرسول الله ﷺ وكانت هي القضية التي تشغل فكر أصحابه من بعده، وهي القضية التي أتعبت أذهان العلماء والصلحاء والفضلاء.. فلقد كان رسولنا ﷺ كثيرًا ما يدعو: «**اللهمَّ يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك**»[٢].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٨٠١)، و«الصحيحة» (٢٠٩١).

وها هو حذيفة ﷺ يحذر العلماء بقوله: يا معشر القراء، استقيموا فإن أخذتم يمينًا وشمالاً، لقد ضللتم ضلالاً بعيدًا.

وكان عبد الله بن مسعود ﷺ كثيرًا ما يدعو بهذا الدعاء: « اللهمَّ إني أسألك يمينًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد ».

ويقول شداد بن أوس ﷺ: كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات ندعوا بهن في صلاتنا: « **اللهمَّ إني أسألك الثبات في الأمر، وأسألك عزيمة الرشد** »[١].

وهكذا فالثبات صفة العظماء والأخيار النبلاء، الذين اصطفاهم الله، وأراد الله بهم الخير في الدنيا والآخرة.

إنَّ صفة الثبات على الإسلام، والاستمرار على منهج الحق نعمة عظيمة، حبى الله بها أولياءه، وصفوة خلقه، وامتن عليهم بها، فقال مخاطبًا عبده ورسوله محمدًا ﷺ: ﴿ **وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٧٤]. ويتبين أهمية الثبات في وقت المحن والفتن، فعندها تطيش القلوب وتتقلب يمنة ويسرة، ولا نجاة لها إلا بالثبات.

ولقد شبه الرسول ﷺ قلب ابن آدم حينما قال: « **لقلب ابن آدم أشد انقلابًا من القدر، إذا اجتمعت غليانًا** »[٢].

ويضرب للقلب مثلاً آخر، فيقول: « **إنما مثل القلب كمثل ريشة في أصل شجرة يقلبها الريح ظهرًا لبطن** »[٣].

فسبق حديث الرسول الأعظم ﷺ..

ومـا سُـمي الإنـسان إلا لنـسيانه ولا القلـب إلا أنـه يـتقلب

---

(١) حسن: رواه أحمد والنسائي والترمذي، وذكره الألباني في « الصحيحة » (٣٢٢٨)، وضعفه في « ضعيف الجامع ».

(٢) **صحيح**: رواه أحمد والحاكم، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٥١٤٧)، و« الصحيحة » (١٧٧٢).

(٣) صحيح: رواه أحمد والطبراني، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٣٦٥)، والمشكاة (١٠٣).

أحبتي في الله..

ولقد كانت دعوة الحبيب المصطفى ﷺ واضحة جلية منذ أيامها الأولى.. فحينما رأى كفار قريش دعوة الرسول ﷺ والتفاف الناس حوله، أرادوا أن يجروه إلى التفاوض على المبدأ وسياسة الترقيع، والقبول بالحلول الوسط، والمنافع المشتركة، خاطبه الله ﷻ بقوله: ﴿ **قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦** ﴾ [الكافرون: ١-٦].

عرضوا عليه أن يعبدوا إلهه - أي رب العزة والجلال - سنة، ويعبد آلهتهم أو أصنامهم سنة، لكن الرسول ﷺ كانت عقيدته راسخة وثابتة.. وعن عقيل بن أبي طالب ﷺ قال: جاءت قريش إلى أبي طالب، فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا من كنس، أو قال: خنس، يقول: بيت صغير، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر، فلما أتاهم، قال: إنَّ بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم، فحلّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء، فقال: « **ترون هذه الشمس؟** » قالوا: نعم.. قال: « **فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشعلوا منه بشعلة** ».

وفي رواية: « **والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحد من هذه الشمس شعلة من نار** ».

فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قط، فارجعوا راشدين(١).

وصورة أخرى للمساومة، تجلت في التلميح بالتهديد والإغراء في آنٍ واحد، وذلك بتوعده، ثم إغرائه، وعرض المناصب، والمال والنساء عليه، فأبى عليهم..

فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: اجتمعت قريش للنبي ﷺ يومًا، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه، ولينظر ما يرد عليه، فقالوا: ما نعلم أحدًا غير عتبة بن ربيعة.. قالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة، فقال: أما والله ما رأينا سخلة أشأم على قومك منك، فرقتَ جماعتنا، وشتّتَ أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب،

---

(١) حسن: رواه الطبراني في « الأوسط »، وفيه أبو بلال الأشعري ضعيف.

حتى طار فيهم، أنَّ في قريش ساحرًا، وأنَّ في قريش كاهنًا، ما ينظر إلى مثل منيحة الحبلة، بأن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف، حتى نتفانى، أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجة، جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباءة، فاختر أيَّ نساء قريش فنزوجك عشرًا..

وفي رواية ابن إسحاق: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً، جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تريد شرفًا سودناك علينا فلا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا.. فقال رسول الله ﷺ له: «**أفرغت؟**».. قال: نعم.. فقال رسول الله ﷺ: «**اسمع مني.. ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾** [فصلت: ١، ٢] حتى بلغ قوله تعالى: **﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾** [فصلت: ١٣] فقال عتبة: حسبك، ما عندك غير هذا؟ قال: «**لا**»..

ومن أولئك الذين ثبتوا في الشدائد (غلام الأخدود).. نعم إنه غلام صغير لكنه ثبت في مواجهة ذلك الحاكم الطاغية، وصدع بالحق، حتى أسلم الناس، وآمنوا بربهم، فقال الناس: آمنا برب الغلام..

ومن الذين ثبتوا في قصة أصحاب الأخدود (الراهب والأعمى) فقد تخلى الأعمى عن جميع متع الحياة الدنيا في مقابل أن يظفر بعقيدته..

وإنَّ الراهب قد انتصر في معركة بقائه أو بقاء عقيدته، فاختار أن تبقى العقيدة ولو خسر حياته..

وأما الأعمى فقد انتصر مرتين: انتصر عندما تخلى عن مكانته عند الملك مع ما في ذلك من جاه ومكانة، وانتصر عندما تخلى عن حياته في مقابل عقيدته.

وكذلك ثبت أتباع موسى عليه السلام لما أسلموا وتخلصوا من رق العبودية لفرعون، فأصبحوا عبيدًا لله، وفازوا بالثواب العظيم من الرب الكريم..

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝٤٨ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٩ قَالُواْ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝٥٠ إِنَّا نَطْمَعُ

أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشعراء: ٤٧-٥١].

نعم.. هكذا تنتصر المبادئ والقيم، وهكذا تثبت الجبال شامخة فلا تؤثر فيها قوة الأعاصير، ولا هبوب الرياح.

وقد ثبت على الحق، ولم يبال بالباطل، مؤذن الرسول ﷺ بلال بن رباح ﷺ كانوا يلبسونه دروع الحديد، ويصهرونه بأشعة الشمس المتقدة، ويلهبون ظهره بالسياط.. فما كان يقول غير: «أحدٌ أحدٌ» ويشتدون عليه في النكال، فيهتف: «أحدٌ أحدٌ»، كانوا يحملونه على ذكر اللات والعزى، فيذكر الله ورسوله، ويقولون له: قل كما نقول، فيجيبهم: إن لساني لا يحسنه.. فيمعنون في إيذائه وتعذيبه..

وكان الطاغية الجبار [أمية بن خلف] إذا ملَّ من تعذيبه طوق عنقه بحبل غليظ وأسلمه إلى السفهاء والولدان، وأمرهم أن يطوفوا به في شعاب مكة، وأن يجروه في أباطحها، فكان بلال ﷺ يستعذب هذا النشيد: «أحدٌ أحدٌ».

أحبتي في الله..

وهذا هو أحد الأعلام.. بل الجبال الشوامخ.. الرواسي في الثبات.. إنه الصحابي الجليل [خباب بن الأرت] ﷺ لما بلغ أم أنمار سيدته أنه أسلم استشاطت غضبًا، وتميزت غيظًا، وصحبت أخاها «سباع بن عبد العزى» ولحق بهم جماعة من فتيان (خزاعة) ومضوا جميعًا إلى خباب.. فقال له سباع: لقد بلغنا عنك نبأ لم نصدقه، فقال خباب: وما هو؟

فقال سباع: يشاع أنك صبأت وتبعت غلام بني هاشم.

فيقول خباب في هدوء: ما صبأت، وإنما آمنت بالله وحده لا شريك له، ونبذت أصنامكم، وشهدت أن محمدًا عبد الله ورسوله.. فما أن لامست كلمات خباب أسماع (سباع) ومن معه، حتى انهالوا عليه، وجعلوا يضربونه بأيديهم، ويركلونه بأقدامهم، ويقذفونه بما يصلون إليه من المطارق، وقطع الحديد، حتى هوى إلى الأرض.. فاقد الوعي، والدماء تنزف منه..

وهذا ما يملكه الطغاة في مواجهة أهل الحق، ولكن أهل الحق ثابتون عليه..

ويحدثنا خباب بنفسه فيقول: إنه دخل ذات يوم على عمر بن الخطاب ﷺ وهو في خلافته، فأعلى عمر مجلسي، وبالغ في تقريبي له، ثم قال لي: ما أحد أحق منك بهذا المجلس غير بلال، ثم سأله عن أشد ما لقي من أذى المشركين.. فاستحيا أن يجيبه، فلما ألح عليه، أزاح رداءه عن ظهره، فجفل عمر مما رأى، وقال: كيف صار ذلك؟ فقال خباب: لَوقد المشركون لي حطبًا حتى أصبح جمرًا، ثم نزعوا عن ثيابي، وجعلوا يجرونني عليه، حتى سقط لحمي عن عظام ظهري ولم يطفئ النار، إلا الماء الذي نزل من جسدي.

أرأيتم كيف كان هؤلاء الأبطال ثابتون على الحق مهما فعل بهم أهل الباطل ولم تكن أم أنمار أقل قسوة على سيدنا [خباب] ﷺ من أخيها سباع فقد رأت رسول الله ﷺ يمر بدكانه يومًا ويكلمه، فجن جنونها لما رأت ذلك، فكانت تأخذ حديدة محماة من كيره، حتى إذا اشتد احمرار الحديدة، وضعتها على رأسه، حتى يدخن رأسه، ويغمى عليه، وهو يدعو عليها، وعلى أخيها سباع.

أحبتي الكرام..

هؤلاء الأعلام مثلٌ عليا في الثبات على الحق.. في الثبات على الدين.. في الثبات على كل فضيلة، مهما حاول الباطل.. وغير هؤلاء من أصحاب الحبيب المصطفى ﷺ كثير..

أحبتي الكرام..

وهذا هو علمٌ آخر من الجبال الراسيات في الثبات على الحق.. إنه الإمام الزاهد المحدِّث (أحمد بن حنبل) - رحمه الله تعالى - في محنته التي أرادوا فيها أن ينطق بأن القرآن مخلوق، فأبى أن ينطق إلا بالحق، أمر المعتصم أن يأتوا بالإمام أحمد، ليعرضه للحرارة في أشعة الشمس، وهو صائم، وأمر بحضور الجلادين، فلما جيء بالسياط، نظر إليها المعتصم، وقال: ائتوني بغيرها.. ثم قال للجلادين: تقدموا، فجعل يتقدم الرجل إلى الإمام أحمد ويضربه سوطين فيقول المعتصم للجلاد: شد، قطع الله يدك، فلما ضربوه تسعة عشر سوطًا، قام المعتصم، وقال: يا أحمد، علام تقتل نفسك، إني والله عليك لشفيق، فجعل عجيف ينخسني بقائمة السيف، ويقول لي: أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم، وجعل بعضهم يقول: ويلك الخليفة على رأسك قائم، وقال بعضهم: يا أمير المؤمنين، دمه في عنقي اقتله..

فقال المعتصم: ويحك يا أحمد، ما تقول؟

فقلت: أعطوني شيئًا من كتاب الله، أو سنة رسول الله ﷺ أقول به.. فرجع وجلس، وقال للجلاد: تقدم، وأوجع قطع الله يدك..

وظلوا يضربون الإمام، حتى فقد وعيه، حتى قال له رجل ممن حضر: كببناك على وجهك، وطرحناك على ظهرك، ودسناك بالأقدام..

فقال له: والله ما شعرت بذلك..

يقول الإمام أحمد: فلما أفقت، أتوني بسويق، فقالوا له: اشرب، وتقيأ، فقال: لا أفطر.. ثم جيء به إلى دار إسحاق بن إبراهيم، فحضرت صلاة الظهر، فتقدم ابن سماعة، وصلى، فلما انفتل من الصلاة، قال للإمام: صليت والدم يسيل منك؟

فقال له: لقد صلى عمر بن الخطاب، وجرحه يثغب دمًا..

فهذا مثلٌ عظيم لرجل عظيم، من رجال الحق، الذين ثبتوا عليه، ودافعوا عنه، المضحي بنفسه.. فرضي الله عن هذا الإمام، ورضي الله عن أصحاب رسول الله ﷺ من قبله.

أحبتي الكرام..

وهذا غلام صغير ينطق بالحق، ولا يخشى الباطل، لأنه يرى أن الباطل ضعيف حتى ولو بدا قويًا.. يذكر هذه القصة في الثبات صاحب كتاب «علماء في مواجهة الحكام» (ص٢٥):

بينما الحجاج جالسًا في منظرة له، وعنده وجوه أهل العراق، أتى بصبي من الخوارج يبلغ من العمر نحو بضع عشرة سنة، وله ذؤابتان مرخيتان قد بلغتا خصره، فلما أدخل عليه، لم يعبأ بالحجاج، ولم يكترث به، وإنما صار ينظر إلى بناء المنظرة وما فيها من العجائب، ويلتفت يمينًا وشمالاً، ثم اندفع يقول: ﴿ **أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ** ﴿١٢٨﴾ **وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ** ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الشعراء: ١٢٨، ١٢٩].

وكان الحجاج متكئًا فاستوى في مقعده، وقال: يا غلام، إني أرى لك عقلاً وذهنًا، أحفظت القرآن؟

قال الغلام: أوخفت عليه من الضياع، حتى أحفظه، وقد حفظه الله تعالى؟

قال: أفجمعت القرآن؟

قال الغلام: أوكان مفرقًا حتى أجمعه؟

قال: أفأحكمت القرآن؟

قال: أليس الله أنزله محكمًا؟

قال الحجاج: أفاستظهرت القرآن؟

قال: معاذ الله أن أجعل القرآن وراء ظهري.

فقال الحجاج وقد ثار غضبًا: ويلك، قاتلك الله، ماذا أقول؟

قال الغلام: الويل لك ولقومك، قل: أوعيت القرآن في صدرك؟

فقال الحجاج: فاقرأ شيئًا.

فاستفتح الغلام: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ** ﴾ يخرجون من ﴿ **دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا** ﴾ [النصر: ١، ٢].

فقال الحجاج: ويحك، إنهم يدخلون.

فرد الغلام قائلاً: كانوا يدخلون، أما اليوم، فقد صاروا يخرجون!

فقال الحجاج: ولمَ؟

قال الغلام: لسوء فعلك بهم.

فقال الحجاج: ويلك يا غلام! وهل تعرف من تخاطب؟

فقال الغلام: نعم، شيطان ثقيف: الحجاج.

قال الحجاج: ويلك، من رباك؟

قال الغلام: الذي زرعك.

قال الحجاج: فمن أمك.

قال الغلام: التي ولدتني.

قال الحجاج: فأين وُلدت؟ قال: في بعض الفلوات.

قال الحجاج: فأين نشأت؟ قال الغلام: في بعض البراري.

قال الحجاج: أمجنون أنت فأعاجلك؟

قال الغلام: لو كنت مجنونًا لما وصلت إليك، ووقفت بين يديك، كأنني ممن يرجو فضلك، أو يخاف عقابك.

قال الحجاج: فما تقول في أمير المؤمنين؟

فقال الغلام: رحم الله أبا الحسن ﷺ وأسكنه جنان خلده.

فقال: ليس هذا ما عنيت، إنما أعني عبد الملك بن مروان.

فقال الغلام: على الفاسق الفاجر، لعنة الله.

فقال: ويحك، بم استحق اللعنة؟

قال: أخطأ خطيئة، ملأت ما بين السماء والأرض.

قال الحجاج: ما هي؟

قال الغلام: استعماله إياك على رعيته، تستبيح أموالهم، وتستحل دماءهم.

فالتفت الحجاج إلى جلسائه، وقال: ما تشيرون في هذا الغلام؟

قالوا: اسفك دمه، فقد خلع الطاعة، وفارق الجماعة.

فقال الغلام: يا حجاج، جلساء أخيك فرعون خير من جلسائك، حيث قالوا لفرعون عن موسى وأخيه: ﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ [الأعراف: ١١١] وهؤلاء يأمرون بقتلي.

فقال الحجاج: هذب ألفاظك، وقصر لسانك، فإني أخاف عليك بادرة الأمر وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم.

فقال الغلام: لا حاجة لي بها، بيض الله وجهك، وأعلى كعبك.

فالتفت الحجاج إلى جلسائه، وقال: هل علمتم ما أراد بقوله: بيض الله وجهك، وأعلى كعبك..

قالوا: الأمير أعلم.

قال: أراد بقوله: بيض الله وجهك: العمى والبرص. وأعلى كعبك: الصلب والتعليق، ثم التفت إلى الغلام وقال: ما تقول فيما قلت؟

قال الغلام: قاتلك الله، ما أفهمك؟

فاستشاط الحجاج غضبًا، وأمر بضرب عنقه، وكان الرقاشي حاضرًا.

فقال: أصلح الله الأمير: هبه لي.

قال الحجاج: هو لك، لا بارك الله فيه.

فقال الغلام: والله لا أرى أيكما أحمق من صاحبه؟ الواهب أجلاً قد حضر أم المستوهب أجلاً لم يحضر؟

فقال الرقاشي: استنقذتك من القتل وتكافئني بهذا الكلام.

فقال الغلام: هنيئًا لي الشهادة إن أدركتني السعادة، والله إنَّ القتل في سبيل الله أحب إليَّ من أن أرجع إلى أهلي صفر اليدين.

فأمر له الحجاج بجائزة، وقال: يا غلام، قد أمرنا لك بمائة ألف درهم، وعفونا عنك لحداثة سنك، وصفاء ذهنك، وحسن توكلك على الله.

فقال الغلام: العفو بيد الله، لا بيدك، والشكر له لا لك، ولا جمع الله بيني وبينك.. ثم همَّ بالخروج، فابتدره الغلمان، فقال الحجاج: دعوه، فوالله ما رأيت أشجع منه قلبًا، ولا أفصح منه لسانًا، ولعمري ما وجدت مثله قط. وعسى هو لا يجد مثلي.. فإن عاش هذا الغلام، ليكونن أعجوبة عصره..

اللهمَّ إنا نسألك الثبات في الأمر.. اللهمَّ ثبت قلوبنا على طاعتك.. ثبت قلوبنا على دينك.. ثبت قلوبنا على سنة رسولك ﷺ.

اللهمَّ انهج بنا مناهج المفلحين.. وألبسنا حلة الإيمان واليقين.. وخصنا منك بالتوفيق المبين.. ووفقنا لقول الحق واتباعه.. وخلصنا من الباطل وابتداعه.. وكن لنا مؤيدًا.. ولا تجعل لفاجر علينا يدًا.. واجعل لنا عيشًا رغدًا.. ولا تشمت بنا عدوًا ولا حاسدًا.. وارزقنا علمًا نافعًا وعملاً متقبلاً، وفهمًا ذكيًا.. يا رب العالمين..

❁❁❁

الوصية رقم (٤٨)

اسمحوا يسمح لكم

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « **اسمح يسمح لك** »[١].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي الكرام..

ما أعظم الرسول المصطفى ﷺ وما أبلغه؟! وما أعظم أخلاقه الشريفة الطيبة.. نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وعبد ربه حتى لبى داعيه.. وجاهد في سبيله حتى أجاب مناديه، وعاش طوال عمره يمشي على شوك الأسى، ويخطو على جمر الكيد والعنت يلتمس الطريق لهداية الضالين.. وإرشاد الحائرين.. حتى علم الجاهل.. وقوَّم المعوج.. وأمن الخائف.. وطمأن القلق.. ونشر أضواء الحق والخير والإيمان والتوحيد، كما تنشر الشمس ضياءها في رابعة النهار.

فاللهمَّ أجزه عنا خير ما جزيت نبيًا عن أمته، ورسولاً عن دعوته ورسالته، وصية عبارة عن كلمات ثلاث فقط.. « **اسمح، يسمح لك** » ومع ذلك تحمل معاني البر والخير، تحمل مكارم الأخلاق الطيبة.. حقًا لقد أوتي جوامع الكلم.. لقد قال في الحديث الشريف: « **فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم ..** »[٢] فإنه تقع فيه المعاني الكثيرة، بالألفاظ القليلة..

قال المناوي - رحمه الله - في معناه:

أي عامل الخلق الذين هم عيال الله وعبيده بالمساحة والمساهلة، يعاملك سيدهم بمثله في الدنيا والآخرة[٣]..

---

(١) صحيح: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ورواه الطبراني والبيهقي، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (٩٨٢)، و« صحيح الترغيب » (١٧٤٩).

(٢) رواه مسلم والترمذي.

(٣) « فيض القدير » للمناوي (١/ ٦٥٤).

قال: وفي الإنجيل:

إن غفرتم للناس خطاياهم، غفر لكم أبوكم[١] السماوي خطاياكم، وإن لم تغفروا للناس خطاياهم لم يغفر لكم.. وفيه: لا تحبوا الحكم على أحد لئلا يحكم عليكم، اغفروا يغفر لكم.. أعطوا تعطوا.

وقال بعض الحكماء: أحسن إن أحببت أن يحسن إليك، ومن قل وفاؤه، كثر أعداؤه.. وهذا من الإحسان المأمور به في القرآن الكريم المتعلق بالمعاملات، وهو حث على المساهلة في المعاملة، وحسن الانقياد، وهو من سخاوة الطبع، وحقارة الدنيا في القلب، فمن لم يجده من طبعه، فليتخلق به، فعسى أن يسمح له الحق بما قصر فيه من طاعته، وعسر عليه في الانقياد إليه في معاملته، إذا أوقفه بين يديه لمحاسبته[٢]. انتهى.

أحبتي في الله..

والسماحة المقصودة بالحديث هنا، أو في الوصية التي نعيش تحت ظلالها.. هي السماحة العامة.. التي يراد بها تسهيل الأمر.. ففي الأثر: أن ابن عباس سُئل عن رجل شرب لبنًا محضًا أيتوضأ؟ قال: اسمح يسمح لك.. معناه: سهل يسهل لك وعليك..

فالمقصود التسامح مع الغير في المعاملات المختلفة، ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها.. وسماحة المسلمين التي تبدو في تعاملاتهم المختلفة، سواء مع بعضهم أو مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.

ومن طبيعة النفس السمحة أن يكون صاحبها هينًا لينًا، يتقبل ما يرجى به القضاء والقدر، بالرضا والتسليم، ويحاول أن يجد لكل ما يجري به ذلك حكمة مرضية، وإن كان مخالفًا لهواه، ويراقب دائمًا قول الله ﷻ: ﴿ **فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء: ١٩].

أحبتي في الله..

إنَّ الإسلام دين اليسر والسماحة، وكل شرائعه قائمة على هذا الأساس. قال تعالى: ﴿ **يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ** ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال: ﴿ **وَمَا جَعَلَ**

(١) الذي في السماء هو الله الأحد وليس أبًا لأحد.

(٢) «فيض القدير» (١/ ٦٥٥) للمناوي.

عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨].

ومن سماحة الإسلام نهيه عن الإكراه على قبوله، قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ... ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال تعالى: ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الغاشية: ٢٢-٢٤].

ولم تقف سماحة الإسلام عند هذا الحد، بل أمر الإسلام باحترام الكافرين المسالمين وصيانة دمائهم وأموالهم، قال ﷺ: « **ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة** »[(١)].

وقال: « **من قتل معاهدًا، لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين خريفًا** »[(٢)]. وفي رواية لأبي داود: « **من قتل معاهدًا في غير كنهه، حرم الله عليه الجنة** »[(٣)].

وأعظم من ذلك كله أن دين الإسلام، أذن للمسلم أن يبر أقاربه الكفار، وأمره أن يحسن إليهم، ويقسط فيهم.. قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨]، وقال: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٨]. نزلت في سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه.

قالت أم سعد رضي الله عنها: أليس قد أمرك الله بالبر، والله لا أطعم طعامًا، ولا أشرب شرابًا حتى أموت أو تكفر، قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها.. فنزلت هذه الآية[(٤)].

وروي عن سعد أنه قال: كنت بارًّا بأمي، فأسلمت، فقالت: لتدعن دينك أو لا آكل، ولا أشرب، حتى أموت، فتعير بي، ويقال: يا قاتل أمه، وبقيت يومًا ويومًا،

---

(١) صحيح: « صحيح سنن أبي داود » برقم (٣٠٥٢)، و« الصحيحة » (٤٤٥)، و« صحيح الجامع » (٢٦٥٥).

(٢) رواه البخاري والنسائي وابن ماجة.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٢٧٦٠) ألباني والنسائي، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٤٥٣).

(٤) رواه مسلم وأحمد والترمذي (٣١٨٩) وقال: حسن صحيح.

فقلت: يا أماه، لو كانت لك مائة نفس، فخرجت نفسًا نفسًا، ما تركت ديني هذا، فإن شئت فكلي، وإن شئت فلا تأكلي، فلما رأت ذلك، أكلت ونزلت ﴿ **وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي ...** ﴾ [العنكبوت: ٨][١].

أما آية ﴿ **لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ ...** ﴾ فنزلت في أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وكان لها أم في الجاهلية يقال لها (قُتيلة بنت عبد العزى) فأتتها بهدايا، فقالت: لا أقبل لك هدية، ولا تدخلي عليَّ حتى يأذن رسول الله ﷺ فذكرت ذلك عائشة لرسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية..

فالآية كلها سماحة وبر وعطف، وتيسير وتسهيل لبر الأقارب الذين ليسوا على دين الإسلام، ماداموا غير مقاتلين لنا..

فما أعظمها من آية كريمة، بها أرسى الله ﷻ قاعدة التعامل بين المسلمين وغيرهم، ممن ليسوا على ديننا، حيث يطلب الله ﷻ من المسلمين أن يحسنوا معاملة من لم يقاتلوهم، ممن ليسوا على دينهم.. بل يقابلوهم بالحسنى ويعاملوهم بالعدل والإحسان والبر والسماحة..

بل إن من أعظم السماحة الإسلامية مع غير المسلمين من اليهود والنصارى، وغيرهم ممن لهم عهد.. عدم ظلمهم وإعطائهم حقوقهم..

فقد اختصم رجل مسلم، وآخر يهودي إلى فاروق الإسلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرأى الحق لليهودي، فقضى له به.. فقال له اليهودي: والله لقد قضيت بالحق، فضربه عمر بالدرة، وقال له: وما يدريك؟

فقال اليهودي: والله إنا لنجد في التوراة: ليس قاض يقضي بالحق، إلا كان عن يمينه ملك، وعن شماله ملك، يسددانه، ويوفقانه للحق، مادام على الحق، فإذا ترك الحق، عرجا وتركاه[٢].

أبعد هذه السماحة في الإسلام سماحة؟ إنَّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما بعث جيوشًا إلى بلاد الشام، خرج يشيعهم، فمشى مع يزيد بن أبي سفيان وكان قد أمره على ربع من

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٣/ ٣٢٨).

(٢) صحيح موقوف: قاله الألباني في «صحيح الترغيب» (٢١٩٧)، ورواه مالك في «الموطأ» (١٢٠٦).

تلك الأرباع، فقال يزيد لأبي بكر: إما أن تركب، وإما أن أنزل، فقال له: ما أنت بنازل، ولا أنا براكب.. إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله.. ثم قال: إنك ستجد قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فدعهم وما زعموا.. وإني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة ولا صبيًا، ولا كبيرًا هرمًا. ولا تقطع شجرًا مثمرًا، ولا تخربن عامرًا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرًا إلا لمأكلة، ولا تغرقن نخلاً ولا تحرقنه، ولا تغلوا ولا تجبنوا»[1].

إنها سماحة الإسلام.. إنه دين سمح.. دين يسر..

وهذا عمر بن الخطاب ﷺ يشد النكير على الجندي المسلم، ألا يعطي أحدًا أمانًا ثم يغدر به، لتنافي ذلك مع مبادئ الإسلام..

ولما شكا إليه أحد أقباط مصر، من أن ابن والي مصر (عمرو بن العاص) قد لطم ابنه، لما غلبه في سباق، فقال له: أتسبق ابن الأكرمين، فما كان من عمر إلا أن أمر بحضور والي مصر، وابنه، إلى مكة في موسم الحج، وفي جمع كبير من الناس، أعطى عمر الدرة للقبطي، وأمره أن يقتص من ابن الأكرمين ثم اتجه إلى عمرو، وقال له تلك الكلمة المأثورة:

«متى تعبدتم - أي استعبدتم - الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟!».

أحبتي الكرام..

لقد أطلنا في هذا النوع من السماحة.. لكن سماحة الإسلام أشمل من ذلك وأعم.. إنها السماحة في البيع والشراء والاقتضاء.. قال رسول السماحة ﷺ: «**رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى**»[2]. وفي حديث آخر: «**إنَّ الله يحب سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء**»[3]. وعند ابن ماجة من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**رحم الله عبدًا سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا اقتضى**»[4].

---

(١) «جامع الأصول» لابن الأثير (٣/ ٢١٠).

(٢) رواه البخاري.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي والحاكم، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٩٩)، و«صحيح الجامع» (١٨٨٨)، و«صحيح الترغيب» (١٧٤٨).

(٤) **صحيح**: «صحيح سنن ابن ماجة» (٢٢٠٣).

قال ابن بطال – رحمه الله –:

فيه الحض على السماحة، وحسن المعاملة، واستعمال معالي الأخلاق ومكارمها، وترك المشاحة والرقة في البيع، وذلك سبب إلى وجود البركة فيه، لأن النبي ﷺ لا يحض أمته إلا على ما فيه النفع لهم في الدنيا والآخرة. فأما فضل ذلك في الآخرة، فقد دعا ﷺ بالرحمة لمن فعله، فمن أراد أن تناله بركة دعوة النبي ﷺ فليقتد بهذا الحديث، ويعمل به[١].

وقال المناوي – رحمه الله – في فيض القدير:

قال الطيبي: رتب المحبة عليه، ليدل على أن السهولة والتسامح في التعامل سبب لاستحقاق المحبة، ولكونه أهلاً للرحمة.. وفيه فضل المسامحة في الاقتضاء وعدم احتقار شيء من أعمال الخير، فلعلها تكون سببًا لمحبة الله تعالى، التي هي سبب للسعادة الأبدية[٢].

فما هي السماحة في البيع والشراء والاقتضاء؟

أماالسماحة في البيع، فمعناه: أن لا يكون البائع شحيحًا بسلعته، مستقصيًا في ثمنها، مغالبًا في الربح منها، مكثرًا في المساومة فيها، بل يكون كريم النفس فيها راضيًا باليسير من الربح، مقلاً من الكلام.

وأما السماحة في الشراء فمعناه: أن يكون المشتري سهلاً في كياسة، لا يدقق في القليل خصوصًا إذا كانت السلعة شيئًا هينًا، ولا يسأم البائع في الأخذ والرد، وتعطيله عن المشترين الآخرين، وأن لا يكثر من التقليب في البضاعة، بعد أن عرفها، ووقف على حقيقتها.

السماحة في البيع والشراء بتجنب الحلف، لترويج السلعة، وقد قال الله ﷻ في كتابه: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ ... ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

وقد حذر الرسول الأعظم ﷺ من ذلك، فقال: « **إياكم وكثرة الحلف في البيع،**

---

(١) « شرح ابن بطال » (١١/ ٢١٣).

(٢) « فيض القدير » (١/ ٢٢٧) للمناوي.

فإنه ينفق - أي يروج السلعة - ثم يمحق»[١].

السماحة في البيع والشراء أن يكون البائع صادقًا، مبينًا موضحًا لشأن السلعة. قال ﷺ: «**فإن صدقا وبينا، بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا، محقت بركة بيعهما**»[٢].

السماحة في البيع أن يبصر المشتري بإظهار العيب في السلعة إن كان بها عيبًا لأن النصح واجب من المسلم إلى المسلم، لما بايع النبي ﷺ جرير بن عبد الله البجلي ﷺ على الإسلام، ثم ذهب لينصرف، فجذب رسول الله ﷺ ثوبه، واشترط عليه النصح لكل مسلم.

فكان جرير ﷺ إذا قام إلى السلعة ليبيعها بصره بعيوبها، ثم خيره قائلاً: إن شئت فخذ، وإن شئت فاترك، فقيل له: إنك إذا فعلت ذلك، لم ينفذ لك بيع، فقال: إنما بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم.

وكان واثلة بن الأسقع واقفًا في السوق فباع رجل ناقة له بثلثمائة درهم فغفل واثلة، وقد ذهب الرجل بالناقة، فسعى وراءه، وجعل يصيح به، يا هذا، يا هذا، اشتريتها للحم أم للظهر؟ فقال: بل للظهر.. قال: إن بخفها ثقبًا قد رأيته، وإنها لا تتابع السير، فعاد فردها، فنقصها البائع مائة درهم.. فقال لواثلة: رحمك الله، أفسدت عليَّ بيعي، فقال: إنا بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم[٣].

أحبتي الكرام..

أما السماحة في الاقتضاء فما المقصود بها أن يطلب حقه أو دينه في هوادة بلا عنف.. وفي لين بلا شدة، وأن يراعى حال المدين، فإن كان معسرًا أنظره بل إن كانت حالته لا تسمح بالسداد، تصدق عليه بحقه، أو بعضه، كما قال تعالى: ﴿**وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٨٠].

السماحة في الاقتضاء تقتضي بأن لا يطالب الدائن المدين على مشهد من الناس، لكي يحرجه أو يفضحه أمام الآخرين..

(١) رواه مسلم وأحمد.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

(٣) «الإحياء» للغزالي (٣/ ٩٩).

السماحة في الاقتضاء أن لا يلح في طلب دينه، أو يطالب به في أوقات غير مناسبة.. قال ﷺ: «**من طالبِ حقًّا، فليطلبه في عفاف وافٍ أو غير واف**».

وأما السماحة في القضاء، فأن يرد الحق إلى صاحبه في الموعد المحدد، دون أن يكلفه عناء المطالبة، أو المقاضاة..

قال الغزالي - رحمه الله - في الإحياء:

ومن الإحسان فيه - أي البيع والشراء - حسن القضاء، وذلك بأن يمشي إلى صاحب الحق، ولا يكلفه أن يمشي إليه يتقاضاه، فقد قال ﷺ: «**خيركم أحسنكم قضاء**»(١). فإذا وجده معسرًا، أنظره، أو وضع عنه، قال ﷺ: «**من أنظر معسرًا أو وضع عنه، أظله في ظله**»(٢).

وفي رواية: «**من أنظر معسرًا، أو وضع عنه، أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله**»(٣).

أحبتي في الله..

رحم الله عبدًا سمحًا، إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى.. المؤمن لابد أن يكون هينًا لينًا، سهلاً ميسورًا.. فإذا كان كذلك كان من ورثة جنة النعيم.. يوم لا ينفع بيع ولا خلة ولا شفاعة..

قال ﷺ: «**أدخل الله عز وجل رجلاً كان سهلاً مشتريًا وبائعًا وقاضيًا ومقتضيًا، الجنة**»(٤). فقد قدم الجزاء هنا لمزيد التشويق والترغيب.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم بمن يحرم على النار، أو بمن تحرم عليه النار؟ على كل قريب هين سهل**».

وكان سيد الأولين والآخرين ﷺ المثل الأعلى في السماحة، فعن أبي رافع، مولى

---

(١) متفقٌ عليه.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد وابن ماجة والبخاري في «الأدب المفرد».

(٣) **صحيح**: رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٨٣).

(٤) «صحيح سنن النسائي» (٤٦١٧).

رسول الله ﷺ قال: استسلف رسول الله ﷺ بكرًا - أي جملاً صغيرًا - **فجاءته إبل من** الصدقة..

قال أبو رافع: فأمرني رسول الله ﷺ أن أقضي الرجل بكره..

فقلت: لا أجد في الإبل إلا جملاً خيارًا رباعيًّا.. أي أفضل وأحسن من جمله..

فقال رسول الله ﷺ: «**أعطه إياه، فإنَّ خيار الناس أحسنهم قضاء**» وعند البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان لرجل على رسول الله ﷺ سنٌّ من الإبل، فجاءه يتقاضاه، فقال: «**أعطوه**»، فطلبوا سنه، فلم يجدوا إلا سنًّا فوقها، فقال: «**أعطوه**». فقال الرجل: أوفيتني أوفى الله بك، فقال النبي ﷺ: «**إنَّ خياركم أحسنكم قضاء**»[1].

أحبتي الكرام..

ولسماحة النفس مظاهر عديدة منها:

(١) طلاقة الوجه، واستقبال الناس بالبشر.. قال ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»[2].

وقد أخبر النبي ﷺ أن مجرد البسمة في وجه أخيك المسلم صدقة، فقال: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**»[3]. وقال حبيب بن أبي ثابت: من حسن خلق الرجل أن يحدث صاحبه وهو مبتسم. وفي الصحيحين: «**والكلمة الطيبة صدقة**»[4].

(٢) مبادرة الناس بالتحية والسلام، والمصافحة وحسن المحادثة، **لأن** من كان حسن النفس، بادر إلى ذلك.

قال ﷺ: «**أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل ركعات، والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[5].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم (٢٦٢٦).

(٣) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٧٢).

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) صحيح: رواه أبو داود وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» و«الترغيب».

وسيدنا أبو هريرة ﷺ يقول للرسول الأعظم ﷺ يا رسول الله، إذا رأيتك طابت نفسي، وقرت عيني، فأنبئني عن كل شيء، فقال: « **كل شيء خلق من ماء** »، قال: فأنبئني بعمل إن عملته، دخلت الجنة، فقال: « **أفش السلام، وأطب الكلام، وصل الأرحام، وقم بالليل والناس نيام، تدخل الجنة بسلام** »[1].

ورحم الله القائل:

ألق بالبشر من لقيت من الناس ... جميعًا ولاقهم بالطلاقة

تجنِّ منهم جني ثمار فخذها ... طيبًا طعمه لذي المذاقة

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: من تمام التحية، أن تصافح أخاك[2]..

وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **ما من مسلمين يلتقيان، فيتصافحان إلا غفر لهما من قبل أن يتفرقا** »[3].

(٣) حسن المصاحبة والمعاشرة، والتغاضي عن الهفوات، وعدم التشدد في الأمور، فمن كان سمح النفس، كان حسن المصاحبة لإخوانه، ولأهله، ولأولاده، ولخدمه، ولكل من يخالطه، ولكل من يرعاه.

وقد كان ﷺ حسن العشرة، خفيف المحاسبة والمؤاخذة، متغاضيًا عن المخالفات التي تتعلق به، لا يتشدد في الأمور، ولا يعظم الصغائر، بل يلتمس العذر لمن يقصر معه.. فعن أنس قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أفٍّ، ولا، لم صنعت؟ ولا: ألا صنعت؟[4].

ومن سماحته ويسره، مشاركته أهله في أعمال البيت، ففي البخاري عن الأسود قال: سألت عائشة - رضي الله عنها - ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة، خرج إلى الصلاة.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١٠٨٥).

(٢) ذكره البخاري في « الأدب المفرد » (٩٩٧).

(٣) صحيح: « صحيح سنن أبي داود » (٥٢١٢)، و« الصحيحة » (٥٢٥).

(٤) رواه البخاري ومسلم.

ومن سماحته ورغبته بالأيسر الأسهل من الأمور، أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، إلا أن يكون إثمًا.

ومن سماحته ﷺ ويسره وتواضعه أنه كان يركب الحمار إذا لم يتيسر له غيره، وأنه كان يخصف نعله بيده، ويخيط ثوبه، ويخدم نفسه.

يقول أنس ﷺ لقد رأيته ﷺ يوم خيبر على حمار خطامه ليف..

ومن سماحته، وحسن خلقه، أنه كان يعود المريض، ويتبع الجنازة، ويجيب دعوة المملوك، ويحلب شاته، ويفلي ثوبه، ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين ليقضي لهما الحاجة..

اللهمَّ اقض حوائجنا وحوائج المسلمين..

اللهمَّ اقطع رجاءنا عمن سواك، حتى لا نرجو إلا أنت..

اللهمَّ اجمع بيننا وبين أنبيائك ورسلك وعبادك المؤمنين في الفردوس الأعلى.. وأعذنا أن نشرك بك أحدًا، ونستغفرك من الذنوب التي لا ترضيك عنا.. كما نعوذ بك من الفسق والفجور ودعوة الثبور.. ونعوذ بك من شر فتنة المحيا والممات..

اللهمَّ إنا نسألك الأمن يوم الوعيد، والخلود في جنات النعيم مع المصلين والركع السجود، الموفين بالعهود والوعود.. ولا تجعلنا ممن يخالف قوله فعله.. يا من لا تخالطه الظنون.. ولا يصفه الواصفون، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء..

اللهمَّ يسر أمورنا.. واشرح صدورنا.. وسدد على طريق الحق خطانا.. يا رب العالمين..

الوصية رقم (٤٩)

تصبحوا بسبع تمرات عجوة

عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من تصبح بسبع تمرات عجوة، لم يضره بذلك اليوم سمٌّ، ولا سحر** »[١].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

في هذه الوصية الكريمة المباركة معجزة علمية مبهرة، ولكن بشرط أن نتعمق في دلالاته الطبية.. فقد أوصانا أن نتصبح بسبع تمرات عجوة.. حدد العدد بسبع، وهذا العدد له دلالات كثيرة في الكون، والقرآن، والهدي النبوي.

(١) قال الإمام ابن القيم – رحمه الله –:

أما خاصية السبع، فإنها قد وقعت قدرًا وشرعًا، فقد خلق الله ﷻ السموات سبعًا، والأرضين سبعًا، والأيام سبعًا، والإنسان كمل خلقه في سبعة أطوار، وشرع الله لعباده الطواف سبعًا، والسعي بين الصفا والمروة سبعًا، ورمي الجمار سبعًا، وتكبيرات العيدين في الأولى سبعًا. وقال ﷺ: « **مروا أبناءكم بالصلاة لسبع ...** »[٢]. وإذا صار للغلام سبعًا خُيِّر بين أبويه.. وأمر النبي ﷺ في مرضه أن يصب عليه من سبع قرب.. وسخر الله الريح على قوم عاد سبع ليالٍ، ودعا النبي ﷺ أن يعينه على قومه بسبع كسبع يوسف..

ومثل الله سبحانه ما يضاعف به الصدقة للمتصدق بحبة أنبتت سبع سنابل، والسنابل التي رآها صاحب يوسف سبعًا، والسنين التي زرعوها دأبًا سبعًا، والبقرات السمان والعجاف سبع، وتضاعف الصدقة إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.. ويدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب سبعون ألفًا.. وأنزل القرآن على سبعة أحرف.. والنجوم سبعة، والأيام سبعة.. وخلق الإنسان على أطوار سبع، وغذاؤه من

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) صحيح: تخرج في موضع آخر.

سبع.. وصلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة.. وأعضاء السجود التي تخشع لله سبع.. والبدنة تجزئ عن سبع.. والكافر يأكل في سبع.. والعقيقة بعد سبع.. وأمرنا النبي بسبع.. ونهانا عن سبع، والموبقات سبع.. وغسل الإناء من ولوغ الكلب سبعًا.. والذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله سبع..

فلا ريب أن لهذا العدد خاصية ليست لغيره..

(٢) أن سبع تمرات تزن تقريبًا (٧٠ جرامًا) وهذه الكمية مناسبة جدًّا لجسم الإنسان، وتحتوي على تشكيلة واسعة من المعادن والأملاح والفيتامينات، والتي تضمن امتصاصها في الجسم.

(٣) أن هذه الكمية سوف تساعد الجسم على التخلص من جزء من السموم المختزنة في خلاياه مثل المعادن الثقيلة كالرصاص مثلاً، وهذه السموم قد كثرت في عصرنا بسبب التلوث الكبير للهواء وللماء والغذاء، الذي نتناوله.

(٤) ولقد أشارت الوصية إشارة خفيفة إلى المواد السامة، التي تدخل الجسم بكلمة (سُمٌّ) وأن تناول التمر سوف يخفف كثيرًا من ضرر هذه المواد السامة.

(٥) وأما كلمة (سحر) فقد بين العلماء أن ذلك يقي ويشفي حقًّا من السحر.

(٦) طبعًا لا تعني الوصية، أننا إذا تناولنا سبع تمرات، وتناولنا بعدها مادة سامة، لا يعني أن هذا السم لن يؤثر، بل إذا فعلنا ذلك، فسوف نكون كمن يلقي نفسه إلى التهلكة.. ولذلك ينبغي أن نفهم هذه الوصية على أن التمر يؤثر على السموم في الجسم، فيخفف من تأثيرها، ويكون التأثير فعَّالاً في حالة الحفاظ على سبع تمرات كل يوم كما أمرنا طبيب قلوبنا ﷺ.

أحبتي في الله..

وهذه الوصية الكريمة من الطبيب العظيم سيدنا محمد ﷺ وردت بروايات متعددة، ففي صحيح مسلم: **«من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره سم، حتى يمسي»**[1]. وعند البخاري: **«من اصطبح كل يوم تمرات عجوة لم يضره سمٌّ، ولا سحرٌ**

(١) رواه مسلم والبخاري.

ذلك اليوم إلى الليل »[١].

وعند الترمذي وحمد من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **العجوة من الجنة، وفيها شفاء من السم ..** »[٢].

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: « **إنَّ في تمر العالية شفاء** » أو قال: « **ترياقًا** »؛ وفي رواية لأحمد: « **في عجوة العالية شفاء أو ترياق أو البكرة على الريق** »[٣]، أو كما قال ﷺ.

من المعروف أن التمر، الذي أوصانا النبي ﷺ بتناوله على الريق وأوصانا بالإفطار عليه، فعن سلمان بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: « **إذا أفطر أحدكم، فليفطر على تمر، فإنه بركة، فإن لم يجد فليفطر على ماء فإنه طهور** »[٤]. هذا التمر من شجرة مباركة وهي النخلة، بل هي الشجرة الطيبة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝** ﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥]. روى الحاكم في المستدرك من حديث أنس قال: « ثم أتى رسول الله ﷺ بقناع من بسر، فقرأ: ﴿ **مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ...** ﴾ قال: « **هي النخلة** »[٥].

ووصفها بأنها لا يسقط ورقها، وأنها مثل المؤمن، ففي الصحيحين من حديث عبد الله ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « **إنَّ من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وأنها مثل المؤمن، فحدثوني، ما هي؟** ».

فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت.. فقالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: « **هي النخلة** »[٦].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي وأحمد وغيرهما.

(٣) رواه مسلم وأحمد.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد والترمذي وابن ماجة، وصححه الألباني في « المشكاة » (١/ ٤٤٩) رقم (١٩٩٠) وضعفه في موضع آخر.

(٥) **صحيح موقوف**: « صحيح سنن الترمذي » للألباني (٣١١٩)، ورواه الحاكم (٢/ ٣٨٣)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٦) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

والرسول ﷺ شبه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى ييبس.

وأهم ما يميز شجرة النخيل: رقتها ولينها، فقد أنت وبكت عندما فارقها رسول الله ﷺ بعد أن كان يستند إليها في خطبة الجمعة، فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبرًا؟ فقال ﷺ: «**إن شئتم**» فجعلوا له منبرًا، فلما كان يوم الجمعة، دُفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه، وهي تئن أنين الصبي، الذي يُسكن.. قال: «**كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها**»[1].

ويحدثنا القرآن الكريم، بأنه عندما شعرت السيدة مريم العذراء - عليها السلام - بأنها ستضع حملها، أمرها الله ﷻ أن تهز جذع النخلة، وتأكل الرطب، فقال لها: ﴿ **وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾** ﴾ [مريم: ٢٥، ٢٦].

فلماذا كانت النخلة؟ ولم كان الرطب؟ إنه إعجاز إلهي.. ودعوة من الحق كي نفكر ونتأمل، ونبحث عن السر في ذلك..

فقد جاءت الأبحاث الطبية لتكشف عن آثار الرطب، التي تعادل آثار الأدوية والعقاقير الطبية، الميسرة لعملية الولادة، والتي تكفل سلامة الأم والجنين معًا.

قال أهل العلم: إنَّ الفص الخلفي من الغدة النخامية تفرز هرمون (الأوكسي توسين) اللازم لعملية الولادة، لأنه ينشط انقباض عضلات الرحم، لتيسير هذه العملية، وبعد نزول الجنين يساعد هذا الهرمون على إعادة الرحم إلى سيرته الأولى، فيتضاءل حدوث النزيف الرحمي بعد الولادة، وقد أثبت العلماء والباحثون أن التمر يحتوي على مادة تنبه تقلصات الرحم، وتزيد من انقباضها، وخاصة أثناء الولادة، وهذه المادة تشبه هرمون (الأوكسي توسين).

---

(١) متفقٌ عليه.

كما تبين أن ثمرة النخيل الناضجة تحتوي على مواد قابضة لعضلات الرحم، وتقوي عملها في الأشهر الأخيرة للحمل، فتساعد على الولادة من جهة، كما تقلل كمية النزف الحاصل من جهة أخرى بعد الولادة.

ومن آثار الرطب: أنه يخفف ضغط الدم عند الحامل فترة ليست طويلة، ثم يعود لطبيعته.. كما أن الرطب من المواد الملينة، والتي تنظف القولون، كما أن التمر يحتوي على نسبة عالية من البوتاسيوم، وهو لازم لتوازن كمية الماء داخل خلايا الجسم وخارجها، ولعمليات التمثيل الغذائي للعضلات والمخ.

والتمر يعتبر منجمًا كاملاً من المعادن والفيتامينات والهرمونات التي تحتاج إليها المرأة الحامل، والتي تلد، وللنفساء المرضع..

كما أن التمر يحتوي على تسعة أحماض أمينية، والهرمون يساعد على توسيع عنق الرحم تمهيدًا للولادة..

كما أن الرطب والتمر يحتويان على نسبة عالية من السكريات، وهي سهلة الهضم، والامتصاص، وبذلك تعوض نسبة السكر الناقص في الدم أثناء الصوم، وتزيل الشعور بالضعف العام..

أحبتي الكرام..

قد ذكر الأستاذ المهندس/ عبد الدائم الكحيل تحت عنوان (أسرار العلاج بالتمر) أن التمر غذاء وعلاج للأطفال، بأن التمر يحتوي على السكر الطبيعي، والذي هو سهل وسريع الامتصاص والهضم، لذلك فهو مريح وآمن بالنسبة لمعدة الطفل وأمعائه، ويمكن الاستفادة أيضًا من عصير التمر خصوصًا إذا مزج مع الحليب ليشكل شرابًا مقويًا للأطفال والكبار معًا.. ثم إن مزيج التمر والعسل المصنوع كمادة عجينية يمكن أن يعالج الإسهال عند الأطفال، ويعالج الزحار أيضًا بشرط أن يعطى ثلاث مرات في اليوم.

كما يمكن لهذه العجينة أن تكون بمثابة مادة مهدئة للثة الطفل أثناء بزوغ أسنانه حيث تهدئ لثته وتطريها وتسهل خروج الأسنان..

وهنا نستذكر هدي النبي الكريم ﷺ في تحنيك الطفل بالتمر الممضوغ وإطعامه قليلاً منه بعد ولادته..

أخرج البخاري في صحيحه عن أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها - «أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة، قالت: خرجت وأنا متم، فأتيت المدينة، فنزلت قباء فولدت بقباء، ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها، ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم حنكه بالتمر، ثم دعا له، فبرّك عليه، فكان أول مولود يولد في الإسلام، ففرحوا به فرحًا شديدًا، أنهم قيل لهم: إن اليهود سحرتكم فلا يولد لكم»[1].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: ولد لي غلام، فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم، وحنكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودفعه إليّ[2].

وإذا علمنا أن السكر الموجود في التمر من أسهل أنواع السكاكر امتصاصًا وهضمًا. فإنه يكون مناسبًا للمولود الجديد منذ ولادته على أن يتم مضغه أو نقعه بالماء ليسهل تناوله، وهذا يؤكد أن الرسول الأعظم ﷺ قد سبق الأطباء إلى هذا النوع من التغذية. وكيف لا وهو رسول رب العالمين. لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى..

ويواصل الأستاذ/ عبد الدائم الكحيل حديثه عن فوائد التمر، فيذكر أنه علاج فعَّال للإمساك، يعالج الاضطرابات المعوية، ويساعد الأمعاء على أداء مهامها بفاعلية عالية، كما يساعد على مستعمرة البكتريا النافعة للأمعاء، ولذلك يساعد التمر على علاج الإمساك بشكل جيد، ويقلص عضلات الأمعاء وينشطها بما فيه من ألياف.. ويمكن الاستفادة القصوى من شراب التمر لعلاج الإمساك بنقع حبات من التمر خلال الليل، وتناولها في صباح اليوم التالي كشراب مسهل. ويذكر أنه علاج للكبد والالتهابات، ويخلص الكبد من السموم المتراكمة فيه كما أن شراب التمر يمكنه أن يعالج التهابات الحنجرة والعديد من أنواع الحمى والرشح والزكام.

وأخيرًا أخي المؤمن، إذا كنت ممن يشكون الوهن - أي الضعف - فلا تتردد في تناول سبع تمرات عجوة كل يوم عملاً بوصية الرسول المصطفى ﷺ فهذه التمرات تزن تقريبًا (٧٠ جرامًا) فإذا تناولتها كل يوم، فإن هذا يعني أنك تناولت ٧٠ ملغ من

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

الكالسيوم المفيد للعظام والمفاصل والأعصاب، ويعني أنك تناولت ٣٥ مليجرام من الفوسفور المغذي للمخ والدماغ، ويعني أنك تناولت أكثر من ٧ مليجرام من الحديد المقوي للجسم بشكل عام، والقلب بشكل خاص. وبالفعل يتبين لنا الإعجاز النبوي في وصية النبي ﷺ بتناول التمر.

- ويتبين أن النخلة هبة الله للبشرية، لتكون رزقًا للعباد، قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ [ق: ١٠، ١١]، فهي دائمة العطاء.. يستفيد منها الإنسان في غذائه فيأكل رطبها وتمرها، وحتى جمارها، كما استطب بلقاحها، وصنع من عذوقها المكانس اليدوية، وصنع من خوصها السلال والقبعات والمقاطف، ومن ليفها الحبال، وتحويل رمادها إلى سماد جيد، ويدخل النوى في علف الحيوان وغيره.. مما يجعل المسلم يقر ويعترف ويشهد بجلال الله وعظمته وقدرته.. ويقول: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨]. ويقول: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ ... ﴾.

اللهمَّ هب لنا من لدنك رحمة.. وهيئ لأمة محمد أمرًا رشدًا، وأعزهم بالطاعة ولا تذلهم بالمعصية..

اللهمَّ انصر كتابك وسنة نبيك، وعبادك المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها.. إنك على ما تشاء قدير..

اللهمَّ أصلح فساد قلوبنا.. وانزع الغل والحقد من صدورنا..

اللهمَّ اجعلنا راشدين مهديين..

اللهمَّ أيقظنا من الغفلات.. ونجنا من الدركات، وكفر عنا الذنوب والسيئات..

اللهمَّ اختم لنا بخير عمل، واجعل ثوابنا الجنة يا رحمن يا رحيم.. يا رب العالمين..

❁❁❁❁

الوصية رقم (٥٠)

من عرض عليه طيب فلا يرده

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **من عرض عليه طيب، فلا يرده، فإنه خفيف المحمل، طيب الرائحة** »[١].

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي في الله..

في هذه الوصية الكريمة المباركة كراهة رد الطيب، لمن عرض عليه إلا لعذر، وقد وردت هذه الوصية في صحيح مسلم بلفظ: « **من عرض عليه ريحان فلا يرده، فإنه خفيف المحمل، طيب الريح** »[٢].

وفسر الإمام النووي - رحمه الله - الريحان فقال: هو كل نبت مشموم طيب الريح. والقاضي عياض - رحمه الله - قال: ويحتمل عندي أن يكون المراد بالريحان الطيب كله.

وقد كان - حبيبنا ﷺ - يحب الطيب، ولا يرده، فهو ﷺ القائل: « **حبب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة** »[٣].

وعن أنس رضي الله عنه: « **أن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب** ».

لكن ما سر ذلك؟ وما هو السبب؟

قال ابن بطال - رحمه الله -: إنما كان النبي ﷺ لا يرد الطيب من أجل أنه ملازم لمناجاة الملائكة الكرام، ولذلك كان لا يأكل الثوم ونحوه..

ورد الحافظ ابن حجر هذه العلة، لأنه لو كان هذا هو السبب في ذلك، لكان ذلك من خصائصه ﷺ وليس كذلك.

---

(١) **صحيح**: « صحيح سنن أبي داود » (٤١٧٢)، و« صحيح سنن النسائي » (٥٢٥٩)، و« صحيح الجامع » (٦٣٩٣).

(٢) رواه مسلم وأبو داود.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٣١٢٤).

لكن هناك بيان للحكمة من ذلك في الوصية التي نعيش في ظلالها، وهي أن الطيب خفيف المحمل، طيب الرائحة.

وكان لا يرده لأنه هدية قليلة نافعة، ولا مؤونة فيها، ولا منة، ولا يتأذى المهدى بها، فردها لا وجه له.

وقد ورد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا ترد: الوسائد، والدهن** - أي الطيب - **واللبن**».

وكانت رائحة النبي ﷺ من أطيب الروائح وأزكاها، قال أنس بن مالك رضي الله عنه خادمه: «ولا شممت مسكة، ولا عبيرة أطيب رائحة من رسول الله ﷺ»(١).

وفي رواية عند البيهقي: «ولا شممت مسكًا ولا عنبرًا، ولا عبيرًا.. بذكرهم جميعًا».

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في «زاد المعاد»:

وكان ﷺ يكثر التطيب، وتشتد عليه الرائحة الكريهة، وتشق عليه، والطيب غذاء الروح، التي هي مطية القوى، تتضاعف وتزيد بالطيب، كما تزيد بالغذاء والشراب، والدعة والسرور، ومعاشرة الأحبة، وحدوث الأمور المحبوبة، وغيبة من تسر غيبته، ويثقل على الروح مشاهدته، كالثقلاء والبُغضاء، فإن معاشرتهم توهن القوى، وتجلب الهم والغم، وهي للروح بمنزلة الحمى للبدن، وبمنزلة الرائحة الكريهة(٢)..

قال: والمقصود أن الطيب، كان من أحب الأشياء إلى رسول الله ﷺ، وله تأثير في حفظ الصحة، ودفع كثير من الآلام، وأسبابها بسبب قوة الطبيعة به. **ولذلك من حبه** الطيب أنه شبه الجليس الصالح بحامل المسك، فقال: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك منه، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة**»(٣).

وكان من هدي النبي ﷺ في يوم الجمعة الغسل، ووضع الطيب، وجعل ذلك من خصوصيات هذا اليوم.. فعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من اغتسل يوم**

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم.

(٢) «زاد المعاد» (٤/ ٣٢٥) لابن القيم، ط. التوفيقية.

(٣) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

الجمعة، فأحسن غسله، وتطهر فأحسن طهوره، ولبس من أحسن ثيابه، ومس ما كتب الله له من طيب أهله، ثم أتى الجمعة، ولم يلغ ولم يفرق بين اثنين، غفر له، ما بينه وبين الجمعة الأخرى »[١].

وعن البراء قال: قال رسول الله ﷺ: « **حقًّا على المسلمين أن يغتسلوا يوم الجمعة، وليمس أحدهم من طيب أهله، فإن لم يجد فالماء له طيب** »[٢].

وكلمة (طيب) في الوصية، وفي معظم الأحاديث نكرة، وهي تفيد العموم، فيعم أي طيب ذو رائحة حسنة.. إلا أنه قد ورد أن أفضل الطيب وأطيبه هو المسك.. قال ﷺ: « **أطيب الطيب المسك** ».

والمسك كما قال ابن القيم - رحمه الله -: ملك أنواع الطيب، وأشرفها وأطيبها، وهو الذي تضرب به الأمثال، ويشبه به غيره، ولا يشبه بغيره، وهو كثبان الجنة.. وهو حار يابس.. يسر النفس ويقويها، ويقوي الأعضاء الباطنة جميعها شربًا وشمًّا، حتى قال: ومنافعه كثيرة جدًّا، وهو من أقوى المفرحات[٣].

وقال: إن المسك فيه من الخاصية أن الملائكة تحبه، والشياطين تنفر عنه، وأحب شيء إلى الشياطين: الرائحة المنتنة الكريهة.. فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة، والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة، وكل روح تميل إلى ما يناسبها.. فالخبيثون للخبيثات.. والطيبات للطيبين.

أحبتي الكرام..

فكان التعطر والتطيب من هدي الحبيب ﷺ يقول محمد بن علي بن أبي طالب ﷺ وهو المعروف بابن الحنفية: « سألت السيدة عائشة - رضي الله عنها - أكان رسول الله ﷺ يتطيب؟ قالت: نعم بذكارة الطيب: المسك والعنبر »[٤].

قال الأزهري: إنهم كانوا يكرهون المؤنث من الطيب، ولا يرون بذكورته بأسًا.

---

(١) **حسن صحيح**: « صحيح سنن ابن ماجة » للألباني (١٠٩٧).

(٢) **حسن**: رواه أحمد في مسنده والترمذي، وحسنه الألباني في « تخريج المشكاة » (١٤٠٠).

(٣) « زاد المعاد » (٤/ ٣٨٦) لابن القيم.

(٤) رواه النسائي، وضعفه الأرناؤوط.

قال: والمراد بالمؤنث، طيب النساء، مثل الخلوق والزعفران، وأما ذكورته فما لا لون له من المسك والعود والبخور، والعنبر، والذكورة، والذكارة بمعنى واحد. وعن نافع مولى ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: كان ابن عمر يستجمر بالألوة غير مطراة، والكافور يطرحه مع الألوة، ويقول: هذا كان يستجمر رسول الله ﷺ[1].

والاستجمار: أي التبخر، وهو استفعال من المجمرة، وهي التي توضع فيها النار. والألوة: العود الذي يتبخر به.. والمطري: أي المطيب.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: كانت للنبي ﷺ سُكة يتطيب بها.. والسُكة نوع من الطيب عزيز، وقيل المراد بها ظرف يوضع فيه الطيب كالزجاجة مثلاً.. ويشعر به قوله (يتطيب منها)[2].

وروى الطبراني والبيهقي عن وائل ﷺ قال: لقد كنت أصافح رسول الله ﷺ أو يمس جلدي جلده، فأتعرفه بعد في يدي، وإنه لأطيب رائحة من المسك..

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كانت كف رسول الله ﷺ ألين من الحرير، وكأن كفه كف عطار، مسها بطيب أو لم يمسها، يصافح المصافح، فيظل يومه يجد ريحها، ويضع يده على رأس الصغير، فيعرف من بين الصبيان بريحها»[3].

وعن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا مرَّ في طريق من طرق المدينة، وجدوا منه رائحة الطيب، ويقولون: مرَّ رسول الله من هذا الطريق[4].

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: كان في رسول الله ﷺ خصال لم يكن يمر في طريق، فيتبعه أحد إلا عرف أنه رسول الله ﷺ سلكه، من طيب عرقه وعرفه - أي ريحه الطيب ... »[5].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح: «صحيح سنن أبي داود» للألباني (٤١٦٢)، و«صحيح الجامع» (٤٨٣٠).

(٣) رواه أبو نعيم والبيهقي.

(٤) رواه أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح.

(٥) رواه الدارمي والبيهقي وأبو نعيم والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٣١٩) بإسناد حسن.

أحبتي في الله..

فتأسوا برسول الله ﷺ وطيبوا ريحكم، وأحسنوا أعمالكم، يحببكم الله ورسوله..

وكما كان رسولنا ﷺ رائحته طيبة كذلك كان إخوانه من الأنبياء عليهم السلام، فهذا نبي الله يوسف عليه السلام، فقد قال لمن كان عنده من إخوته: ﴿ **ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [يوسف: ٩٣] فماذا حدث؟ قال تعالى: ﴿ **وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ...** ﴾ [يوسف: ٩٤-٩٦].

أحبتي الكرام..

وقد فرق الرسول ﷺ بين طيب الرجال، وطيب النساء، فقال فيما رواه الترمذي والنسائي وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: « **طيب الرجال ما ظهر ريحه، وخفي لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه** ».

وفي رواية: « **خير طيب الرجال** »[١].

فطيب الرجال اللائق بهم، المناسب لشهامتهم، ما ظهر ريحه، وخفي لونه كالمسك والعنبر. قال العامري: نبه المصطفى ﷺ على أدبه للرجال وللنساء ففيما ظهر لونه رعونة، وزينة، لا يليق بالرجولية..

وطيب النساء ما ظهر لونه، وخفي ريحه أي عن الأجانب كالزعفران، وهذا حرم على الرجال المزعفر.. فعن أنس رضي الله عنه قال: « نهى رسول الله ﷺ أن يتزعفر الرجل ».

وفي رواية: « نهي عن التزعفر (يعني للرجال) »[٢].

وأما النساء فيحرم عليهن إظهار الطيب عند الخروج، أو بخضرة الرجال الأجانب، لكن إظهاره للزوج في بيتها مطلوب..

قال ﷺ: « **أيما امرأة أصابت بخورًا فلا تشهد معنا العشاء** ».

---

(١) رواه الترمذي والنسائي وغيرهما.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ أنه لقى امرأة، وجد منها ريح الطيب ينفح، ولذيلها إعصار، فقال: يا أمة الجبار، جئت من المسجد، قالت: نعم.. قال: وله تطيبت، قالت: نعم، قال: إني سمعت حبيبي أبا القاسم ﷺ يقول: «**لا تقبل صلاة لامرأة تطيب لهذا المسجد، حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة**»[١].

قال القاري في قوله (كغسلها من الجنابة): بأن يعم جميع بدنها بالماء إن كانت تطيبت في جميع بدنها، ليزول عنها الطيب، وأمَّا إذا أصاب موضعًا مخصوصًا فتغسل ذلك الموضع[٢].

أحبتي الكرام..

إن التعطر سنة الحبيب المصطفى ﷺ طبقها لنفسه، ودعا إليها، وهذا مظهر حضاري متميز في الدعوة الإسلامية. وإذا كانت مؤسسات العطور الفرنسية اليوم تفخر بتطورها وبتميزها بين العطور الذكرية والنسائية، فقد ميزها قبل ذلك رسول البشرية ﷺ فقد بين ووضح لنا ما يصلح منها للذكور، وما يصلح منها للنساء، ثم إنَّ الشرع الحنيف ميز في طريقة التطيب بين النساء والرجال. فالمرأة تتعطر في بيتها لزوجها خاصة ولأخواتها وصواحبها في منزلها، ولا تتعطر وتمشي في الطرقات بين الرجال، لتثير الشهوات، وتجذب إليها الأنظار.

بقي علينا أن نتساءل عن الحاسة التي يدرك بها الإنسان العطور أو الطيب أو نحو ذلك؟

إنَّ الحاسة التي تدرك ذلك هي حاسة الشم، وآلتها الأنف.. إنها آية من آيات الله ﷻ يدرك الإنسان الروائح بواسطتها.. وسبحان مبدعه وخالقه.. فتأمل بديع صنع الله في هذه الآلة..

يقول ابن القيم - رحمه الله -:

ونصب سبحانه قصبة الأنف في الوجه، فأحسن شكله وهيئته ووضعه، وفتح فيه المنخرين، وحجز بينهما بحاجز، وأودع فيها حاسة الشم، التي تدرك بها أنواع الروائح

---

(١) صحيح: «صحيح سنن أبي داود» للألباني رقم (٤١٧٤).

(٢) «عون المعبود» (٩/ ٤١٤).

الطيبة والخبيثة والنافعة والضارة، وليستنشق بها الهواء، فيوصله إلى القلب، فيتروح به ويتغذى به.

ثم لم يجعل في داخله من الاعوجاجات والغضون ما جعله في الأذن لئلا يمسك الرائحة، فيضعفها ويقطع مجراها.

وجعله مصبًا تنحدر إليه فضلات الدماغ، فتجتمع فيه، ثم تخرج منه..

واقتضت حكمته أن جعل أعلاه أدق من أسفله، لأن أسفله إن كان واسعًا، اجتمعت فيه تلك الفضلات، فخرجت بسهولة، ولأنه يأخذ من الهواء ملأه ثم يتصاعد في مجراه قليلاً قليلاً، حتى يصل إلى القلب وصولاً لا يضره ولا يزعجه..

ثم فصل بين المنخرين بحاجز بينهما، حكمة منه ورحمة، فإنه لما كان قصبة ومجرى سائرًا لما ينحدر فيه من فضلات الرأس، ومجرى النفس الصاعد منه جعل في وسطه حاجزًا لئلا يفسد بما يجري فيه، فيمنع نشقه للنفس، بل إمَّا أن يتعمد الفضلات نازلة من أحد المنفذين في الغالب، فيبقى الآخر للنفس، وإما أن يجري فيهما فينقسم فلا ينسد الأنف جملة، بل يبقى فيه مدخل للنفس.

وأيضًا، فإنه لما كان عضوًا واحدًا، وحاسة واحدة، ولم يكن عضوين، وحاستين كالأذنين والعينين اللتين اقتضت الحكمة تعددهما - فإنه ربما أصيب إحداهما أو عرضت لها آفة تمنعها من كمالها، فتكون الأخرى سالمة، فلا تتعطل منفعة هذا الجنس جملة، وكان وجود أنفين في الوجه شيئًا ظاهرًا، فنصب أنفًا واحدًا، وجعل فيه منفذين حجز بينهما بحاجز يجري مجرى تعدد العينين والأذنين في المنفعة، وهو واحد.. فتبارك الله رب العالمين، وأحسن الخالقين[1]. اهـ.

أحبتي الكرام..

ينبغي على المسلم أن يتدبر ويتأمل عظمة الخالق وإبداعه، وأسراره في خلق هذه الحواس. ثم يشكره على هذه النعم العظيمة، والتي أنعم بها على هذا.. ﴿ **وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ...** ﴾.

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ١٠، ١١) لابن القيم الجوزية، دار ابن عفان.

نسأل الله ﷻ أن يبارك لنا في أبداننا، وعقولنا، ويشرح صدورنا..

اللهمَّ اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك.. ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا الله بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا.. واجعل الجنة هي دارنا بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين..

اللهمَّ إنا نسألك نفسًا بك مطمئنة، تؤمن بلقائك، وترضى بقضائك، وتصبر على بلائك وتقنع بعطائك.. واغفر لنا يا رب العالمين..



الفهـرس

صفحة

